

الأدب الإسلامي

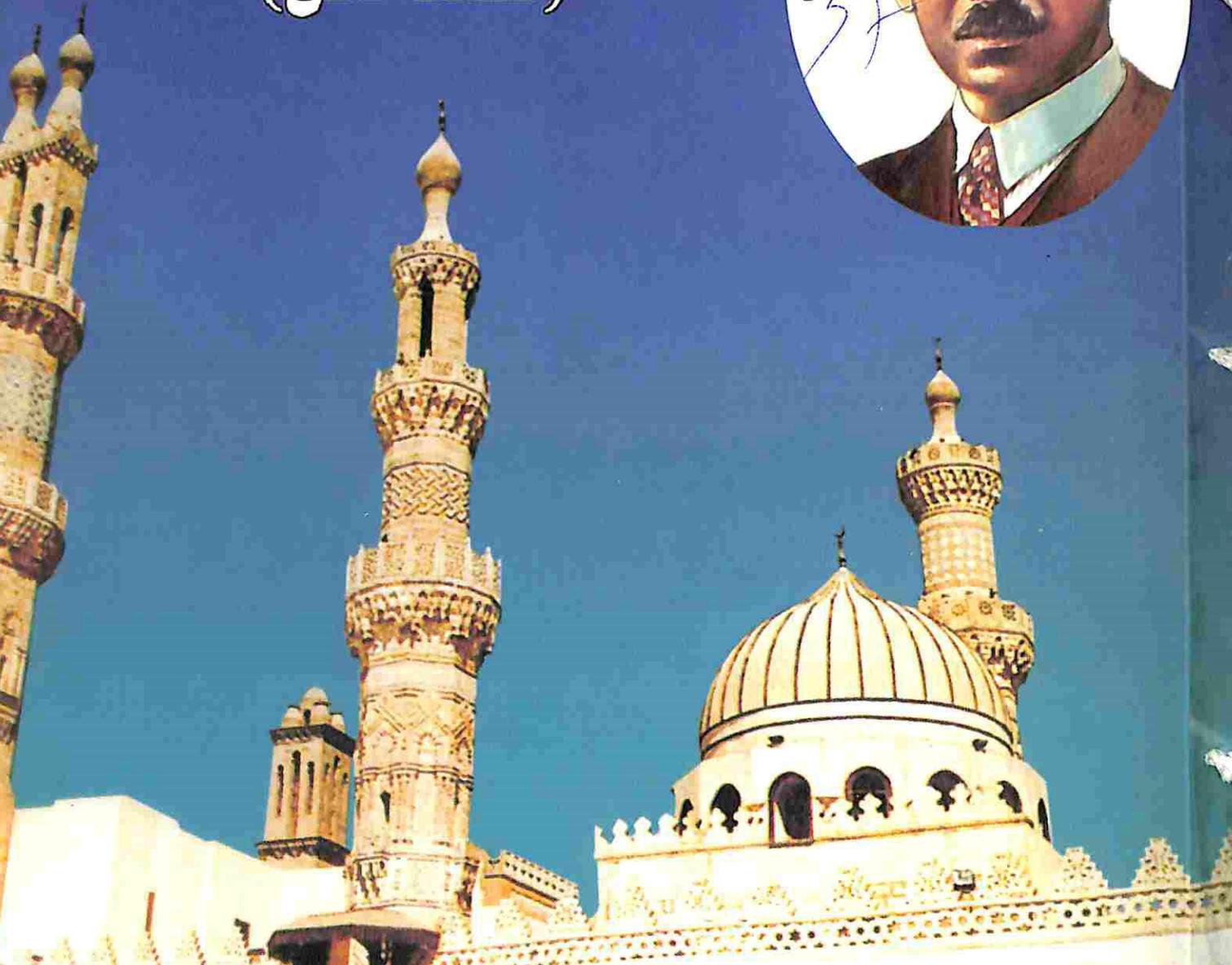
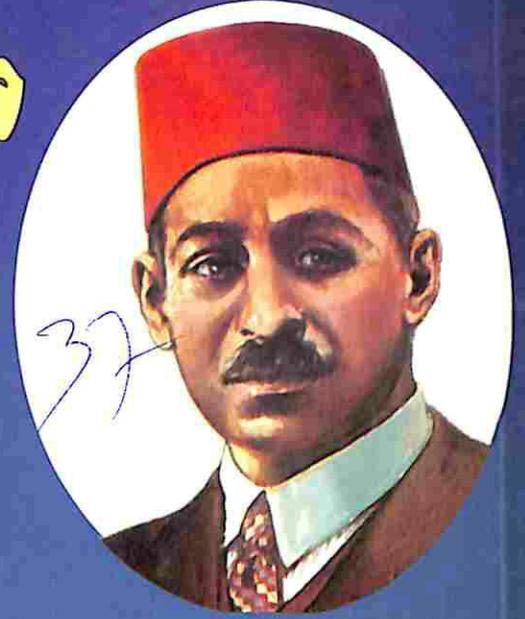
٤٣

٤٤

العددان الثالث والأربعون والرابع والأربعون ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م

مصطفى صادق الرافعي

(عدد خاص)



صدر عن دار الضياء للنشر والتوزيع

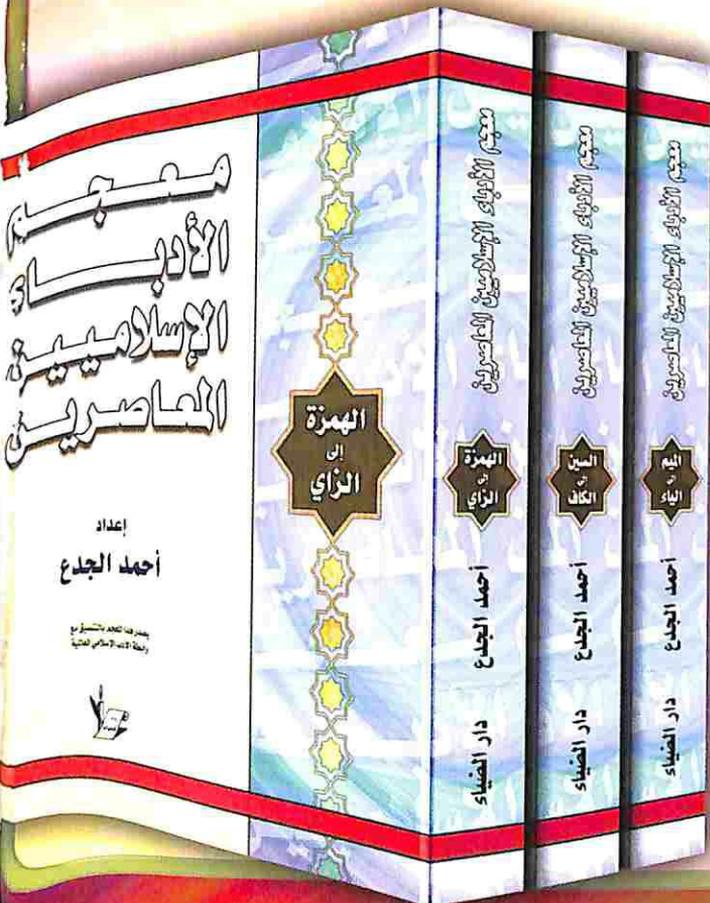
معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين

في ثلاثة مجلدات - ١٥١٦ صفحة

إعداد

أحمد الجذع

يصدر هذا المعجم بالتنسيق مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية



يضم هذا المعجم ترجمة أربعمئة واثنين وتسعين اديباً إسلامياً معاصراً شملت الترجمة : الحياة العملية والعلمية وتوثيق المؤلفات ونماذج من الأدب والعنوان البريدي لكل اديب .

يطلب المعجم من :

دار الضياء للنشر والتوزيع

الأردن - عمان

ص.ب ٩٢٥٧٩٨ الرمز ١١٩٠

هاتف وفاكس ٥٦٧٨٥٠٢ ٦ ٠٠٩٦٢

ثمن النسخة داخل الأردن ٢٥ ديناراً أردنياً بما يعادل ٥٠ دولاراً

ثمن النسخة بالبريد المسجل :

الدول العربية ١٠٠ دولار أمريكي

أوروبا وآسيا ١٢٥ دولاراً أمريكياً

أمريكا وما حولها ١٥٠ دولاراً أمريكياً

أديب الإسلام الأكبر



فتح آفاق

ليس من المستغرب أن تصدر رابطة الأدب الإسلامي العالمية عددا مزدوجا خاصا بأديب الإسلام الأكبر في العصر الحديث وهو الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - ، بالإضافة إلى الندوة التي أقامها عنه مكتب الرابطة في القاهرة. وذلك أقل ما ينصف به هذا الرجل العظيم الذي ظلم في حياته ، ولم ينصف بعد مماته .. مع ما كان له من دور كبير في الذود عن حمى الإسلام وحمى التراث ، وحماية حصوننا المهددة أو المهدامة من داخلها ، والمترئص بها من خارجها .

ولقد كان الرافعي أمة وحده ، حين وقف أمام تيار التغريب الذي ما تزال الأمة تعاني من آثاره في حياتها الاجتماعية والسياسية والثقافية ، بما في ذلك الأدب العربي الذي كاد أن يستعجم بتأثير المذاهب الفكرية والأدبية الدخيلة التي أقبل عليها دعاة التغريب بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات ، وبكل ما فيها مما يصادم عقيدة الأمة ويتنكر لتراثها ، ويضد لغتها وذائقتها ، ويهدد هويتها وأصالتها. ولنستمع إلى الرافعي يخاطب هؤلاء المستغربين فيقول :

« علم الله ما فتن المغرورين من شبابنا إلا ما يأخذهم من هذه الحضارة . فإن لها في زينتها ورونقها أخذة كالسحر ، فلا يميزون بين خيرها وشرها ، ولا يفرقون بين مبادئها وعواقبها ، ثم لا يفطنهم منها إلا ما يدعوهم إلى ما يميت ، ويصددهم عما يحيي . وما يحول بينهم وبين قلوبهم ، فليس إلا المتابعة والتقليد . »

وكان الرافعي رائدا لأمة ، والرائد لا يكذب أهله ، فهو يبين لهم حقيقة الحضارة الغربية ، ويقرر أن هذه الحضارة أطلقت حرية العقل فتقدمت ، وأطلقت حرية الفرائز والأهواء فضلت وأضلت ، وذلك حيث يقول : « فالحضارة الغربية أطلقت حرية العقول تجدد وتبتدع ، وأطلقت من ورائها الأهواء تلذذ وتستمتع وتشتهي ، فضربت الخير بالشر ضربة لم تقتل ، ولكنها تركت الآثار التي هي سبب القتل ، إذ لا تزال تمد مداها حتى تنتهي إلى غايتها ، وذلك هو السرفي أنه كلما تقادمت الأزمنة على هذه الحضارة ضج أهلها ، وأحسوا عللا اجتماعية لم تكن فيهم من قبل . »

لقد كان الرافعي أمة وحده ، حيث وقف « تحت راية القرآن » يخوض معارك كثيرة لفضح التقليد الذي سمي بالتجديد ، وليكشف ما يدعو إليه بعض المجددين من حرية التكفير باسم حرية التفكير ، وليصحح مسيرة الأدب العربي حتى لا تنقطع صلة هذا الأدب بتراثه ولا يفقد أصالته ، ولا تشوه لغته تحت شعار تسهيل اللغة وقواعدها ، أو يدعى إلى العامية بحجة صعوبة الفصحى وعدم صلاحيتها للحياة .

وكان الرافعي أمة وحده بفكره العميق ، وبأسلوبه العلوي الرصين الذي يكاد يصل إلى حد الإعجاز على ما فيه من بعض الغموض ، وبكتبه التي كان يسابق بها عمره القصير بما فيها من أفانين الإبداع والنقد ، وبأشعاره التي غطى عليها نثره الرفيع ، وكل ذلك رفعه بجدارة إلى أن يكون « أديب الإسلام الأكبر في العصر الحديث » .

رئيس التحرير



مجلة الأدب الإسلامي

مجلة فصلية

تصدر عن:

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

رئيس التحرير

د. عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير

د. سعد أبو الرضا

مدير التحرير

د. وليد قصاب

هيئة التحرير

د. عبد الله بن صالح العريفي

د. حسين علي محمد

د. عبد الله بن صالح المسعود

أ. شمس الدين درمش

مستشاره التحرير

د. عبد الباسط بدر

د. حسن الهويل

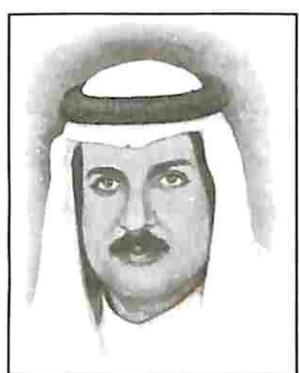
د. ظهور أحمد

د. رضوان بن شقرون



أصالة
التجديد
وتجديد
الأصالة

شخصية
الأديب المسلم
في حياة
الرافعي ورسائله



بين الرافعي
وطه حسين
تحت راية
القرآن

المجلد الحادي عشر
العدد الثالث والأربعون والرابع والأربعون
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



للإعلان في مجلة الأدب
الإسلامي الوكيل الوحيد:

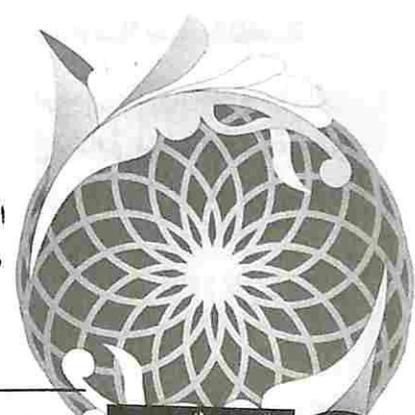
المملكة العربية السعودية

المركز الرئيسي: الرياض هاتف: ٤٦٦١٢٧٧ (١٠ خطوط) - فاكس: ٢١٧٠٢١٢

فرع جدة هاتف: ٦٥٧٧٧١٢ (٥ خطوط) - فاكس: ٦٥٧٧٧١٣

المراسلات والإعلانات: السعودية - الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨ / فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

Web page address :www.adabislami.org
E-mail:info@.adabislami.org



| الافتتاحية: | | أديب الإسلام الأكبر | |
|-------------|--|---------------------|--------------------------|
| ١٣١ | إبراهيم سعفان | ١ | رئيس التحرير |
| ١٣٧ | د . صابر عبدالدايم | ٤ | د . حسن الأمراني |
| ١٤٥ | شمس الدين درمش | ١٦ | د . صلاح الدين عبدالنواب |
| ١٥٥ | د . إسماعيل علوي | ٢٧ | د . حلمي القاعود |
| ١٦٠ | ياسر عبدالرحيم | ٢٢ | د . وليد قصاب |
| ١٦٦ | أيمن أحمد ذو الغنى | ٤٢ | د . عبدالحليم عويس |
| ١٧٥ | * مصطفى صادق الرافعي في وجدان محبيه (مقالات وقصائد في رثاء الرافعي) | ٥١ | د . مكارم الديري |
| ١٩٥ | محمد حيان الحافظ | ٦٠ | د . حسين علي محمد |
| ١٣٣ | محمود حسين عيسى | ٦٦ | د . عبدالمنعم يونس |
| ١٣٤ | عبدالرزاق ديار بكرلي | ٧٥ | أحمد فضل شبلول |
| ٢٠٢ | إعداد شمس الدين درمش | ٨٠ | د . عدنان النحوي |
| ٢١٨ | د . حسين مجيب المصري | ٨٦ | خيرالله الشريف |
| ٢١٩ | التحرير | ٩٤ | د . عبدالحميد الحسامي |
| | | ١٠٤ | د . محمد أبو بكر حميد |
| | | ١١٥ | وليد عبدالماجد كساب |
| | | ١٢٠ | محمد الحسنواوي |

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره.
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.
- توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- الموضوع الذي لا ينشر لإبعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

الإشتراكات

- للأفراد في البلاد العربية : ما يعادل ١٥ دولاراً - خارج البلاد العربية: ٢٥ دولاراً.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية : ٣٠ دولاراً.

أسعار بيع المجلة

- دول الخليج ١٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلها، الأردن دينار ونصف، مصر ٤,٥ جنيهات، لبنان ٢٧٥٠ ليرة، المغرب العربي ١٣,٥ درهما مغربياً أو ما يعادلها، اليمن ٢٢٥ ريالاً، السودان ٢٧٥ دينار، الدول الأوربية ما يعادل ٤,٥ دولارات.

أصالة التجديد وتجديد الأصالة

وقد كان مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله- من هؤلاء العظماء العباقرة الذين وقعت حولهم الخصومة ولم تنطفئ. ولكنني أحسب أنه مامن أحد من أولئك أصابه الظلم والعنت من مشايغيه وخصومه على السواء مثل ما حدث مع الرافعي. فأما من خصومه فالأمر بين ، فهم يتهمونه بالتقليد وعدم الإبداع أو بالتعقيد الكتابي، كما فعل طه حسين، أو بكونه أسير الجملة القرآنية، مما رد عليه الرافعي في كتابه: «تحت راية القرآن» وما ذلك إلا لأن هؤلاء ربطوا ربطا فجا بين التشبث بخصائص الأمة وثوابتها وبين التقليد والجمود، ولأن كثيرا منهم ربط ربطا غير جميل بين الدفاع عن هوية الأمة وبين معاداة الجديد . وأما المشايخون والأنصار فكانوا كالذي يريد الدفاع عن قضية عادلة فلا يأتي من بابها، ولا يختار للدفاع عنها من يملك أدوات الحجاج والقدرة على التأثير والإقناع، فتضيع القضية لأنها باطلة، ولكن لأنها لم تؤت من يحسن عرضها وتجليتها للناس، ولو تم ذلك لما احتاجت إلى الدفاع لأن الحق إذا تجلى وتبين واتضح ملك من قوة الذات وركب منه لسان لسن بيّن لا يحتاج معه إلى دفاع، فكثير من مناصريه انطلقت عليهم حيلة الخصوم وسلموا بأن الرافعي حصر نفسه في أساليب القدماء ومنهجهم دفاعا عن الحق، وما علموا أن الذي يملك حفا كبيرا من التجديد لا يثير انتباه أحد، وتمر عليه الأيام وهو مهمل في ركن ركنين، وما كان أمر الرافعي كذلك، فلقد كان -رحمه الله- من كبار المجددين، ومن التجديد

كل معارك ما لا يكاد ينطفى أواره، وينقسم الناس حوله مابين مغال في المدح ومغال في القدرح وطالب التوسط. هكذا كان حال أبي تمام والمتنبي وأبي حيان من القدماء. وهكذا كان حال شوقي وحافظ، والعقاد وطه حسين، ونازك والسياب من المحدثين.





بقلم: حسن الأمrani
المغرب

عند الرافعي

مدعواً إلى الاقتصار على أثر واحد من آثار الرافعي العديدة والمتنوعة، وهو كتاب "وحي القلم"، بل لقد انتهيت إلى عدم تقصي الكتاب كله، مقتصرًا على بعض ما ينطق جهارا بالمراد، وأنا أعلم من نفسي العجز والتقصير. وأنا بين يدي علم شامخ كالرافعي، لا يلقي الكلام على عواهنه، ولا ينقض اليوم ما أبرمه في الأمس، بل هو كالبناء الحذق الماهر الذي يسعى إلى الإتقان في رفع بناء يحتاج إحكامه إلى أن يرفع لبنة لبنة وحجرا حجرا.

وأول ما يلفت نظر الدارس أن الرافعي ليس منغلقا على نفسه ولا منكفئا على ذاته كما يزعم الزاعمون، ولا هو مقتصر في اطلاعه على تراثنا الإسلامي، بل هو رجل موسوعي مطلع اطلاع خبير على الثقافات الإنسانية، ومنها الثقافة الغربية التي كان يرى فيها بعض التغريبيين الوجه الأوحيد للتححر والتجديد، والرافعي لا يدعي ولا يزعم ولا يريد أن يتعالى على الناس فيحدثنا عن ذلك الفكر الإنساني وأعلامه، ومنه الفكر والأدب الغربي بل هو يأتيه هونا، مستشهدا أو ملمحا أو مستفيدا، في غير ما فخر ولا ادعاء، ولا تضاؤل للذات أو انسحاق أمام ذلك الفكر والأدب، فلذلك يطالعك في أدبه أعلام من الغربيين أفذاذ لا ينتقص منهم الرافعي ولا يحتقرهم، كما يزعم أولئك الذين يرونه خصما لكل جديد، وعدوا لدودا لما كل ما وفد من الغرب، وهكذا يتجاوز في تراث الرافعي أعلام الغرب وعباقرته مع أعلام العرب وعباقرتهم،

عنده تحديد مفهوم التجديد، بما يناسب التطور الأدبي، وقد كشف الرافعي زيف دعاة التجديد الذين ينفخون في التزوير باسم التنوير، ويزعمون لأنفسهم التجديد وهم أئمة في التقليد لأنهم انصرفوا عن ذواتهم إلى تقليد ذوات سواهم من الغربيين فكان ذلك أسوأ صور التقليد.

هل يمكن أن يقال: إن هنالك مؤامرة لطمس أدب الرافعي، لأن نشره من شأنه أن يزلزل كثيرا من القواعد، وأن يذهب بأوتاد دعاة التزوير باسم التنوير، ويهتك طيلسان مدعي النبوة في الأدب والفكر؟

ولعل أهم سؤال يفرض نفسه على من يعيد قراءة الرافعي، مبدعا ومنظرا، وإعادة قراءة الرافعي أمر مشروع ومطلوب، هو: كيف نقرأ الرافعي؟ إنني أزعم أننا لم نقرأ الرافعي بعد كما ينبغي أن يقرأ، وكثير من الناس يقرؤونه بعيون الآخرين لا بأعينهم، ولقد صدق شوقي حين قال:

صور العمى شتى وأقبحها إذا

نظرت بغير عيونهن الهام

فالذي يريد أن يجلي علاقة الأصالة بالتجديد عند الرافعي مطالب بأن يقرأ إنتاجه كله، ويقف على ما فيه من صور التنظير والتطبيق، وذلك مما لا ينهض به بحث واحد أو دراسة واحدة، مهما زعمت لنفسها من الشمول، فضلا عن أن تحصر أطرافه في بحث محدود وفي وقت محدود، ولقد تطلعت الهمة إلى شيء من الإحاطة، ثم إلى النظر في نموذج تنظيري وآخر تطبيقي، ثم وجدتني

وصاحبها: «عمل الأستاذ توفيق الحكيم في تصنيف هذا الكتاب أشبه شيء بعمل كريستوف كولب. في الكشف عن أمريكا وإظهارها من الدنيا للدنيا: لم يخلق وجودها، ولكنه أوجدها في التاريخ البشري، وذهب إليها، فقبل: جاء بها إلى العالم . وكانت معجزته أنه رآها بالعين في عقله، ثم وضع بينه وبين الصبر والمعاناة والحدق والعلم حتى انتهى إليها حقيقة ماثلة .

قرأ الأستاذ كتب السيرة وما تناولها من كتب التاريخ والطبقات والحديث والشمائل، بقريحة غير قريحة المؤرخ، وفكرة غير فكرة الفقيه، وطريقة غير طريقة المحدث، وخيال غير خيال القاص، وعقل غير عقل الزندقة، وطبيعة غير طبيعة الرأي، وقصد غير قصد الجدل، فخلص له الفن الجميل الذي فيها، إذ قرأها بقريحته الفنية المشبوبة، وأمرها على إحساسه الشاعر المتوثب، واستلها من التاريخ بهذه القريحة وهذا الإحساس كما هي في طبيعتها السامية متجهة إلى غرضها الإلهي محققة عجائبها الروحية المعجزة».

وانتهى الرافعي إلى القول: «وحسب المؤلف أن يقال بعد اليوم في تاريخ الأدب العربي: إن ابن هشام كان أول من هذب السيرة تهذيباً تاريخياً على نظم التاريخ، وأن توفيق الحكيم كان أول من هذبها تهذيباً فنياً على نسق الفن»^(٢).

وما أظن أن توفيق الحكيم نال، حتى من المغالين في الإعجاب به، شرفاً أعظم من هذا ولا وساماً أعلى من هذا .

وعندما يتحدث الرافعي عن الشاعر المهندس علي محمود طه في ديوانه: الملاح التائه ، يبرز لك الأديب الناقد المتحمس للتجديد

● الرافعي منفتح على عصره، متبع لما ينتجه المنتجون ويحبره المحبرون ويبدعه المبدعون.



المتنبي



شكسبير

ويتحدث عن شكسبير وأناطول فرانس ولامرتين وفكتور هيغو، بالإعجاب نفسه الذي يتحدث به عن امرئ القيس والمتنبي وغيرهما من فحول العرب، بل ربما قرن على صعيد واحد بين عبقرى عربي وعبقرى غربي، كما فعل مع المتنبي وشكسبير، حين تحدث عن العبقرية المهمة فقال: (ولقد يخطر لي وأنا أقرأ بعض المعاني الجميلة لذهن من الأذهان المهمة كشكسبير والمتنبي وغيرهما...^(١) .

والرافعي منفتح على عصره، متبع لما ينتجه المنتجون ويحبره المحبرون ويبدعه المبدعون، ثم هو مقبل على ذلك إقبال الدارس الحصيف، وينقده فعل الناقد البصير، لا يجور به الهوى، ولا يثنيه تعصب عن الحق، وهو يقول

للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، ولعل بعضاً مما لا يكون صورة عن الرافعي إلا من خلال ما يقرأ لغيره، يذهب به الظن إلى أنه كان خصماً للتجديد وأعلامه، فهو يعجب إذا سمع أن الرافعي كان معجباً بتوفيق الحكيم، على سبيل المثال، في مسرحية ما يزال بعض (المحافظين) حتى اليوم يرى أن توفيق الحكيم أساء فيها كل الإساءة ولم يوقر ما ينبغي توقيره، وأعني مسرحية (محمد) التي استقاها من سيرة الرسول ﷺ، والرافعي يقول عن المسرحية



● كان الرافعي أكثر سماحة وأوسع صدرا بقبول التجديد من أكثر معاصريه.

والشك، كتلك التي في قصيدة "الله والشاعر" وأظنه شائع فيها المعري، ولست أدري كم ينخدع الناس بالمعري هذا، وهو في رأيي شاعر عظيم، غير أن له بضاعة من التلفيق تعدل ما تخرجه "لانكشير" من بضائعها إلى أسواق الدنيا" (٣).

فهل ترى من سماحة، وسعة صدر، وقبول للتجديد، وإقبال عليه، مثلما ترى في رأي الرافعي هذا؟ إنك ترى أن الإعجاب بالقديم لا يمنعه من نقد هذا القديم إن رأى فيه انحرافاً، حتى وإن كان ذلك الانحراف من شاعر عظيم، كما قال، كالمعري.

ونحن نعلم كيف تراجع العقاد عن بعض دعواته التحريرية في الشعر في أواخر عمره، حتى إنه كان يكتفي بأن يعلق على كل نص شعري حديث في لجنة الشعر بجملة واحدة: «يحال على لجنة النثر»، أما الرافعي فقد كان في أواخر عمره يوم كتب ما كتب، ولعله - فيما أزع - كان سيكون أكثر سماحة من العقاد من حركة الشعر الحديث لو قيض له أن يدركها.

التجديد عند الرافعي

اتخذ التجديد عند الرافعي صوراً شتى، وتجلّى في أمور كثيرة، نجتزئ منها بعضاً مما تضمنه كتابه الفذ: «وحي القلم»، ويمكن إجمالاً تقسيم مظاهر التجديد وصوره إلى شطرين: الأول تنظيري والآخر إبداعي.

، فمعلوم أن المهندس علي محمود طه من زعماء التجديد الشعري، وأنه إذا قيس إلى زمانه، كان بتعبير اليوم ممن ثار على أنماط الشعر التقليدية، وذهب في التجديد شوطاً بعيداً، فهو ابتدع طريقة جديدة في التعبير لا صلة بينها وبين مدرسة شوقي، وهو في الشكل لم يبق حبيس القصيدة الخليلية الموحدة القافية، بل

نوع وبدل،، وأبدع وجدد، ومع ذلك يقف منه الرافعي موقفاً أراه أكثر انتصاراً للتجديد ممن كانوا يرفعون لواء التجديد آنذاك من أمثال العقاد وطه حسين، ولم يكد الرافعي ينكر من ديوان الملاح التائه، إلا بعضاً من قصيدة "الله والشاعر" وهو إنكار لم يمس الفن بقدر ما مس التصور العقدي الذي جعل الشاعر يتيه في غيابة الشك والقلق، ومع ذلك وجد



توفيق الحكيم

للشاعر مخرجاً، وإن لم يكن له عذراً، بأن جعله في شكه ذاك امتداداً راسخاً لشاعر عربي قديم، فقال مميزاً بين الشعراء والمتشاعرين: «أما فريق المتشاعرين فليمثل له القارئ بمن شاء وهو في سعة... وأما فريق الشعراء ففي أوائل أمثلته عندي الشاعر المهندس علي محمود طه. أشهد: أنني أكتب عنه الآن بنوع من الإعجاب الذي كتبت به في المقتطف عن أصدقائي القدماء: محمود باشا البارودي وإسماعيل باشا صبري وحافظ وشوقي، رحمهم الله وأطال بقاء صاحبنا.. فليس من الشرط عندي أن يكون الشاعر وبيئته في شعره، وإنما الشرط أن تكون هناك نفسه الشاعرة على طريقتها في الفهم والتصوير.. وليس في شعر علي طه من عصرياتنا غير القليل... أما سائر أغراضه فإنسانية عامة، تتغنى النفس في بعضها، وتمرح في بعضها، وتصلي في بعضها، وليس فيها طيش ولا فجور ولا زندقة إلا.. ظللاً من الحيرة

الشرط التنظيري:

● الرافعي لا يرى الإعجاز إلا في الجديد، وهكذا كانت نظرته إلى القرآن الكريم منطلقة من هذا التصور.

كانت المعركة محتدمة زمن الرافعي بين القديم والجديد، وما كان لأديب كبير مثل الرافعي أن يظل بمنأى عن تلك المعارك ونارها وغبارها، ولقد كان موقفه واضحا جليا يعتمد سمة التوازن التي هي سمة جوهرية في التصور الإسلامي، وكان للرافعي مشاركات تنظيرية وأخرى عملية تطبيقية في هذا المجال، وهو ذو رأي خاص متميز، فلا هو عبد للقديم والقدماء، ولا هو تبع للحديث والمحدثين .. ولم يكن يعني أن الرافعي كان يطلب التوسط فرارا مما عسى أن يورثه التشيع لفريق دون فريق من الخصومة والعداء فهو خاض معاركه على اقتدار، ولكنه ذا رأي متفرد يرفض الإمعية، وأول ملحظ نلاحظه أن الناس كانوا يتحدثون عن الصراع بين القديم والحديث، كما هو الشأن عند طه حسين مثلا، وأن الرافعي كان يتحدث عن الصراع بين التجديد والتقليد، وهذا رأي حصيف، إذ من القديم ما يظل على الزمن لا يبلى، فلا يجوز إذن أن نسمة بالتقليد لمجرد القدم، ومن الحديث ما يفقد الأصالة والجدة ويكون في أقصى درجات التقليد، ولذلك يرى الرافعي أن من أسس التجديد الحق التواصل بين القديم والجديد، حتى كأنهما بمثل حلقتين مترابطتين في سلسلة، ومن هنا كان يرى أن التجديد الحق يرتكز على القديم» فلا جديد، إلا مع القديم (٤).

ليس في تركيبها إلا القوة التي بنيت عليها، فإذا تناولها الصنّع الحاذق الملمه أضاف إليها من تعبيره ما يشعر أنه خلق فيها الجمال العقلي، فكانها كانت في الخلقه ناقصة حتى أتمها» (٥).

ومن هنا ينبع الإنصاف عند الرافعي، ونفهم موقفه الصحيح من القديم والقدماء، فليس قديم عنده جديرا بالتمجيد ولا حتى بالبقاء، بل ليس كل أديب قديم من الفحول يؤخذ كلامه كله، بل يؤخذ منه ويرد، وهكذا لم يكن الإعجاب بعلم من الأعلام بمانع الرافعي من أن ينتقده أو يوجه إليه اللوم إن كان بذلك جديرا، وحسبنا أن نعلم موقفه من الباقلاني -رحمه الله تعالى- وهو من خدم الدراسات الإعجازية خدمة جلية، إلا أن تجربة الباقلاني التي زل فيها، وهي زلة عالم جعلت الرافعي يتتبعه فيها ويؤاخذها عليها، فيقول: «وعرض الباقلاني في كتابه طويلة امرئ القيس فانتقد منها أبياتا كثيرة، ليدل بذلك على أن أجود الشعر وأبدعه وأفصحها وما أجمعوا على تقدمه في الصناعة والبيان، هو قبيل آخر غير نظم القرآن لن يمتنع عن أفات البشرية ونقصها وعوارها، فركب في ذلك رأسه ورجليه معا .. فأصاب وأخطأ، وتعسف وتهدى، وأنصف وتحامل، وكل ذلك لمكانة امرئ القيس في ابتكاره البياني الذي لا يمكن أن يدفع عنه» (٦).

ويزيد الأمر بيانا حين يقول: «ولما انتقد قوله، يعني امرئ القيس:

والرافعي لا يرى الإعجاز نفسه إلا في الجديد، وهكذا كانت نظرته إلى القرآن الكريم منطلقة من هذا التصور، فهو يقول: «نعتقد أن أكثر ما جاء في القرآن الكريم كان جديدا في اللغة، لم يوضع من قبله ذلك الوضع ولم يجر في استعمال العرب كما أجراه، فهو يصب اللغة صبا في أوضاعه لأهلها لا في أوضاع أهلها، وبذلك يحقق من نحو ألف وأربعمئة سنة ما لا نظن فلسفة الفن قد بلغت إليه في هذا العصر، إذ حقيقة الفن على ما نرى أن تكون الأشياء كأنها ناقصة في ذات أنفسها



وببيضة خدر لا يرام خباؤها

تمتعت من لهو بها غير معجل

قال، يعني الباقلائي: فقد قالوا عنى بذلك أنها كبيضة خدر في صفائها ورقتها، وهذه كلمة حسنة، ولكن لم يسبق إليها، بل هي دائرة في أفواه العرب»، قال الرافعي معلقاً: «ألا ليت شعري هل كان الباقلائي يسمع من أفواه العرب في عصر امرئ القيس قبل أن يقول: وببيضة خدر؟».

ولا يقف الرافعي مع الباقلائي عند هذا الحد، ولكنه يتقدم خطوات ليضع يدنا على موطن الجمال في قول امرئ القيس، مما هو جديد ولم يذكره القدماء، فيقول: «على أن الكناية عن الحبيبة (ببيضة الخدر) من أبداع الكلام وأحسن ما يوتى العقل الشعري، ولو قالها اليوم شاعر في لندن أو باريس بالمعنى الذي أراد امرؤ القيس - لا بما فسرنا به الباقلائي - لاستبدعت من

قائلها ولاصبحت القُبلة على كل فم جميل، بل هم يمرون في بعض بيانهم من طريق هذه الكلمة، فيكنون عن البيت الذي يتلاقى فيه الحبيبان (بالعش) وما يتخذ العش إلا للبيثة. إنما عنى الشاعر العظيم أن حبيبته في نعومتها وترفها ولين ما حولها، ثم في مسها وحرارة الشباب فيها، ثم في رقتها وصفاء لونها وبريقها، ثم في قيام أهلها وذويها عليها ولزومهم إياها، ثم في حذرهم وسهرهم، ثم في انصرافهم بجملة الحياة إلى شأنها، وبجملة القوة إلى حياطتها والمحامة عنها - هي في كل ذلك منهم، ومن نفسها كبيضة الجارح في عشاها، إلا أنها بيضة خدر، ولذلك قال بعد هذا البيت:

تجاوزت أحراسا إليها ومعثرا

علي حراصا لو يسرون مقتلي

فتلك بعض معاني الكلمة وهي كما ترى، وكذلك

ينبغي أن يفسر البيان...»^(٧).

فلك أن تتصور هذا الذي فتقه الرافعي واستخرجه واستنبطه من عبارة واحدة في شعر امرئ القيس، انتصارا لامرئ القيس، ونحن نرى كيف كان الرافعي مستجيبا لروح العصر في تحليله هذا، وكاشفا عن روح الفن المتجدد في قول امرئ القيس، فهذا الذي سبقت الإشارة إليه من أن من القديم ما هو بريء من سطوة التقليد، قادر على تجاوز الأعصار والأمصار ومنه ما لا يموت بموت صاحبه، كما أن من الحديث ما هو غارق في التقليد لا يقنع معاصريه فضلا عن أن يتجاوز عصره. ولا يهاجم الرافعي شيئا مثلما يهاجم التقليد، وذلك مبثوث في كتاباته، ومن ذلك قوله من المقدمة التي كتبها لشرح الجواليقي على أدب الكاتب لابن قتيبة، بعدما أورد كلمة ابن خلدون المشهورة عن أصول فن الأدب وأركانه ودواوينه الأربعة: «قد



ابن خلدون

يظن أدباء عصرنا أن كلمة ابن خلدون هذه كانت تصلح لزمناه وقومه.. ولكنه لا تستقيم في أدابنا ولا تعد من آلتنا ولا تقع من معارفنا، بل يكاد يذهب من يتغرر منهم بالأراء الأوربية التي يسميها علمه.. ومن يسترسل إلى التقليد الذي يسميه مذهبه.. إلا أن تلك الكتب وما جرى في طريققتها هي أموات من الكتب، وهي قبور من الأوراق، وأنه يجب أن يكون بيننا وبينها الإهمال أكثر مما بينها وبيننا من الزمن، وأن بعث الكتاب منها وإحياءه يوشك أن يكون كبعث الموتى: علامة على خراب الدنيا.

... وأما تلك الكتب فأنا أحسبها لم توضع إلا لزماننا هذا ولأدبائه وكتابه خاصة... فإن هذه المادة الحافلة من المعاني تحيي آداب الأمم في أوروبا وأمريكا، ولكنها تكاد تطمس أدابنا وتمحقنا محققا تذهب فيه خصائصنا ومقوماتنا، وتحيلنا عن أوضاعنا التاريخية، وتفسد عقولنا ونزعاننا....

● الذي ينكره الرافعي ليس هو التجديد بل استيراد التجديد الذي لا ينبع من تراثنا وأصالتنا وعقيدتنا.

وكثير ممن يزعمون التجديد ويعتبرون أنفسهم أنصاره ليسوا عند الرافعي غير نموذج بئس للتجديد، ويقدم سلامة موسى نموذجا لهذه الفئة، وإذا كان سلامة موسى في اندفاعه لا يقف عند مهاجمة من يراهم زعماء القديم، بل هو يهاجم أمثال طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم، باعتبارهم لا يحملون رسالة، وأن ما يكتبونه فارغ، ويزعم نفسه داعية الإصلاح. فإن الرافعي يهتك ستره ويرى أن سلامة موسى أسوأ المقلدين، وقد عرض سلامة موسى لقضية المرأة والميراث في الإسلام، فزاغ كما زاغت أقلام من قبله، ولا سيما من الغربيين، فسعى الرافعي إلى أن يكشف ما وقع فيه سلامة موسى من ضلال، ولم يمنع الرافعي نصرانية سلامة موسى وهو يناقش أمرا من اختصاص المسلمين من أن يناقشه مناقشة علمية موضوعية، ليس فيها تشنج ولا تحامل ولا رمي الكاتب بانحراف عقيدته، إذ كان يعنيه هو الحق، ولا شيء غير الحق. يقول الرافعي: «الكاتب هو هو في ضعف تفكيره وسوء تقليده... ترى الكاتب لا يدعو إلا إلى تقليد أوروبا، وتكاد عباراته في ذلك لا تحصى ويقول إن: "المصلح المثمر عندنا هو مقلد لأوروبا لا غش في تقليده"، فليس إلا أوروبا وتقليدها. وإذا لم يكن في أوروبا قرآن ولا إسلام فالإصلاح المثمر عند الكاتب ألا يبقى من ذلك شيء».



سلامة موسى

ومن ذلك ابتلي أكثر كتابنا بالانحراف... ومنهم المقلد الذي لا يدري أعلى قصد هو أم جور... وقلما تنبه أحد إلى السبب في هذا... السبب أن أولئك الأدباء ثم من تشيع لهم أو أخذ برأيهم، ليس فيهم واحد ترى في أساسه الأدبي تلك الأصول العربية.. حتى إذا نشأ بها واستحكمت فيها أحسن العمل لها وزاد في مادتها وأخذ لها من غيرها، وكان خليقا أن يمد فيها ويحسن الملاءمة بينها وبين الآداب الأخرى، ويجعل ذلك نسجا واحدا وبيانا بعضه على بعض»^(٨).

ويقف الرافعي مع الجديد مهاجما التقليد والتقليد المركب، ويراه استعبادا ما من وراثته استعباد، فيقول ساخرا غاضبا في الوقت ذاته: «أكتب علينا أن نظل دهرنا نبحث في التقليد الأعمى، وألا يحيا الشرق إلا مستعبدا ينتظر في كل أمره من يقول له: اشرع لي...؟ إن بحثنا فلنبحث في أي جديد نتميز به، فتكون القوى الكامنة فينا وفي طبيعة أرضنا وجونا هي التي اخترعت لظاهاها ما يجعله ظاهاها، كما يخرج زور الأسد لبدة الأسد، غاية في المنفعة والجمال والملاءمة»^(٩).

فالذي ينكره الرافعي ليس هو التجديد أبدا، بل هو ألا ينبع التجديد من أرضنا وطبيعتنا ومقوماتنا، وأن يظل مستجلبا كما نستجلب البضاعة التي تفسد إن هي نقلت من أرضنا إلى أرض أخرى، أو كالذي يريد أن يمارس رياضة التزلج في صحراء الجزيرة العربية، وفي ذكاء لم يسهرك الرافعي بأن كل جديد لا يهدي إلى التوفيق بين المنفعة والجمال والملاءمة هو تجديد كاذب. وقد انقسم الأدباء والنقاد منذ أرسطو ما بين منتصر للجمال في الفن ومنتصر للمنفعة، فلم يوفق إلا فئة قليلة منهم إلى أن سر الفن يكمن في التلاؤم والتوازن بين المنفعة والجمال.



شيئا من الجمال، لأنه يظل من زخرف القول، ومن هنا يهاجم في مواطن كثيرا ما أسماه بعضهم «الأدب المكشوف» بدءا من التسمية نفسها، إذ هذا ليس أدبا أصلا حتى نضيف إليه صفة مكشوف أو مستور، وإلا «ما الذي يمنح الفجور المتوقع أن يسمى نفسه الأدب المكشوف...؟ وإذا أنت ذهبت تعترض على هذه التسمية زعموا لك أن للفن وقاحة مقدسة...»^(١٥).

إن تجديد الأدب عند الرافعي مقترن بتجديد الإسلام نفسه، وتجديد الإسلام هو رسالة الأزهر، ومن هنا يدعو إلى أن تكون الدعوة العالمية اليوم «في السنة أزهريّة مرهفة مصقولة، لها بيان الأدب، ودقة العلم، وإحاطة الفلسفة، وإلهام الشعر، وبصيرة الحكمة، وقدرة السياسة، السنة لا يوجد الآن منها لسان واحد في الأزهر، ولكنها لن توجد إلا في الأزهر»^(١٦).

ولما كان تحديد مفهوم الأدب ورسالته من ضرورات المذهب عني الرافعي بذلك كثيرا، وانتهى إلى نتائج حري بنا أن نتدبرها ونحن نسعى إلى تأصيل الأدب الإسلامي.

لماذا يكتب الكاتب؟ ولماذا ينشئ الأديب أدبه؟ سؤال قديم جديد حير الأدباء والفلاسفة، وذهبوا فيه طرائق قديدا، ويوجب عنه الرافعي في يسر وبساطة وعمق وصدق وشفافية، بأسلوبه الفني البديع، فهو ليس من أنصار الفن للفن، ولكنه في الوقت ذاته لا يكتفي بالقول إنه من أنصار الفن للحياة، حتى لا يقع فيما وقعت فيه بعض المذاهب المعاصرة، كالواقعية الاشتراكية التي بلغت في الاحتفاء بالمضمون مبالغة ضللت الأدباء، فغاض ينبوع الفن وتحولت كتاباتهم إلى شعارات حزبية ليس لها من رواء الفن حظ، ولا من شفافية الإبداع نصيب. يرى الرافعي الفن رسالة مقدسة باعتبار مصدرها العلوي الذي هو الله عز وجل، الرقيب على كل شيء «فالكاتب الحق لا يكتب ليكتب، ولكنه أداة في يد القوة

«مقلد أوروبا لا غش في تقليده»، وما هو الغش في التقليد؟ هو أن تستعمل رأيك وفكرك فتدع وتأخذ على بيبة في الحالين، وأن تأبى أن تحمل طبيعتك الشرقية ما لا تصلح عليه ولا تقوم به، وإذا انقلبت أوروبا شيوعية أو إباحية وجب ألا تغش في التقليد... وإن كانت الشمس لا تطلع ستة أشهر في بعض جهات أوروبا وتطلع في مصر كل يوم، وجب أن يكون المصري أعمى ستة أشهر... والظاهر أن الكاتب يقول بالتقليد لأنه طبيعي فيه... ورأيه في الميراث إنما هو ترجمة... لعمل مصطفى كمال»^(١٧).

هكذا إذن يكشف الرافعي تهافت رأي سلامة موسى في اللباب والقشور، والتقليد والتجديد، وينقل هذا الرأي الغريب لسلامة موسى، وهو قوله إنه: «معتقد أن الأمة التي تشرع في اتخاذ المدنية الحديثة يجب أن تبدأ بالقشور...!! لأنها أسهل عليها من اللباب، بل هي لا تستطيع غير ذلك»!!

ومن هنا يقف الرافعي بالمرصاد لمدعي التجديد وليس لهم حظ من التجديد إلا التخريف الباطل. فهو يقول: «أما أن الحماقّة الجديدة، والرذيلة الجديدة، والخطأ الجديد، كل ذلك إن كان جديدا من صاحبه فهو قديم في الدنيا، وليس عندنا أبدا من جديد إلا إطلاق الحرية في استعمال كل أديب حقه في الوقاحة والجهل والخطأ والغرور والمكابرة»^(١٨)، وعلى هذا فلا يصلح الاحتفاء بكل جديد ولا بكل مجدد، إذ هناك من كان (مجددا على مذهب إبليس الذي رد على الله والملائكة وظن لحمقه أن قوة المنطق تغير ما لا يتغير»^(١٩)، ومن هنا لا يهاجم الرافعي التجديد بغير ما يهاجم التجديد غير المنضبط، حين يصير: (كل مجدد يريد أن يضع في كل شيء قاعدة نفسه هو، فلو أظعنهم لم تبق لشيء قاعدة)^(٢٠)، فالتجديد إما أن يقوم على قواعد راسخة وإما ألا يقوم أصلا، (هذه هي المسألة، لا مسألة الجديد والقديم)^(٢١)، وعلى هذا فالباطل يظل باطلا ولو حاول المرء أن يكسوه

● مادة الأدب عند الرافعي دائماً ليست الكتب وحدها، بل في النفس والآفاق التي يرينا الله عز وجل من خلالها آياته.

الكوني»^(٢١)، وغيره الإنسان فقط . والأدب كالدين: «كلاهما يعين الإنسانية على الاستمرار في عملها .. والدين يوجه الإنسان إلى ربه، والأدب يوجهه إلى نفسه، وذلك من وحي الله إلى الملك إلى نبي مختار، وهذا وحي من الله إلى البصيرة إلى إنسان مختار»^(٢٢) .

ولنا أن نلاحظ دائماً كيف أن الرافعي يحدد مصدر الأدب، كما يحدد مفهومه ورسالته، وتلك هي العناصر الجوهرية في كل نظرية أدبية، ومصدر الأدب دائماً علوي متصل بروح الله، إلا أن الأديب ملتزم بتسخير هذا العطاء الرباني لما فيه خير الإنسانية كلها .

ويلفت الرافعي النظر إلى أعلى درجات البيان البشري، متمثلة في البيان النبوي، حتى تشرب أعناق أرباب الإسلام إلى هذا ينبوع المتدفق فيتحرروا من ريقه الغرب، دون أن يعني ذلك الانكفاء على الذات أو سد الآذان عن بدائع الأدب العالمي، ومن هنا يعمل الرافعي بإزميله على هدم الأصنام واسترجاع الشرقي ثقته بنفسه في غير موارد ولا ادعاء، من أجل أن يزن المسلم عمله كله، بما في ذلك عمله الأدبي، بميزان السماء، الذي هو القسطاس المستقيم، لا بميزان الأرض المغشوش .

والاقتباس من روح النبوة يعطي الأدب قدرة فائقة وتأثيراً عجيبة، بل إن ذلك القبس ليس وقفاً على الأدباء دون العلماء ، «لو أن هؤلاء العلماء

المصورة لهذا الوجود، تصور بها شيئاً من أعمالها فنا من التصوير»^(١٧) .

هل يريد الكاتب أن يعيد النظرية الأفلاطونية القديمة ويجعل الكاتب مجرد متلق من الغيب، ومن هنا يترتب عن ذلك إغفاؤه من المسؤولية، لأنه ليس غير مرآة تنعكس عليها حقائق الأشياء كما صاغتها آلهة الفن؟ كلا! فمسؤولية الأديب عند الرافعي لا تنتفي، إذ ليس عمله عبثاً، وهو ليس مجرد مرآة عاكسة للأشياء والوجود في الكلمات .. ذلك بأنه «لا يُخلق الملهم أبداً إلا وفيه أعصابه الكهربائية، وله في قلبه الرقيق مواضع مهيأة للاحتراق تنفذ إليها الأشعة الروحانية وتتساقط منها المعاني»^(١٨)، وهذا التهيؤ إنما هو أداة مساعدة على نقل حقائق الدنيا نقلاً صحيحاً على الكتابة أو الشعر، ثم إن الكاتب مدعو بعد على المجاهدة والمكابدة من أجل انتزاع تلك الحقائق من الحياة في أسلوب، وإظهارها للحياة «في أسلوب آخر يكون أوفى وأدق وأجمل»^(١٩) .

وهذا من صلب التجديد ، إذ ليست الكتابة نسجاً على منوال سابق ، ولا محاكاة لنموذج معروف ، ولذلك فإن الحقائق لا تنتزع من بطون الكتب بقدر ما تنتزع من الحياة «في أسلوب آخر يكون أوفى وأدق وأجمل» . وكلمة أوفى دالة على ما بعض مما ذهب إليه أرسطو من أن الشعر أوفى من الفلسفة ومن التاريخ وأدق، وأما قوله «أجمل» فهي كلمة فاصلة في أمر الجمال بين الطبيعة والفن، وكأن الرافعي ينتصر هنا للفن على الطبيعة، إذ ليس الفن مجرد محاكاة للطبيعة، بل هو إبداع لها وإعادة للإنشاء والتكوين .

ومادة الأدب عند الرافعي دائماً ليست هي الكتب، بل هي النفس والآفاق التي يرينا الله عز وجل من خلالها آياته: «وأشواق النفس هي مادة الأدب، فليس يكون أدباً إلا إذا وضع المعنى في الحياة التي ليس لها معنى، أو كان متصلاً بسر هذه الحياة»^(٢٠) . وأما الأديب فهو عنده: «الإنسان



والنفاق، كأنه ليس منهم إلا بقايا تاريخ محتضر بالعلل القاتلة، زاهب على الفناء والحتم .
والقرآن بأسلوبه ومعانيه وأغراضه لا يستخرج منه للأدب إلا تعريف واحد هو هذا: إن الأدب هو السمو بضمير الأمة .

ولا يستخرج منه للأديب إلا تعريف واحد هو هذا: إن الأديب هو من كان لأمته وللغتها في مواهب قلمه لقب من ألقاب التاريخ (٢٥) .

وهذا من أعجب العجب، وكأنه فلتة من فلتات التاريخ التي لم تستثمر حتى الآن بالرغم من مرور ما يزيد على نصف قرن من نشر هذا الكلام . والقرآن الكريم حتى الآن لم يستثمر أدبيا وبيانيا، لا في القديم ولا في الحديث، ولو استثمر كما ينبغي لتحرر أدبنا من عقابيل شتى قيدته بأوهام التكلف والصنعة والزخرف الباطل، ولاستحدثت فيه فنون أدبية لا عهد للناس بها، ولبرز المسلمون في فنون أخرى صاروا اليوم كأنهم فيها عالة على الناس، وأنى كان لأمة أن تسبقنا إلى فن السرد والقص والرواية لو أننا تدبرنا وتأملنا قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ ؟ وهل كنا سننتظر قرونا حتى يستوي هذا الفن الأدبي في الغرب لنستورده بإيجابياته، وما لها من تصوير للنفس والمجتمع، ولكن أيضا بسلبياته، وما بها من غلو وولع بالتفاصيل فيما لا ضرورة له، بالإضافة إلى الاستثمار السيء لهذا الفن واستغلاله في إثارة الغرائز وتأجيج الشهوات . وهناك فن قرآني فريد لم يستطع أدباء الإسلام أن يحولوه إلى أن يتخذ موقعه ضمن الفنون الأدبية العالمية هو فن ضرب الأمثال ... وهكذا .

الشرط الإبداعي:

وهذا بحث طويل وعريض في أدب الرافعي، لا يمكن الإحاطة به في مثل هذا المقام، ولذلك يكتفى هنا بالتلميح إلى بعض مظاهر ذلك، على أمل التوسع فيه مستقبلا إن شاء الله.

● يلفت الرافعي النظر إلى أعلى درجات البيان البشري، متمثلة في البيان النبوي.

كانت فيهم كهرباء النبوة لكهربوا الأمم الإسلامية في أقطارها المختلفة، إذن لقام في وجه الاستعمار الأوربي أربعمائة مليون مسلم - هذا عدد المسلمين في عهده رحمه الله - جلد صارم شديد، متظاهرين متعاونين، قد أعدوا كل ما استطاعوا من قوة العمل، وقوة النفس، وهم لو قذف كل منهم بحجر لردموا البحر» (٢٣) .

ويلفت النظر إلى شيء دقيق من خصائص العربية، مما له صلة بجوهر الأدب، فيقول: «والعجب الذي لم ينتبه له أحد إلى اليوم من كل من درسوا الأدب العربي قديما وحديثا، أنك لا تجد تقرير المعنى الفلسفي الاجتماعي للأديب في أسمى معانيه إلا في اللغة العربية وحدها، ولم يغفل عنه مع ذلك إلا أهل هذه اللغة وحدهم!» (٢٤)، وبقية النص شارحة للمراد، فليراجع، وليقارن بما يسميه النورسي: الأدب القرآني، في رسائل النور، وبيان ذلك في كتابنا: النورسي أديب الإنسانية، دار سلمى للنشر، تطوان ٢٠٠٤ .

أما مفهوم الأدب، والأدب الإسلامي منه بخاصة، فلن تجد أوفى وأشمل من تعريف الرافعي رحمه الله، إذ يقول: «... إذا أردت الأدب على هذه الوجوه من الاعتبار وجدت القرآن الحكيم قد وضع الأصل الحي في ذلك كله، وأعجب ما فيه أنه جعل هذا الأصل مقدسا، وفرض هذا التقديس عقيدة، واعتبر هذه العقيدة ثابتة لن تتغير، ومع ذلك كله لم ينتبه له الأدباء ولم يحذوا بالأدب حذوه، وحسبوه دينا فقط، وذهبوا بأدبهم إلى العبث والمجون

مثلما صنع مع قطعته المتميزة: «نشيد اليمامة»، الذي نسبها إلى امرأة تدعى مارية القبطية نقلته عنها أرمانوسة بنت المقوقس التي كانت مارية وصيفة لها. وهذه القطعة من أجمل الشعر المنتثر، ومن أعذب القطع الأدبية (٢٦).

وصنع الرافعي هذا شبيهه بما كان يصنعه بعض كبار أدباء الغرب، كالذي صنعه توماس كارلايل حين وضع كتابا عن فلسفة الملابس، سماه «الخياط يرفو»، ونسبه إلى أديب ألماني مزعوم في قرية ألمانية سماها، وقد نبه العقاد إلى أنه ما من أديب ألماني هناك، ولا من مدينة ألمانية، ولا سيما حين كشف أن الاسم الذي اختاره كارلايل لتلك المدينة معناه: «الأرض التي لا وجود لها».

وللرافعي قطع أخرى من باب الخيال، ولكن هذه المرة ينسبها إلى من لا نشك أنها من وضع الرافعي لا من وضع هؤلاء الذين ينسب إليهم، لأنه ينسب بعض ذلك إلى الشيطان، وبعضه إلى الملائكة، انظر على سبيل المثال قصيدة: لحوم البحر التي يزعم أنها مترجمة عن الشيطان (٢٧)، وقصيدة احذري، التي يزعم أنها مترجمة عن ملك من الملائكة (٢٨). أما قطعة «الجمال البائس» التي جاءت في خمس حلقات (٢٩)، فهي قطعة فنية نادرة، وهي من أعذب الغزل وأعفه وأرقه، وهي تعدل دواوين بكاملها، والرافعي يتحدث عن الحب في غير ما تخرج حديث العاشق الولهان، إلا أنه حديث تعفف واضح وتسام جلي، لا يضير الفتاة الحي أن تنشده أو تقرأه.

هذا، ومما جدد فيه الرافعي وأبدع المصطلح النقدي، مثل جهاز التوليد وجهاز التلقي، فليس ذلك من مبتدعات المدارس الغربية الحديثة، بل لقد سبق إليه الرافعي سبقا عجيبا، مستنبطا إياها ومطبقا على أدبنا العربي القديم، مع تقديم شواهد له من الأدب الغربي، مما يدل على تفتح الرافعي

والتجديد الإبداعي يبرز عند الرافعي في صور شتى، من ذلك الإبداع في الأدب الوجداني، والإبداع في توليد المصطلحات، ولو وسع المجال لفصلنا ولكننا نكتفي باللمحة العابرة.

لقد قرر الرافعي، في تنظيراته، موقع الخيال من الأدب، وأن الخيال الذي هو سمة من سمات الأدب وعنصر من عناصره، لا يعني الكذب ولا التزوير ولا الادعاء، وأن الأدب الفذ لا بد فيه من خيال. وهو حين جاء إلى مجال الإبداع أبدع فيه وجدد ما شاء الله له أن يجدد ويبدع، وربما استنكر بعض ضيقي الأفق بعضا مما سال به قلم الرافعي المبدع تحرجا وتأتما، ولكن الرافعي يعرف أن الأدب الإسلامي سباحة لا حدود لها إلا بما حدد الشرع الحكيم، وأن الإسلام لم يضيق على الأدباء، كما يزعم الزاعمون، بل فجر الطاقات ووسع الخيال، وإذا كانت آداب الأمم محصورة بما هو أرضي، وبالعالم الشهادة خاصة، وأن الخيال تبعا لذلك يجيء محدودا، فإن الإسلام فتح باب الإبداع المحلق على مصراعيه عندما شد بصيرة الإنسان إلى الأفاق وإلى المستقبل، ثم أضاف إلى عالم الشهادة عالم الغيب الذي لا يتم معتقد الإنسان ولا يصلح إيمانه إلا به، فوسع أدب الإسلام بذلك الدنيا والآخرة، وذلك أمر استفاد منه بعض أسلافنا، مثل ما صنع المحاسبي في كتاب التوهم، إلا أن ذلك محصور في عدد محدود من الأدباء. وقد جاء الرافعي ليطلق أجنحة من هذا المنطلق، وليكون الرائد المعاصر في هذا الباب عسى أن يحذو حذوه الأدباء، ويسير سيره المبدعون، وهو في بعض تعبيراته ذو جرأة أدبية يكاد يفسرها العيي بأنها جرأة تمس العقيدة.

ومن صور الإبداع أن الرافعي يبدع لك أدبا، ثم هو يزعم لك زعما على بصيرتك أن تتبين أنه من باب الفن لا من باب الواقع، دون أن يجافي الحق، فينسب ذلك الأدب إلى غيره من المبدعين الوهميين،



وتتساقط له أشكال وصور في مثل خطرات البرق، وربما غمر بالمعنى الواحد في جماله وسموه وقوة تأثيره مقالات عدة لأولئك الأذكاء فنسخها نسخاً وجعلها منه كالشموع الموقدة بإزاء الشمس) (٣١).

ويقول أيضاً، وهو نص غني ودال، وبه نأتى إلى ختام هذه الكلمة المركزة: «وقد عرف الأدباء جميعاً أن كاتب فرنسا أناتول فرانس كان يكتب الجملة ثم ينقحها ... ويحتسبون هذا تحكيكا وتهذيباً وما هو منها ... وإنما سرها من جهاز التوليد ... فجهاز التوليد متى استمر واستحكم في إنسان أصبح له بمقام ملك الوحي من النبي، وهو عندنا دليل من أقوى الأدلة على صحة النبوة وحدوث الوحي وإمكانه، إذ لا تتصرف به إلا قوة غيبية لا عمل للإنسان فيها، بل هي تدع إبداعها وتلقي عليه إلقاء ... فسر النبوغ من سر الوحي، لا ريب في ذلك، وما أسهل سر الوحي وأيسر أمره، ولكن في الأنبياء وحدهم، وهنا كل الصعوبة ... أن نكون أو لا نكون، هذه هي المسألة» (٣٢).

وسعة علمه واطلاعه . يقول عن التوليد مثلاً، وهو يتحدث عن سر النبوغ: «فسر النبوغ في الأدب وفي غيره هو التوليد، وسر التوليد في نضج الذهن المهياً بأدواته العصبية، المتجه إلى المجهول ومعانيه، كما تتجه كل آلات الرصد الفلكي إلى السماء وأجرامها» (٣٠).

التوليد، والاتجاه إلى المجهول، والاختراق إلى عالم الغيب، أين ما يزعمه دعاة الحداثة من السبق، وهذا الرافعي يثور على التقليد، ولا يرى العبقرية إلا في التوليد، ويميز تمييزاً واضحاً بين الذكي والعبقري فيقول: «والذهن العبقري لا يتخذ المعاني موضوع بحث ونظر وتعقيب يستخرج منها أو يتعلق عليها، فهذا عمل الذكي وحده، وهو غاية الغايات فيه يبحث وينظر ويتصفح ويجمع من هنا ويأخذ من ثم، ويعترض ويصحح، ويأتيك بالمقالة يحسب فيها كل شيء وما فيها إلا أشياءه هو وأمثاله . أما الذهن العبقري فليس له من المعاني إلا مادة عمل فلا تكاد تلبسه حتى تتحول فيه وتنمو وتتوسع

| الهوامش: | |
|--|---|
| (١) وحي القلم، ٢٢١/٣ | (٨) نفسه ٣٤٨ |
| (٢) وحي القلم: محمد، ٢ / ٣ | (٩) ٣٠١/٢ |
| ٢٧٢-٢٧٣ | (١٠) ٣٩٣/٣ |
| (٣) نفسه | (١١) ٧٤ / ٢ |
| (٤) ٣٥٥ / ٢ | (١٢) ٧٠ / ٢ |
| (٥) نفسه ٣٥٧ | (١٣) ٦٩ / ٢ |
| (٦) نفسه ٣٥٨ | (١٤) نفسه ٧٠ |
| (٧) نفسه ٣٥٨-٣٥٩ | (١٥) انظر على سبيل المثال وحي القلم: ٧٤ / ٢ |
| (٢٥) نفسه ٢٢٠ | (١٦) نفسه: ٤٢ |
| (٢٦) انظر اليمامتان، وحي القلم: ١ / ٢٧ | (١٧) نفسه ١ / ١٥ |
| (٢٧) ٢٥٦ / ١ | (١٨) نفسه |
| (٢٨) ٢٦٢ / ١ | (١٩) نفسه |
| (٢٩) ٢٦٨ / ١ وما بعده | (٢٠) ٢١٢ / ٢ |
| (٣٠) ٢٣١ / ٢ | (٢١) نفسه ٢١٤ |
| (٣١) ٢٣٢ | (٢٢) نفسه ٢١٧ |
| (٣٢) ٢٣٣ | (٢٣) نفسه ٢ / ٢٨٢ |
| | (٢٤) نفسه ٢١٩ |

وإنما شمخت في طولها القمم
تطأاً من كل شيء حوله قدم
أمواجه - لم يزل يدوي ويلتظمر
فواراً طاش منه الجمر والحمر

مصطفى صادق الرافعي

يا نفس ويحك مافي السهل من قمر
من كان في نفسه أرضاً موطأة
ومن تكن نفسه بحراً - ترجرجه
ومن يكن طامي البركان منفجراً

الرافعي

وقضية الإعجاز في القرآن الكريم

بقلم: أ. د. صلاح الدين عبدالقواب
مصر

محمد الأديب العالم
والناقد المتذوق
الرافعي واحدا من أفذاذ
العلماء العرب والمسلمين
في عصرنا الحديث الذين
أسهموا بقسط وافر من
الدراسات الأدبية والنقدية
التي قامت حول قضية
الإعجاز في القرآن الكريم.
ولم يكن غريبا من
الرافعي أن يتصدى لهذا
المجال العميق والدقيق من
مجالات الدراسات الأدبية
والنقدية التي دارت حول
البيان القرآني المعجز، فهو
الذي أمضى حياة حافلة
في خدمة العربية وآدابها،
والكتابات المبين الذي أنزل
بلسانها، وهو الذي آلى على
نفسه أن يكون لهذا الدين
وكتابه القويم حارسه
وحاميه.

* أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.



إعجاز القرآن

والبلاغة النبوية

تأليف
مصطفى سعادون الرافعي

مؤسسة العبد

ويكشف من أوجه الإعجاز في ذلك، فإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وإن القول فيه ما برح كثير المذاهب متعدد الجهات متصل الحدود، يفضي بعضها إلى بعض، إذ هو كتاب السماء إلى

الأرض مستقرا ومستودعا، وقد جاء بالإعجاز الأبدي الذي يشهد على الدهر ويشد عليه ... بيد أنه لا بد لنا من صدر نبتدي به القول في تاريخه وجمعه وتدوينه وقراءته، حتى تكون هذه سببا إلى الكلام في لغته وبلاغته ثم إعجازه في اللغة والبلاغة، لأن بعض ذلك يريد بعضه، ونحن نستعين الله ونستمدده ونستكفيه»^(٢). ومن ثم خرج كتاب (إعجاز القرآن) للرافعي في ترتيب منظم، وتبويب منطقي، التزم به منذ المقدمة حتى نهاية الحديث عن الإعجاز، وما دخل بابا وانتهى منه إلا ليسلمه للذي يليه، حتى وصل إلى فكرته الأساسية في الإعجاز، وهي متمثلة في نظم القرآن، وإعجاز تأليفه، ثم أخذ يتدرج مع فكرة النظم هذه متتبعا الحروف وأصواتها إلى الكلمات وحروفها، إلى الجمل وكلماتها، حتى تأكد له بعد هذه الدراسات المتصلة : غرابة الأوضاع التركيبية في القرآن الكريم بعد أن تجلت فيه تلك الروح التي أودعها الله آياته المحكمات، والتي لا يمكن أن يدرك كنهها أحد إلا الله وحده منزل القرآن ..

معنى الإعجاز في نظر الرافعي

وكان على الرافعي .. بعد أن استعرض ما قيل في وجوه الإعجاز من المتكلمين وغيرهم من العلماء - أن يحدد حقيقة الإعجاز التي ارتضاها واطمأن إليها فقال: « أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن

وقد حدث أن نشرت إحدى الصحف مقالا لأحد الكتاب تناول فيه القرآن بسوء التأويل، فقال يخاطب صديقا له : من تراه يا بني يقوم لهذا الأمر إن سكت الرافعي ؟ ثم جهر برده معلنا (تحت راية القرآن) بأن العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم، وقد أجمع الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحته، وأن فصاحة هذه اللغة ليست فقط في ألفاظها، ولكن في تركيب ألفاظها، كما أن الهزة والطرب ليست في النغمات ولكن في وجوه تأليفها، وهذا هو الفن كل الفن في الأسلوب، لأنه يرجع إلى الذوق الموسيقي في حروف هذه اللغة وأجراس حروفها ... ومن ثم أخذ في إيضاح تلك النظرية الفنية الأسلوبية، التي تتميز بها العربية، والتي اختارها الله سبحانه لتكون خطابه إلى العالمين متمثلا في هذا القرآن العظيم.

وواضح أن كتاب الرافعي (إعجاز القرآن) لم يكن هو كل ما كتبه في مجال الدراسات الأدبية والنقدية التي قامت حول هذا الإعجاز، فقد بذل جهدا ليس بالقليل لكتابة مؤلفه في (أسرار الإعجاز) الذي أتم فصوله متحدثا فيه عن البلاغة العربية وعن بلاغة القرآن وأسرار إعجازه، كما تناول في الفصل الأخير منه آيات من القرآن الكريم على أسلوب من التفسير، يبين سر إعجازها في اللفظ والمعنى والفكرة العامة، وقد نشر منها بعض الآيات المفسرة في (الرسالة) وانتشر بعضها الآخر في تضاعيف كتابه (وحي القلم). أما كتابه (أسرار الإعجاز) فلم يقدر له أن يطبع بعد أن عاجلت صاحبه يد المنون قبل أن يخرج الكتاب إلى الوجود^(١).

منهج الرافعي في (إعجاز القرآن)

لم يشأ الرافعي منذ أن بدأ كتابه (إعجاز القرآن) أن يطلق القول في هذا الإعجاز دون تحديد لمنهجه فيه، لذلك أشار في مقدمته إلى هذا المنهج الذي اتبعه، وكان مما قاله : « وبعد ... فإننا سنقول في القرآن الكريم ما يتعلق بلغته ويتصل ببلاغته

وما حققناه بعد البحث .. أن القرآن معجزة بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه .. فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه، وهذه

وجود عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء، فهي باقية ما بقيت، .. وإنما مذهبا بيان إعجازه في نفسه، من حيث هو كلام عربي، لأننا إنما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب دون جهة التأويل والتفسير (٣).

من هنا يبدو واضحا تعريف الرافعي لوجهته في محاولة منه للوقوف على حقيقة الإعجاز بما يتلاءم مع اتجاهه الأدبي، ولذا كانت مقدماته من قبل تمهيدا للحديث عن الأسلوب القرآني، وأن هذا الأسلوب هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله، وأن العرب لما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بعينها متساوقة فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق، غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه ونسق حروفه في كلماته، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته ما أذهلهم عن أنفسهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الجلود (٤).

فالنظم - ليس غير - هو مناط الإعجاز الذي اعتد به الرافعي، لأنه آية الجمال والجلال في هذا القرآن الكريم . وكذلك تناول موضوع النظم بالشرح والتحليل وجعله الفكرة الأساسية التي دار حولها في كتابه (إعجاز القرآن) .

فكرة النظم في دراسة الرافعي

مع اعتراف الرافعي بأنه ليس أول من قال بفكرة النظم في إعجاز القرآن، إلا أنه كان حريصا على أن يتناول هذه الفكرة من وجهة نظره ومن

● يعد الرافعي أول من أثار فكرة الإعجاز بالنظم من طريق الإيقاع الصوتي للآيات المحكمات.

حيث أدركها وتذوقها، ولذلك نجده يقول : «والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة: حروف هي من الأصوات، وكلمات هي من الحروف، وجمل هي من الكلم .. وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن

يتناول هذه كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به، فليس لنا بد في صفة من الكلام في ثلاثيتها جميعا» (٥) .

ومن هذا المنطلق بدأ الرافعي في شرح حقيقة الإعجاز في البيان القرآني من وجهة نظره، وبالشكل الذي حدد به طريقته، بما يخالف طرائق السابقين الذين رأوا في دقة النظم - بشكل عام - المظهر الرائع في الإعجاز، وبخاصة ما رآه عبدالقاهر الجرجاني من قبله في هذا المجال .

ولعله من هنا يتضح أن الرافعي قد عالج فكرة النظم على أساس أن له فيها فهما خاصا أدق وأشمل مما كان يراه عبدالقاهر .

فالرافعي مثلا لم يحصر فكرة النظم في توحي قواعد النحو مثل عبدالقاهر الذي قال : « واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها » (٦) .

كذلك عني الرافعي كبير العناية بالعلاقة بين الحروف أنفسها وما قد تدل عليه من المعاني، بينما لم يولها عبدالقاهر العناية نفسها، وقد تجلى ذلك عندما أشار عبدالقاهر إلى أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط من غير أن يكون هذا النظم ناشئا عن معنى اقتضاه، فلا صلة عنده إذن بين الكلمة الواحدة ومعناها، فضلا عن أن يكون للحرف نفسه صلة بالمعنى، فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد ... وأما نظم الكلام فليس الأمر



نطق بها العرب، وأن
القرآن لم يأت منها
بجديد يجهلونه، وإنما
الجديد الذي أعجزهم
هو تأليفها ونظمها،
ولهذا انصرف إلى النظم
بمعناه الذي ارتضاه.



أما الرافعي، فقد عني أيضا بالكلمة
المفردة في النظم، ولعل منشأ تلك
العناية ما كان يستشعره من أن القرآن الكريم كما
هو معجز في نظمه وتركيبه، فهو معجز أيضا في
إيحائه وتصويره، وقد تكون الكلمة الواحدة من
الجملة، أو الحرف الواحد من الكلمة أبلغ في
الإيحاء والتصوير من تركيب متعدد الكلمات
والجمل، وتلك هي الروعة البالغة في الإعجاز.

من هنا كانت عناية الرافعي بالنظم في مفهومه
الأدق والأشمل عنده عندما رأى في الكلمة
الواحدة، وما قد يوحي به الجرس في تركيب
حروفها من دلالات متصلة بحكاياتها للمعنى من
قوة أو ضعف، الأمر الذي يعطيها إيحاء معينا
وبريقا خاصا له أثره البالغ في النفوس، ومن أجل
ذلك قامت دراسته لهذه الفكرة على أساس تلك
الأمر الثلاثة معا:

- أ - الحروف وأصواتها.
- ب - الكلمات وحروفها.
- ج - الجمل وكلماتها.

وكانت تلك الدراسة الواعية الدقيقة التي تنم عن
مدى التدقيق الأدبي والفهم الذكي من جانب الرافعي
لهذه العربية بحروفها وأصواتها وجمالها وروعة
إيحائها ودقة تصويرها. تلك العربية التي اختارها
الله تعالى لتكون لسان كتابه المحكم والحكيم..

(أ) الجانب التطبيقي على فكرة النظم عند الرافعي:
أما عن الجانب التطبيقي، فقد بدأ الرافعي
تفصيله كتوضيح فكرته بدراسة هذا النظم أولا في

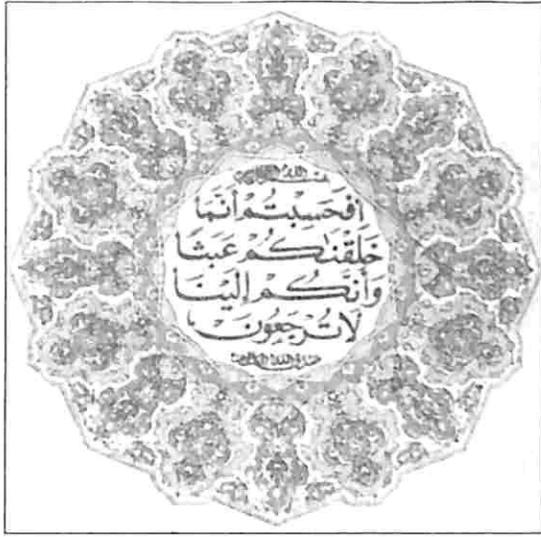
فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها
أثار المعاني وترتيبها على
حساب ترتيب المعاني في
النفوس، فهو إذن نظم يعتبر
فيه حال المنظوم بعضه مع
بعض، وليس هو النظم الذي
معناه ضم الشيء إلى الشيء كيفما
جاء واتفق^(٧).

لذلك كانت نظرة الرافعي إلى
النظم أدق وأشمل، حيث نظر مبتدئا من الحروف
وأصواتها، وما قد تدل عليه هذه الحروف ذاتها من
معنى متصل بها، ثم تنقل الرافعي مع هذا النظم
إلى الكلمات وحروفها، ثم إلى الجمل وكلماتها،
ليصل من وراء ذلك كله إلى غرابة الأوضاع
التركيبية في نظم القرآن كله.

ولعله من الإنصاف هنا أن نقول: « إن ابن
سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ كان قد سبق
بالحديث عن الحروف وأصواتها، والكلمات
وحروفها ثم عن الكلام المؤلف وموسيقى التركيب
.. إلا أنه قد أخذ عليه تداخل المعلومات فيما يتصل
بهذا الموضوع إضافة إلى عدم ترتيب الأفكار فيه،
فهو يتكلم مثلا عن الحروف ثم يعقبها بالكلمات ثم
يعود إلى تقسيم الحروف، وفي الحديث عن تألف
الكلمات يدخل فيها الحديث عن الصور البيانية
كحسن الاستعارة وحسن الكناية وغير ذلك^(٨).

أما تناول الرافعي لفكرة النظم كما رآها، فقد
كان تناولا مرتبا وموضوعيا ومنطقيا، ممزوجا
بدراسة تطبيقية على نماذج متنوعة من التعبير
البياني في القرآن الكريم، في محاولة لإبراز معالم
الجمال والكمال المعجز في آيات الله المحكمات.

كذلك إذا كان عبد القاهر قد عني في نظريته
بالكلمة المفردة قبل أن تدخل في تركيب إلا بقدر ما
تكون مألوفة غير مبتذلة ولا ثقيلة في اللسان، فلعله
رأى ذلك لأن الإعجاز في نظره لا يرجع إلى تلك
الكلمة المفردة، لأن جميع ما في القرآن من ألفاظ قد



النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى.

وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا، يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب . وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة وأثرها طبيعي في كل نفس .. ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ الذي يطمع فيه أو في أكثره . ولكنه انفرد بهذا الوجه المعجز فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر لكان ذلك خلافا بينا أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النغمة وفي حس السمع وذوق اللسان^(٩).

ولعل الرافعي بهذا الكلام يعد أول من أثار فكرة الإعجاز بالنظم من طريق الإيقاع الصوتي للآيات المحكمات، وهو ذلك الإعجاز النابع من دقة الالتئام والتناسق بين كل من الحروف في كلماتها، والكلمات في جملها، والجمل في تراكيبها على نحو لا شبيه له ولا نظير .

الحروف وأصواتها، ذلك لأن الحروف بما يصدر عنها من أصوات تعد المادة الأولى للتركيب اللغوي، ومن ثم نراه يبين أن وضع الحروف ذاتها في كلماتها قد استلقت أذهان العرب - إذ إنهم لما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة ألحانا لغوية رائعة، كأنه لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها وإيقاعها، فلم يفهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم، حتى إن من عارضه منهم - كمسيلمة - جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه، وكأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية إنما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها، وليس يتفق ذلك في شيء من كلام إلا بأن يكون وزنا من الشعر أو السجع .

وللتأكد من صحة هذه الدعوى يضع الرافعي بين أيدينا ميزانا دقيقا وعلميا في الوقت ذاته، إذ يدعو إلى تناول أي قطعة مما أبدعه فصحاء العرب في نثرهم وترتيلها على طريقة التلاوة في القرآن مما تراعى فيه أحكام القراءة وطرق الأداء، فلا بد والحالة هذه من الإحساس بالفارق الكبير بين النظم والنظم، بل لا بد من الشعور بالنقص الكبير في كلام البلغاء وانحطاطه في ذلك عن مرتبة القرآن، بل وأكثر من هذا، فإن محاولة الترتيل والتحسين لما يتناول من كلام البلغاء تذهب رونقه وجماله - وحسبك بهذا اعتبارا في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه .. لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق وغير ذلك من صفات الحروف .

وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنوع الصوت بما يخرج فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في



الوضع والتركييب مجيء الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، ويهين بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل، فلا تعذب ولا تستساع، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجبيا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان واكتنفتها بضروب النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة.

من ذلك لفظة "النذر" جمع نذير، فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معا فضلا عن جساءة هذا الحرف ونبوؤه في اللسان وخاصة إذا جاء فاصلة الكلام، لكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عنه موضع الثقل فيه، ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى: ﴿ ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ﴾ فتأمل هذا التركيب وتذوق مواقع الحروف، وأجر حركاتها في حسن السمع، وتأمل مواضع القلقل في دال (لقد) وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا) مع الفصل بالمد كأنه تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جربت على اللسان ليكون ثقل الضمة عليه مستخفا بعد، ولتكون

هذه الضمة قد أصابت موضعها، ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه، انتهى إليها من مثلها، فلا تجف عليه ولا تغلظ ولا تنبؤ فيه، ثم اعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر) (١٢)

(ب) الكلمات وحروفها (في دراسة الرافعي التطبيقية):

ومع انتقال الرافعي إلى هذه المرحلة في النظم نجده لا يزال على صلة بالتركيب الحرفي للكلمة، ومن ثم يشير إلى الإيقاع الصوتي للحروف وما قد يوحي به من معان ويشير إليه من دلالات لها في النفس والحس معا أعظم التأثير، ويقرر أنه لما كان الأصل في نظم القرآن أن تعبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما تجري مجرى الحشو والاعتراض كما تجد من كل ذلك في أساليب البلغاء (١٠).

ثم يتحدث عن العلاقة الدقيقة بين المعنى ولفظه بما يصدر عنه من صوت الحروف فيه، فيقول: « لا جرم أن المعنى الواحد يعبر عنه بألفاظ لا يجزىء واحد منها في موضعه عن الآخر إن أريد به شرط الفصاحة، لأن لكل لفظ صوتا ربما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه، والذي تساق له الجملة، وربما اختلف وكان غيره بذلك أشبه (١١). وبهذا يمهّد الرافعي لبيان أهمية الكلمة القرآنية ووضعها في محلها اللائق بها، بعد أن بين الدقة في وضع الحروف فيها بما يتناسب والمعنى المراد. ويجيء دور الأمثلة التي يوضح بها الرافعي ما يريد تقريره فيقول: « ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجيء في

● القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به، متميزين بهذه الجنسية... معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء، فهي باقية ما بقيت.

المتهكم في إنكاره، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية .

وإن تعجب فعجب نظم هذه الكلمة الغريبة واتلافها على ما قبلها إذ هي مقطعان، أحدهما جدّ ثقيل والآخر خفيف، وقد جاءت عقب غنتين في «إذن» و «قسمة» وإحادهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية فكأنها بذلك ليست إلا مجاوبة صوتية لتقطيع موسيقي^(١٣).

وبهذا يبين الرافعي أهمية الكلمة القرآنية في ذاتها لدقة التركيب الحرفي فيها من ناحية، ولدورها الذي تؤديه في المعنى العام من ناحية أخرى. ولعل من أهم ما تناوله في هذا التحليل ذلك الجانب التأثيري للألفاظ القرآنية، وحتى ما قد يبدو منها غريباً، فإن هذه الغرابة لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنهما على غرابتها إلا لأنها تؤكد المعنى الذي سبقت له كما تصوره بلفظها وهيئة منطقتها، فكان في تأليف حروفها معنى حسياً، وفي تأليف أصواتها معنى مثله في النفس .

(ج) الجمل وكلماتها:

وتأتي الثالثة المراحل في دراسة الرافعي التطبيقية، وهي المرحلة الأخيرة من مراحل النظم عنده، والتي تتمثل في الجمل وكلماتها . ويقدم الرافعي لتلك المرحلة بحديث عام عن الجملة . فيشير إلى أنها هي مظهر الكلام، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي، إذ يحيل بها الإنسان هذه المادة المخلوقة في الطبيعة إلى معاني تصورها في نفسه، أو تصفها حتى ترى النفس هذه المادة المصورة وتحسها^(١٤) .

ثم يأخذ الرافعي في عرض مراتب النظم في الكلام البليغ حتى يصل إلى مرتبة النظم في القرآن الكريم قائلاً: «فإذا بعد الكلام وأمعن حتى يكون بدقائق تركيبه وطرق تصويره كأنما يفيض النفس على الحواس إفاضة، ويترك هذا الإنسان من الإحساس به كأنه قلب كله، ثم يبلغ من ذلك إلى أن

وقد وردت في القرآن ألفاظ هي أطول الكلام عدد حروف ومقاطع مما يكون مستقلاً بطبيعة وضعه أو تركيبه، ولكننا بتلك الطريقة التي أومأنا إليها قد خرجت في نظمه مخرجا سوياً، فكانت من أحضر الألفاظ حلاوة وأعذبها منطقاً وأخفها تركيباً، وإذ تراه قد هيا لها أسباباً عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات، فلم يجرها في نظمه إلا وقد وجد ذلك فيها كقوله تعالى : ﴿لِيَسْتَخْلِفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فهي كلمة واحدة من عشرة أحرف وقد جاءت عدوبتها من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها، فإنها بذلك صارت في النطق كأنها أربع كلمات، إذ تنطق على أربعة مقاطع، وقوله تعالى : « فسيكفيكمهم الله » فإنها كلمة من تسعة أحرف وهي ثلاثة مقاطع وقد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المد الذي هو سر الفصاحة في الكلمة كلها .

وفي القرآن لفظة غريبة هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (ضيزى) - أي جائرة - من قوله تعالى : ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾ ومع ذلك فإن حسنهما في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم مفضلة كلها على الياء، (والتي تنطق ألفاً مقصورة) فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله، مع وأدهم البنات . فقال تعالى : ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ تلك إذا قسمة ضيزى ﴿ فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة الجائرة التي أنكرها القرآن عليهم، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل ووصفت حال



● « لله ما أثمر أدبك ، ولله ما ضمن لي قلبك ، لا أقارضك ثناء بثناء ، فليس ذلك شأن الآباء مع الأبناء ، ولكن أعدك من خُصّ الأولياء ، وأقدم صفك على صف الأقرباء ، وأسأل الله أن يجعل الحق على لسانك سيفاً يحق الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل».



الإمام محمد عبده

وتمده، لاتزال هذه الصفة في لسانه ولو استوعب القرآن كله»^(١٦).

على أن الرافعي بعد جهده في إبراز هذا النظم القرآني الذي يجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، والذي يتجلى كذلك في تمكينه للمعنى بحس الكلمة ووصفتها، ثم الافتتان فيه بوضعه من الكلام... يقرر بعد هذا كله أن للنظم القرآني روحاً خاصاً انفرد به وجعل له ذلك الطابع الذي إذا التمس في غير القرآن لم يعثر عليه، وهي روح التركيب التي لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس.. ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة في مقدار ما بين المعاني التي اشتمل عليها ومواقعها في النفوس.

وإذا كان العرب قد أوجدوا اللغة مفردات فانية - على قول الرافعي - فقد أوجدها القرآن تراكيب خالدة، وأن لهذه اللغة معاجم كثيرة تجمع مفرداتها وأبنيته، ولكن ليس لها معجم تركيبية غير القرآن^(١٧).

وبالوصول إلى غرابة هذا الوضع التركيبي بما أضفى إليه من روح إلهي ينهي الرافعي دراسته لإعجاز القرآن في نظمه بعد أن رأى في القرآن الكريم - من وجهة نظره - المعجم التركيبي من الوجهة البلاغية حين عده الأصل في فنون البلاغة كلها، فما يكون في المنطق العربي نوع بليغ إلا هو فيه على أحسن ما يمكن أن يتفق على جهته في

يكون روح لغة كاملة، وبيان أمة برمتها لا يحيله الزمن عن موضعه، ولا يقلبه عن جهته، وإلى أن يجعل البلغاء على تفاوتهم فيما بينهم، وعلى اختلاف عصورهم وأسبابهم المتلاحقة، كأنهم معه طبقة واحدة وفي طوق واحد من العجز، يعينهم طلبه، ويعنتهم إدراكه، ويعرفون تركيبه، ثم لا يجدون له مأتى من النفس ولا وجها من القدرة: فذلك هو الكلام المعجز.

وإنما اطرد ذلك للقرآن من جهة تركيبه الذي انتظم أسباب الإعجاز من الصوت في الحرف إلى الحرف في الكلمة إلى الكلمة في الجملة، حتى يكون الأمر مقدرًا على تركيب الحواس النفسية في الإنسان تقديراً يطابق وضعها وقواها وتصرفها، وذلك إيجاد خلقي لا قبل للناس به، ولم يتهيأ إلا في هذه العربية على طريق المعجزة التي لا تكون معجزة حتى تحرق العادة وتفوت المؤلف وتعجز الطوق»^(١٥).

أما عن هذا الوضع العجيب للألفاظ القرآنية في جملها إلى أن اكتملت الآيات كلها على هذا النمط من النظم فيقول الرافعي: «فأنت مادمت في القرآن حتى تفرغ منه لا ترى غير صورة واحدة من الكمال وإن اختلفت أجزاءها في جهات التركيب ومواضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام، كأنها تفضي إليك جملة واحدة حتى تؤخذ بها.. وذلك أمر متحقق في القرآن: يقرأ الإنسان طائفة من آياته، فلا يلبث أن يعرف لها جهة من الحسن ترافد ما بعدها

الرافعي كان قد خصص هذا الكتاب للدراسات النظرية الدالة على الإعجاز، ثم أعد كتابه الآخر الذي سبقت الإشارة إليه ليكون تطبيقاً على ما قدمه في كتابه (إعجاز القرآن) ومن ثم حشد في اللفظ والمعنى والفكرة العامة وسماء (أسرار الإعجاز) تماماً كما حاول عبد القاهر الجرجاني من قبل في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ولكن شاء الله ألا يبرز كتاب الرافعي في (أسرار الإعجاز) إلى الوجود . ومع أنها أمنية للرافعي لم يقدر لها أن تتحقق، إلا أننا وجدنا في تضاعيف كتبه ورسائله بعض ما كان ينوي إتمامه، ما يعد نموذجاً لدراسة أدبية وافية يتغلغل من خلالها أعماق الأسلوب القرآني متتبعا أسراره وروائعه ودقائق الإعجاز فيه .

ولقد كانت مجلة (الرسالة) حقلاً خصباً لمثل هذا النشاط الأدبي الذي قام به الرافعي فيما يختص بدراسته الفاحصة في أسرار الإعجاز، كما كان له مثل هذه الدراسات في موضوعات متميزة من كتابه (وحي القلم) وفي بعض رسائله الأخرى .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الرافعي كان له فهم خاص لبعض المعاني القرآنية لم يصدر فيه عن متابعة أو تقليد، وإنما ينم عن شفافيته الخاصة وروحانيته الخالصة، كما ينم عن عظم إيمانه وقوة يقينه، وكان من وسائله فيما يتناول من آيات القرآن بالشرح والتحليل : أنه كان يمهّد للمعاني القرآنية حتى يشاركه قارئه روحانيته وشفافيته، ويعيش معه في ظل هذا الإيمان العميق .

وإذا كانت تلك النماذج التطبيقية في دراسة الرافعي في مجال الإعجاز القرآني الكريم وأسرار بلاغته أكثر من أن نحصيها في هذا المقام .. فإنه يمكن الاستشهاد بنموذج واحد من نماذج تناوله لبعض آيات القصص القرآني حيث أفاض الرافعي في العرض والشرح بعد استلهامه روح النص واستشفافه إياه .. ومن تعليقه على أحد المواقف في قصة يوسف عليه السلام وفي قول الله تعالى :

الكلام حتى إنك لو قابلت ما فيه من أمثلتها بأحسن ما استخرجه العلماء من جملة كلام العرب لأصبت فرق ما بين ذلك في سمو الطبيعة اللغوية وإحكام البيان وانتظام محاسنه، كالفرق الذي تكشفه المقابلة ما بين النبوغ والتقليد .. ولله المثل الأعلى .
وإذا كان القرآن الكريم قد أنزله الله آيات محكمات تخاطب العقول لتدرك، والقلوب لتستيقن، فإنه لم يسق تلك الآيات مساق المنطق في إثبات الحجج والبراهين، وإنما هي الطريقة النفسانية المؤثرة التي تكمن دائماً وراء روعة الأسلوب في القرآن .

ولعل هذا ما أراد الرافعي أن يختم به رأيه في ذلك الإعجاز عندما قال : « وبقي سر من أسرار هذه البلاغة لا على طريقة المنطق - لأن هذه الطريقة المنطقية، تأتي على أوضاع وأقيسة معروفة مكررة يسترسل بعضها إلى بعض، يراد بها إلزام المخاطب ليتحقق المعنى الذي قام به الخطاب إلزاماً بالعقل لا بالشعور، والسياق لا بطبيعة المعنى، ومن أجل ذلك تدخلها المكابرة وتتسع لها المغالطة، فرارا من الإلزام، وإن كان المعنى في نفسه واضحاً مكشوفاً والبرهان من طبيعته قائماً معروفاً .

أما طريقة البلاغة، والتي أوفى على الغاية منه القرآن، فإنما يراد بها تحقيق المعنى وأخذ الوجوه والمذاهب على النفس من أجزائه التي يتألف منها بعد أن تستوفي على جهتها في الكلام استيفاء يقابل ما يمكن أن تشعر به النفس من هذه الأجزاء حتى لا تصدف عنه، ولا تجد لها وجهاً غير القصد إليه، فيكون من ذلك الإلزام البياني الذي توحىه طبيعة المعنى البليغ وكان حتماً مقضياً»^(١٨).

من الدراسات التطبيقية حول الإعجاز البياني في مجال القصة القرآنية:

كان من الملاحظ أن كتاب (إعجاز القرآن) للرافعي لم يحفل بالأمثلة التطبيقية على غرار ما عهد في الدراسات القرآنية عند السابقين، ويبدو أن



بئست ورأت منه محاولة الانصراف أسرع في ثورة نفسها مهتاجة تتخيل القفل الواحد أقفالا عدة، وتجري من باب، وتضطرب يدها في الإغلاق كأنما تحاول سد الأبواب لا إغلاقها فقط «وقالت هيت لك «ومعناها في هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة إلى آخر حدوده، فانتهدت إلى حالة من الجنون بفكرتها الشهوانية، ولم تعد ملكة ولا امرأة، بل أنوثة حيوانية صرفة متكشفة مصرحة.

هذه ثلاثة أطوار يترقى بعضها من بعض، وفيها طبيعة الأنثى نازلة من أعلاها إلى

أسفلها، فإذا انتهت المرأة إلى نهايتها ولم يبق وراء ذلك شيء تستطيعه أو تعرضه بدأت من ثم عظمة الرجولة السامية المتمكنة في معانيها، فقال يوسف «معاذ الله» ثم قال: «إنه ربى أحسن مثواى» ثم قال: «إنه لايفلح الظالمون»، وهذه أسمى طريقة إلى تنبيه ضمير المرأة في المرأة، إذا كان أساس ضميرها في كل عصر هو اليقين بالله، ومعرفة الجميل، وكرهه الظلم، ولكن هذا التنبيه المترادف ثلاث مرات لم يكسر من نزوتها، ولم يفتأ تلك الحدة، فإن حبها كان قد انحصر في فكرة واحدة، اجتمعت في كل أسبابها في زمن .في مكان .في رجل .فهي فكرة محتبسة، كأن الأبواب منغلقة عليها أيضا، ولذا بقيت المرأة تائرة في نفسها، وهنا يعود الأدب الإلهي السامي إلى تعبيره المعجز فيقول: «ولقد همت به» كأنما يومئ بهذه العبارة إلى أنها ترامت عليه وتعلقت به والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة.

جاءت العاشقة في قضيتها ببرهان الشيطان الذي يقذف به في آخر محاولاته، وهنا يقع ليوسف

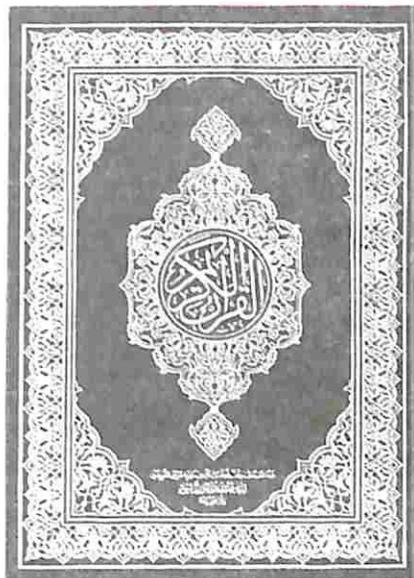


«ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون (٢٤) ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٥) . (يوسف).

فيقول .. عجبا للحب .. هذه ملكة تعشق فتاها الذي ابتاعه زوجها بثمن بخس، ولكن أين ملكها وسطوة ملكها في تصوير الآية الكريمة ؟ لم تزد الآية على أن قالت : « ورأودته التي هو في بيتها » إلخ ... و«التي» هذه الكلمة تدل على امرأة أيا

كانت فلم يبق على الحب ملك ولا منزلة .. وزالت الملكة من الأنثى .. وأعجب من هذا كله كلمة « رأودته» وهي بصفتها المفردة حكاية طويلة تشير إلى أن هذه المرأة تعترض يوسف بألوان من أنوثتها لون بعد لون، ذاهبة إلى فن راجعة من فن، لأن الكلمة مأخوذة من رودان الإبل في مشيتها، تذهب وتجيء في رفق، وهذا يصور حيرة المرأة العاشقة ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها، كما يصور كبرياء الأنثى إذ تختال وتترقق في عرض ضعفها الطبيعي، كأنما الكبرياء شيء آخر غير طبيعتها، فمهما تتهالك على من تحب وجب أن يكون لهذا الشيء مظهر امتناع أو مظهر تحير أو مظهر اضطراب، وإن كانت الطبيعة من وراء ذلك مندفعة ماضية مصممة، ثم قال «عن نفسه» ليدل على أنها لا تطمع فيه، ولكن في طبيعته البشرية، فهي تعرض ما تعرض لهذه الطبيعة وحدها، وكل الآية مصرحة في أدب سام كل السمو منزه غاية التنزيه، ثم قال : « وغلقت الأبواب » ولم يقل أغلقت وهذا يشعر أنها لما

فكر في موقفه يوم تشهد عليه أعضاؤه بما كان يعمل، أو فكر في هذا الإثم الذي يقتترفه الآن يكون مردده ومرجعته عليه في أخته أو ابنته - إذا فكر في ذلك كله أو نحوه رأى برهان ربه يطالعه فجأة فيرى برهان عينه، أترونه يتردى في الهاوية حينئذ أم يقف دونها وينجو؟ احفظا هذه الكلمة الواحدة التي فيها أكثر الكلام، وأكثر العظة، وأكثر التربية، والتي هي كالدرع في المعركة، بين الرجل والمرأة والشيطان كلمة



«رأى برهان ربه»^(١٩).

وسواء ما تحدث فيه الرافعي مباشرة عن إعجاز القرآن، أو ما بثه متفرقا في كتاباته الأدبية حول هذا الإعجاز، فقد كان له في كل ذلك فهم العالم واخلاص المؤمن وتذوق الأديب، وكان هذا الذوق الفني الذي مُنحه هو الذي هياؤه إلى فهم القرآن الكريم ومحاولة الوقوف على أسرار إعجازه في كل آية، وكل كلمة من آية، وكل حرف من كلمة، كما سبق القول في فكرة النظم عنده. ■

عليه السلام برهان ربه، كما وقع لها برهان شيطانها، فلولا برهان ربه لكان هم بها. وهنا المعجزة الكبرى لأن الآية الكريمة تريد أن لا تنفي عن يوسف عليه السلام فحولة الرجولة حتى لا يظن به، ثم هي - أي الآية الكريمة - تريد من ذلك أن يتعلم الرجال وخاصة الشباب منهم كيف يتسامون بهذه الرجولة فوق الشهوات حتى في الحالة التي هي نهاية قدرة الطبيعة.. حالة ملكة فاتنة عاشقة متكشفة متهاكة.. هنا لا ينبغي أن

يئأس الرجل - أو يستسلم - فإن الوسيلة التي تجعله لا يرى شيئا من هذا، هي أن يرى برهان ربه، وهذا البرهان يؤوله أي إنسان بما شاء، فهو كالمفتاح الذي يوضع في الأقفال كلها فيفضها كلها، فإذا مثل الرجل لنفسه في تلك الساعة أنه هو وهذه المرأة منتصبان أمام الله يراهما، وأن أمانى القلب تهجس فيه ويظنها خافية إنما هي صوت عال يسمعه الله، وإذا تذكر أنه سيموت ويقبر، وفكر فيما يصنع الثرى في جسمه هذا، أو

الهوامش:

- (٨) راجع الفصاحة لابن سنان الخفاجي، ص ١٩ - ٢٤، ٤٨ - ٨٦، ١٠٨ - ١٥٥.
- (٩) إعجاز القرآن، ص ٢٢٢ - ٢٢٩.
- (١٠) المرجع السابق، ص ٢٣٥.
- (١١) المرجع السابق، ص ٢٤٠.
- (١٢) المرجع السابق، ص ٢٤٠.
- (١٣) سورة النجم، الآيتان ٢١ - ٢٢، وراجع إعجاز القرآن، ص ٢٤٠.
- (١٤) المرجع السابق، ص ٢٤٩.
- (١٥) المرجع السابق، ص ٢٤٩.
- (١٦) المرجع السابق، ص ٢٥٥.
- (١٧) المرجع السابق، ص ٢٥٦ - ٢٥٨.
- (١٨) المرجع السابق، ص ٢٨٢.
- (١٩) وحي القلم، ج ١، ص ١١٥ - ١١٨، ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

- (١١) راجع: حياة الرافعي لمحمد سعيد العريان، ط ٢، ص ٢٣ - ٣٣، ومصطفى صادق الرافعي للدكتور كمال نشأت، ص ٧، تحت راية القرآن للرافعي ص ١٦ - ١٨، رسائل الرافعي جمع وترتيب محمود أبو رية، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن للدكتور صلاح الدين محمد عبدالقواب، ج ٢، ص ٣٩ - ٦٦.
- (٢) إعجاز القرآن، ص ١٢.
- (٣) إعجاز القرآن، ص ١٥٨.
- (٤) المرجع السابق، ص ١٤٩ - ١٩٠.
- (٥) المرجع السابق، ص ٢١٩.
- (٦) دلائل الإعجاز، ص ٥٥.
- (٧) المرجع السابق، ص ٣٥، وراجع: عبدالقاهر الجرجاني للدكتور أحمد بدوي، ص ١٠١، والنقد الأدبي، د. صلاح عبدالقواب، ج ٢، ص ٤٤.



بمناسبة صدور طبعة جديدة «لديوان الرافعي»

وما يزال شعر الرافعي يحتاج إلى تحقيق



بقلم: د. حلمي القاعود
مصر

فهي عام ١٩٨٧م، أسهمت مع زملائي في جامعة طنطا، في إقامة أول مؤتمر علمي عن عملاق العربية في العصر الحديث «مصطفى صادق الرافعي» (١٨٨٠-١٩٣٧)، على مدى ثلاثة أيام وشارك في هذا المؤتمر نخبة كبيرة من الأدباء والعلماء على امتداد العالم العربي، وألقيت فيه مجموعة كبيرة من الأبحاث التي دارت حول الرافعي وجوانب أدبه المتعددة، كما أثيرت قضايا عديدة امتدت إلى الصحافة وأجهزة الإعلام.



الرافعي أو شاعريته، بقدر ما أجهدت نفسها في تتبع هنات الرافعي الشعرية من خلال فصل كامل عنوانه: «مسيرة التعثر الشعري» وللقارئ الكريم أن يتأمل لفظة مسيرة ودلالاتها وإيحاءاتها إذا أضيف إليها التعثر والسقوط أو الضلال!

من حق أي دارس أو باحث أو محقق، أن يذهب المذهب الذي يريد، ويرى الرأي الذي يعتقد، ولكن هناك أصولاً وأسساً وقواعد منهجية لإبداء الرأي والحكم. لست من الذين يقصدون الكاتب المحبوب أو الأديب المفضل، فهو في البداية والنهاية إنسان، ينسحب عليه ما ينسحب على الإنسان من كمال ونقصان، ومد وجزر، ولا يوجد مخلوق - أيا كان - بلغ حد الكمال، فالكمال لله وحده، والعصمة لنبينا ﷺ.

يثير الأيوبي مجموعة من النقاط خاصة بتحقيقه ودراسته، نوافقه على بعضها، ونختلف معه حول بعضها الآخر.

النقطة الأولى تتعلق بالتحقيق الذي قام به أسامة محمد السيد، تحت عنوان «إيوان الأملعي في شرح ديوان مصطفى صادق الرافعي» وصادر عن مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت عام ١٩٩٣، وهذا العمل يضم جزأين فقط من ديوان الرافعي دون الجزء الثالث، وأجرى ناشر العمل تغييراً وتبديلاً ما بين ألفاظ مفردة وجمل، وشطور شعرية وأبيات كثيرة في القصيدة الواحدة، وصولاً إلى قصائد ومقطعات بكاملها، لم يرد لها ذكر في هذا العمل، مما يمثل عدواناً بشعاً على شعر الرافعي، وخروجاً شنيعاً على أصول التحقيق والنشر، وتجاوزاً فاضحاً للأمانة العلمية التي تفرض الالتزام بالنص أياً كانت وجهة نظر ناشره.. وقد أورد الأيوبي نماذج عديدة للتغيير والتبديل والحذف الذي قام به الرجل، ومنها مثلاً حذف قصيدة المديح التي مدح بها الرافعي الإمام محمد عبده:

مولاي أمسى الدين مما بدلوا

فيه كمرقة من الأديان

وأتيح لهيئة المؤتمر أن تعثر على نسخة من ديوان الرافعي التي نشرها «محمد كامل الرافعي» في ثلاثة أجزاء، قدم لها، وقام بشرح مناسبات بعض القصائد، مع التعليق على بعضها وشرح بعضها الآخر، في إسهاب أو إيجاز، وفقاً لرؤية ذاتية قامت أساساً على الاحتفاء بالشاعر وشعره.

وبعد سنوات، تفضل صديقي الدكتور «محمد أبو بكر حميد» وأهداني نسخة من شعر مجموع للرافعي بعنوان «الأغاريد» تضم الأناشيد والقصائد القصيرة التي تشبهها، وكانت من جمع وتحقيق الأديب العراقي «مصطفى نعمان البدري» أول من كتب رسالة علمية عن الرافعي فيما أعلم، وقد قابلته في القاهرة فترة السبعينات، وهو من عائلة عراقية تحب الرافعي وتحثي به، وقد سماه أبوه «مصطفى» تيماً باسم أديبنا الكبير.

عزمت حينئذ أن أكمل المشوار، وأسعى إلى تحقيق شعر الرافعي من خلال مراجعة الدوريات الأدبية وغيرها التي صدرت منذ مطلع القرن العشرين حتى وفاة الرافعي، لأرى ما نشر فيها من شعره، وأقارنه بما نشره محمد كامل الرافعي ومصطفى البدري، وأضيف ما لم ينشر إلى التحقيق المقترح أو المنتظر.

بيد أن مشاغلي العديدة لم تترك لي فرصة البدء في هذا العمل، حتى فوجئت بتحقيق جديد أصدرته المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، في طبعة فاخرة أعدها الدكتور «ياسين الأيوبي» الذي سبق اسمه بعبارة «حققه وشرحه وقدم له»!

في البداية كانت فرحتي كبيرة، لأن هناك من تفرغ للمهمة الكبيرة، وأظهر ديوان الرافعي كاملاً فيما تصورت، وحين اطلعت على الديوان والدراسة التي تسبقه تراجعت فرحتي، بل تلاشت، وحل مكانها حزن كظيم، فقد وجدت الديوان مجرد إعادة لنشر ما طبعه محمد كامل الرافعي دون زيادة أو نقصان، فضلاً عن رؤية حادة وقاسية لم تبرز قيمة شعر



٢- اختصار شروح محمد الرافعي لطولها وإسهابها، أو لبعدها عن جوهر الشعر المشروح.

٣- بسط القول في التقديمات للنصوص الشعرية التي لم يقدم لها، فضلا عن وضع عناوين قصائد الديوان بأجزائه الثلاثة بصورة شبه تامة .

٤ - تذييل الحواشي للنصوص الشعرية بشروح لغوية وبعض النقود اللغوية والبلاغية والأسلوبية، مما كانت (الملكة النقدية) تلحظه في المتن وترى (ضرورة) إثباته هنا وهناك!

واعتقد أن هذا الجهد في مجمله يحسب على «الأيوبي» لا له، فهو ينشر نصا لشاعر وشارح يجب أن يتقيد به ويلتزم بتقديم كل ما ورد فيه، ثم له بعدئذ أن يعلق عليه بما يشاء وفق المعايير العلمية والمنهجية، ولكنه قارف ما فعله «أسامة محمد السيد» وخاصة فيما يتعلق بشروح وتعليقات «محمد الرافعي» وسمح لنفسه بتغيير بعض العناوين، وهو ما لا يجوز، لأن صاحب الديوان هو الذي وضع العناوين، ولا يعيننا إن كانت قريبة من موضوع الشعر أو بعيدة عنه، فتغيير العنوان يسمح بتغيير الأبيات وتبديلها وتعديلها، وقد اتفقنا على أن ذلك لا يجوز .. والأمر كذلك بالنسبة لشروح وتعليقات «محمد الرافعي» يجب أن نطلع عليها كما هي، سواء كانت متعلقة بالقصيدة أو بعيدة عنها .

لقد بذل محمد الرافعي جهدا كبيرا وحقيقيا في شرح ديوان الرافعي، وقد أنبأنا «الأيوبي» أنه اختصر شروحه وأضاف من عنده شروحا لغوية ونقدية، وهذا يقودنا إلى **النقطة الثالثة** مما سماه مسيرة التعثر الشعري، وأفرد له نصف الفصل الثاني في مقدمته البحثية، فضلا عما بثه من عثرات موهومة على امتداد هوامش الديوان . لقد حصر هذه العثرات تحت عناوين: نثرية النظم، المغالاة والتطرف، التعقيد اللفظي والتباس المعنى، الخلل العروضي، الخلل اللغوي، ويحتاج كل عنوان من هذه العناوين إلى مناقشة مستفيضة،

لقد انطلق صاحب هذه النشرة من رؤية فقهية ضيقة الأفق، جرمت «الرافعي دينيا» لموقفه من بعض الناس أو إعادة بعض الصور الشعرية، وهو ما دفعه إلى حذف نصف الديوان تقريبا، وتقديم نصفه الآخر في صورة مشوهة!

نحن مع «الأيوبي» في موقفه من نشرة «أسامة محمد السيد» حرصا على الأمانة العلمية التي تقتضي بتقديم النص كما هو، مع إعطاء الحق للناشر أن يعلق بما يشاء وفق رؤية موضوعية تتفق مع المنهج العلمي وأصوله .

وهذا يقودنا إلى **النقطة الثانية** وتخص «الأيوبي» الذي سمح لنفسه أن يضع صفة التحقيق على نشرته، مع أنه لم يقدم جديدا ذا قيمة يضاف إلى ما قام به «محمد كامل الرافعي»، من نشر الأجزاء الثلاثة في مطلع القرن على النحو التالي:

الجزء الأول : المطبعة العمومية بمصر ١٣١٩-١٣٢٠هـ (١٩٠٢م)، (١٥٤ صفحة) .

الجزء الثاني : مطبعة الجامعة بالإسكندرية ١٣٢٢هـ ١٩٠٤م (١٢٥ صفحة) .

الجزء الثالث : مطبعة الأخبار بالفجالة بمصر ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م (١٥١ صفحة) .

وإعادة نشر هذا الأجزاء بمعرفة «الأيوبي» لا يمثل تحقيقا ولا إضافة، حتى لو زعم الرجل أنه «كابد كل المكابدة» للتحقق من سلامة القصائد، والأبيات، والألفاظ، التي اشتمل عليها الديوان بطبعته المصرية (محمد كامل الرافعي) والبيروتية، (أسامة محمد السيد) .

فالطبعة المصرية هي طبعة الرافعي الشاعر بحق، فقد نشرت في شبابه، وخرجت على يديه حتى لو كان شقيقه محمد كامل الرافعي هو شارحها والمعلق عليها، وهي تنفي جملة وتفصيلا الطبعة البيروتية التي تعرضت للعدوان، ومع ذلك فالأيوبي يقدم لنا جهده الذي أضافه متمثلا في:

١- تغيير بعض عناوين القصائد ومقدماتها، حين يجد بعداً عن موضوع الشعر أو عدم الوفاء بالعنوان الصحيح (!؟).

رأيت الهوى والخمر سيئين غدرة
وليسا على قلبي الحزين بسيئين

إذا أتوا ي يطلبان فضيحتي

فتظهر في وجهي ويظهر في عيني

الخطأ اللغوي - كما يقول الأيوبي - في دخول

«إذا» الشرطية غير الجازمة على مضارع، وحقه

إدخال إن الشرطية مكانها، لكنه

عدل إلى «إذا» ليستقيم له (النظم)

الشعري المؤاتي .

وينقل عن الشيخ «مصطفى

الغلاييني» ضرورة وجوب دخول

«إذا» على الماضي لأنها تفيد

التحقيق، بعكس إن التي تفيد

الشك والإبهام.

ويعرف طلاب اللغة العربية أن

«إذا» الشرطية غير الجازمة يجوز

دخولها على المضارع، وهو نفسه

يقول: وقد جوز بعضهم - نقلاً

عن ابن هشام في «مغني اللبيب

عن كتب الأعراب» دخول إذا على

المضارع في حال الظرفية للمستقبل، وتضمينها

معنى الشرط، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءِ

مَنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الروم: ٤٨) .

فإذا كان دخول «إذا» على المضارع جائزاً فلماذا

هذا التهويل في استعراض «مسيرة التعثر الشعري»

لرافعي؟ ويمكن قول ذلك في كثير من الأمثلة التي

أوردها «الأيوبي» ليقدم لنا «الرافعي» متمرداً على

اللغة، أو ضارباً بالقياس عرض الحائط، ولكننا نسأل:

أليس كل الشعراء أو معظمهم لديه مثل هذه الهنات؟

لقد عالج «عمر الدسوقي» مثلاً، شعر البارودي،

فجلاه، وقدم لنا صور تأثره بالقدماء، وما صنعه

خاصاً به، وشكل جديداً لديه، وفي النهاية سجل

«الهنات» التي وردت في شعره ولكنه لم يهول من

أمرها ويجعلها «مسيرة تعثر شعري» كما فعل

الأيوبي .

لأنها في أحسن الأحوال وجهة نظر يعبر عنها

قارئ لا يعجبه شعر الرافعي، ومع ذلك حققه، كما

يزعم، وقدمه إلى الناس من خلال ذم وقدح وإساءة

تقوم على ذوق شخصي، وتوحي للقارئ العادي

أن كل شعر الرافعي نثر منظوم نشأ عن ذاتية

مفرطة يتشبث فيها الشاعر بكل ما يصدر عنه من

كلام منظوم «، أو هو تعقيد في

الكلام والتباس بسبب فجاجة (!)

التجربة الشعرية وهشاشة المعاناة

الذاتية، أو لعدم التمرس الطويل

في التعبير عن أعراض بعيدة عن

دائرة الواقع، أو يمكن رده إلى

شعور دفين في قلب الشاعر أنه

قادر على ركوب أي موجة من

أمواج التركيب الشعري، أضف

إلى ذلك ما ساقه الأيوبي في

مجال الخلل العروضي واللغوي

ليبين عن أخطاء فادحة منسوبة

إلى الرافعي وشعره، يراها مما لا

يغتفر له، مع أنها قابلة للتأويل أو

الجواز عروضياً ولغوياً ومنها :

(....) فإن تعط طفلك للخادمين

فما زدت إلا عديد الخدم

ويرى أن الرافعي حذف ياء المخاطبة من فعل

تعطين المجزومة بإن الشرطية، فعلاً للشرط، للضرورة

الشعرية .. وهذا - يقول الأيوبي - خطأ بين، غير

مغفور، فالجواز الشعري لا يسمح بخطأ نحوي من

هذا النوع ! ولو أن الرجل الذي يدعي أنه تعب

وأجهد نفسه في تصحيح الأبيات ومراجعتها وقرأ

البيت على هذا النحو:

(....) فإن يُعْطُ طفلك للخادمين إلخ .

لعرف أن المسألة لا تستدعي اتهام الرافعي

بالوقوع في خطأ لا يغتفر . ومنها :

ما جاء في مقطع نوني من بيتين اثنين، يذكر

فيهما غدر الهوى والخمر معا:





الكبير الذي لا يعترف بالشعر المنتور، مع أنه قاله وقدمه وأغدق في عطائه .

ويقودنا كل ما سبق إلى النقطة الخامسة التي أود أن أختتم بها هذه السطور فقد وصف الأيوبي آثار الرافعي المتنوعة بأنها حصاد ثر، وقطوف شهية ترضي الأذواق، وتغني النفوس، وتزرع فيها نوازع البحث عن حقائق الحياة ودقائق العصر، أو توقظ فيها الحنين إلى معانقة الشرفات المطلة على السفوح المترامية الأطراف، المتناهية الألق.

وهذا كلام طيب من رجل بدا كأنه ضد الرافعي من خلال « مسيرة التعثر الشعري » و « الذاتية المفرطة »، وكنت أتمنى أن يكون إنصافه للرافعي شاملا من خلال الظروف والسياقات التي عاش فيها، وخاصة في ظل « الغلو العلماني » الذي ساد الحياة الأدبية والثقافية، ضد الإسلام والحضارة الإسلامية، لحساب الثقافة الاستعمارية الغازية التي قللت من شأن الإسلاميين وهمشتهم ورفعت الأقل منهم شأنًا بسبب ميولهم غير الإسلامية .

يبقى القول: إن ديوان الرافعي يحتاج إلى تحقيق لا يتوقف عند حدود الأجزاء الثلاثة التي نشرها محمد كامل الرافعي في مطلع القرن العشرين، فقد علمت مؤخرا أن إحدى المكتبات في المنصورة، قد أعادت نشره في مجلد واحد، وإن كنت لم أطلع عليه، وهو ما يعني أن هذه النشرة تكرر لنشرة الأيوبي، الذي لن أتهمه بالذاتية المفرطة أو كما اتهم الرافعي بسمه « التعظيم الذاتي » حين تحدث عن « معالم صنيعي في هذا الديوان » أو الجهد « الذي قمت به في صنيعي الأدبي » أو غير ذلك من حديث عن النفس يبابه العلماء المتواضعون ..

إن ما أمله حقا، هو البحث عن أشعار أخرى لم تنشر في الأجزاء الثلاثة أو الأغاريد للرافعي، كما أتمنى دراسة تبرز شاعرية الرجل في إطار زمنه وجيله، وتحدث عن إيجابيات شعره وسلبياته في حدود علمية ومنهجية، لا تجعل مسيرته انطلاقا ولا تعثرا . ■

وهذا يقودنا إلى النقطة الرابعة، وهي تتعلق بجلاء شاعرية الرافعي وقيمته الشعرية حتى سن الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين، مع أنه عاش قرابة الستين عاما، وأنتج تراثا أدبيا وشعريا يستحق الالتفات والاحتراف .

إن « الأيوبي » لم يسع إلى جلاء شاعرية الرافعي وقيمته الشعرية، ولكنه اكتفى بالحديث عن المادة الشعرية : نسيجها وإطارها البلاغي العام، من خلال توقفه عند « التشبيه » والمدى الذي بلغه التشبيه في ديوان الرافعي، وتحدث عن نمطين من أنماطه : نمط تقليدي متأصل في تربة الشعر العربي، وآخر متجدد على درجة ملحوظة من الإبداع .

وما أظن شاعرية الرافعي تقف عند التشبيه بنمطية، ولكنها - فيما أعتقد - تتجاوز ذلك إلى أبعاد أخرى يعبر فيها « الأيوبي »، سواء ما يتعلق بالمضمون أو التشكيل أو البناء، وفي إطار العصر الذي عاشه الرافعي، وبالمقارنة مع نظرائه وأشباهه، ولكن الرجل أثر أن يقنعنا بتهالك الرافعي على التشبيه إلى درجة الافتعال غالبا .

والحق أن ظاهرة التشبيه عند الرافعي تحتاج إلى دراسة علمية مستقلة تكشف قدرة هذا الرجل على تدوير شعره استجابة لهذه الظاهرة التي يبدو أنه انفرد بها دون جيله، ولم تتوقف عند حدود شعره المنظوم، بل امتدت إلى شعره المنتور في حديث القمر، ورسائل الأحزان والسحاب الأحمر، وأوراق الورد، وكتاب المساكين، والعديد من فصول « وحي القلم ».

وكما تطلب شاعرية الرافعي في المنظوم فإنها تطلب بإلحاح في المنتور، وهو ما فطن إليه بعض اللصوص من كبار « أدعياء الحداثة » في بلادنا العربية، فسرقوا كتاباته ونسبوها إلى أنفسهم بعد شيء من التغيير القليل، ومع ذلك اتهموه بالاتباعية والتقليدية والسلفية!

كنت أتمنى أن يتوقف الأيوبي عند الشاعرية النثرية للرافعي بوصفها امتدادا لشاعرية الناظم

الرافعي أديب إسلامي من طراز فريد، ولا شك أنه كان معنياً - إلى جانب كتاباته الأدبية والإبداعية - بالتنظير النقدي للأدب الإسلامي، وهو - وإن لم يذكر هذا المصطلح أو يستعمله - كان ينطلق من خلاله ويبدع وينقد من وحيه، فهو - من ثم - أحد رواده، والمنظرين له والداعين إليه.

وقد وقف الرجل - رحمه الله - جميع ما كتبه إبداعاً ونقداً على ترسيخ أقدام «إسلامية» الأدب من ناحية، وعلى الرد على دعاة التغريب والعلمانية والمقلدين العُشني لأداب الغرب - من غير تمييز ولا استبصار - من ناحية أخرى .

والرافعي أمة في واحد، والخوض في عالمه الأدبي والنقدي مثل الخوض في بحر متلاطم زخار، وهو يشبه الغوص في أعماق مليئة باللؤلؤ والمرجان، ومهما جهد المبحر في غوصه أو غوصتين فهل يستطيع أن يحمل إلا أقل القليل من هذا البحر الغني؟

يجتهد هذا المقال أن يتوقف عند وجه واحد من وجوه الرافعي الناقد، فيتحدث عن بعض ملامح الرؤية الإسلامية في نقده الأدبي.

ولأن هذه الملامح كثيرة وغنية، وقد يصلح استقصاؤها أن يكون موضوع أطروحة علمية جامعية، يتوقف هذا المقال - كما ذكرنا - عند بعض منها يدل بها على غيرها، ويشير بها إلى سواها، وذلك من خلال اختيار ثلاث قضايا نقدية، وبيان رؤية الرافعي الإسلامية لها، وهذه القضايا هي:

- ١- وظيفة الأدب
- ٢- الشكل والمضمون
- ٣- القديم والجديد

صدر مصطفى الرافعي في جميع ما كتبه عن رؤية إسلامية عميقة للكون والإنسان والحياة، فكان واضحاً لكل من يتتبع إنتاج هذا الأديب الكبير أن العقيدة تسرب في أقطار نفسه، وتتغلغل في نسيج شخصيته، وتملي عليه جميع ما يأخذ وما يذر.



التصور الإسلامي للنقد



ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة، ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا، ثم إنه يخيل إليّ دائما أنني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه...»^(٣).

إن الأدب لا بد أن تكون له رسالة عليا يأرب بتحقيقها، وإن مصداقيته لتتوقف على عظمة هذه الرسالة ونبلها . يقول الرافعي :

«الغرض الأول للأدب المبين أن

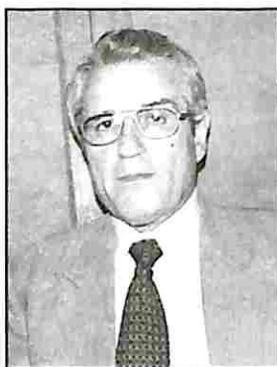
يخلق للنفس دنيا المعاني الملائمة

لتلك النزعة الثابتة فيها إلى المجهول، وإلى مجاز الحقيقة، وأن يلقي الأسرار في الأمور المكشوفة بما يتخيل فيها، ويرد القليل من الحياة كثيرا وأفيا بما يضاعف من معانيه...»^(٣).

إن وظيفة الأدب إذن هي الكشف عن أسرار الحياة، وبيان الفلسفة التي تقوم عليها، والحكمة التي وجدت من أجلها، فليس يكون الكلام أدبا : « إلا إذا وضع المعنى في الحياة التي ليس لها معنى، أو كان متصلا بسر هذه الحياة فيكشف عنه، أو يومئ إليه من قريب...»^(٤).

الأديب إنسان كوني

إن الأديب إنسان متصل بأسرار الكون، وجمال الأشياء فيه، وهو يحس بالموجودات إحساسا عارما يميزه من غيره . وفي ضوء هذا السمو الذي يرقى إليه الأديب، ويحاول أن يرقى بالملتقي إليه، لا يبدو هذا الأديب إنسانا عاديا،



بقلم: د . وليد قصاب

١ - وظيفة الأدب

لسنا في موطن تفصيل القول في كثير من الدعوات التي أرادت أن تجرد الآداب والفنون من أية وظائف دينية، أو خلقية، أو تربوية، وأن تجعلها فنا للفن، أو أدبا للأدب، لا تتوخى غير الإمتاع والإطراب ونشidan اللذة والجمال من غير غاية ولا هدف، إذ هي غاية في حد ذاتها.

ولا يمكن لواحد مثل الرافعي أن يتبنى هذا التصور وهو الأديب صاحب الرسالة، الذي يؤمن أن الكلمة مسؤولية، بل هي أمانة يحملها المؤمنون .

مضى الرافعي - مع إبداعه الأدبي - يؤكد في كتاباته النقدية على أنه لا يكتب إلا من وحي دين هذه الأمة ومثلها وأخلاقها، وهو - في إيمانه برسالة الأدب النبيلة - لا يكتب إلا ما يربي النفس، ويسمو بها إلى الفضائل، ويرفعها عن السفاسف والدنايا .

إن تعريف الأدب الذي يفهمه الرافعي - مستمدا من أسلوب القرآن الكريم، وأغراضه - ولا يرى تعريفا سواه، هو : « أن الأدب هو السمو بضمير الأمة»^(١).

وكان الرافعي يتجه في إبداعه الأدبي هذه الوجهة، وجهة السمو بضمير الأمة كما ذكر، ولذلك نجده يقول :

«القبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها،

مد الأديب عند الرافعي

الحس به يكبر في أناس ويصغر في أناس...»^(٦).
ولعل الرافي كان ينظر إلى ما قالته العرب عن
الشاعر من أنه سمي بذلك لأنه «يشعر بما لا
يشعر به الآخرون».

والأديب الذي يرى الأشياء، ويرى الجمال أكبر
مما يراه غيره، ممكّن للآخرين من إدراك الأساليب
التي تعين على الإحاطة بها، وتبيّن صفاتها
ومعانيها :

« وإذا كان الأمر في الأدب على ذلك،
فباضطرار أن تتهدّب فيه الحياة وتتأدّب، وأن
يكون تسلطه على بواعث النفس دُرّية لإصلاحها
 وإقامتها، لا لإفسادها والانحراف بها إلى الزيف
والضلالة، وباضطرار أن يكون الأديب مكلفاً
تصحيح النفس الإنسانية، ونفي التزوير عنها،
 وإخلاصها مما يلتبس بها على تتابع الضرورات،
 ثم تصحيح الفكرة الإنسانية في الوجود، ونفي
الوثنية عن هذه الفكرة، والسمو بها إلى فوق، ثم
إلى فوق، ودائماً إلى فوق...»^(٧).

وهذا الأديب - إذا كان عبقرياً ملهماً - يجيء
في أدبه « من حقائق الفكر وبيانه، وأسرار
الطبائع وأوصافها، بما يغطي على فلسفة
الفلاسفة وعلم العلماء...»^(٨).

الأدب والدين :

من إدراك هذه الوظيفة السامية للأدب،
وبصيرة الأديب وحكمته، يبدو الأدب - من أحد
جوانبه - ملتقياً مع الدين في السمو بالنفس
البشرية، والارتقاء بها إلى معارج الخير
والفضيلة.

يقول الرافي : « الأدب - من هذه الناحية -
يشبه الدين، كلاهما يعين الإنسانية على الاستمرار
في عملها، وكلاهما قريب من قريب...»^(٩).

ومن ثم « إن لم يكن للأديب مثل أعلى يجهد
في تحقيقه، ويعمل في سبيله، فهو أديب حالة من
الحالات، لا أديب عصر، ولا أديب جيل . وبذلك
وحده كان أهل المثل الأعلى في كل عصر هم

يمارس صنعة الكتابة فحسب، ولكنه - بتسمية
الرافي - «إنسان كوني» إنه ليس مثل الآخرين .
يقول الرافي :

« لو أردت أن تعرف الأديب من هو، لما وجدت
أجمع ولا أدق في معناه من أن تسميه الإنسان
الكوني، وغيره هو الإنسان فقط، ومن ذلك ما يبلغ
من عمق تأثيره بجمال الأشياء ومعانيها، ثم ما يقع
من اتصال الموجودات به بالأمها وأفراحها، إذ
كانت فيه مع خاصية الإنسان خاصية الكون
الشامل، فالطبيعة تثبت بجمال فنه البديع أنه منها،
وتدل السماء بما في صناعته من الوحي
والأسرار أنه كذلك منها، وتبرهن الحياة
بفلسفته وآرائه أنه هو أيضاً منها، وهذا وذاك
وذلك هو الشمول الذي لا حد له، والاتساع
الذي كل آخر فيه لشيء، أول فيه لشيء.

وهو إنسان يدله الجمال على نفسه ليدل
غيره عليه، وبذلك زيد على معناه معنى،
وأضيف إليه في إحساسه قوة إنشاء
الإحساس في غيره، فأساس عمله دائماً أن
يزيد على كل فكرة صورة لها، ويزيد على كل
صورة فكرة فيها، فهو يبدع المعاني للأشكال
الجامدة فيوجد الحياة فيها، ويبدع الأشكال
للمعاني المجردة فيوجدتها هي في الحياة، فكأنه
خلق ليتلقى الحقيقة ويعطيها للناس ويزيدهم
فيها الشعور بجمالها الفني، وبالأدباء والعلماء
تنمو معاني الحياة، كأنما أوجدتهم الحكمة لتنتقل
بهم الدنيا من حالة إلى حالة، وكأن هذا الكون
العظيم يمر في أدمغتهم ليحقق نفسه...»^(١٠).

فالأديب - الإنسان الكوني - وقاد المشاعر،
حارّ الأحاسيس، وهو - كما رأيت - أبعد رؤية
للأشياء، وأعمق بصيرة في تعرفها وإدراك
أسرارها، وفي تلمس جمالها وروعيتها .

إن الجمال موجود، ولكن الإحساس به عند
الأديب أكبر وأعمق، فأنت «ترى الجمال حيث
أصبته شيئاً واحداً لا يكبر ولا يصغر، ولكن



اللذة بالأدب إذن من طبيعته، وهي لا تجرده من الوظيفة السامية، ولا تذهب بما فيه من نفع وفائدة، لأنها ليست لذة العبث والباطل، بل لذة الأسلوب الباهر الجميل، والأفكار العظيمة، لذة حسن العرض وسمو المعروض، وهذا الأدب عندئذ كالسوار الرائع النفيس، ولكنه -في الوقت نفسه- السوار المصنوع من الذهب الإبريز .

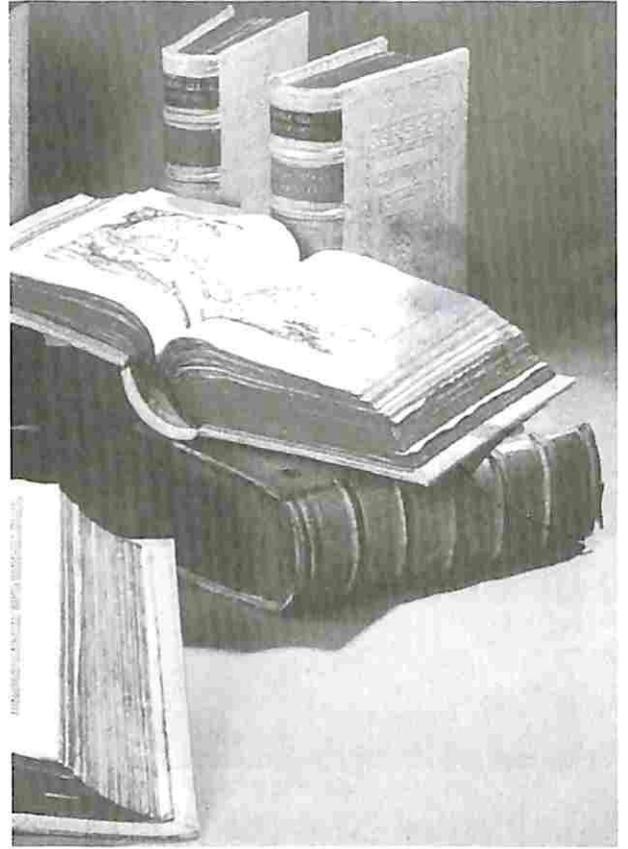
هذا الأدب عندئذ خير كله : « ثم هو بعد هذه اللذة منفعة كله كسائر ما ركب في طبيعة الحي، إذ يحس الذوق لذة الطعام مثلاً على أن يكون من فعلها الطبيعي استمرار التغذية لبناء الجسم وحفظ القوة وزيادتها، أما التلهي فيجئ من سخر الأدمى، وفراغ معانيه، ومؤاتاته الشهوات الخسيسة، والتماسه الجوانب الضيقة من الحياة، وذلك حين لا يكون أدب الشعب ولا الإنسانية بل أدب فئة بعينها...»^(١٢) .

٢- الشكل والمضمون

لا ينهض الأدب العظيم باللفظ وحده كما ذهب إلى ذلك أصحاب اللفظ، ولا ينهض بالمعاني الشريفة، والقيم النبيلة فحسب، كما ذهب إلى ذلك أصحاب المعنى، ولكنه ينهض بالأسلوب الرفيع، والمضمون الرفيع، وكأن الراجعي وهو يتبنى ذلك ينظر إلى قول ابن قتيبة وطائفة من نقادنا القدامى في أن أجود الشعر ضرب حسن لفظه وجاد معناه^(١٣) .

إن الأدب ليس تعبيراً عادياً عن المعاني والأفكار السامية، ولكنه تعبير جمالي متميز . ولا يفتأ الراجعي يلح على أهمية الأدوات التعبيرية، وجودة الصياغة. وهو يفهم البلاغة على نحو ما فهمها الجاحظ من قبل عندما بين أنها ليست مجرد الإفهام، بل الإفهام بالأسلوب الجميل، والتعبير الفني المعجب^(١٤) .

وعلى هذه الشاكلة يقول الراجعي في بيان أهمية الأسلوب في الأدب:

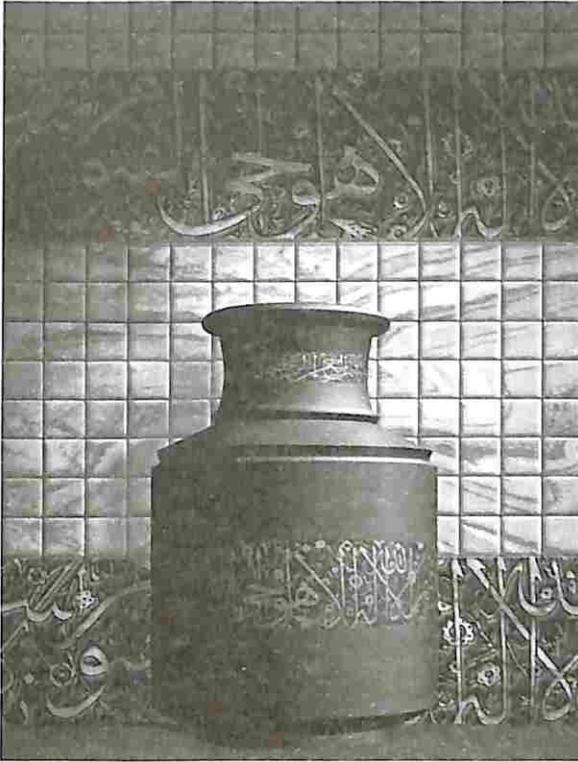


الأرقام الإنسانية التي يلقيها العصر في آخر أيامه ليحسب ربحه وخسارته...»^(١٥) .
اللذة والمتعة في الأدب

لا شك أن الأدب فن ممتع لذيد، يبعث النشوة في النفس، ويثير فيها الطرب والسرور، ويملوها بالبهجة والحبور، ولكن هذا لا يعني على الإطلاق أنه نشاط غير جاد، أو أنه لا وظيفة له ولا هدف .

إن اللذة التي يتحدث عنها في الأدب لا تعني اللهو أو العبث، لا تعني إضاعة الوقت به، أو التلهي بالباطل والإثم، بل إن اللذة الأدبية عند الراجعي مفهوم غير هذا .

يقول الراجعي : « اللذة بالأدب غير التلهي به واتخاذها للعبث والبطالة، فيجئ موضوعاً على ذلك، فيخرج إلى أن يكون ملهة وسخفا ومضيعة، فإن اللذة آتية من جمال أسلوبه، وبلاغة معانيه، وتناوله الكون والحياة بالأساليب الشعرية التي في النفس...»^(١٦) .



شكل ومضمون راقين، والأديب البليغ التام « هو صاحب الفكر والأسلوب والذهن الملهم، وإنك تقف على المعنى من معانيه يملأ نفسك، ويتمدد فيها، ويهتز بها طربا وإعجابا...»^(١٨).

ومقياس الكلام الفني العظيم هو تأثيره في النفس، وقدرته على الانسراب في أعماقها حتى تهتز له وتطرب .

يقول الراقعي :

« والفن كله إنما هو التأثير، والاحتياال على رجة النفس له واهتزازها بألفاظ الشعر ووزنه وإدارة معانيه وطريقة تأديتها إلى النفس، وتأليف مادة الشعور من كل ذلك تأليفا متلائما مستويا في نسجه لا يقع فيه تفاوت ولا اختلال، ولا يحمل عليه تعسف ولا استكراه، فيأتي الشعر من دقته وتركيبه الحي، ونسقه الطبيعي كأنما يقرع به على القلب الإنساني ليفتح لمعانيه إلى الروح...»^(١٩).

الناقد يعنى بجميع العناصر

وما دام الأدب العظيم يُصنع من الأسلوب

« إن الإفهام ونقل خاطر والإحساس ليست هي البلاغة وإن كانت منها، وإلا فكتابة الصحف كلها آيات بينات في الأدب، إذ هي من هذه الناحية لا يقدح فيها ولا يغض منها، وما قصرت قط في نقل خاطر ولا استغلقت دون إفهام...»^(١٥).

والأسلوب الأدبي فن في حد ذاته، وهو ذو خصائص وجماليات لا يوتأها إلا البلغاء والفصحاء، خصائص تقوم على التخيل والتصوير وأساليب البلاغة المختلفة، وهذه جميعها من طبيعته الفنية، ولا يسمى أدبا بغيرها، فهي ليست مجرد زخارف شكلية تزيد المعنى جمالا، وتضيف إليه، وتهيب النفس لاستقباله . يقول الراقعي :

« وما المجازات والاستعارات والكنائيات

ونحوها من أساليب البلاغة إلا أسلوب طبيعي

لا مذهب عنه للنفس الفنية، إذ هي بطبيعتها

تريد دائما ما هو أعظم، وما هو أجمل، وما

هو أدق، وربما ظهر ذلك لغير هذه النفس

تكلفا وتعسفا ووضعها للأشياء في غير

مواضعها، ويخرج من هذا أنه عمل فارغ

وإساءة في التأدية وتمحل لا عبرة به، ولكن

فنية النفس الشاعرة تأبى إلا زيادة معانيها،

فتصنع الفاظها صناعة توليها من القوة ما

ينفذ إلى النفس ويضاعف إحساسها، فمن ثم

لا تكون الزيادة في صور الكلام وتقليب ألفاظه

وإدارة معانيه إلا تهيئة لهذه الزيادة في شعور

النفس، ومن ذلك يأتي الشعور دائما زائدا

بالصناعة البيانية، لتخرجه هذه الصناعة من أن

يكون طبيعيا في الطبيعة إلى أن يكون روحانيا في

الإنسانية، والشعور المهتاج المتفرز غير الساكن

المتبدد، والبيان في صناعة اللغة يقابل هذا النحو،

فتجد من التعبير ما هو حي متحرك، وما هو جامد

مستلق كالنائم أو كالميت...»^(١٦).

وهكذا يبدو الأسلوب أساس الفن الأدبي، وإن

اللذة به هي علامة الحياة فيه^(١٧).

ولكن الأدب العظيم يتشكل - كما ذكرنا - من





ثري، يغترف منه الأدباء ما لا ينضب من الأساليب والأفكار، من الصور التعبيرية، والقيم العالية والمشاعر الخيرة .

ومع ذلك فإن مما يؤسف له أن قليلا أو كثيرا من الأدباء لم يصدروا عن هذا الكنز النفيس الصدور العميق المطلوب .

ومن يرجع إلى هذا الكنز العظيم يقع على دلالات كثيرة تتعلق بوظيفة الأدب، وشخصية الأديب، وأساليب القول، وطرائق البيان، وضوابط الفكر الذي ينبغي أن ينهض عليه الأدب الرفيع . يقول الراجعي:

« فإذا أردت الأدب الذي يقرر الأسلوب شرطا فيه، ويأتي بقوة اللغة صورة لقوة الطبع، ويعظمة الأداء صورة لعظمة الأخلاق، وبرقة البيان صورة لرقة النفس، وبدقته المتناهية في العمق صورة لدقة النظرة إلى الحياة، ويريك أن الكلام أمة من الألفاظ عاملة في حياة أمة من الناس، ضابطة لها المقاييس التاريخية، محكمة لها الأوضاع الإنسانية، مشترطة فيها المثل الأعلى، حاملة لها النور الإلهي على الأرض ... وإذا أردت الأدب الذي ينشئ الأمة إنشاء ساميا، ويدفعها إلى المعالي دفعا، ويردها عن سفاسف الحياة، ويوجهها بنقطة الإبرة المغناطيسية إلى الآفاق الواسعة، ويسدها في أغراضها التاريخية العالية تسديد القنبلة خرجت من مدفعها الضخم المحرر المحكم، ويملاً سرائرها يقينا، ونفوسها حزما، وأبصارها نظرا، وعقولها حكمة، وينفذ بها من مظاهر الكون إلى أسرار الألوهية ...

... إذا أردت الأدب على كل هذه الوجوه من الاعتبار - وجدت القرآن الحكيم قد وضع الأصل الحي في ذلك كله، وأعجب ما فيه أنه جعل هذا الأصل مقدسا، وفرض هذا التقديس عقيدة، واعتبر هذه العقيدة ثابتة لا تتغير، ومع ذلك كله لم ينتبه له الأدباء ولم يحذوا بالأدب حذوه، وحسبوه دينا فقط،

الفني الجميل، والمعاني الرفيعة، والعواطف النبيلة، وسواها، فإن الناقد لهذا الأدب لا بد أن يكون معنيا كذلك بعناصره جميعها، وهو عند نقده نصا لا بد أن يتوقف عنده : شكلا ومضمونا وعاطفة، أسلوبا ورؤية وشعورا، لا يقف عند جانب واحد ويهمل الجوانب الأخرى كما يفعل بعض النقاد، لأن العمل الأدبي كل متكامل .

يقول الراجعي : »

إذا كان من نقد الشعر علم فهو علم تشريح الأفكار، وإذا كان منه فن فهو فن درس العاطفة، وإذا كان منه صناعة فهي صناعة إظهار الجمال البياني في اللغة ...» (٢٠)

ولا ينتهي الناقد إلى درس متكامل للعمل الأدبي، والوقوف على موهبة الأديب، ومعرفة مدى عبقريته وإبداعه إلا كما يقول الراجعي: «بالبحث في الأغراض أي "المواضيع" التي نظم فيها الشاعر وما يصله بها من أمور عيشه وأحوال زمنه وكيف تناولها من ناحيته ومن ناحيتها، وماذا أبدع، ثم في أي المنازل يقع شعره من شعر غيره في تاريخ لغته وآدابها، ثم نظرتة الفلسفية إلى الحياة ومسائلها واتساعه لأفراحها وآلامها وقوة أمواجه الروحية في هذا البحر الإنساني الرجاف المتضرب الذي يبلغ في نفوس بعض الشعراء أن يكون كالأقيانوس، وفي بعضها أن يكون كالمستنقع ... ثم بقية فهمه عن وحي الطبيعة والإشراف على جليلة معناها بالهمسة واللمسة» (٢١) .

القرآن نبع الأدب العظيم:

والراجعي الذي تشرب حب القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، وتشبع به عقيدة وفكرا وأسلوبا تشبعا ملك أقطار نفسه، لا يرى في هذا الكتاب الجليل كتاب دين وتشريع فحسب، ولكنه يرى فيه الوجه الآخر الذي غفل عنه بعض الكتاب والأدباء، وهو جانبه الأدبي البلاغي الرفيع، بل إن الراجعي يرى أن القرآن الكريم هو الذي وضع الأصل الأصل لكل أدب عظيم، إذ هو نبع غني، ومصدر

المطلقة، والانفلات التام من الأنظمة والضوابط، حتى يصل إلى الهدم والاعتداء على الأصول والقواعد .

والرجل - في تفريقه بين ما هو تجديد وما هو تبديد، بين ما هو حرية وما هو هدم واعتداء - يعتمد على أصل شرعي يفهمه من حديث رسول الله ﷺ، المشهور: « إن قوما ركبوا في سفينة، فاقتسموا، فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما شئت، فلو أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا .. »

فقوم من الذين يدعون التجديد - وتحت هذه الدعوى يهدمون الدين والأخلاق واللغة - يشبهون هذا الذي ينقر موضعه في السفينة، فهو مفسد لا يصلح، مبدد لا مجدد، معرض نفسه والآخريين معه للهلاك .

يقول الرافعي : « كان لهذا الحديث في نفسي كلام طويل عن هؤلاء الذين يخوضون معنا البحر، ويسمون أنفسهم بالمجددين، وينتحلون ضروبا من الأوصاف : كحرية الفكر، والغيرة، والإصلاح، ولا يزال أحدهم ينقر موضعه من سفينة ديننا وأخلاقنا وأدابنا بفأسه، أي بقلمه، زاعما أنه موضعه من الحياة الاجتماعية يصنع فيه ما يشاء، ويتولاه كيف أراد .. فلا حرية هنا في عمل يفسد خشب السفينة، أو يمسه من قرب أو بعد، ما دامت ملجئة في بحرها، سائرة إلى غايتها، إذ كلمة (الخرق) لا تحمل في السفينة معناها الأرضي، وهناك لفظة (أصغر خرق) ليس لها إلا معنى واحد وهو (أوسع قبر) .. » (٢٤) .

وإن الانفتاح على المدنية الغربية، والاقتراب منها، لما هو مطلوب ولكنه ينبغي أن يقوم على « الاختيار » لا على « التقليد »، أن يقوم على « اقتباس التحقيق » لا « اقتباس التقليد »، وشتان بينهما .

الجديد المطلوب، والطريف المنشود، ما كان متفقا

وذهبوا بأدبهم إلى العبث والمجون والنفاق ...
والقرآن بأسلوبه ومعانيه وأغراضه لا يستخرج منه للأدب إلا تعريف واحد هو هذا : إن الأدب هو السمو بضمير الأمة ... » (٢٢) .

٣ - القديم والجديد

من القضايا النقدية التي شهدت خصومات عنيفة في أيام الرافعي « قضية القديم والجديد » هذه القضية الأزلية التي يعرفها كل عصر، حيث ينشب الصراع بين أنصار جديد يأتي به عصرهم، وأنصار قديم موروث يرون في الجديد خروجا على العرف، وانتهاكا للمألوف، وإفسادا لبعض القيم والمواضع السائدة، وقد تشتد الخصومة بين الفريقين وتعنف عنفا شديدا، وقد تخرج عن جادة الموضوعية، فيأخذ كل فريق يكيل للآخر اتهامات يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف .. عصر الرافعي إذن - ككل عصر - شهد خصومات فكرية عنيفة بين من دُعوا بأنصار الجديد، ومن دُعوا بأنصار القديم، وصُنّف الرافعي في الفريق الثاني، المدافع عن الأصالة والتراث، الواقفين كالطود في وجه المجددين أو مدعي التجديد في عصره . ولكن هل كان الرافعي حقا من الراضين للتحديث ؟ بل أي تحديث هذا الذي تصدى له، ووقف بيانه السامي الرفيع على فضحه وبيان الزيف فيه ؟ ..

من ينظر فيما كتبه الرافعي - رحمه الله - يرّ بوضوح أن الرجل لم يكن ضد التجديد، ولا كان عدوا - كما صوره خصومه - للابتداع والتحديث، بل هو يعد التوليد سرا من أسرار النبوغ في الأدب وفي غيره . يقول : « سر النبوغ في الأدب وفي غيره هو التوليد، وسر التوليد في نضج الذهن المهيا بأدواته العصبية، المتجه إلى المجهول ومعانيه كما تتجه كل آلات المرصد الفلكي إلى السماء وأجرامها .. » (٢٣) .

ولكن التجديد لا يعني عند الرافعي الحرية



فإن نحن أخذنا من النظمات السياسية فنأخذ ما يتفق مع الأصل الراسخ في آدابنا من الشورى والحرية الاجتماعية عند الحد الذي لا يجوز على أخلاق الأمة ولا يفسد مزاجها ولا يضعف قوتها . وإذا نقلنا من الأدب والشعر فلندع خرافات القوم وسخافاتهم الروائية إلى لب الفكر وروائع الخيال وصميم الحكمة، ولنتبع طريقتهم في الاستقصاء والتحقيق، وأسلوبهم في النقد والجدل، وتأتيهم إلى النفس الإنسانية بتلك الأساليب البيانية الجميلة التي هي الحكمة بعينها. وأما في العادات الاجتماعية فلنذكر أن

الشرق شرق والغرب غرب ، وما أرى هذه الكلمة تصدق إلا في هذا المعنى وحده ، والقوم في نصف الأرض ونحن في نصفها الآخر، ولهم مزاج وإقليم وطبيعة وميراث من كل ذلك، ولنا ما يتفق ولا يختلف، وإن أول الأدلة على استقلالنا أن نتسلخ من عادات القوم، فإن هذا يؤدي بلا ريب إلى إبطال صفة التقليد فينا، ويحملنا على أن نتخذ لأنفسنا ما يلائم طبائعنا، وينمي أذواقنا الخاصة بنا، ويطلق لنا الحرية في الاستقلال الشخصي...» (٢٥) .

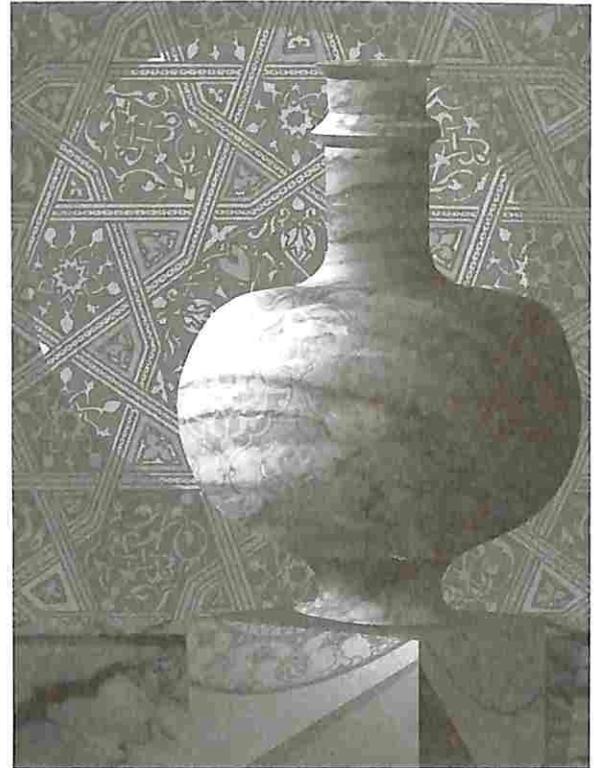
التجديد ينهض على التراث

لا تقوم للأدب الأصيل قائمة، ولا يكون للتجديد قيمة إلا إذا استند إلى تراث عريق يقوم عليه، وجذور ضاربة في أعماق الأرض يسمق من خلالها، إذ « ليس يكون الأدب أدبا إلا إذا ذهب يستحدث ويخترع على ما يصرفه النوابغ من أهله، حتى يؤرخ بهم، فيقال : أدب فلان، وطريقة فلان، ومذهب فلان، إذ لا يجري الأمر فيما علا وتوسط ونزل إلا على إبداع غير تقليد، وتقليد غير اتباع، واتباع غير تسليم...» (٢٦) .

وإن التجديد في الشعر العربي ينطلق أولا من فهم طبيعة هذا الشعر ومزاجه الخاص «وخصائص فيه لا بد من مراعاتها، والنزول على

مع دين الأمة وقيمها ومثلها، ما كان فيه الخير، وليس لمجرد تقليد الآخرين ومحاكاة ما عندهم، فليس كل ما في هذه المدنية الغربية يؤخذ، ولا كله يترك . يقول الرافعي مبينا ضوابط الأخذ والترك :

« وإني أرى أنه لا ينبغي لأهل الأقطار العربية أن يقتبسوا من عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد، بل اقتباس التحقيق، بعد أن يعطوا كل شيء حقه من التمهيص، ويقلبوه على حالتيه الشرقية والغربية، فإن التقليد لا يكون طبيعة إلا في الطبقات المنحطة، وصناعة التقليد وصناعة المسخ فرعان من أصل واحد، وما قلد المقلد بلا بحث ولا روية إلا أتى على شيء في نفسه من ملكة الابتكار وذهب ببعض خاصيته العقلية، على أننا لا نريد من ذلك ألا نأخذ من القوم شيئا، فإن الفرق بعيد بين الأخذ في المخترعات والعلوم، وبين الأخذ من زخرف المدنية وأهواء النفس وفنون الخيال ورونق الخبيث والطيب، إذ الفكر الإنساني إنما ينتج الإنسانية كلها، فليس هو ملكا لأمة دون أخرى، وما العقل القوي إلا جزء من قوة الطبيعة.



حكمها، وتلقيها بما يوافقها...»^(٢٧).

ولكن قوما ممن يدعون التجديد في الشعر العربي لا يزيد تجديدهم على تقليد الشعر الأوربي متجاهلين تراثهم الشعري، ومزاج هذا الشعر وخصائصه البيانية خارجين إلى مزاج غريب وأسلوب هجين، حتى : « تراهم يخلون بقوانين صناعته البيانية، وينزلون ألفاظه دون منازلها، ويرسلون معانيه على غير طريقته الشعرية، ويبتلونه بفضول كثيرة هي كالأفات والأمراض، فيأتون بنظم تقرؤه إذا قرأته وأنت تتلوى كأنما يقرع على قلبك بقبضة يد أو يدق عليه بحجر .. وقد فشا هذا النوع من الشعر في هذه الأيام وأصبح لما فسد من ذوق الأدب، وما التاث من أمر اللغة، وما اعوجج من طرق الفلسفة، وما عمت به البلوى من التقليد الأوربي، وكثيرا ما رأيت القصيدة من هذا الشعر كامرأة سلخ وجهها ووضعت لها جلدة وجه ميت...»^(٢٨).

وهكذا بدأ يصيب الشعر العربي على أيدي هؤلاء المقلدين في تجديدهم للشعر الأوربي كثير من الفساد في أساليبه ومعانيه، وهو فساد يشبه ذلك الذي أصابه في القديم على أيدي أصحاب الصنعة الزائفة، غير أن «القديم كان فسادا في الألفاظ بجعلها كلها أو أكثرها محالا في الصنعة، والحديث جاء فسادا في المعاني بجعلها كلها أو أكثرها محالا في البيان...»^(٢٩).

تجديد أم فساد؟

والأمر في جملة - كما يراه الرافعي - ليس في حقيقته أمر تجديد وتقليد، ولا أمر ابتداع واتباع، فالتجديد - كما ذكر - مطلوب، وهو من صلب الفن، وهو سر النبوغ والعبقرية، ولكن طائفة من مدعي التجديد عنى التجديد عندهم الخروج على الدين والأخلاق، والدعوة إلى الفساد والانحلال .

يقول الرافعي : « الذي بيننا وبينهم ليس

الجديد والقديم، ولا التأخر والتقدم، ولا الجمود والتحول، ولكن أخلاقنا وتجردهم منها، وديننا وإلحادهم فيه، وكماننا ونقصهم، وتوثقنا وانحلالهم، واعتصامنا بما يمكننا وتراخيهم تراخي الحبل لا يجد ما يشده...»^(٣٠) .

بل إن فريقا آخر من هؤلاء المجددين الذين يحسبون أنفسهم من جبابرة العقول، ليبلغ إفسادهم - بدعوى التجديد وحرية الكلمة - مبلغا لا يكاد يتصور، يعبر عنه الرافعي بقوله:

لقد قلنا من قبل إن جبابرة العقول هؤلاء الذين يأبون إلا أن يكونوا علماء وسادتنا ليصرفوا عقولنا ويغيروا عقائدنا ويصلحوا آدابنا ويدخلونا في مساخط الله ويهجموا بنا على محارمه ويركبونا معاصيه - إن هم في أنفسهم إلا عامة جهلة وحمقى إذا وزنوا بعلماء الأمم وقيسوا إلى حكماء الدنيا، وما يكتبون للأمة في نصيحتها وتعليمها إلا ما يتحول من كلمات وجمل في الصحف والكتب إلى أن يصيروا في الواقع فساقا وفجرة وملحدين وساخرين ومفسدين، فالمصيبة فيهم من ناحية العلم الناقص في وزن المصيبة بهم من ناحية الخلق الفاسد، وهاتان معا في وزن المصيبة الكبرى التي يجنون بها على الأمة لتهديمها فيما يعملون، وتجديدها فيما يزعمون...»^(٣١).

ويسخر الرافعي مما ساد عصره - بدعوى التجديد والانفتاح - من فوضى النشر، واستهلاك الكتابة، حتى أصبح كل من يكتب ينشر له، وكل من ينشر له يعد نفسه أديبا، وكل من عد نفسه أديبا جاز له أن يكون صاحب مذهب، وأن يقول في مذهبه، ويرد على مذهب غيره .. حتى شاعت كلمات ضخمة تدور في الصحف بين الأدباء .. منها قولهم : أدب الشيوخ وأدب الشباب، ودكتاتورية الأدب وديمقراطية الأدب، وأدب الألفاظ، وأدب الحياة، والجمود والتحول، والقديم والجديد، ثم ماذا وراء ذلك من أصحاب هذه





يا شباب العرب

مصطفى صادق الرافعي

يا شباب العرب، لم يكن العسير يعسر على أسلافكم الأولين، غلبوا الدنيا لما غلبوا في أنفسهم، معنى الفقر، ومعنى الخوف، ومعنى المستحيل، وقد اخترعهم الإيمان اختراعاً نفسياً علامته على كل منهم: لا تذل.

يا شباب العرب، كانت حكمة العرب التي يعملون عليها: اطلب الموت توهب لك الحياة، والنفس إذا لم تخش الموت كانت غريزة الكفاح أول غرائزها تعمل .

أيها المسلمون، نهضت فلسطين تحل العقدة التي عقدت لها بين السيف والمكر والذهب . عقدة سياسية خبيثة فيها لذلك الشعب الحر قتل وتخريب وفقر .

عقدة الحكم الذي يحكم بثلاثة أساليب، الوعد الكذب، والفناء البطيء، ومطامع يهود المتوحشة . ليست هذه محنة فلسطين، ولكنها محنة الإسلام، يريدون أن لا تثبت شخصيته العزيرة الحرة .

كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليجاهد أيضاً .

أولئك إخواننا المجاهدون، ومعنى ذلك أن أحلافنا هي حلفاؤهم في الجهاد .

ابتلوهم باليهود يمرون فيهم مرور الدنانير بالربا الفاحش في أيدي الفقراء!!

لو صام العالم الإسلامي كله يوماً واحداً، وبذل نفقات ذلك اليوم لفلسطين لأغناها .

المذاهب ؟ وراء ذلك أن منهم أبا حنيفة ولكن بغير فقه، والشافعي ولكن بغير اجتهاد، ومالكا ولكن بغير رواية» (٣٢) .

لقد كان الرافعي - رحمه الله - حريصاً على تجديد أصيل، يصون للأدب العربي شخصيته، ويحفظ عليه خصائصه في البيان والفكر، لا تجديد يزهد روحه، ويغيب أصالته وملامح وجهه، تجديد لا يعتدي على عقيدة الأمة وأخلاقها، ولغتها، بل ينطلق منها ليحلق بعد ذلك في سماء الإبداع والتجديد ما شاء أن يحلق، بل هو لن يحلق أصلاً بغير ذلك، لأن المقلد لا يحلق، لأنه تابع غير متبوع، ولا حق غير ملحق، والتقليد «لا يكون إلا في الطبقات المنحلة، وصناعة التقليد وصناعة المسخ فرعان من أصل واحد» (٣٣) .

رحم الله الرافعي رائداً عظيماً من رواد الأدب الإسلامي في الإبداع والتنظير النقدي، وفي الدفاع الحار عن أصالة الكلمة ونبل الفكر، وشرف التعبير. ■

الهوامش:

- (١) وحي القلم ٢١٠/٣، طبعة المكتبة العصرية، لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٢) السابق: ٢٤٣/٣.
- (٣) السابق: ٢٠٣/٣.
- (٤) السابق نفسه .
- (٥) السابق: ٢٠٥/٣.
- (٦) السابق: ٢٠٦/٣.
- (٧) السابق نفسه .
- (٨) السابق: ٢١٦/٣.
- (٩) السابق: ٢٠٧/٣.
- (١٠) السابق نفسه .
- (١١) السابق: ٢٠٩/٣.
- (١٢) السابق نفسه .
- (١٣) انظر الشعر والشعراء: ٦٥/١.
- (١٤) انظر البيان والتبيين: ١١٣/٢.
- (١٥) وحي القلم: ١٧٢/٣.
- (١٦) السابق: ١٧٥/٣.
- (١٧) السابق: ٢٠٩/٣.
- (١٨) السابق: ٢١٥/٣.
- (١٩) السابق: ٢٢٨/٣.
- (٢٠) السابق: ٢٣٣/٣.
- (٢١) السابق: ٢٣٢/٣.
- (٢٢) السابق: ٢١٠/٣.
- (٢٣) السابق: ٢٢٠/٣.
- (٢٤) السابق: ٧/٢.
- (٢٥) السابق: ١٦٧/٣.
- (٢٦) السابق: ١٩٧/٣.
- (٢٧) السابق: ٢٢٩/٩.
- (٢٨) السابق نفسه .
- (٢٩) السابق نفسه .
- (٣٠) السابق: ٢٣٧/٣.
- (٣١) السابق: ٢٣٦/٣.
- (٣٢) السابق: ١٩٧/٣.
- (٣٣) السابق: ١٦٧/٣.

أسلوب الرافعي الأدبي في تناول التاريخ الإسلامي

كان لنا أن نتوقع أن يكون التركيز عند مصطفى صادق الرافعي منصبا على تاريخ الأدب العربي، وهو لون من الأدب، كما أنه لون من التاريخ، لكننا لا نستطيع أن نعالجه على أنه طريق كاف للاستدلال به على مفهوم الرافعي للتاريخ، وعلى منهجه في تناوله .

بيد أن ذلك لا يعني أن تراث الرافعي قد خلا من التعامل مع التاريخ، بمعناه المعروف لدى أصحابه، ولا سيما في مفهومه الحديث، وهو أنه التاريخ الحضاري الذي يرصد التاريخ السياسي والعسكري، لكنه لا يغفل تاريخ الأفكار ولا المذاهب، ولا النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .





في ثلثمئة مجلد . وذكر الشعراني في كتابه (المنن) تفسيراً قال: إنه في ألف مجلد (١) ... وهو يرى أن حظ التاريخ من هذه المجلدات كبير . ومن المعروف أن كثيراً من الباحثين في إعجاز القرآن قد جعلوا حديث القرآن عن قصص الأنبياء والأمم السابقة من وجوه الإعجاز، التي يتحدى بها، لكن الرافعي مع اهتمامه بالجانب القصصي في القرآن، ضمن الوجوه التي عرض



بقلم: د عبدالحليم عويس
مصر

لها، لم يذهب إلى أنه وجه من وجوه التحدي، فالقرآن لم يهدف إلى أن يكون كتاب تاريخ، كما لم تكن المعاني التاريخية مقصداً من مقاصده، مع أن ما جاء فيه من التاريخ حق وصدق، لا يتطرق إليه شك، كما أن القرآن عني بالقضايا الكلية، والحقائق الثابتة، والنظريات العامة، التي لا تحتمل اختلافاً ولا افتراقاً^(٢)، وهو الأمر الذي وقع فيه كتاب العهد القديم، مما عرضه لكثير من النقد والتجريح^(٣).

وعلى الرغم من أن الرافعي لم يعد الجانب القصصي ضمن الوجوه التي رد الإعجاز إليها، فإنه بسط القول في ظاهرة التكرار في القرآن الكريم.

وقد ناقش الرافعي رأي القدامى، كالجاحظ وأبي هلال العسكري، حول ظاهرة التكرار، مبيناً أن ما ذهبوا إليه من أن التكرار في القصص القرآني لم يكن يصار إليه إلا مع بني إسرائيل لضعف أفهامهم وقلة بصيرتهم، بينما لم يستعمل في خطاب العرب لذكائهم وفطنتهم وعدم احتياجهم إلى ذلك، حكّم فيه قصور، ورأي يحتاج إلى توضيح، لأن اليهود كان منهم البلغاء، وفيهم الفصحاء، ولم يكونوا من العي والغباوة كما يتصور، ثم يقرر الرافعي أن هذا التكرار الوارد في القرآن إنما هو في الحقيقة سر من أسرار

لكن شيئاً أساسياً يجب أن نشير إليه في تعامل الرافعي مع وقائع التاريخ، فالرافعي لم يستطع قط أن يتخلص من بيانه المشرق، وقدرته البلاغية، وأسلوبه المتميز، الذي يكاد يعرف به دون أن يذكر اسمه إلى جانبه، وهو بحق - كما قال سعد زغلول : " بيان كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم " .

صياغة الوقائع بيانياً وتربوياً

وقد اهتم الرافعي بالتاريخ من جوانب عدة على رأسها : إعادة صياغة الوقائع بطريقة بيانية تربوية، تترك تأثيرها في القلب والعقل معاً، وثانيها: الدفاع عن التراث العربي الأصيل، الذي تقوم عليه النهضة الإسلامية، وثالثها : رصد النهضة العلمية في التاريخ الإسلامي، بدءاً من زمن بني أمية، ومروراً بعصور التاريخ الإسلامي التالية، ورابعها : معالجة القصص القرآني، الذي كان الرافعي يرى أن جهوداً كثيرة قد بذلت فيه، وأن هذه الجهود قد ضاعت، وهو يضرب مثلاً على ذلك بما ورد في بعض الروايات من التاريخ من أن أبا علي الأسواري القاص البليغ، فسر القرآن بالسير والتواريخ ووجوه التأويلات، فابتدأ في تفسير سورة البقرة، ثم ما لبث يقص سناً وثلاثين سنة، ومات ولم يختمه، وكان ربما فسر الآية الواحدة في عدة أسابيع، لا يني ولا يتخلف، وليس في هذا الخبر شيء من المبالغة أو التزديد، بل عسى أن يكون الأمر مع أهل التحقيق والاطلاع أبلغ منه، وهذه كتب التفسير التي عدها صاحب (كشف الظنون) وسرد أسماءها في كتابه، تبلغ ثلثمئة ونيفا، والرجل إنما عد بعضها كما يقول (.....) . وذكر الفيلسوف (أرنست رنان) أنه وقف على ثبت يدل على أنه قد كان في إحدى مكتبات الأندلس التي أحرقت تفسير للقرآن

قدمها إلى جامعة فؤاد الأول (القاهرة) تحت عنوان : الفن القصصي في القرآن، ويجد مؤيدين ومدافعين عن مزاعمه التي يذهب فيها إلى أن الأحداث التاريخية في القرآن، التي وردت عن أحوال الأمم الماضية، لم تكن جديدة، وأن معظمها كان معروفا لأهل الكتاب، وأنها جاءت مخالفة لوثائق التاريخ ... وفي الوقت نفسه كان طه حسين يطعن في قصة إبراهيم وإسماعيل وبناء الكعبة، في التوراة والقرآن معا (والقرآن هو المقصود) ..

في هذا الوقت ظهر مصطفى صادق الرافعي مزودا بأسلحة قوية، زوده الله بها، ليتمكن من الوقوف في وجه هذا الزحف، الذي يحاول مسخ القديم كله، وضرب الثوابت كلها، ونسف التاريخ العربي والإسلامي ..

ومن هنا لجأ الرافعي إلى الوقائع التاريخية، التي تمتلئ بصفحات رائعة، وأخذ يبرزها، وكأنه يكشف لنا

بعض جوانب فلسفة التاريخ الإسلامي العظيم، وهو ذلك التاريخ الذي يمتزج فيه عمل الدين بالدنيا . وشرح الإيمان على الحياة .

وبينما كان جورج زيدان يحاول تشويه تاريخ الإسلام من خلال سلسلته المعروفة « روايات تاريخ الإسلام » القائمة على التدليس وتحريف الوقائع، وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً اقتصادياً ودينياً، بعيداً عن الغايات الإيمانية، كان الرافعي من خلال ما أورده في كتابه (وحي القلم) بخاصة يعيد الأمور إلى نصابها، ويكشف الأعماق الإيمانية في حركة المسلمين في التاريخ، وكيف أنها كانت الدافع الأساس، والهدف الأسمى، وأن ما أفاء الله به على المسلمين إنما كانت نتيجة لا سببا، وثمره لا جذرا، ومنحة ربانية للذين خلصت نياتهم، وقدموا أعمالهم خالصة لوجهه تعالى .

الأدب العبراني، جرى القرآن عليه في أكثر خطابهم خاصة ليعلموا أنه وضع غير إنساني، وليحسوا معنى من معاني إعجازه فيما هم بسبيله، كما أحس العرب فيما هو من أمرهم^(٤).

فالرافعي إذن لا يخالف الجاحظ فيما قرره من وجود التكرار في الآيات التي خوطب بها بنو إسرائيل، ولكنه يخالفه في التعليل لذلك، فالجاحظ يرده إلى قلة أفهامهم، والرافعي يعلل -كما رأينا- بأن القرآن خاطبهم بما يعرفون، فالتكرار ضرب

من ضرور بلاغتهم، ولون من ألوان أدبهم، ولم يكونوا من الغفلة والسذاجة كما يظن، وإن فيهم لتكلمين وإن منهم لشعراء، والخطاب في القرآن كله يسمعه العرب واليهود جميعاً، فلا هؤلاء ينكرون من أمره ولا أولئك^(٥).

أما بالنسبة للجانب الأول الذي يعد -بالنسبة لبحثنا- معلماً أساساً في تقويم منهجية الرافعي في تعامله مع التاريخ، فالحق أن الرافعي لم

يستطع إلا أن يكون الرافعي في بيانه وبلاغته، وإضافته على الواقعة التاريخية كثيراً من إشراقات نفسه، وفقهه بالبيئة الإسلامية وبالمناح الإسلامي بصفة عامة.

توقيت ظهور الرافعي

والحقيقة أن الرافعي جاء في وقته المناسب، فقد كانت السنوات التي تألق فيها فكره سنوات مضطربة، يقوم فيها الصراع على أشده بين دول عربية وإسلامية ابتعدت عن القرآن، وابتعدت عن الحقيقة الإسلامية، وبين قوى صهيونية كانت قد أقامت الجامعة العبرية في فلسطين، وبدأت تضع الأسس التوراتية موضع التطبيق، لتقييم دولة يعقوب (إسرائيل) على أساس الفكر التوراتي التلمودي، وبينما كان محمد أحمد خلف الله يطعن في القصص القرآني، في أطروحته التي



الجاحظ



لقانون الجاذبية في الكواكب (٦).

وينتقل الرافعي من الحديث العام عن ظاهرة النبوة، وعملها في الحياة، إلى الحديث عن نبي الإسلام، محمد ﷺ وهو

يرى أن الإنسانية، عندما ظهر محمد، كانت تريد امتداداً غير امتدادها التجاري في الأرض، وتحتاج إلى معنى، يقود إنسانها غير الحيوان، الذي فيه، وما كان لإنسانية العالم أن تصل إلى ذلك، إلا إذا عاشت مع نبيها الطبيعي، نبي أخلاقها الصحيحة، وأدائها العالية، ونظامها الدقيق، وأين تجد هذا المحبوب الأعظم إلا في محمد، ودين محمد؟! وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبي العظيم خمس مرات في الأذان، كل يوم ينادى باسمه الشريف ملء الجو، ثم

حكمة ذكره في كل صلاة من الفريضة والسنة والنافلة، يُهمس باسمه الكريم ملء النفس! وهل الحكمة من ذلك إلا الفرض عليهم ألا ينقطعوا من نبيهم ولا يوماً واحداً من التاريخ، ولا جزءاً واحداً من اليوم، يمتد الزمن مهما امتد والإسلام كأنه على أوله، وكأنه في يومه لا في دهر بعيد، والمسلم كأنه مع نبيه بين يديه، تبعته روح الرسالة، ويسطع في نفسه إشراق النبوة، فيكون دائماً في أمره كالمسلم الأول الذي غير وجه الأرض (٧).

ويتتبع الرافعي شخصية الرسول ﷺ من جوانبها المختلفة مازجاً بينها وبين حقيقة الإسلام، ولهذا جمع المسلمون بين كلام الله في كتابه وكلام رسوله، كما يتلقون الحكم النافذ المقضي، وحققوا في كماله ﷺ وجودهم النفسي، فكانوا من زخارف الحياة وباطلها، في موضوع الحقيقة الذي يرى فيه الشيء لا شيء، ورأوا في إرادته ﷺ النقطة

● عجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبي العظيم خمس مرات في الأذان.



جورجي زيدان

وكانت الوسائل عندهم كالغايات، فهي شرفها وأبعادها الإنسانية، ولم تكن الغاية عندهم تبرر الوسيلة.. فلحروبهم آداب لا يستطيع المحارب المسلم أن يخرج عليها، والكلمة عندهم عهد وميثاق، وجزء من دينهم، والحياة الاجتماعية عندهم تقوم على التراحم، وتقوم على الغايات الإسلامية كما طبقها إمام المتقين، صاحب السيرة العطرة، رسول الله، محمد ﷺ.

الرافعي والسيرة النبوية

إن الرافعي لا يتحدث عن النبي محمد ﷺ، ولا عن ظهور الإسلام وفلسفته كما يتحدث أساتذة التاريخ، وكتاب السير، بل يتحدث مازجاً بين ظاهرة الوحي والظواهر الكونية

الكبرى، واضعاً النبي في موضعه الصحيح، فمحمد وجد في الإنسانية ينبوعاً للنور المسمى بالدين، كما تطلع الشمس بأنوارها، فتفجر ينبوع الضوء المسمى بالنهار، وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها، وليس النبي إنساناً من العظماء يقرأ تاريخه بالفكر معه المنطق، ومع المنطق الشك، ثم يدرس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة، ولكنه إنسان نجمي يقرأ بمثل «التلسكوب» في الدقة، معه العلم، ومع العلم الإيمان، ثم يدرس بكل ذلك على أصول طبيعته النورانية وحدها.

والحياة تنشئ علم التاريخ، ولكن هذه الطريقة في درس الأنبياء صلوات الله عليهم تجعل التاريخ هو ينشئ علم الحياة، فإنما النبي إشراق إلهي على الإنسانية، يقومها في فلکها الأخلاقي، ويجذبها إلى الكمال في نظام هو بعينه صورة

قد ظهر في عصرنا من يفكر في الصعود إلى القمر، ومن يعمل للمخاطبة مع الأفلاك، فذلك شيء خاضع للوسائل والأسباب، وبينه وبين المعجزة ما بين السماء والأرض، ولاسيما أن المعجزة حصلت في عصر، لا وسائل فيه ولا أسباب، ولهذا صح تعليق أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة عندما اختلف مع الرافعي حين حاول أن يقارن بين



د. مصطفى الشكعة

معجزة الإسراء والمعراج وبين المنهج العلمي، وما وصل إليه البشر حديثاً^(١٠).

وتحت عنوان (الإنسانية العليا) يواصل الرافعي حديثه عن شخصية النبي ﷺ فيصفه بأنه كان متواصل الأحزان دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وكان خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، من رآه بديهته هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

ولو جمعت كل أوصافه ﷺ ونظمتها بعضها إلى بعض، واعتبرتها بأسرارها العلمية - لرأيت منها كونا معنوياً دقيقاً قائماً بهذا الإنسان الأعظم^(١١).

وهل ينبئك مجموع صفاته ﷺ إلا أنه يعيش معيشة القلب إذا اختلف ما حوله، وفجأته بغتات الوجود، فتجاوز أن يكون منبعاً للحياة إلى أن يكون حافظاً للحياة في منبعها.

وفي النهاية يرى الرافعي أنه: على هذا النمط يجب أن تفسر كل أوصافه ﷺ فهي بمجموعها طابع إلهي على حياته الشريفة، يثبت للدنيا بكل برهانات العلم والفلسفة: أنه الإنسان الأفضل،

الثابتة فيما يتضارب من خيالات النفس، فكانوا أكبر علماء الأخلاق على الأرض، لا من كتب ولا علم ولا فلسفة، بل من قلب نبيهم وحده^(٨).

ويقف الرافعي عند موت خديجة، زوج النبي ﷺ مع إلماعته إلى الدور الذي قامت به في فترة المحنة المكية، وكيف أنها كانت قلباً مع قلبه، كما كانت لنفسه كقول "نعم" للكلمة الصادقة التي يقول لها كل الناس

"لا"، وبموتها خرج النبي من أيام الاستقرار في أرضه إلى الأيام المتحركة في هجرته، مرة يذهب إلى الطائف فينالها منها ما هو معروف، ومرة يلتقي بالأشراف الوافدين وسفهانهم فلا يجد منهم إلا معاني الظلم والشر، أو يلتقي بالأشراف الذين يذهب إليهم في رحالهم، عارضاً نفسه عليهم، فلا يجد -غالبًا- إلا الصداقة لنفسه.

وهنا يأتي "الإسراء والمعراج"، أو حسب تسمية الرافعي "فوق الأدمية" وهي من خصائص نبينا محمد ﷺ، هذا النجم الإنساني العظيم، وهذا النور المتجسد لهداية العالم في حيرة ظلماته النفسية، فالنبي لا يكون نبياً حتى يكون في إنسانه إنسان آخر بنواميس تجعله أقرب إلى الملائكة في روحانيتها، وما ينزل إنسانه الظاهر من الإنسان الباطن فيه إلا منزلة من يتلقى ممن يُعطي، فذاك الباطن هو للحقائق التي لا تحملها الدنيا، وهذا الظاهر لما يمكن أن يبلغ إليه الكمال في المثل الإنساني الأعلى، ولولا ذلك الباطن ما استطاع نبي من الأنبياء أن يحمل هموم أمة كاملة، لا تضنيه، ولا تغيره، ولا تعجزه^(٩).

ولاشك أن الرافعي كتب في "الإسراء والمعراج" بدافع من إيمانه، وإن كان التسليم بالمعجزات لا يحتاج إلى العلم، فالمعجزة قدرة ربانية عليا تستعصي على قدرة البشر، ويجب أن تقبل كجزء من الإيمان قبل كل شيء، ولئن كان



كافية في الدلالة على رؤية الرافعي ومنهجيته في معالجة الباب الأول والأهم والأعلى من أبواب التاريخ الإسلامي، وهو السيرة النبوية، -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- فإن هناك جهوداً ماثوتة

في أثناء (وحي القلم) وغيره تتصل برؤية الرافعي ومنهجيته في معالجة قضايا التاريخ الإسلامي في عصوره المختلفة، "فاليمامتان" (١٥) التي صدر بها (أجزاء وحي القلم الثلاثة) تتصل بموقف من مواقف فتح عمرو بن العاص لمصر، اعتمد فيها الرافعي على خبر جاء في تاريخ الواقدي، ولئن كان الخبر الذي أثبتته الرافعي عن الواقدي لا يخلو من مأخذ عند بعض المؤرخين، إلا أن الرافعي اعتمد عليه في استنتاج قصة يؤكد فيها وقوف جيش عمرو بن العاص احتراماً ليمامتين جثمتا

وأنه الأقوى (١٢). وأنه

● لاشك أن الرافعي كتب في "الإسراء والمعراج" بدافع من إيمانه القوي بالله ورسالة نبيه ﷺ .

حسن العرض والاختيار وحول سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الأعظم محمد ﷺ يقول الرافعي: "كان النبي ﷺ على ما يصف التاريخ من

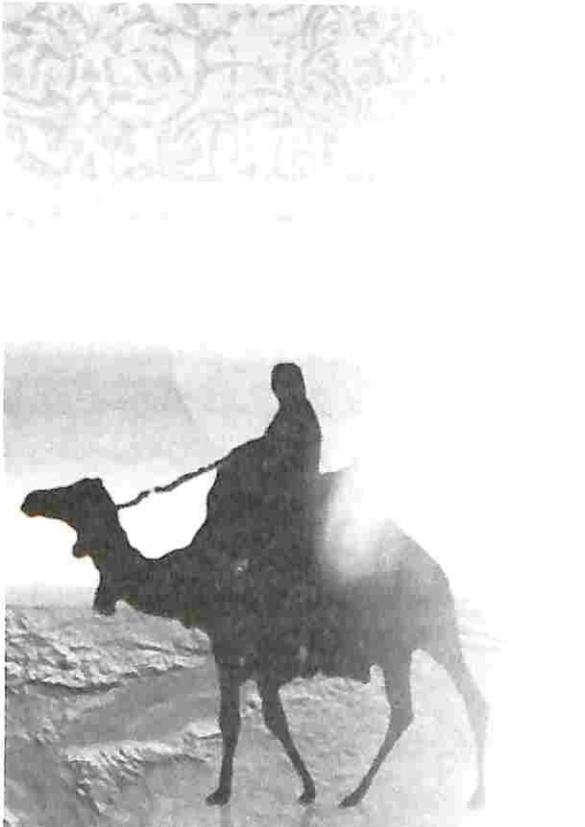
الفقر والقلة، ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء، فهو فقير لا يجوز أن يوصف بالفقر، ولا تناله المعاني النفسية التي تلو بعرض من الدنيا وتنزل بعرض، فما كانت به خلة تحدث هدمًا في الحياة فيرممها بالمال.

إن فقره ﷺ كان من أنه يتسع في الكون لا في المال، فهو فقير يعد من معجزاته الكبرى التي لم يتنبه إليها أحدٌ إلى الآن، وهو خاص به، ومن أين تدبرته رأيته في حقيقته معجزة تواضعت وغيرت اسمها، معجزة فيها الحقائق النفسية والاجتماعية الكبرى، وقد سبقت زمنها بأربعة عشر قرنًا، وهي اليوم تثبت بالبرهان معنى قوله ﷺ في نفسه: "إنما أنا رحمة مهداة" (١٣).

وهذا المصلح الاجتماعي الأعظم يلقي فقره اليوم درسًا على الدنيا العلمية الفلسفية، لا من كتاب ولا فكر، ولكن بأخلاقه وعمله وسيرته، إذ ليس المصلح من فكر وكتب، ووعظ وخطب، ولكنه الحي العظيم الذي تلتسمه الفكرة العظيمة لتحيا فيه.

ويعلق على هذه الكلمات أستاذنا الدكتور الشكعة بقوله: "لكأني بالرافعي يريد أن يغمز بعض المذاهب الاجتماعية المعاصرة، المنبثقة من أفكار مكتوبة، لها بريق يجلب الأنظار، ولكنها عند التطبيق لا تؤتي الثمرة التي أرادت الفكرة أن تتمخض عنها، ذلك أنها أرضية، أما فلسفة محمد وإصلاحه الاجتماعي فمستمدة من السماء" (١٤).

وإذا كانت هذه الومضات التي أشرنا إليها



النفوس الكريمة التي سيطرت عليها قيم الإسلام، فوقفت بقيمها في وجه تقلبات الزمان .

ومن الدولة الطولونية، التابعة للعصر العباسي يضع الرافعي يده على قصة تتصل بأحمد بن أيمن، كاتب ابن طولون مع مسلم بن عمران، التاجر الأديب، ومن هذه القصة يتضح أن المرأة الدميمة



سعيد العريان

تستطيع أن تكون أفضل زوج عندما تصبح ملائكية الأخلاق، ولهذا جاءت القصة تحت عنوان « قبح جميل »^(١٨).

ومن العصر العباسي المتصل بالدولة الطولونية يرصد الرافعي قصة أبي الحسن بنان الحمال الواسطي، شيخ الديار المصرية المتوفى سنة ٢١٦ هـ، والذي ذهب في تعنيف أحمد بن طولون، وهو يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر لدرجة طاش معها عقل ابن طولون فأمر بإلقائه إلى الأسد ليبتلعه، واجتمع الناس ليروا هذا المشهد الرهيب، لكن الأسد الجائع أقبل على الشيخ يحتك به، يلحظه، ويشمه، كما يصنع الكلب مع صاحبه الذي يأنس به، وكأن الأسد يعلن أن هذه ليست مصالوة، بين الرجل التقى وبينه، ولكنها مبارزة بين إرادة ابن طولون وإرادة الله .

وبعد أن انصرف الأسد سأل ابن طولون الشيخ " ما الذي كان في قلبك، وفيم كنت تفكر؟ فقال الشيخ^(١٩) لم يكن عليّ بأس، وإنما كنت أفكر في لعاب الأسد، أهو طاهر أم نجس !!!؟

وأخيرا نشير إلى قصة من العصر المملوكي، تناولها الرافعي بأسلوبه الأدبي الرائع وهي القصة المعروفة، والتي قام فيها سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ببيع أمراء المماليك والوقوف ضدهم، وأخذ فائض أموالهم منهم قبل الدخول في موقعة عين جالوت، فكان ذلك من أكبر أسباب النصر، وقد وضع لها الرافعي عنوانا هو: « أمراء للبيع »^(٢٠).

على فسطاط عمرو، فأوقف عمرو الجيش حتى لا يروع اليمامتين، مستنتجا من هذه القصة الرائعة، التي دار فيها الحوار بين أرمأنوسة بنت المقوقس عظيم القبط في مصر، ومارية القبطية وصيفتها أروع المعاني الدالة على رحمة الفاتحين المسلمين وسمو إنسانيتهم!!.

وقد ذكر الأستاذ سعيد العريان أن قسيساً في المغرب أسلم بسبب هذه القصة.

ومن التاريخ الأموي يلتقط الرافعي ثلاث قصص باللغة الروعة: أولاها عن ذلك المفتي الأسود، الأعور، الأفطس، الأشل، الأعرج، المفلغل الشعر الذي كان خلفاء بني أمية لا يأتونون غيره على الفتوى في مواسم الحج وهو عطاء بن أبي رباح، الذي ولد سنة ٧٢ هـ، ومات سنة ١١٥ هـ، وهو عند الناس أَرْضَى أهل الدنيا، ومن أزهدهم.

وأما حديث القصة الثانية فهو الحديث المعروف، الذي يتصل بسعيد بن المسيب، فقيه أهل المدينة الذي رفض أن يزوج ابنته لولي عهد عبد الملك بن مروان، الوليد وتحمل في ذلك غضب بني أمية، وزوجها لتلميذه الفقير أبي وداعة.

وقد بسط الرافعي القصة بأروع أسلوب في أكثر من عشرين صفحة^(٢١)، وقد ختمها بقوله على لسان سعيد بن المسيب: أف! أف! أتريدون أن أزوج ابنتي من ابن أمير المؤمنين فيخزيها الله على يدي.. أزوجها رجلا تعرف من فضيلة نفسها سقوط نفسه، فتكون زوجة جسمه ومطلقة روحه في وقت معاً؟ ألا كم من قصر هو في معناه مقبرة، ليس فيه من هؤلاء الأغنياء، رجالهم ونسائهم - إلا جيف، يبلي بعضها بعضاً!^(٢٢)

ومن هذا التاريخ الاجتماعي أيضا قصة زوجة إمام، وتدور حول علاقة الزوجة سيئة الخلق بزوجها الذي يحلم عليها، فلا تزداد إلا تماديا !! ونحن نلاحظ أن هذه القصص تتصل بالحياة الاجتماعية والتربوية التي تكشف عن معدن



سامف الباروفف فف بعث الشعر المعاصر؁ ففن أنقذ الباروفف هفا الشعر من هوة الركاكة والسطففة؁ وفسفق المحسنا؁ وارفع به إلى مسفوى الشعر العباسف؁ ففء عارض الفحول من السابقف ولم فكد ففءلف عنهم فف إبداعه الرائع .



شكفب أرسلان

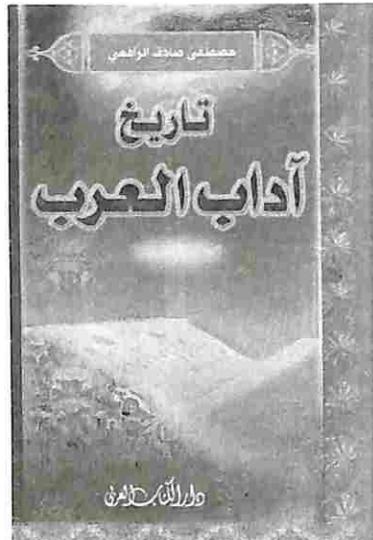
ولئن جاءنا الفوم من فقول لنا " إن الرافف فف ففءابه " فارفء آءاب العرب" قد فرء عن فءوء هفا الفارفء إلى فءوآ آفرى؁ ثم فقرنه بباءآ آف فءه بسففن عاماف فأن رءنا عفله أن هفا هو فبن فائر مععمء مقصوء؁ لأن المسألة بهذا الفارق الزمف؁ من الوضوح ففء لا فءمفل اللجاج .

علف أن بعض الففن فضفقون بالفءاب الآن؁ إنما فضفقون به لأسلوبه البفانف؁ فالرافف فف فءابفه فاحظف فف أسلوبه؁ ففهم بالففبافة العربفة؁ اهماماف فرفع بفارؤه؁ ولا فحاول أن فهبط إلى مسفوى الأسلوب الصءافف العام (٢٤) .

وفف رأفنا أن هفا لا فحسب علف الرافف؁ بل فحسب له؁ فهفا أسلوبه الفف فمفز به فف كل فءابافه؁ ما ففصل منها بفارفء السفرة؁ أو الفارفء العام؁ أو فارفء العلوم؁ ففصلا عن فارفء الآءب؁ وكما كان للرافف أسلوبه؁ كذلك كان لعباس العقاد أسلوبه؁ ولأحمد حسن الزفان أسلوبه؁ ولمصطفف لطفف المنفلوطف أسلوبه؁ وكلهم حاولوا أن فعبءوا للبفان العربف رونقه وعظمفه فف فجه العجمة الزاحفة؁ والأسلوب الصءافف الضعفف .

وأففرا

ها هوذا (مصطفى صاءق الرافف) فععمء فمزن فءابه (فء رأفة القرآن) مقالة لأمفر البفان شكفب أرسلان مءارها أن



القرآن الكرفم سر النهضة الإسلامفة

وفف فءلفه وعرضه للنهضة العلمفة الإسلامفة فف شفف فروعها عبر الفارفء؁ فعزو الرافف هفه النهضة إلى القرآن الكرفم؁ مؤكءا أن القرآن الكرفم كان سبب العلوم الإسلامفة ومرجعها كلها؁ وأنه ما من علم إلا وقد نظر أهله فف القرآن الكرفم؁ وأخذوا منه مءة علمهم؁

أو مءة الففة له؁ معللا ذلك بأن سطفوة الناس فف الأففال الأولى - من العامة وأشباء العامة - كانت شءفءة علف أهل العلوم النظرفة؁ إلا أن فجعلوا بفنهما وبفن القرآن نسبا (٢١) .

وكما فءلم المفسرون فف القرآن؁ وفءلم الأصولفون؁ وفءلم البلافون؁ فذلك فلمء طائففة ما فف القرآن من قصص القرون السالففة والأمم الفالففة؁ ونقلوا آءبارهم؁ وءونوا وقائفهم؁ فءف ذكروا بءء الفنا؁ وأول الأشياء وسموا ذلك بالفارفء والقصص (٢٢) .

وفذكر الرافف أن النهضة العلمفة كانت قائمة بأكثر العلوم الإسلامفة فف عهد بنف أمفة؁ فءف امفءه أبو جعفر المنصور؁ ثم الرشفء من بءه للنهضة العباسفة الكبرى؁ الفف نشأء من جمع كلمة أهل الفقه والفءفء بءء انشقاقهم زمنا؁

واففراق الكلمة بفنهم - ومن فقبال الناس علف الطلب والاسفعباب؁ فكان ذلك فهفئة لانشقاق علوم الفلسفة والفءام وما إليها؁ وظهور أهلها؁ وانفاز السنة عنها فانباف؁ ثم اجفماعها علف مناظرتها (٢٣) .

وبالنسبة لجهود الرافف فف فارفءه لمسفرة الآءب العربف؁ فأننا فففق مع أسفاننا الفءفور محمد رجب البفومف فف أن جهود الرافف فف الفارفء للآءب العربف؁ فءءل جهود محمود

وقد خلط منهم من خلط في معرض التمهيص ولكن نبه المتدققون منهم على أنهم خلطوا .

فعندما يقوم واحد فيذهب إلى أن تاريخ حرب اليمامة محاط بالغموض، وأن مقاتلة أبي بكر لأهل الردة لم تكن من أجل إقامة الدين، بل من أجل تأسيس الملك، وما أشبه ذلك من التوجيهات التي لم يبق عليها أدنى دليل، نعلم أنه حاول أن ينهج مناهج المحصنين فظن التمهيص مجرد الخروج عن الإجماع ولو كان الإجماع صحيحا، فلم يصب المرمى .

وفي النهاية يلتقي أرسلان والرافعي في توجيه هذا النداء إلى هؤلاء المتجرمين على التاريخ . قائلين لهم :

- يا إخواننا : إن التاريخ لا يكون بالظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا . فإن كنتم مع هذا تصرون على المخالفة لأجل المخالفة، فليس هذا مما يزيد الثقة بعلمكم، بل هو مما ينقصها، وبدلا من أن يضع العلم على قواعد اليقين، يضعه على قواعد أو هي من بيت العنكبوت (٢٥) . ■

(التاريخ لا يكون بالافتراض) (لأنها توافق رأيه في معالجة التاريخ) ... يقول أرسلان فيها :

« لقد ولع بعض الأدباء باتهام التاريخ الإسلامي الذي لدينا، وسلوك طريقة في التعليل لم يسلكها الأولون، ارتياء لوجوه جديدة وأسباب للحوادث لم تكن معروفة بحيث يقال إنهم كشفوا حقائق تاريخية لم يعرفها غيرهم، أو عرفوا أسراراً أعماها التاريخ الديني أو أعمتها السياسة وأهواؤها على الجمهور، ويسمون ذلك تمحيصا وتحقيقا، ويظنون أن التمهيص والتحقيق هما بمجرد المخالفة والخروج عما عليه الرأي العام، ولكننا نعرف التاريخ بالأدلة العقلية والنقلية، وملاحظة ما سبق وما لحق واستنباط النتائج من المقدمات، ولا نعرفه تخرصات، وافتراضات، وأبنية على غير أساس، فإن كان هذا هو التمهيص التاريخي، الذي يتوخى بعض العصريين أن يقلد به الإفرنج، فلا كان هذا التمهيص الذي هو عبارة عن قلب الحقائق لأجل الإتيان بالبدع، ويجل علماء الإفرنج عن أن يكون تمحيصهم من هذا النمط،

الهوامش:

- (١) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة التوفيقية، مصر، عام ١٩٩٧م، ص ١٢٦، ١٢٧ .
- (٢) د . فتحي عبد القادر فريد، بلاغة القرآن في أدب الرافعي، ص ١٠٦، ط دار المنارة بالقاهرة، ١٩٨٥ .
- (٣) انظر موريس بوكاي، الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث، نشر دار المعارف بمصر .
- (٤) بلاغة القرآن في أدب الرافعي، مرجع سابق، ص ١٠٦، ١٠٧ .
- (٥) المرجع السابق، ص ١٠٨ .
- (٦) مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الجزء الثاني، ص ٣ .
- (٧) وحي القلم، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ١٠ .
- (٨) الرافعي، وحي القلم، ج ٢، ص ١٥ - ١٥ .
- (٩) الرافعي، وحي القلم، ج ٢، ص ٣٢ .
- (١٠) د . مصطفى الشكعة، مصطفى صادق الرافعي، كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً، ط ٣، ص ١٢١، الدار المصرية اللبنانية عام ١٤١٩هـ، (وانظر الرافعي : وحي القلم ٢/٣٤ .
- (١١) الرافعي، وحي القلم، ج ٢، ص ٣٩ - ٤٠ .
- (١٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٢-٤٨ .
- (١٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٨-٤٩ .
- (١٤) مصطفى صادق الرافعي، كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً، ص ١١٩، مرجع سابق .
- (١٥) الرافعي، وحي القلم، ج ١، ص ١٧-٢٩ .
- (١٦) المرجع السابق، ج ١، ص ١٢٦ - ١٤٨ .
- (١٧) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٤٧-١٤٨ .
- (١٨) المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٨ - ١٧٩ .
- (١٩) المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٨ .
- (٢٠) المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٨ - ٦٦ .
- (٢١) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٢٢ .
- (٢٢) المرجع السابق، ص ١٢٨ .
- (٢٣) المرجع السابق، ص ١٢٠ .
- (٢٤) محمد رجب البيومي، تاريخ الأدب العربي للرافعي، دراسة في مجلة الأدب الإسلامي، العدد ١٣، رجب ١٤١٧هـ .
- (٢٥) مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن الكريم، المكتبة التجارية، ص ٩٦ .



ينتهي الرافعي إلى الاتجاه البياني المحافظ في الأدب، والذي اعتمد على استلهام النماذج الجيدة التي خلفتها عصور الازدهار الأدبي وجعل هذه النماذج قلباً للتعبير، وكان أساس هذا الاتجاه (اعتماد الفصحى في التعبير، ورفض العامية، وضرورة المحافظة على قوانين اللغة ومميزاتها الخاصة، ورفض التقليد والجمود والتكلف والتعقيد، وتطوير القيم التعبيرية المختلفة ..)^(١).

وكان أصحاب هذه المدرسة يعتقدون كغيرهم من أبناء هذه المرحلة أنهم أصحاب حضارة عريقة، وأن الحضارة الغربية فرضت على المجتمع في صورة غزو استعماري وكان أمراً طبيعياً أن ترفض فكرة الذوبان في هذه الحضارة محافظة على الهوية العربية والإسلامية . وتناولت موضوعاتهم مواجهة الدعوة إلى العامية والتصدي لعوامل التغريب المختلفة والدفاع عن اللغة العربية والدين الإسلامي والتراث الثقافي ومن أهم أعلام هذه المدرسة مصطفى لطفى المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي وعبدالعزیز البشري.

الخصائص الأسلوبية للمرافعي في وحي القلم

بقلم : د . مكارم الديري*
مصر



* استاذ مساعد ، قسم الأدب والبلاغة ، كلية دار العلوم ، جامعة الأزهر ، القاهرة

والرافعي من الذين نشؤوا في بيئة إسلامية خالصة تحفل بالدين وتقديس القرآن وتحفظه مما كان له أثر واضح في تشكيل فكره وتقويم أسلوبه وأصبح لديه بفضل حفظه للقرآن الكريم والحديث الشريف قدرة تعبيرية جيدة تبدو في دراسته لنظم القرآن الكريم بجانب الحديث الشريف بالإضافة إلى أنه خصص جانبا كبيرا من كتابه «تاريخ آداب العرب» لدراسة أساليب الحديث الشريف وبلاغته . بالإضافة إلى مقالاته في وحي القلم وخاصة مقاله «السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية» .

وأهم هذه الخصائص : ١ - المعجم اللغوي:

يضم المعجم اللغوي للرافعي حصيلة متنوعة من الألفاظ الجزلة التي تتميز بسلامة الجرس وجمال الإيقاع وقوة الإيحاء والتنوع في استخدام الدلالات المختلفة للألفاظ، وهي حصيلة لا بأس بها تطلعتنا على ثقافة لغوية واسعة ومقدرة فائقة على استخدامها، كما يضم معجمه اللغوي أيضا بعض الألفاظ الشعبية التي التقطها من العامة وجاءت على لسان أولاد البلد في مقالاته . والكاتب في تناوله لألفاظ اللغة العربية أكثر حرصا على استخدامها استخداما لغويا سليما وصياغتها صياغة أدبية رفيعة متحديا بها دعاة العامية في اللغة والأدب، وقد جاءت ألفاظه وتعبيراته موحية بدلالاتها المعنوية والجمالية فمثلا مقالته «الإشراق الإلهي»^(٢)، تضم العديد من الألفاظ الموحية المعبرة عن أثر الدين في حياة البشر كلفظ «الإشراق» الحركة والنشاط والتحول بفضل أشعة الشمس . وتضم المقالة أيضا ألفاظا موحية بالبعث والتحول والتغيير وهي قريبة من لفظ الإشراق مثل الشمس تفجر - ينبوع - التحول - الترقى - السمو .



مصطفى لطفى المنفلوطي

وفي مقالة «حقيقة المسلم»^(٣)، يوحى لفظ «أفرغ» بالتحول والانصهار للعنصر الكريم وإفراغه جميعا في النفس البشرية للتحول به نحو الأفضل . ويتحول الكاتب بدلالات الألفاظ الموحية بالكأبة كألفاظ «السواد» و«التراب» إلى معنى آخر يوحى بالتفاؤل والحياة كما في قوله عن رسول الله ﷺ «فالسواد الذي تراه في فقره ﷺ هو السواد الحي سواد الليل حول الروح النجمية الساطعة، والتراب : تراب الزرع تحت النضرة والخضرة»^(٤).

وهو حين يعبر عن الروح الشاعرة بمنحها رشاقة الألفاظ وانطلاقها فهي «طفل ملائكي فرح بالطبيعة يرى الكون في سمائه وأرضه انسجاما واحدا جمالا وسحرا وفتنة» .

وحين يعبر عن الحقيقة العلمية يعبر عنها بالألفاظ الوعرة المقيدة بألفاظ مثل: الخف والحافر، وأيضا قوله: «فمدى العقل قطعة من الحجر أو عظمة من حيوان أو نسيجة من نبات أو فلذة من معدن»^(٥).

وتتراشق ألفاظ الرافعي معبرة عن معاني الفرح أو الحزن وهو يكاد يستوفي لكل معنى من هذه المعاني ما يناسبها من ألفاظ .

ففرحة العيد تبدو في مرح الأطفال وانطلاقهم فيوحي للتعبير عنها بالوجوه النضرة والعيون الحاملة والأجسام الغضة والفجر المشرق على وجوههم^(٦) .

وهناك من الألفاظ الموحية بميلاد الجمال في الربيع: فالرياض منورة بأزهارها والطيور مغردة بألحانها والأشجار مصففة بأغصانها وهذه المظاهر جميعا تبدو في وجوه الأطفال في العيد^(٧) .

أما سطورته عن «وحي القبور» فتعبر عن أحاسيس نفس حزينة «فالعيون تأتي بدموعها» ،



واقعا من النفس المؤمنة موقع النعمة من شاكرها» (١٥).

ومن الاشتقاق عنده أيضا قوله :
تُحتقب في حقيبته، أو تُصندق في صندوق الأسفار (١٦).

ويأتي الرافعي أحيانا ببعض الأسماء الشائعة على لسان العامة في قصصه وموضوعاته فيسمى أولاد البلد مثلا في موضوعه عن «الطفولتان» باسم بعطيطي وبقلاظ (١٧).

ويضم أيضا إلى معجمه بعض ما ورد على لسان العامة في موضوعه «السطر الأخير من القصة» ألفاظ: أبويا، وما رضيتش، وعاوز، وليه ما طرتش (١٨). ولكن استخدامه لهذا النوع من الألفاظ كان نادرا. وأحيانا يرتقي باللفظ الفصيح إلى درجة الإغراب والصعوبة ويستخدم الأوزان الثقيلة لكلماته كقوله: استوفزت (١٩) وخبيصا والبيزازين (٢٠).

ويتعامل مع بعض الكلمات الأجنبية: كالسيما والتلفون ويأتي ببعضها على سبيل السخرية من المتشدين بها كقولهم: سكالنس أو الفلير أو النيرفز (٢١).

ويقوم بتعريب بعض الألفاظ الأجنبية على طريقته الخاصة كقوله عن السيجارة «الدخينة» والمايوه «التبان» في قوله: وطاف به الأسواق عاريا في تبان من الشعر وقد ذكره الجاحظ بسروال قصير يلبسه الملاحون (٢٢). وأطلق أيضا على الروب «المطرف» (٢٣).

ومعجمه اللغوي في مجمله يعتمد على اللفظ الجزل والصيغة المحكمة وهو من الذين يملكون ناصية اللغة الفصحى فينتقون من الحديث أطيبه ومن التعبير أسماءه.

٢ - التنوع الأسلوبي :

يتميز أسلوب الرافعي بالخصوبة والتنوع معتمدا على أسس ثرية من الأصول التراثية



عبدالعزیز البشري

«والنفوس تمشي بأحزانها»، «القلوب تجيء على بقاياها» وحديث من الكاتب عن الحياة الدنيا والآخرة فيه معنى الحكمة والاتعاظ (٨).

وسطور الرافعي تتخللها العبارات الموحية بالحكمة وهي كثيرة في كتابه، وتتسم بالعمق ونفاذ البصيرة والاتجاه نحو الفلسفة المستمدة من نواميس

الطبيعة وواقع الأشياء. وهو يسعى بها دائما نحو المثالية المنشودة، فهو يؤمن برسالة الأديب التهذيبية والتربوية نحو سمو المشاعر ورفيها ومن هذه العبارات الموحية: الثبات وهو: «قانون ضبط القوة وتصريفها على مقتضى الحكمة» (٩).

والإنسان فرد اجتماعي: «الفرد مقيد في ذات نفسه بمجموع هو للمجموع الكلي، وليس له وحده» (١٠).

وصغائر الحياة: «أحاطت بمجد الحياة لتثبت الصغائر أنها الصغائر وليثبت المجد أنه المجد» (١١).
«وحيف الغريزة على العقل إفساد لهذا العقل» (١٢).

والإيمان الصحيح: «هو بشاشة الروح وإعطاء الله الرضى من القلب ثقة بوعده ورجاء لما عنده» (١٣).
وكما نفذ الرافعي إلى جوانب الألفاظ واخترق مدلولها المعجمي إلى إحياءات ودلالات متنوعة نراه أيضا كلفا بتقليب اللفظ على وجوه مختلفة واستعمال التضاد، والاشتقاق اللغوي الطريف.

ومن أمثلة ذلك قوله: «ذهبت أزور أمواتي الأعداء وأتصل منهم بأطراف نفسي لأحيا معهم الموت ساعة أعرض فيها أمر الدنيا على الآخرة فأنسى وأذكر، ثم أنظر وأعتبر، ثم أتعرف وأتوسم، ثم أستبطن مما في بطن الأرض وأستظهر مما على ظهرها» (١٤).

وقوله عن رسول الله ﷺ: «فليس له إقوة أمر نافذ لا يتخلف، وأن له مع ذلك نسقا هادئا هدوء اليقين مبينا بيان الحكمة خالصا خلوص السر

والبلاغية السليمة، وثقافته اللغوية والأدبية شاملة مغترفة من ينابيع ثرية في محاولته الوصول بها إلى أداء بنائي متكامل متحديا بهذا الأسلوب دعاة العامية

مبينا لهم جمال اللغة وقوتها ومرونتها وسعة اشتقاقاتها، والكتابة بها في شتى الموضوعات الثقافية تراثية كانت أم عصرية، واعية بعيدة عن كل ما يمس الذات القومية أو يمس الهوية العربية السليمة .

وأهم ما يميز أسلوب الرافعي هو اتجاهه نحو «التوليد» مما جعل القدرة على التعبير عن الفكرة الواحدة بمعان وأساليب متعددة وتبدو هذه القدرة في استخدام مفردات اللغة من اشتقاقاتها وتضادات ومقابلات معنوية ولفظية وإيحاءات مجازية ويأتي ذلك في معظم مقالاته فمثلا في «وحي الهجرة» يقدم فكرته باستهلال رائع عن رؤيته لحقائق التاريخ بقوله: «إن التاريخ ليتكلم بلغة أوسع من ألفاظه إذا قرأه من يقرؤه على أنه بعض نواميس الوجود، صورت فيها النفس الإنسانية كيف اعتورت أغراضها، وكيف مدت في نسقها، وكيف تغلغت في مسالكها، وما تأتي لها فجرت به مجراها وما دفعها فانحدرت منه إلى مقارها» (٢٤) .

فهو تتبع واستقصى واعتمد على مفردات اللغة المختلفة لتأدية فكرته في محاولة لتوليد معان جديدة، منها أن التاريخ فنان بارع في تصويره للنفس البشرية: كيف اعتورت أغراضها ... وكيف مدت في نسقها .. وكيف ؟... فهو يأتي بوسائل تعبيرية مختلفة من الاستفهام والتعليل في سبيل تمهيده للموضوع .

ويحاول أيضا تقرير فكرته بالنفي والإثبات لتقديم صورة للجلد والثبات عند رسول الله ﷺ في

● حيف الغريزة على العقل إفساد لهذا العقل.

الرافعي

قوله: «إنه دائب يطلب ثم لا يجد، يعرض ثم لا يقبل منه، يخفق ثم لا يعتريه اليأس...» (٢٥) .

ويبدو أيضا اتجاهه نحو التوليد في قوله عن النوابغ: «وإذا كان

الجمال يستعلن في كلام هؤلاء النوابغ والخيال يظهر في تعبيرهم والحكمة تهبط إلى الدنيا في تفكيرهم والمثل الأعلى هم الداعون إليه والأشواق النفسية هم موقظوها...» فهذا كله إنما هو تأكيد لاتصالهم بالقوة الأزلية المدبرة... (٢٦) .

والتوليد يدفع الكاتب إلى التغلغل في دقائق المعاني وبواطن النفوس، ومنه ما يدفع به إلى معالجة قضاياها برؤية فلسفية ويبدو ذلك في قوله عن الشاعر: «والإنسان من يعيش في عمر واحد، ولكن الشاعر يبدو كأنه في أعمار كثيرة من عواطفه، وكأنما ينطوي على نفوس مختلفة يجمع الإنسانية من أطرافها» (٢٧) .

أما نظرتة للإنسان فهي نظرة تدعو للمثالية والارتقاء: «فالإنسان ذات تعمل أعمالها فإذا انتهت الحياة انقلبت أعمال الإنسان ذاتا يخلد هو فيها فهو من الخير خالد في الخير ومن الشر خالد في الشر فكان الموت إن هو إلا ميلاد للروح من أعمالها تولد مرتين آتية وراجعة» (٢٨) .

وهذا الاتجاه الفلسفي للكاتب في معالجة موضوعاته قد يتخذ أحيانا شكلا غامضا معقدا كقوله عن الإرادة: «الإرادة شيء بين الروح والعقل فهي وجودان، ولهذا يكون بهذا الإنسان بين وجودين أيضا، فيستطيع أن يعيش وهو في الدنيا كالمفصل عنها، إذ يكون في وجوده الأقوى وجود روحه وأكبر همه نجاحه في هذا الوجود» (٢٩) .

والاتجاه بالأسلوب نحو الفلسفة جعله يميل نحو الغموض مما جعل بعض الدارسين يعيبونه حتى قال عنه د . طه حسين في كثير من التحامل:



فالرافعي في وصف صورته السابقة يطبعها بمفهوم فلسفي رابطا بينها وبين ما هو معلوم للنفس من خفايا هذا العالم المتناهي في الغموض. وما هذه الشقوق المضيئة إلا تفسير ضعيف لبعض ما نعرفه من أسرار هذا العالم اللامنظور . ومعاني الكاتب في الوصف موحية بالشاعرية فمنظر الضوء المشع من هذه القناديل «كمنظر النجوم يتم جماله في الليل بإلقائه الشعل في أطرافه العليا والباس الظلام زينته النورانية» والمسجد في وقت السحر «يشعر بالحياة مخبوءة، ويحس في المكان بقايا أحلام» وحين تتحلل خيوط الظلام بضوء النهار «يشعر بالفجر في ذلك الغبش عند اختلاط آخر الظلام بأول الضوء شعورا نديا كأن الملائكة قد هبطت تحمل سحابة رقيقة تسمح بها على قلبه لينتصر من بيس ويرق من غلظة»^(٣٥) .

وهذه المشاعر الرقيقة هي انطباع عن جمال الطبيعة من خلال أحاسيس أديب مرهف صافي النفس غزير العاطفة بالإيمان الصادق . وهي أحاسيس تنساب في سهولة ولين كرقعة كلماته ونفاذاها إلى النفس .

ويتميز الرافعي أيضا بالقدرة على وصف الشخصيات وصفا دقيقا كقوله عن الجاحظ في مقاله «صعاليك الصحافة» : «رجل مربوع مشوه الخلق صغير الرأس دقيق العنق جاحظ العينين، تدوران في محجريهما دورة وحشية كأنما رعبته الحياة منذ كان جنينا في بطن أمه»^(٣٦) .

والكاتب في وصفه لعيني الجاحظ متأثر بوصف طرفة بن العبد لعيني ناقته وتصويرها بعيني البقرة الوحشية المذعورة من القناصة الذين أصابوا ولدها، ومن ثم فهم يطاردونها وذلك في قوله :

وعينان كالماوئتين استكنتا

بكهفي حجاجي صخرة قلت موردي

طحوران عوار القذى فتراهما

كمكحولتي مذعورة أم فرقد^(٣٧) .

في أنه يلد ولادة لا نتائج لها^(٣٠) . واتهمه أيضا د. أحمد هيكل في أسلوبه بالصعوبة والغموض الذي يصل أحيانا إلى حد الإلغاز^(٣١) .

ويدفع أيضا اتجاه الرافعي نحو التوليد إلى توازن العبارات ليسودها نوع من الإيقاع والجرس الذي يمنح الأسلوب جمالا، ويأتي ذلك عن طريق التضاد والفواصل بين الفقرات وتقليب اللفظ على وجوه مختلفة . مثل قوله عن أسلوب الرسول ﷺ : «وأن له مع ذلك نسقا هادئا هدوء اليقين، مبينا بيان الحكمة، خالصا خلوص السر، واقعا من النفس المؤمنة موقع نعمة من شاكرها»^(٣٢) .

كما أن الكون في نظره ﷺ ﴿ آية الحكمة لا آية الفن، ومنظر المستيقن لا منظر المتخيل، ومادة العبودية لله لا مادة التأله للإنسان ﴾^(٣٣) .

وهذا الاتجاه في توازن العبارات والإيقاع عن طريق الفواصل كثير في كتابات الرافعي وسمة من سمات أسلوبه .

٣ - الصور الوصفية:

يتميز أسلوب الرافعي بالقدرة على الوصف فهو يتمتع ببصر عميق وإدراك واع ودقة ملاحظة في نقل انطباعاته وأحاسيسه عن الناس والأشياء، ويعكس مقاله عن «قرآن الفجر» قدرة نافذة على وصف تلك اللحظات الأسيرة لله سبحانه وتعالى في المسجد وسماع القرآن، ويفوح أريجها بطل عطر صدره حب الله وطاقته، فينقل هذه الانطباعات بقلم أديب نافذ البصيرة فيقول : «وأقبل الناس ينتابون المسجد فأنحدرنا من تلك العلية التي يسمونها الدكة وجلسنا ننتظر الصلاة، وكانت المساجد في ذلك العهد تضاء بقناديل الزيت لكل قنديل زبالة يرتعش النور فيها خافتا ضئيلا، يبص بصيصا كأنه بعض معاني الضوء لا الضوء نفسه، فكانت هذه القناديل والظلام يرتج حولها تلوح كأنها شقوق مضيئة في الجو فلا تكشف الليل ولكن تكشف أسراره الجميلة»^(٣٤) .

شيء، وهي تعد تحديا صارخا في وجه الاندفاع الأعمى نحو كل ما هو غربي في ذلك الوقت.

٤ - الاتجاه القصصي:

اتجه الرافعي في أسلوبه إلى الشكل القصصي ليذهب الرتابة والملل عن القارئ ويقدم الفكرة بطريق غير مباشر، وهو راو مليح ومحدث ظريف، تتوافر في حكاياته بعض عناصر القصة الناضجة وتفتقد بعض هذه العناصر، فتتوافر في حكاياته عنصر الحكاية وهي مجموعة الأحداث مرتبة ترتيبا زمنيا، وتتوافر في حكاياته

صورة بنائها التي تعتمد على السرد، وتدور حول شخصية البطل، أو الفكرة التي تمثلها الأحداث. أما الشخصيات فيتخذها الرافعي من الشخصيات التراثية أو الحيوانات. وهو مصور بارع في رسم شخصيته بحيث يجسدها ناطقة عن طريق الحركات والسلوك أو الطباع والخلق.

أما الحبكة القصصية لدى الرافعي فهي واهية، وأحيانا تكون مفتعلة أو مفتقدة، وتكون الأحداث والأشخاص مجرد دور يؤدي من خلال السرد أو الحوار بلا أدنى غموض أو مشاكل أو مواقف في حاجة للتفسير. وهذا العنصر الأخير هو أهم عامل نجاح في القصة المكتملة العناصر. أما الفكرة عند الرافعي فهي متوافرة وهي هدف الرافعي الأول من حكايته وغالبا ما تعالج مشاكل اجتماعية أو ثقافية... ويبدو هذا الاتجاه في العديد من كتاباته في وحي القلم فيتوافر عنصر الحكاية والشخصيات في جميع ما كتبه على شكل قصص مثل مقاله عن «سمو الحب»^(٤٤). وفيه التفات إلى التراث واستلهام قيمه ومبادئه ليجعلها نموذجا حيا في علاج بعض

وفي وصفه للفتى المترف في مقال «الطفولتان» باللين والرقّة في قوله: «عصمت بن فلان باشا طفل مترف، يكاد ينعصر لينا، وتراه يرف رفيفا مما نشأ في ظلال العز، لروحه من الرقة مثل الشجرة وهو بين لداته من الصبيان كالشوكة الخضراء في أملودها الريان لها منظر الشوكة على مجسة لينة...»^(٣٨). والقدرة على وصف الشخصيات عند الرافعي نجدها تتلون أحيانا بين السخرية كمقاله السابق وبين الجد كمقاله عن عروس تزف إلى قبرها^(٣٩). ومن أساليبه عن المقلدين للغرب وملاحظة الفكر: «لم أنخدع قط في هؤلاء من فلاسفة أو دكاترة أو جبابرة. ولست أضع أمرهم إلا على حقه، فإني لأعرف أن الهر من قبيلة الأسد ولكن أسديته على الفأرية وحدها»^(٤٠).

ويتهكم أيضا تهكما مرا على هؤلاء المغتربين في قوله: «ولكن طاغور شاعر فيلسوف، وهم أنفسهم من لصوص كتبه وأرائه، ويقعون منه موقع السفسطة الفارغة من البرهان القائم، وإذا قيسوا إليه كانوا كالذباب تزعم أنفسهم نسور المزابل، ولكنها لا تكابر في أن من الهزؤ بها قياسها بنسور الجو»^(٤١).

ويتحدث عن لسان شيطان طه حسين هازئا بأن طه حسين يرى أنه من الخير أن لا يعرف هذا الهندي «طاغور» العربية لأنه لو عرفها لما أرضته»^(٤٢).

ويسخر أيضا من مدعي التجديد فهم «مزورون وجملة عملهم كوضع الزنجي الذرور الأبيض «البودرة» على وجهه ثم يذهب يدعي أنه خرج أبيض من أمه لا من العلبه»^(٤٣).

وهذا الأسلوب الساخر يتخذه الرافعي دائما في هجومه على خصومه، وهو يتميز بالسخرية المرة واللهجة الشديدة التعنيف والتوبيخ، فهو لا يعرف القصد في التعبير عندما يحاول الانتصار للدين أو اللغة أو الحضارة الإسلامية فيكون مندفعاً بعاطفة إسلامية جارفة لا يقف في سبيلها



التاريخية كقوله: «حدثتني أمي عن أبيها عن أبيه قالت: إن فخر جنسنا من الغنم يرجع إلى كبش الفداء الذي فدى الله به إسماعيل، وكان كبشا أبيض أقرن أعين اسمه حرير»^(٤٨).

وللرافعي قدرة فائقة على وصف حركة شخصياته بدقة والتعبير عنها كما في قوله: «فتقلل الضرير في مجلسه، وتنحج، وهمهم أصواتا بينه وبين نفسه».

وقوله: «فأسفر وجه أبي معاوية، وسري عنه، واهتز عطفاه، وأقبل عليهم بعفو القادر، وأنشأ يحدثهم»^(٤٩).

ومقالاته التي تأخذ شكل القصة عديدة مثل «بين خروفين، والطفولتان، وأحلام في الشارع، وأحلام في قصر، وسمو الحب، وقصة زواج، وفلسفة المهر، وذيل القصة، وفلسفة المال، وزوجة إمام، والانتحار» وذلك لأن دأبه في أغلب موضوعاته الأسلوب غير المباشر واستدعاءه لشخصيات تاريخية تخدم غرضه من الموضوع.

٥ - الخيال الأدبي:

يتلون الخيال الأدبي عند الرافعي مستمدا عناصره من الحكايات التراثية أو المظاهر الكونية أو النفس الإنسانية أو الواقع الاجتماعي، وصور الرافعي الخيالية لا تأتي بتلقائية، وإنما هي منتزعة من فكره انتزاعا، ولهذا فهي تتداخل أحيانا، وتتزاحم فيها التشبيهات والاستعارات وألوان البديع المختلفة لصياغة الصورة عنده ... والخيال لديه أيضا يرتبط ارتباطا وثيقا بخلاصة عقله وحضوره الذهني ولا غرو في هذا فهو أديب فكرة وهدف.

ويجتمع لديه الحس الديني مع الوجداني في التعبير عن أثر القرآن الكريم وتشبيه قلبه بشجرة تستمد عناصر حياتها من نور القرآن^(٥٠).



طاغور

المشاكل الاجتماعية فينقد بعض العلاقات الإنسانية بين الرجل والمرأة من مفهوم إسلامي، وفي اختيار الزوج على أساس ديني كما في مقاله «قصة زواج وفلسفة المهر»^(٤٥).

فالبطل هو: المسيب بن رافع هو شخصية تراثية، والحوار كان بينه وبين العديد من مريديه. ومن خلال الحوار يصف الكاتب الشخصيات وحركاتها وطباعها وذلك في قوله: «قال مجاهد: هذا ليس بشيء في تنادر شيخنا وما يتفق له، أخبرني أن رجلا جاءه في مسألة فدخل عليه البيت وهو جالس مع امرأته فقال الرجل: أيكما الشعبي؟ فأومأ الشيخ إلى امرأته وقال: هذه...!».

قال المسيب: وضحكنا جميعا، وأخذ نظري الغلام فإذا هو ناكس حزنا وهما، وكأنه لا يستطيع النظر إلينا...»^(٤٦).

ومن خلال حكاياته يصل أحيانا إلى مرحلة العقدة أو المشكلة التي تعتمد عليها القصة كما في قوله: «ففتحت عيني وقلبي معا، ورمقت الطفل المسكين الذي لا يملك إلا يديه الضعيفتين، ونظرت إلى مجرى السكين من حلقه وإلى محزها في رقبتة، ورأيتة كأنما تفرق بصره من الفزع على كل جهة، ورأيتة يتضرع لي بعينيه الباكيتين ألا أدبجه، ورأيتة يتوسل بيديه الصغيرتين كأنه عرف مني أنه أمام قاتله، ثم خيل إلي أنه يتلوى وينفض ويصرخ من ألم الذبح تحت يد أبيه»^(٤٧).

ولكن هذه الحبكة سريعا ما تضعف وتفقد تأثيرها لخوضه كثيرا في الوعظ المباشر والاستغراق في الوصف والتفسير والتحليل فيخرج بها من جنس القصة إلى الحكاية والملح والنوادر. ومن حكاياته الطريفة حوار أجراه بين خروفين، يحكي فيه على لسان الخروف الكبير قصة من وحى خياله عن طريق تواتر الرواية بالسند على غرار رواية الحديث النبوي والأحداث

على الثبات والقوة، ووصف اللين والتردد بالماء العذب . وإن كنت أرى أن الكاتب غير موفق في تصويره للضعف والتردد بالماء العذب لأن في العذوبة حلاوة الطعم وطراوة الملمس وإحساسا محببا إلى النفس، وقد يكون اختيار الكاتب للفظ الماء العذب لإثبات أن الثبات على الحق يتبعه المعاناة، وهو مر على اللين والضعف وإن كان حلوا عذبا، وهناك ثمة معنى آخر في اختيار الماء العذب للضعف والتردد وهو أن الماء من طبيعته الانسياح في محاور ومجاري متعددة عكس الثبات والاستقامة على الطريق .

ويشبه الكاتب أيضا الغريزة بالرعونة والطيش كطفل أحمق لا ضابط له ولا التزام في تصرفه . أما النفس المؤمنة فيشبهها بالرجل المتحكم في هذا الأحمق^(٥٧) .

ويصور الكاتب انتشار الإسلام وأثره في تحويل المجتمعات إلى الأفضل في قوله «إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الجرداء، طبيعة تعمل في طبيعة فليس يمضي غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمي بظلامها»^(٥٨) .

فالإسلام كالعصارة الحية التي تستمد منها البشرية غذاءها ونموها، والبشرية شجرة في حاجة إلى هذا الغذاء . ثم صور الرافعي أيضا السياسات والقوانين الوضعية بطلاء مزيف تطلي به الشجرة الميتة الجرداء بلون زائف لا قيمة له ولا عمل، وشتان ما بين عمل حقيقي وآخر باطل .

وأخيرا نصل إلى نهاية رحلتنا الشائقة داخل فكر الرافعي في كتابه «وحي القلم» الذي يجمع بحق كل خصائصه الأدبية والعقلية، والفكرة لديه سمو وارتقاء بالنفس البشرية، والنقد لديه نقد اجتماعي وأدبي يجمع بين التوجيه والتأثير . والحس الجمالي والفني هو سمة عامة من سمات الأسلوب عند الرافعي . فهو يعتمد في صياغته الأسلوبية على قوة الألفاظ وجزالتها، وتميزها

ونجد أن التشبيه هو أكثر الأنماط البلاغية استخداما في تشكيله للصورة: «فالقمر زاه زفاف كأنه اغتسل وخرج من البحر»، «والطيور نساء يتضحكن، والفراش أطفال يتوثبون»، «وسماؤه كأنها رقعة أطبقت عليها غيوم السماء وأرضه بقعة اجتمعت فيها كل زلازل الأرض»^(٥٩) .

وقوله عن نفس رسول الله ﷺ: «كأنما خرجت هذه النفس من صيغة الدرة في محارتها أو تركيب الماس في منجمه...»^(٥٩) .

ويصور الرافعي أيضا العطاء بالشجرة الطيبة تأخذ ترابا وتصنع حلاوة في قوله: «وما قط نبتت شجرة في مكانها لتأكل وتشرب وتختزن السماد والتراب وتحصنها وتمنعها عن غيرها . ولو قد فعلت ذلك لكان هلاكها»^(٥٦) .

ومن استعاراته الرائعة وصف رجل هم أن يقتل ولده في قوله: «وطمس الظلام هذه الرؤيا وتغيمت الدنيا فأيقنت أن أتامي قد أقبلت عليّ ظلمة بعد ظلمة، والتمع شيء أحمر فنظرت فإذا الدم يتخايل في عيني كأنه شعل تتلوى» . وقوله: «ثم طافت الحياة على عيني ففتحتها فإذا الأشياء تبدو لي وليس حقائق ولا معان»^(٥٤) .

ويصور الرافعي أيضا نفس رسول الله ﷺ بالشمس في قوله: «هي النفس الاجتماعية الكبرى من أين تدبرتها رأيته على الإنسانية كالشمس في الأفق الأعلى تبسط وتضحى»^(٥٥) . فاختار للشمس حالتها عند الضحى وهي أقوى إشعاعا وقدرة على التأثير عن وقت الغروب مثلا لأنها تكون منبسطة على جميع الأرجاء وذات تأثير متعادل في كل مكان تكون فيه.

ويصور الرسول ﷺ في ثباته وصلابته بالجبل الصلد في قوله: «تلك النفس العظيمة في مجموعها: صلابته بمقدار الحق الإنساني الثابت لا بمقدار المتغير الذي يكون عند سبب جبلا صلدا يشمخ، وعند سبب آخر ماء عذبا يجري»^(٥٦) .

فوصفه لرسول الله ﷺ بالجبل الصلد للدلالة



الواعي انتزاعا، لأنه خلاصة عقله وحضوره الذهني، ولذلك تبدو فيه ألوان البديع المختلفة وتتزاحم التشبيهات والاستعارات، لأنه كان شديد الحرص على الصياغة الفنية في أسلوبه بجانب أنه أديب فكرة وهدف قبل أن يكون أديب إحساس وشعور .

والرافعي أديب بحق، طمع أن تكون له مكانة الريادة الأدبية في عصر تباينت فيه الاتجاهات، وازدادت بينه وبين معاصريه فيه الخصومات، ووفدت إليه مختلف الثقافات والاتجاهات، فوجدنا الرافعي في هذه الخضم الهائل من التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية من حراس العقيدة الحقيقيين الذين سعوا إلى المحافظة على الذات القومية، وكافحوا عن المبادئ والقيم الإسلامية طامحا إلى سمو التغيير ورقي الفكرة فكان من نوابغ الرواد في الأدب الإسلامي وفكره الأصيل. ■

بسلامة الجرس وجمال الإيقاع، ويتنوع أسلوبه بما لديه من قدرة على التوليد بالتعبير الخصب عن موضوعاته والاتجاه نحو الأسلوب الفلسفي بالتغلغل في دقائق المعاني وبواطن النفوس، وهو مغرم أيضا بتوازن العبارات مما يمنح أسلوبه نوعا من الإيقاع المحبب إلى السمع مع ميله إلى استخدام التضاد والمقابلات اللفظية والمعنوية، والقدرة على استخدام مفردات اللغة واشتقاقاتها ذات الدلالات الموحية .

ويتميز أسلوب الرافعي أيضا في «وحي القلم» بالقدرة على الوصف بما لديه من بصيرة نافذة وقوة ملاحظة في نقله لمختلف الأحاسيس والانطباعات وهو من خلال وصفه يستخدم أحيانا الأسلوب الساخر لتعميق إحساسنا بالرفض لبعض سلبيات المجتمع الاجتماعية والثقافية .

أما الخيال عند الرافعي فهو منتزع من فكره

الهوامش:

- (١) مدرسة البيان في النثر والحديث، د. حلمي محمد القاعود، ١٠٢ - ١٠٣ .
- (٢) وحي القلم، ٢ / ٥ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- (٣) وحي القلم، ٢ / ٥٤ .
- (٤) وحي القلم، ٢ / ٥٤ .
- (٥) وحي القلم، ٢ / ٨٦ .
- (٦) وحي القلم، ١ / ٣٠ .
- (٧) وحي القلم، ١ / ٣٣-٣٢ .
- (٨) وحي القلم، ٢ / ١٤١ .
- (٩) وحي القلم، ٢ / ٧٧ .
- (١٠) وحي القلم، ٢ / ٧٤ .
- (١١) وحي القلم، ٢ / ٢٧ .
- (١٢) وحي القلم، ٢ / ٦٢ .
- (١٣) وحي القلم، ٢ / ٩٣ .
- (١٤) وحي القلم، ٢ / ١٤١ .
- (١٥) وحي القلم، ٢ / ٩ .
- (١٦) وحي القلم، ٢ / ٢٠٨ .
- (١٧) وحي القلم، ١ / ٧٦ .
- (١٨) وحي القلم، ٢ / ٨٩ .
- (١٩) وحي القلم، ٢ / ٣٢٢ .
- (٢٠) وحي القلم، ٢ / ٣٢٠ .
- (٢١) وحي القلم، ٢ / ٢٩٨ .
- (٢٢) وحي القلم، ١ / ١٢٣ .
- (٢٣) وحي القلم، ١ / ٢٢١ .
- (٢٤) وحي القلم، ٢ / ١٨ .
- (٢٥) وحي القلم، ٢ / ٢٠ .
- (٢٦) وحي القلم، ٢ / ٢٢٢ .
- (٢٧) وحي القلم، ٢ / ٢٣٦ .
- (٢٨) وحي القلم، ٢ / ١٤٤ .
- (٢٩) وحي القلم، ٢ / ١٠ .
- (٣٠) حديث الأربعاء، ج ٣ / ١٢٢ ، ط ١٩٧٩م .
- (٣١) تطورات الأدب الحديث في مصر، ط ٤ / ٢٨٦ .
- (٣٢) وحي القلم، ٢ / ٩ .
- (٣٣) وحي القلم، ٢ / ٢٣ .
- (٣٤) وحي القلم، ٢ / ٢٨ .
- (٣٥) وحي القلم، ٢ / ٢٨ .
- (٣٦) وحي القلم، ٢ / ١٨٦ .
- (٣٧) ديوان طرفة / ٢٧ ، دار صادر، بيروت، ١٩٦١، الماوية: المرأة، الحجاج: العظم المشرف على العينين،
- الفرقد :ولد البقرة الوحشية .
- (٢٨) وحي القلم، ١ / ٧٠ .
- (٢٩) وحي القلم، ٢ / ١٤٦ .
- (٤٠) وحي القلم، ٢ / ٢٥٠ .
- (٤١) وحي القلم، ٢ / ٢٤٧ .
- (٤٢) وحي القلم، ٢ / ٢٥٤ .
- (٤٣) وحي القلم، ٢ / ٢٥٦-٢٥٥ .
- (٤٤) وحي القلم، ٢ / ١٠٣ .
- (٤٥) وحي القلم، ٢ / ١١٣ .
- (٤٦) من مقاله الانتحار، ٢ / ٨٧ .
- (٤٧) من مقاله الانتحار، ٢ / ١١١ .
- (٤٨) وحي القلم، ١ / ٦٢ .
- (٤٩) وحي القلم، ١ / ١٣٤ .
- (٥٠) وحي القلم، ١ / ٤٤ .
- (٥١) وحي القلم، ١ / ١٧٩ .
- (٥٢) وحي القلم، ٢ / ٦ .
- (٥٣) وحي القلم، ١ / ٥٥ .
- (٥٤) وحي القلم، ٢ / ١٢٠ .
- (٥٥) وحي القلم، ٢ / ٦ .
- (٥٦) وحي القلم، ٢ / ٧ .
- (٥٧) وحي القلم، ٢ / ٧ .
- (٥٨) وحي القلم، ١ / ٢٢ .

السحاب وفيات مع كتاب

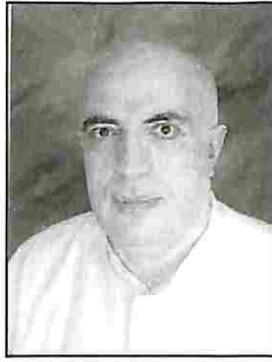
الأحمر

يضه كتاب «السحاب الأحمر» لمصطفى
صادق الرافي تسعة فصول تحمل
عناوين: «القمر الطالع»، و«النجمة الهاوية»،
و«السجين»، و«الريطة»، و«المنافق»، و«الصغيران»،
و«الشيخ علي»، و«الشيخ أحمد»، و«الشيخ محمد
عبد». .





والكاتب يرفض اتجاه بعض المتعلمين في أوروبا إلى الزواج من أوروبيات نصرانيات، فيقول لهم: «أما والله إنكم فئة لا تُعدُّ إلا في مصائبِ وطنها، وإنكم لكالأجنبي، مادام أحدكم لا يصلُ أمومةً أوأولادِهِ بتاريخ أمه، وإنكم لكالغاصب، مادمتُم تغصبون حتى نساءَ الوطن في رجال الوطن، وإنكم لكالعدو مادام كل واحدٍ منكم حرباً على بيت...»^(٣).



بقلم : د . حسين علي محمد

ويتمنى لو جاؤوا بمنجزات الحضارة التي تنفع الناس في الزراعة وغيرها من أمور الاقتصاد والحياة التي تنفع الناس، فيقول: «ألا ليتكم جنتم للبلاد من أوروبا بمحاربتكم لا مواريتكم، وجنتم بالسماذ بدلاً من هذا الوساد^(٤)، وبالبهائم للسواني، لا بالحلائل والغواني^(٥)، وببضائع الحوانيت لا ببضائع أنطوانيت.. وليتكم إذ كنتم رجالنا لم تغلبكم نساؤهم، وإذ كنتم سيوفنا لم تأسركم دماؤهم، ويا ليتكم لم تنتعموا وتئاتنوا، فكانت البلاد تجد منكم أهل البأس، ولم تتعلموا وتتخنتوا، فكانت الأرض على الأقل تجد منكم أهل الفأس»^(٦).

الصدقة الحقيقية

كان مصطفى صادق الرافعي - كما قدمنا - يستمد موضوعات مقالاته من الحياة، فهو حين يكتب لا يكتب من خياله، وإنما يكتب عن واقع يحياه ويعرفه حق المعرفة. ففي "الفصل الثامن"^(٧) من الكتاب وعنوانه "الشيخ أحمد" يصف فيه صديقاً له عاجلته المنية فمات في سن الشباب. ويرسم من خلال هذا الوصف صورة للصدقة، ويبرز ما كان يتحلى به صديقه الراحل من مبادئ وأخلاق كريمة، ويضع مقياساً للصدقة الحقة والصدقة الزائفة.

وفي هذه الفصول يناقش قضايا فكرية واجتماعية كثيرة بأسلوب أدبي محلق هو أسلوب أحد أئمة البيان في النثر العربي الحديث. ومن القضايا الكثيرة التي يناقشها في هذا الكتاب: معنى العاطفة، والمرأة ودورها في الحياة، والجمال ومعانيه، والزواج من الغربيات، ومفهوم الصداقة الحقيقية، ومعنى التدين، وأيام الشباب ... وغيرها.

ولن نستطيع أن نتوقف أمام ما يضمه الكتاب في هذا العرض، وإنما سنشير إلى بعض ما احتواه في قراءة قد تدل على محتواه كما تدل القطرات القليلة على النبع!

المرأة

تحتل المرأة حيزاً كبيراً في هذا الكتاب، فيصورها جميلةً وقبيحةً، وحانيةً وقاسيةً، وأما وبناتاً وأختاً، وعاشقةً ومعشوقةً، وروضةً من روضات النعيم، ولفحةً من نار جهنم: فهو يتحدث عن المرأة التي تكون جمالاً مطلقاً، فيراها معنى من معاني السموم في الخلق، فيقول: «أيمكن أن يكون هذا الجمال الفتان في المرأة الجميلة خلاصة سماء من السماوات، خلقت عينين وخذتين وشففتين: تضحك أحياناً بالنور، وتلتهب أحياناً بالبرق، وتنفجر أحياناً بالرعد»^(٨). وهو يرى المرأة معنى من معاني النعيم الدائم، أو قطعة من قطع الجحيم، فيقول: «أقسم لو صغرت الجنة وجعلت أرضيةً، تلائم حياة رجل من الناس، ثم عجلت له في هذه الحياة الدنيا، لما كانت بمتاعها ولذاتها وفنون الجمال فيها إلا المرأة التي يحبها!، أما الجحيم فلا أراني في حاجة إلى برهان عن أنها صغرت وتجزأت واندفعت على الأرض شعلاً في اسم من أسماء النساء»^(٩).

القصيرة كلها خير، فهي تُساوي أضعافها
لخلوها من التفاهة والفراغ.

يقول: «وكان له دينٌ غضُّ كعهدِ الدينِ بأيامِ
الوحي، لا تزالُ تحته رقة قلب المؤمن وفوقه رقة

جناح الملك، يُخالطُ نورَ القلوب،
وكان حياً صريحَ الحق، ترى
صدق نيته في وجهه كما يُرى
الحق صدق فكره في لسانه،
سامياً في مروءته ليس لها
أرضٌ تسفلُ عندها، وإنما هي
إلى وجه الله فلا تزالُ ترتفع،
ودوداً لا يعرفُ البُغض، محباً لا
يتسعُ للحقد، أوفياً لا يسرُّ
الموجدة على أحدٍ.

وكان رحيب الصدر، فكان
الله زاد فيه سعة الأيام التي
سينتقصها من حياته، ففي قلبه
قوة عمّرين، وكان طيب النفس، فكان الله لم يمد
في عمره طويلاً لأنه نفى الأيام الهالكة التي يكون
الإنسان فيها معنى من معاني الموت».

وكاننا في صداقتنا الحقّة ينبغي أن نبحت
عمن يملكون قوة قلب المؤمن، وسمو الإيمان
ونوره، ويمتازون بالحياء، والصراحة في الحق،
وصدق النية، وأصحاب الشهامة العالية، الذين
لا يحقدون على أحد، والذين تخلو حياتهم من
التفاهة والفراغ.

التأمل وقوة الخيال

ينبغي على الإنسان السوي عند الرافي أن
يملك قوة الخيال، فهذه القوة هي التي تهبه
القدرة على مواجهة ما يمر به من مثبطات
مُجهدات لهمته وروحه، ولكنه ينبّه على أن قوة
الخيال قد تكون قوة مدمرة. يقول في الفصل
التاسع:

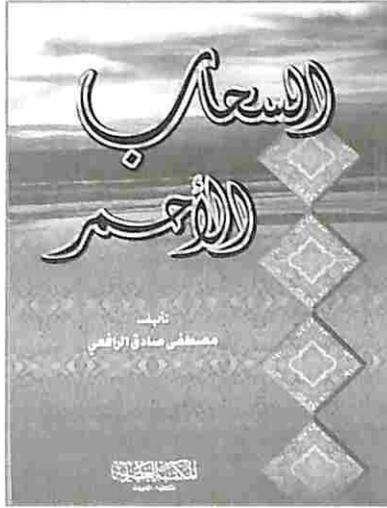
«وفي النفس الإنسانية لا تمرض الحقيقة إلا

فيقول عنه في المقطع الأول: «كانت نفسه
العالية كالنجمه وهبت قوة النزول إلى الأرض،
وكان حبيباً لو انقسمت رُوحِي في جسمين لكان
جسمها الثاني. كان دائماً كالذي يشعر أنه لا بد
ميت، وتارك ميراث مودته، فلا
أعرفُ أني رأيت منه إلا أحسن
ما فيه، وكأنما كان يُضاعفُ
حياتي بحياته، ويجعلني معه
إنسانين».

إنه يتحدث عن قوة العلاقة
بينه وبين صديقه الراحل -
الشيخ أحمد الرافي - فيقول:
كانت نفسه عالية في صفاتها،
ولكنه متواضع في حياته بين
الناس؛ فهو كالنجمه العالية
التي منحها الله القدرة على
النزول إلى الأرض، وكنا

نتشابه في الأخلاق كالتوأمين فهو حبيب إلى
نفسي، كأنه شقيق رُوحِي. وكان حريصاً على
مودة الناس وحبهم لتظل تلك المودة ذكرى طيبة
له عندهم بعد مودته، فلم أر منه إلا أحسن ما
فيه. وكانت حياته تزيد حياتي وكأنني أصبحت
شخصين هو أحدهما، فأنا به أعيش مرتين في
الوقت نفسه.

وفي المقطع الثاني يبين أن صديقه الراحل
كان يمتاز بقوة الإيمان التي تملأ القلب
وتشعرنا بحيوية الدين كما كان الصحابة -
رضي الله عنهم - في أيام الوحي، ففي أعماق
نفسه قوة قلب المؤمن ومعها سمو الإيمان
ونوره، ويمتاز بالحياء، والصراحة في الحق،
وصدق النية، فوجهه يُعبر عما في نفسه كما
يُعبر لسانه عما في عقله، وكانت شهامته عالية،
كما كان محباً، أوفياً لا يحقد على أحد، وكان
حليماً واسع الصدر، كأن الله عوضه بذلك
الحلم عن قصر عمره، وكان طيب النفس، فأيامه





ويتأمل في شيوع المكر بين الناس حتى غدا بعضهم وحوشاً يسير بيننا في أزياء الآدميين: يقول:

«تُرى لو سألنا الوحشَ حين يفترس إنساناً: ماذا وقع في نفسك منه حتى تُرت بهِ وعدوتَ عليه؟ أكان يقول - لو أنطقه الله - إلا أنه أبصرَ في هذا المخلوق وحشاً ماكرأ خبيثاً إلا يكن في دقة ناب الثعبان فهو في خطر سُمَّه، وأنه لو رأى عليه سُمَّتَ إنسان، وأبصرَ له نظرةَ إنسان، وأحسَّ منه قلبَ إنسان، للجأ من وحشيتِه إلى الإنسانية التي فيه، إذ الإنسانية هي حرمُ الأمنِ الإلهي الذي توضعُ عنده كلُّ الأسلحة!»^(١٢).

وقد تكون ثمرة التأمل فقرة هجائية، في كلمات قلائل، أو جمل دالة، تكون نتيجة تجربة لها خصائصها الدالة، التي ربما لا تُرضي من لم يمر بأمثال هذه التجربة، ومنها:

«قيلَ لحيّةٍ ساميةٍ: أكان يسركَ لو خُلقتِ امرأةً؟ فقالت: فأنا امرأةٌ غيرَ أن سمي في النابِ، وسمُّها في لسانها!»^(١٣).

فهو لا يهجو عموم المرأة، وإنما يهجو هذه المرأة التي تشبه الحية!

ويتحسّرُ الرافعي لعدم فهم الناس للصدقة الصحيحة: فإن الصدقة الحقة تقوم على قاعدتين هما: حرص على الحق وحرص على الحب، فلو عرف الإنسان الحق معرفة صادقة لما سكت عن كلمة تسرُّ الناس وتُسعدهم:

«أه لو عَرَفَ الحقَّ أحدٌ لما عَرَفَ كيفَ ينطقُ بكلمةٍ تُسيءُ، ولو عَرَفَ الحبَّ أحدٌ لما عَرَفَ كيفَ يسكُتُ عن كلمةٍ تسرُّ، ولن يكونَ الصديقُ صديقاً إلا إذا عَرَفَ لكَ الحقَّ، وعَرَفَتْ لَهُ الحبَّ»^(١٤).

وفي معرضه للصدقة يعرض علينا الكاتب أربعة أنواع من الأصدقاء الزائفين لنحذرهم، ولا نعتد بصدقاتهم: النوع الأول: ذلك الشخص المُلَازِم لك ملازمة الشيطان يُوسوس بالشر، ويدعو إلى الخطأ، وخير لك أن تُخالفه وتُعاديه.

من سوء التخيل فيها، كأنَّ نعمةَ الخيال إنما وهبت للإنسان لتُخرجها من حدودِ الحقائق فتُفسدها ويُفسد آثارها فيه ... فالخيال هو القوة التي يثبُّ بها الإنسانُ إلى المجهول، وهو نفسه القوة التي يسقطُ بها إذا تقاصرت الوثبةُ أو طاشت^(١٥).

ويتأزر الخيال مع الوقائع المأخوذة من دفاتر الحياة في هذا الكتاب، حتى يمكننا أن نعدَّ كتاب «السحاب الأحمر» صفحة من صفحات التأمل في شتى مناحي الحياة! فما أكثر ما تمتلئ صفحات هذا الكتاب بالتأمل في شتى مناحي الحياة، فيتأمل في أيام الشباب ويراهما نهار العمر:

«يا أيامَ الشباب! أنتِ وحدك نورُ الحياة، لأنك منذَ الفجرِ وأنتِ وحدك نهارُ العمر، لأنك إلى أن تصفرَّ الشمسُ، وليس وراءك إلا كآبةُ الليلِ تتقدَّم ليلاً باسممةٍ في شفقِ المغربِ»^(١٦).

ويقول: «يا أيامَ الشباب! أنتِ وحدك العمر»^(١٧).

ويتأمل في مرض النفاق الذي يشيع في المجتمع باسم المجاملة أو المصلحة، ويراه دليلاً على الغيباء وبلادة الحس، ولا ينجو منه إلا المصلحون والحكماء وأصحاب النفوس الحرة. يقول:

«وكلُّ منافقٍ وصاحبِهِ الذي يُنافقُ له، رجلان لا يفهمُ أحدهما الآخر. أو تكونُ بلادةُ الحسِّ قدُ بلغتْ من أحدهما أن يتظاهَرَ بأنه لا يفهم، وبلغت الغلظةُ من صاحبه أن يظهر كأنه غيرُ مفهوم، وكلاهما غطاءً مكفاً على حقيقته، ولكنَّ الحقائق المغطاة بأغطية الكذب موضوعةٌ أبداً على نار تتقدُّ من عزائم المصلحين، ونفوس الحكماء وقلوب الأحرار، فلا تزالُ تغلي كلما طال بها العهدُ حتى تنفجرَ منْ أغطيتها ... وكان من سنةِ الله أن تجد الناسَ يُنافقون جميعاً، إلا مُصلحاً أو حكيماً أو رجلاً حرَّ النفسِ»^(١٨).

يَوْمَئِذٍ لَا تَقُولُ: إِنَّهُ مَاتَ لَكَ مَيِّتٌ، بَلْ مَاتَ فِيكَ مَيِّتٌ، ذَلِكَ هُوَ الصَّدِيقُ»^(١٢).

وقد وضع الكاتب في الفقرة الأخيرة مقياساً للصدقة الحقة استقواءً من صداقته للشيخ أحمد الرافعي، فيقول: إن الصديق الحق ينبغي أن يكون بالنسبة إليك كالمرأة ترى نفسك فيه عند حضوره، فتسعد لوجوده، وإذا غاب أحسست أن جزءاً منك غاب، لأنكما شيء واحد، وكل منكما يكمل الآخر. فإذا مات وأصبح من ذكريات الماضي بعد أن كان من أركان الواقع، وغادر عالمك المحدود، ليصلك بالعالم العلوي الذي لا نهاية له ولا حدود، لا تحس أن شخصاً عادياً مات، بل تحس أن جزءاً منك قد مات في أعماق نفسك، وهذا هو الصديق الحق.

أفكار عميقة ولغة مجنحة

أفكار الكتاب في فصوله التسعة مرتبة عميقة مما يؤدي إلى غموض بعضها أحياناً، وتعتمد على الاستقصاء والتحليل والتعليل والتوليد والإجمال ثم التفصيل، ففي الفصل الثامن الذي عنوانه «الشيخ أحمد» يتحدث عن الصفاء والرقّة، والشباب وهو أيام «شبع العمر»، ثم يتحدث عن الشيخ أحمد ونفس هذا الصديق العالية، وقوة العلاقة بينه وبين الكاتب "وكان حياً"، فهذا إجمال فصله في بقية الفقرة. وكان له دين غض "تفصيل إلى قوله "نوره القلوب". و"صريح الحق" تعليله وتفصيله في الجملتين بعده. و"سامياً في مروءته" إجمال، تفصيله إلى قوله: "ترتفع". ومن التعليل "كان رحيب الصدر" تعليله في "كأن الله زاد فيه" إلى "قوة عميرين". و"كان طيب النفس" تعليله "كأن الله لم يمد في عمره" إلى آخر الفقرة.

والتوليد أن يولد من الفكرة الواحدة أفكاراً فرعية عدة، مثل "متى كان فيك طعم العسل" ولّد منها "لأن فيه روح ذبابة" و"كأنه وطن جديد" ولّد

والنوع الثاني: ذلك المرافق الذي يتكلف لك المودة، ويلاينك متى وجد عندك خيراً يقتنصه، أو فرصة ينتهزها، فهو كالذبابة تتهافت على العسل متى وجدته، فإن لم تجده طارت لتبحث عنه في موضع آخر. والنوع الثالث: ذلك الشخص الذي يتظاهر لك بالحب، ولا يتحمل تبعات الصداقة، ولا يُشارك في الشدائد، فنفسه غائبة عنك كأنها منفي جديد اضطرت للإقامة فيه دون أن تعرف عنه شيئاً، فلا أنس ولا راحة. والنوع الرابع: ذلك صاحب المتلون كتلون جلدة الوجه، تحمر في الصحة، وتصفر في المرض، فهو معك إن كنت في خير، وبعيد عنك إن كنت في شر. ثم يختم الكاتب هذه الفقرة بأن هؤلاء الأصدقاء الأربعة غير مخلصين لك، وغير حريصين على إسعادك، إذ لا يندمجون في مشكلاتك ليحملوا عنك عبئها، ولكن يقفون على الهامش، كأنهم علامات على ظهور المصائب لا إخوان يُشاركون في تحملها، ويُحققون معنى الصداقة.

يقول: «لا أريد بالصديق ذلك القرين الذي يصحبك كما يصحبك الشيطان، لا خير لك إلا في معاداته ومخالفته، ولا ذلك الرفيق الذي يتصنع لك ويماسحك متى كان فيك طعم العسل لأن فيه روح ذبابة، ولا ذلك الحبيب الذي يكون لك في همّ الحب كأنه وطن جديد، وقد نُفيت إليه نفى المبعدين، ولا ذلك الصاحب الذي يكون لك كجلدة الوجه تحمر وتصفر، لأن الصحة والمرض يتعاقبان عليها. فكل أولئك الأصدقاء لا تراهم أبداً إلا على أطراف مصائبك، كأنهم هناك حدود تُعرف بها من أين تبتدى المصيبة لا من أين تبتدى الصداقة، ولكن الصديق هو الذي إذا حضر رأيت كيف تظهر لك نفسك لتتأمل فيها، وإذا غاب أحسست أن جزءاً منك ليس فيك، فسائرُك يحزن إليك. فإذا أصبح من ماضيك بعد أن كان من حاضرك، وإذا تحول عنك ليصلك بغير المحدود كما وصلك بالمحدود، وإذا مات ..



"يتصنع ويُماسح" لما فيه من الرفق واللين، و"الحبيب" يلائم "هم الحب" وتبعاته، و"الصاحب" يوحي بالملازمة فيلائمه التشبيه بجلدة الوجه في الالتصاق.

واستخدام اسم الإشارة "ذلك" للدلالة على البُعد، ملائم للجو النفسي لصديق زائف بعيد عن القلب، وعن معنى الصداقة الحقة. وأيضاً "أولئك" إشارة لكل هذه الأنواع من الأصدقاء، و"هناك" إشارة إلى موقفهم البعيد عن المشكلة، و"مات فيك ميت" أدق في التعبير عن قوة الصلة من "مات لك ميت" لدلالة "فيك" على الاندماج.

إن كتاب «السحاب الأحمر» لوحة وجدانية من لوحات الأدب الحديث، تسمو بالنثر إلى ما يشبه الشعر. ■

الهوامش:

- (١) مصطفى صادق الرافعي: السحاب الأحمر، ط المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص ١٩.
- (٢) المرجع السابق، ص ١٩.
- (٣) المرجع السابق، ص ٤٢.
- (٤) الوساد: كناية عن الزوجة نفسها، والمواريث: كناية عنهن أيضاً.
- (٥) الحلائل: الزوجات، والسواني: جمع سانية، وهي السواقي تدور فيها البيهائم.
- (٦) المرجع السابق، ص ٤٢.
- (٧) الفصل الثامن بعنوان "الشيخ أحمد"، ويتحدث فيه (ص ٨٥-٩٤) عن الأستاذ الشيخ أحمد الرافعي، ابن عم الكاتب، وصديق نشأته، ورفيق شبابه، والكاتب خال أولاده، وقد ذهب الشيخ أحمد الرافعي ليؤدي فريضة الحج فافضى إلى ربه هناك، ودُفن بمكة (يُنظر المرجع السابق، ص ٨٩ فما بعدها).
- (٨) المرجع السابق، ص ١٠٢.
- (٩) المرجع السابق، ص ٨٦.
- (١٠) المرجع السابق، ص ٨٦.
- (١١) المرجع السابق، ص ٦١.
- (١٢) المرجع السابق، ص ٢٩.
- (١٣) المرجع السابق، ص ٢٤.
- (١٤) المرجع السابق، ص ٩٠.
- (١٥) المرجع السابق، ص ٢٩.

منها "وقد نُفيت نفي المُبعدين"، و"لا تراهم إلا على أطراف مصائبك" ولّد منها "كأنهم هناك حدود تعرف منها من أين تبتدئ المصيبة لا من أين تبتدئ الصداقة" ومن التوليد أيضاً: أن يُلبس الفكرة أثواباً لغوية متنوعة مثل "ذلك القرين .. ذلك الرفيق .. ذلك الحبيب .. ذلك الصاحب .. و"لا تقول: إنه مات لك ميت، بل مات فيك ميت".

وقد عني الكاتب بانتقاء الألفاظ القوية الصافية والفصيحة الأصيلة الدقيقة، وصاغها في عبارات محكمة قوية متحررة من السجع والصنعة التي لا تخلو من التكلف، مع ميل إلى الإطناب، ونوع الجمل بين الطول والقصر، ولعلك تلاحظ التعبير بالفعل "كان" وتكراره للدلالة على رحيل هذا الصديق. كما تلاحظ الفرق بين التعبيرين "ترى صدق نيته في وجهه" و"يريك الحق صدق فكره في لسانه" فأنت ترى وجهه بنفسك، والحق هو الذي يُريك صدق فكره، مع الإكثار من صفات التمجيد للدلالة على الإعجاب الممزوج بالحسرة والألم لفراقه مثل "نفسه العالية، كان يضاعف حياتي بحياته، .. كان حبيباً صريح الحق، سامياً في مروءته، ودوداً، محباً، أوفياً، رحيب الصدر، طيب النفس". وتكرار النفي لتوكيد الفكرة مثل "لا أريد بالصديق ذلك القرين ولا ذلك الصاحب"، وبما يشبه الترادف المعنوي مثل: "معاداته ومخالفته" وقد أضاف عطف الثانية على الأولى معنىً جديداً لأن المخالفة عمل إيجابي بعد المعادة. وإذا غاب .. وإذا أصبح من ماضيك .. وإذا تحولّ عنك .. وإذا مات"، وهذا الترتيب له هدف نفسي للتخفيف من صدمة موت الصديق، فالكاتب يتدرّج بالخبر حتى تنهياً النفس لتحمل صدمة خبر الموت.

وكان الكاتب دقيقاً في انتقاء الألفاظ الملائمة لمواضعها، مُراعياً الفروق الدقيقة بين المرادفات، فد "القرين" يلائم التشبيه بالشيطان اقتداءً بقوله تعالى عن الشيطان: ﴿وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾، و"الرفيق" يلائم

موقف الرافعي من دعاة العامية واللغات الأجنبية



ففي بدايات القرن العشرين حاول الاستعمار جر العرب إلى إقليمية بغيضة وذلك لتفتيت أوطان العرب، وتمزيق وحدتهم، وإبعادهم عن أصلاتهم، وتراثهم فنجح في وضع تلك الحدود التي جعلت الوطن العربي دويلات صغيرة تتناحر فيما بينها، كل دويلة تحاول السطو على جارتها، لتقطع منها أجزاء تضمها إلى دويلتها، حدث ذلك في كثير من أجزاء الوطن العربي، وهي مشكلة قائمة حتى الآن.

وإمعانا من الاستعمار في إنهاء كل رابطة تربط هؤلاء العرب حاول نشر لغته في البلاد الواقعة تحت سيطرته، وسلطانه، ففرنسا تحاول فرض لغتها على المغرب العربي، وتحاول السيطرة على كل تراث الأمة العربية لتجعل هذه الدول خاضعة لها، بل إنه أعلن في يوم من الأيام أن الجزائر قطعة من فرنسا، وكذلك صنعت إيطاليا في ليبيا، أما إنجلترا فإنها حاولت فرض اللغة الإنجليزية على مصر والعراق، ولكن حال الأزهر الشريف دون تمكينها من رغبتها.





أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادي بوادي في ربيع حياتي؟!
وإذا كان حافظ إبراهيم قد لمس
في قصيدته كثيرا من القضايا التي
كانت شائعة في عصره من محاولات
الاستعمار فرض لغته، ومن ضعف
لغة الصحافة، ومن تلك النداءات التي
تصدر من بعض الكتاب الذين
يحاولون فرض اللغة العامية على
الكتابة المصرية فإن العداء للفصحى
لم ينشأ من المستعمر فحسب، وإنما
نشأ أيضا من تلك الأبواق التي أمنت برأيه،
واستأجرها لترويج فكره، حتى يأتي هذا الرأي من
داخل العرب أنفسهم، فقد كتب أحد الكتاب في
مجلة الهلال مقالا يدافع فيه عن اللهجات السوقية
- يقول: « إنه يشتغل بضبط أحوالها، وتقيد
شواردها، لاستخدامها في كتابة العلوم، وهو يؤكد
في مقاله أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة
هو من أهم أسباب تخلفنا الثقافي، وزعم أنه من
الممكن اتخاذ أي لهجة عامية للكتابة كالمصرية أو
الشامية، وأنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين
بالعربية على اختلاف لهجاتهم من العربية
الفصيحة، وزعم أيضا أن تعلق المسلمين باللغة
الفصيحة لا مبرر له، لأن هناك كثيرين - يعني من
المسلمين - لا يتحدثون بالعربية، ولا يكتبون بها،
ولأن اللغة التي يتكلمها المسلمون هي غير العربية
الفصيحة على كل حال.. » وقال: « إن كل ما
يطالب به هو وضع قواعد هذه اللغة التي يتكلمون
بها فعلا وواقعا»، وختم مقاله بقوله: « وما أحرى
أهل بلادنا أن ينشطوا من عقالهم طالبين التحرر
من رق لغة صعبة المراس قد استنزفت أوقاتهم،
وقوى عقولهم الثمينة، وهي مع ذلك لا تواليهم نفعا
بل أصبحت ثقلا يؤخرهم عن الجري في مضمار
التمدن وحاجزا يصددهم عن النجاح، ولي أمل أن
أرى الجرائد العربية قد غيرت لغتها، وبالأخص



بقلم: د. عبد المنعم يونس*
مصر

ولما لم يستطيعوا ذلك أشاعوا بين
العرب في مصر مقولة تقول: إن
العرب لا يستطيعون النهوض،
والسير في ركب الحضارة إلا إذا
تخلوا عن اللغة العربية، ولجؤوا إلى
لغات إقليمية محلية كما حدث للغة
اللاتينية، ولم يعلموا أن اللغة العربية
ليست لغة حديث فقط، وإنما لغة
القرآن الكريم، لغة التراث العربي
الذي يشكل كيان الأمة العربية
ووجدانها، إنها اللغة التي حملت

القرآن الكريم، وانتشر بها وانتشرت به في شتى
ربوع العالم.

ثم حدث أمر جد خطير، فقد ألف أحد قضاة
محكمة الاستئناف في مصر من الإنجليز، وهو
القاضي ولور، كتابا أسماه لغة القاهرة، ووضع
لها فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعمل والأدب،
كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية (١).

وجدت هذه المحاولات مقاومة ضارية، ووقف
الكتاب الغيورون على لغتهم، والشعراء المؤمنون
بتراثهم يفتنون تلك الأفكار الخبيثة، التي حملتها
فكرة اللغات الإقليمية، فكان أن أفرزت المعركة
كثيرا من الكتب والقصائد منها قصيدة حافظ
إبراهيم « اللغة العربية تنعي نفسها بين أبنائها»
والتي يقول فيها (٢):

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتني

عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولدت ولما لم أجد لعرائسي

رجالا، وأكفاء وأدت بناتي

وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن أي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آله

وتنسيق أسماء لمخترعات

* أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ورئيس جمعية رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة.

● لم يألُ الرافعي جهداً في كشف ما تنطوي عليه الدعوة إلى العامية وفضح دوافع دعائها.

فقد رأى مرة بعض الناس يتحدث إلى أحد الباشوات حديثاً لم يعجبه، لأنه كان يحاول الحديث بلكنة غريبة ليست بالعربية الخالصة، ولا بالرطانة الأجنبية، وإنما خلط الرجل بين اللغة العربية، واللكنة الأجنبية، فهداه ذلك الموقف إلى أن يكتب مقالاً لا عن تلك اللغة الخليط أو اللغة المرقعة كما سماها، وإنما كتب عن أولئك الذين يذهبون إلى البلاد الأوربية، ويعودون منها وقد لووا ألسنتهم، أو تعمدوا ذلك حتى يظهروا للناس أنهم جنس آخر، ثم خلص من ذلك إلى أن هؤلاء القوم أصيبوا بعقدة الخواجة كما كان يسميها القوم، وحاولوا أن يقولوا لمستمعهم: إنهم قوم أخذوا حظاً من بلاد أوربا. وما ذلك إلا لضعف هؤلاء القوم، وعدم إيمانهم بأن لغتهم تستطيع أن تؤدي ما تؤديه اللغات الأخرى، بل هي أعرق من هذه اللغات لأنها تحمل أمجاد الأمة ولا تستطيع لغة أخرى أن تقف معها في مضمار.

يقول الرافعي: « جاء حضرة صاحب السعادة فلان لزيارة الباشا وهو رجل مصري ولد في بعض القرى ما نعلم أن الله تعالى ميزه بجوهر غير الجواهر، ولا طبع غير الطبع، ولا تركيب غير التركيب، ولا زاد في دمه نقطة زهو، ولا وضعه موضع الوسط بين فئتين من الخليقة غير أنه زار فرنسا، وطاف بإنجلترا، وساح في إيطاليا، وعاج على ألمانيا، ولون نفسه ألواناً، فهو مصري ملون، ومن ثم كان لا يرى في بلاده وقومه إلا الفروق بين ما هنا وبين ما هناك...» ثم يقول: « هو كغيره من المترفين المنعمين، مصري المال فقط إذ كانت

جريدة الهلال الغراء التي هي في مقدمتها، وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح، وهو غاية أملي، ومنتهى رجائي » (٣).
وإذا كانت هذه المحاولات السافرة لم تؤت أكلها، لأن ثمرها نبي، وأفكارها خبيثة مكشوفة قد تنبه لها العامة والخاصة، وكتب الغيورون على اللغة والتراث والمقدسات كتابات فاهمة واعية فندوا بأباطيل المبطلين، وأراجيف المرجفين، وبينوا للقارئ العربي ما تحمله هذه الأفكار من دسائس حاول المستعمر دسها في أذهان الكتاب، حتى يستطيع تحقيق غرضه والقضاء على تراث الأمة العربية والإسلامية.

كان من أهم هؤلاء الكتاب الذين تصدوا لهذه الحملة، ووقفوا كل جهدهم لتفنيد ادعائها، وأعلنوا للناس جميعاً في مختلف البلاد العربية والإسلامية أن تلك الخدعة لا ينبغي أن تنطلي عليهم لأن الاستعمار وأذنبه يحاولون هدم اللغة العربية، وتقويض أركانها، وإحداث هوة سحيقة بين الأمة العربية والقرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين « هو الكاتب الإسلامي العظيم مصطفى صادق الرافعي » الذي لم يألُ جهداً في بيان ما تنطوي عليه هذه الدعوة ولم يقتصر جهده في ذلك على النشر، بل قال في ذلك شعراً ضمنه (٤) ديوانه سنعرض له عند حديثنا عن أوجه الدفاع عن اللغة العربية، والتصدي لأعدائها.

دفاع الرافعي عن اللغة العربية:

أدرك الرافعي من أول وهلة أن الدفاع عن اللغة يتطلب منهجاً منظماً يحفظه لنفسه، حتى يكون دقيقاً في رصد كل حدث يمكن أن يخدمه في دعوته، ويحتاج ذلك إلى ذاكرة لاقطة يرصد كل حركة وإن كانت صغيرة، فربما يقدم الحدث الصغير خيطاً يصل بالباحث أو المفكر إلى علاج الظاهرة علاجاً ناجحاً.



● يزري الرافعي بهؤلاء الذين يحاولون إظهار قدرتهم الكلامية بلغات غير لغاتهم وهم لا يكادون يجيدون لغتهم الأصلية.

أسبابهم ومستغلاتهم في مصر عربي الاسم لا غير ..» وكغيره من هؤلاء المترفين المنعمين المفتونين بالمدينة، لكل منهم جنسه المصري، ولفكره جنس آخر» .

هذه المقدمة التمهيدية في

المقال ضرورية لأنه يضع توصيفا لهذا الذي سيتحدث عنه فيما بعد، وليعلم القارئ أن هذا الشخص ليس له ولاء لوطنه إلا أنه ينعم بخيراته، ويستغل موارده في ملذاته فهو عربي الاسم فقط، وهو يشترك مع كل هؤلاء المنعمين الذين يستغلون وطنهم في نهب أمواله، ثم بعد ذلك تراهم يتعالون على أبناء الوطن ممن هم سبب في هذا المال الوفير الذين ينعمون به .

.. ثم يأتي إلى لب الموضوع فيقول : « قال وكان حضرة صاحب السعادة يكلم الباشا بالعربية مرتفعا بها عن لغة الفصح ارتفعا منحطا .. نازلا بها عن لغة السوق نزولا عاليا، يرتضح لكنة أعجمية، بينا هي في بعض الألفاظ جرس عال يطن، إذ هي في لفظ آخر صوت مريض يئن، إذا هي في كلمة ثالثة نغم موسيقي يرن، ورأيته يتكلف نسيان بعض الجمل العربية ليلوى لسانه بغيرها من

الفرنسية لا تظرفا ولا تملحا ولا إظهارا لقدرة أو علم، ولكن استجابة للشعور الأجنبي الخفي المتمكن في نفسه، فكانت وطنية عقله تأبى إلا أن تكذب وطنية لسانه، وهو بأحدهما زائف على قومه، وبالأخرى زائف على غير قومه»^(٥) .

وكلام الرافعي يقصد به أن يرسم صورة لهؤلاء الذين يحاولون إظهار قدرتهم الكلامية بلغات غير لغاتهم فهم لا يجيدون لغات قومهم، ولا لغات غير قومهم، ويضرب على ذلك مثلا : « فهو مرة صوته يشبه جرسا عاليا يطن، ومرة يشبه صوت مريض يئن، ومرة ثالثة يشبه نغما موسيقيا يرن، لأن صوته لم يكن على نسق واحد، ولا يتحدث لغة واحدة، حتى إن الباشا المخاطب عندما انصرف هذا الرجل قال عنه : « أف لهذا وأمثال هذا، أف لهم، ولما يصنعون، إن هذا الكبير يقبونه « حضرة صاحب السعادة» ولأشرف منه والله رجل قروي ساذج لقبه حضرة صاحب الجاموسة .. نعم إنه الفلاح عندنا جاهل علم، ولكن هذا أقبح منه جهلا فإنه جاهل وطنية» ثم يردف قائلا : « ثم إن الجاموسة وصاحبها عاملان دائبان مخلصان للوطن، فما هو عمل حضرة صاحب (اللسان المرقع) هذا؟ إن عمله أن يعلن برطانتته الأجنبية أن لغة وطنه ذليلة مهينة، وأنه متجرد من الروح السياسي للغة قومه .. إذ لا يظهر الروح السياسي للغة ما إلا في الحرص عليها، وتقديمها على سواها»^(٦) .

ثم يعلق الرافعي على ذلك بقوله : « كان الواجب على مثل هذا ألا يتكلم في بلاده إلا بلغته،



● ما نلت لغة شعب إلا نذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار.

ويقولون من شأنهم، فالأصالة تعني أن يحرص الإنسان على لغته، ويضعها في موضعها اللائق بها بين لغات العالم، وهم لا يعلمون أيضا أن من هانت عليه لغته التي تشكل تراثه وأمجاده سيكون هو بالتبعية هيئا على من يتحدث إليهم، لأنهم والأمر كذلك سينظرون إليه نظرة ازدراء واحتقار فهم يعلمون تماما أنه يتملقهم ويعمل على إرضائهم، وهو في دخيلة نفسه يرفضهم، لأنهم يحتلون بلاده، بل إن هذا الصنف من الناس لا يثق به أحد.

أما الجانب الثاني فقد جاء في مقال بعنوان : « اللغة والدين والعادات » باعتبارها من مقومات الاستقلال، وساقف عند الجزئية الأولى، وهي جزئية اللغة، لأن الرفاعي ألح عليها باعتبارها المقوم الأساسي من مقومات الاستقلال، ثم إنه حلل هذه الجزئية تحليلا رائدا أبان فيه أن اللغة تعني كل المقومات السابقة، بل إنها تعني قومية الفكر، وقومية العادات والتقاليد، يقول الرفاعي : « أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وجودا متميزا قائما بخصائصه، فهي قومية الفكر، تتحد بها الأمة في صور التفكير، وأساليب أخذ المعنى من المادة، والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها، وعمقها في عمق الروح، ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير، والبحث في الأسباب والعلل، وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية، وطماحها، فإن روح الاستبداد لا يتسع، ورأيه

وكان الذي هو أوجب أن يتعصب لها على كل لغة تزاحمها في أرضه، فترك هذا وهذا وكان هو المزاحم بنفسه، فهو على أنه حضرة صاحب سعادة « لا ينزل نفسه من اللغة القومية إلا منزلة خادم أجنبي في حانة » (٧).

بمثل هذه اللغة القاسية كان الرفاعي يواجه هؤلاء الذين يستخفون بلغتهم، وينزعون إلى لغات أخرى يظنون أنهم بهذا يتباهون على قومهم، وعلى ما ألفوه من حديث بلغة عربية أصيلة، إنه ينحو عليهم باللائمة، لأنهم ما زالوا مرتبطين بما تركه الاستبداد والحمق في زمن الحكم التركي، وكان الأجنبية علامة الحكم والسلطة واحتقار الشعب.

ويستمر مصطفى صادق الرفاعي في تصنيف هؤلاء الأدعياء إلى طبقات: واحدة تتعلق بعصر الاستبداد، وأخرى تصنع نفاقا للاستعمار، فهم يميلون إلى الخضوع والذل السياسي في عهد الاحتلال الإنجليزي، فاللغة الأجنبية بينهم تشریف واعتبار، كأنهم بها من غير الشعب المحكوم الذي فقد السلطة، وثالثة تصنع ذلك، لأنهم يريدون به عيب اللغة العربية وتهجينها، لأنهم لا يحبون الدين الإسلامي الذي جعل هذه اللغة حكومة باقية في بلادهم مع كل حكومة، وفوق كل حكومة « وهم يزدرون هذا الدين ويسقطون عن أنفسهم كل واجباته .. وهؤلاء قد خلطوا عملا صالحا، وآخر سيئا، إذ يغلون في مصريتهم غلوا قبيحا ينتهي بهم إلى سفه الآراء، وخفة الأحلام، وطيش النزعات فيما يتصل بالدين الإسلامي وأدابه، ولغته، وما أرى الواحد منهم إلا قد غطى وصفه من حيث هو رفيع على وصفه من حيث هو عالم أو أديب أو ما شاء . إن هذا المقت ﴿ كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ (٨).

هذا جانب من حملة الأديب الكبير الرفاعي على أولئك الذين هانوا على أنفسهم فلجؤوا إلى لغة الأجنبي يتشدقون بها، وكأنهم لا يعلمون أنهم بصنيعهم هذا إنما يحطون من أنفسهم،



● إن الأمة الحريصة على لغتها، الناهضة بها المعترزة بها، المُكْبِرَة شأنها، هي الأمة التي لديها نزعة المقاومة والغلبة والاعتزاز بقرائنها وفكرها.

لزوم الكلمة والكلمات القليلة». ثم يقول : « وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة، وكانت أمتها حريصة عليها، ناهضة بها، متسعة فيها، مكبرة شأنها، فما يأتي ذلك إلا من روح التسلط في شعبها، والمطابقة بين طبيعته، وعمل طبيعته

فيتجاوزونه، وهم فيه، ويرثون دماءهم من أهلهم، ثم تكون العواطف في هذه الدماء للأجنبي، ومن ثم تصبح عندهم قيمة الأشياء بمصدرها لا بنفسها، وبالخيال المتوهم فيها لا بالحقيقة التي تحملها، فيكون شيء الأجنبي في مذهبهم أجمل وأثمن، لأن إليه الميل وفيه الإكبار والإعظام، وقد يكون الوطني مثله أو أجمل منه، بيد أنه فقد الميل، فضعفت صلته بالنفس، فعادت كل مميزاته لا تميزه»^(٩).

بمثل هذه الكلمات تحدث الرافعي عن اللغة، فهو يمثل صيحة في وجه الاستعمار الذي حاول جاهداً صرف الشعوب المستعمرة عن لغتها، حتى يتمكن من السيطرة عليها، واستمرار وجوده فيها، فالشعوب التي تمكن المستعمر من لغتها، فتتصرف عنها، وتتبع لغة المستعمر شعوب حكمت على شخصيتها بالفناء، وعلى وجودها بالعدم، لأنها ستكون تابعة للمستعمر سائرة على دربه وهواه.

وإذا حاولنا تحليل هذه الأفكار، وما أثاره الكاتب من قضايا جانبية فإننا نرى أن الكاتب ركز على أن اللغة هي صورة حية لوجود الأمة في أفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، فاللغة تشترك فيها الأمة، لأنها تدل على قومية الفكر، وتتحد بها الأمة اتحاداً فكرياً. ودقة التعبير اللغوي دليل على قوة ملكات الأمة ومواهبها. وعمق اللغة دليل على عمق روح الأمة، وميلها إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل. وإذا استعملت الأمة اللغة استعمالاً قوياً، فأكثرت من المشتقات، وتصرفت

وكونه سيد أمره، ومحقق وجوده، ومستعمل قوته، والأخذ بحقه، فأما إذا كان منه التراخي والإهمال وترك اللغة للطبيعة السوقية وإصغار أمرها، وتهوين خطرها، وإيثار غيرها بالحب والإكبار فهذا شعب خادم لا مخدم، تابع لا متبوع، ضعيف عن تكاليف السيادة لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه، مجتزئ ببعض حقه، مكثف بضرورات العيش، يوضع لحكمه القانون الذي أكثره للحرمان، وأقله للفائدة التي هي كالحرمان».

« وما دلت لغة شعب إلا نذل، ولا انحطت إلا كان أمره في زهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمتهم فيها، ويستلحقهم من ناحيته، عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد : أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع» .

والذين يتعلقون اللغات الأجنبية ينزعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق إن لم تكن عصبيتهم للغتهم مستحكمة من قبل الدين أو القومية، فتراهم إذا وهت فيهم هذه العصبية يخلجون من قوميتهم، ويتبرؤون من سلفهم، وينسلخون من تاريخهم، وتقوم بأنفسهم الكراهية للغتهم، وآداب لغتهم، ولقومهم وأشياء قومهم، فلا يستطيع وطنهم أن يوحى إليهم أسرار روحه، إذا لا يوافق منهم استجابة في الطبيعة، وينقادون بالحب لغيره،

يحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد، الأول حبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، والثاني الحكم على ماضيهم بالقتل محوا، ونسيانا، والثالث تقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع .

أما الفكرة الثالثة فيركز فيها الكاتب على أولئك الذين يعجبون بلغة المستعمر، فهم بطبيعة الحال سينزعون إلى أهلها، فإذا وهنت عصبيتهم إلى لغتهم خجلوا من قوميتهم وتبرؤوا من سلفهم، وانسلخوا من تاريخهم، وقامت بانفسهم الكراهة للغتهم وآداب لغتهم ولقومهم وأشياء قومهم .

ثم حاول الكاتب أن يبين لنا أنهم والحالة هذه سيبتعدون عن وطنهم حتى وهم فيه، لأن عواطفهم ستكون مع الأجنبي، فيكون شيء الأجنبي في مذهبهم أجمل وأثمن، وقد يكون الشيء الوطني مثله أو أجمل منه ولكنهم فقدوا الميل إليه .

ثم تأتي الفكرة الرابعة تبين لنا أن اللغات تتنازع القومية، لأنها احتلال عقلي للشعوب التي ضعفت عصبيتها، فإذا هانت اللغة القومية على أهلها أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي، وإذا قويت العصبية، وعزت اللغة فلن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمة يرتفق بها، ولن يعطي للأجنبي إلا ما يستحقه، وبذلك يصبح كل شيء أجنبي قد خضع لقوة قاهرة غالبية هي قوة الإيمان بالمجد الوطني، واستقلال الوطن .

لقد كانت مصر كغيرها من البلاد العربية والإسلامية محطا لأنظار المستعمر، وهدفا من أهدافه التي كان يسعى جاهدا في النصف الأول من القرن العشرين، كي يجعلها تحت سلطانه . ينفذ من خلالها لتحقيق مآربه، وطموحاته، وقد علم الإنجليز يقينا أن الاستعمار العسكري سيتقلص حتما، فليحاول فرض لغته على المصريين بجعلها لغة الدواوين والمدارس والثقافة والعلوم، فجاءت صيحات الكتاب المصريين الغيورين على لغتهم تحذر من هذا الخطر الداهم،

في المترادفات فإن ذلك دليل حي على نزعة الحرية لدى الأمة وطموحها إلى الاستقلال .

ثم حاول الكاتب أن يبين لنا أن الأمة الحريصة على لغتها الناهضة بها المتسعة فيها المكبرة شأنها هي الأمة التي لديها نزعة المقاومة والغلبة، وأن شعبها هو الشعب المطابق بين طبيعته وعمل طبيعته، فهو سيد أمره، محقق وجوده، مستعمل قوته، أخذ بحقه، وإذا أهمل شعب لغته، وتراخى في استعمالها، وترك اللغة العامية تسيطر عليها، وأثر غيرها عليها فهذا شعب ضعيف في تكوينه فهو خادم لا مخدوم، تابع لا متبوع، ضعيف من تكاليف السيادة، ولا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه، فهو شعب أشبه بمجموعات العبيد، لا يقدر على الاستقلال بأنفسهم، يكتفون بضرورات العيش يوضع لهم القانون الذي يحكمهم حكما أكثره الحرمان، وأقله الفائدة التي هي كالحرمان .

أما الفكرة الثانية، فقد حاول الكاتب فيها بيان أمر هام، وهو أن لغة الأمم المستعمرة تكون الهدف لهؤلاء المستعمرين، فقد علم الاستعمار في النصف الأول من القرن العشرين أنه لا بقاء له بين هذه الأمم إلا بالسيطرة على لغتها، فأضحت لغة الأمم هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، فممنشأ التحول من أفكاره وعواطفه وأماله، فإذا انقطع الشعب من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة في وجوده، ثم ضرب الكاتب مثلا بأن أبناء الأب الواحد، إذا تكلم كل واحد منهم لغة أصبحوا أبناء ثلاثة آباء لا أبناء أب واحد، وهو بذلك يضرب مثلا للشعوب التي تربطها روابط أصيلة، ثم يجعلهم الاستعمار يتكلمون لغات غير لغتهم الأصلية .

وذلة الأمة تأتي من تركها لغتها، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمتها فيها، ويستلحقهم فيها، فهو كما يقول - الرافعي -



لهم أهمهم يقلبون
لها ظهر المجن،
فتراهم إن نطقوا
نطقوا بلغة لا
يكاد يعرفها
غيرهم،
والرافعي يشير
بذلك إلى اللغة



« سيأتي يوم إذا ذكر فيه
الرافعي قال الناس : هو
الحكمة مصوغة في أجمل
قالب من البيان».

مصطفى كامل

العامية التي لا تعرف إلا بين الناطقين بها، أما
اللغة العربية فإن الأمة العربية كلها تشترك فيها،
وتتبين ملامحها.

ثم أخذ الرافعي يتحدث عن تاريخ اللغة
العربية، وكيف أنها استمرت طوال الدهر ناصعة
كالبرق حتى طمست السحب من نوره، ثم حدث لها
ما حدث في تاريخها الحديث حتى قال:

سلوا الكواكب كم جيل تداولها
ولم تزل نيرات هذه الشهب

وسائلوا الناس كم في الأرض من لغة
قديمة جدت من زهوها الحقب

ونحن في عجب يلهو الزمان بنا
لم نعتبر، ولبنس الشيممة العجب

ثم أخذ يوجه حملته على الغرب الذي حاول
طمس اللغة العربية، والدعوة إلى لغته التي أراد
بها في صفوف الأمة، والدعوة إليها فقال:

أترك الغرب يلهينا بزخرفه
ومشرق الشمس ييكينا، ومنتحب

وعندنا نهر عذب لشاربه
ككيف نتركه في البحر ينسرب

وأيا لغة تنسي امرأ لغة
فإنها لعنة من فيه تنسكب

إنها صيحة قوية يرسلها الرافعي، حتى يدرك
الجميع أن اللغة العربية ما زالت تعطي، وتقدم
للجميع ما يمكن أن يجعلهم يفخرون بها، فهي
كالنهر العذب الذي يجب علينا أن نحافظ عليه، ولا
نتركه يضيع في بحر اللغات الأخرى، ثم أرسل

وتكشف للناس
تلك اللعبة
الخشيسة التي
يريد المستعمر
الترويج لها في
بلادنا، ويبين لهم
ما يعنيه التمسك
بلغتهم، فهي لغة
الدين والعروبة، وأمجاد الماضي .

ولعل هذه الصحيحة يحس بها كل إنسان في
كل مكان، وهو بهذا يأتي بأفكار عالمية لا تحدها
بيئته، ولا تقف أمامها أسوار الوطن .

قصيدة «اللغة العربية والشرق»

كان الغرض أن أقتصر على بعض ما كتبه
الرافعي من نثر الرافعي حول دفاعه عن اللغة
العربية، ولكنني رأيت أن أعرج في أسطر قليلة على
قصيدة الرافعي ... « اللغة العربية والشرق» والتي
جاءت في ديوان الرافعي، الجزء الثاني، وهي
قصيدة يبكي فيها الرافعي ما آلت إليه اللغة
العربية، وعزا ذلك إلى كيد أبنائها لها، إنهم لم
يراعوا فيها ما أرضعتهم إياه، وقد يجني النسب
كثيرا من الأحزان على من ينتسب إليه حتى إنه بدأ
القصيدة بقوله:

أم يكيد لها من نسلها العقب
ولا نقيصة إلا ما جنى النسب

كانت لهم سببا في كل مكرمة
وهم لنكبتها من دهرها سبب

لا عيب في العرب العرباء إن نطقوا
بين الأعاجم إلا أبهم العرب

فقد صور الرافعي إهمال العرب لغتهم الأم التي
يكيد لها أبنائها، وهذا منتهى العقوق التي يمكن
تصوره لأن هذه الأم كانت سببا في كل مكرمة
نالها هؤلاء العرب، فقد وصلت لغتهم إلى مشارق
الأرض ومغاربها، ثم هم بعد كل هذا الذي قدمته

هذه نظرات سريعة في قصيدة الرافعي التي تحتاج إلى وقفات متأنية، حتى يتضح من خلالها مدى ما يرمي إليه الرافعي، ومدى ما وفق فيه، أو أخفق، وكذلك تلك اللغة التي عالج بها الرافعي قصيدته، وتحلية هذا الأسلوب بالحكمة التي أتت في مكانها، ولم تكن مستجلبة، أو مستكرهة. إن الرافعي بكل المقاييس كاتب غيور على لغته، غيور على دينه، غيور على عروبتة، ومن يؤتي هذه المزايا جدير بأن يعد من الصفوة الذين يحتفى بهم، ويعطون حقهم من التكريم والإكبار .
رحم الله الرافعي وجزاه عن العروبة والإسلام خير الجزاء. ■

الهوامش:

- (١) د . محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ص٣٤٢ . مكتبة مصر ومطبعتها ، ١٩٨٠م .
- (٢) ديوان حافظ إبراهيم .
- (٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق .
- (٤) ديوان الرافعي ، شرح محمد كامل الرافعي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، أمام جامعة الأزهر .
- (٥) مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٨٢م .
- (٦) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .
- (٧) المرجع السابق نفسه .
- (٨) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
- (٩) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢ - ٣٥ .

حكمته الرائعة في قوله :

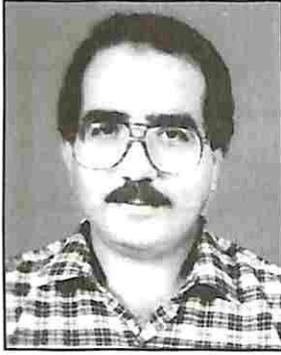
وأیما لغة تنسي امرأ لغة
فإنها لعنة من فيه تنسكب
ثم أنحى باللانمة على لغة القصور التي يتشدد
بها ساكنو القصور، لأنهم يحاولون أن يلوا
بأسنتهم بكلمات أجنبية، حتى يظهروا للناس أنهم
على علم باللغات الأجنبية، حتى يقول:
أرى نفوس الورى شتى وقيمتها
عندي تأثرها لا العز والرتب
ألم تر الحطب استعلى فصار لظى
لما تأثر من مس اللظى الحطب
فهل نضيع ما أبقى الزمان لنا
وننفض الكف لا مجد ولا حسب
ويستمر الرافعي في حديثه عن اللغة العربية،
ونعیه على قومها الذين أهملوها، ونزعوا إلى
اللغات الأخرى، فيختتم قصيدته بقوله:
هيهات ينفعنا هذا الصباح فما
يجدي الجبان إذا روَّعته الصخب
ومن يكن عاجزا عن دفع نائبة
فَقِصر ذلك إن تلقاه يحتسب
إذا اللغات ازدهت يوما فقد ضمنت
للعرب أي فخار بينها الكتب
وفي المعادن ما يمضي برونقه
يد الصدا غير أن لا يصدأ الذهب

ماضي العزيمة وثاب فمقتحم
ما للهوى في لساني "لا" ولا "نعم"
ومدفع الحرب في بعض الكلام فر
كما يرفرف في أعلى الذرى علم
فيها ضمائر العلوية الأمر
يخشونه، وله في حربها عظم
مصطفى صابر الرافعي

يا نفس ويحك أرضي الجدمك فتى
لا تعرضي لي لذات الهوى أبدا
كأس المدامة في بعض الخطاب فر
مالذتي أنا إلا أن أكون فتى
كأنه صفحة منشورة قرأت
سلم وحرب، له في سلمها عظم



الرافعي وأغاريد الأطفال



بقلم: أحمد فضل شببلول
مصر

أخبرني ديوان «أغاريد الرافعي» الصادر عن وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية عام ١٩٧٩، جمع وتقديم مصطفى نعمان البدري، على أربعة أبواب، يقتصر الأول منها على ما كان من نظم الرافعي في بناته وبنيه، وكيف تعهدهم بتلك الأغاريد، يغرس فيهم روح التربية القومية، والقيم العالية، والذوق البياني الرفيع.

أما الباب الثاني فهو عبارة عن مجموعة من الأناشيد القومية، بينما احتوى الباب الثالث على الأغاني والموشحات التي حاول الرافعي غير مرة أن يتمها في ديوان «أغاريد الشعب» فيضع فيه لكل طائفة أو جماعة من الشعب أغنية عربية تنطق بخواطرها وتعبر عن أمانيتها. في حين احتوى الباب الرابع على بعض المتفرقات.



المعاني الوطنية السامية والقيم
الروحية العالية ما يعلو على إدراك
الأطفال ما قبل العاشرة .

ولنذكر القارئ بالمقطع الأول من
هذا النشيد الذي لم يقل الراجعي
صراحة إنه كتب للأطفال، ولكن
صنف النشيد في هذه المجموعة التي
من المفروض أنها موجهة للأطفال .

يقول الراجعي :

اسلمي يا مصر إنني الفدا
ذي يدي إن مدت الدنيا يدا
أبدا لن تستكينني أبدا
إنني أرجو مع اليوم غدا
ومعي قلبي وعزمي للجهاد
ولقلبي أنت بعد الدين دين
لك يا مصر السلامة
وسلاما يا بلادي
إن رمى الدهر سهاما
فاتقيها بفؤادي
واسلمي في كل حين

إن سلسلة الأناشيد القومية التي احتوى عليه
الباب الثاني من أغاريد الراجعي يأتي معظمها في
مستوى نشيد « اسلمي يا مصر » أو في مستوى
أعلى منه من حيث البناء اللغوي، والصور المعنوية
أو المجردة أو التركيبية الشعرية بعامه .

يقول الشاعر في نشيد «بلادي»:

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجدها قلبي ويدعو لها فهمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده
ولا في حليف الحب إن لم يتيم
ومن تؤوه دار فيجد فضلها
يكن حيوانا فوقه كل أعجم

غير أننا نستطيع أن نختار نشيدا واحدا من
مجموعة الأناشيد القومية التي احتوت على ستة
أناشيد، يصلح لسن الطفولة بالمفهوم الذي نتحدث



سعد زغلول

وبالنظر إلى مجمل نصوص
الأقسام الأربعة نجد أن نصيب
النصوص المكتوبة إلى أربابنا الصغار
قليلة، فمن بين ثلاثة وثلاثين نصا
شعريا - هي كل نصوص الأقسام
الأربعة - نستطيع أن نختار عشرة
نصوص فحسب، تصلح للطفولة
بمراحلها العمرية المختلفة، بل إننا
نستطيع أن نستبعد الباب الرابع أو

الأخير كله، والذي جاء تحت عنوان «متفرقات» لأنه
لا يصلح بنصوصه السبعة عشر للأطفال، وعلى
ذلك فإننا نستبعد نصف قصائد الراجعي المنشورة
في هذا الديوان تقريبا، ويتبقى لنا الأبواب الثلاثة
الأخرى التي بدورها تحتوي على بعض القصائد
والأناشيد البعيدة كل البعد عن مستوى الطفولة،
وإن كان بها عدد من الأناشيد الوطنية والقصائد
الحماسية التي تصلح لسن الطفولة المتأخرة وما
بعدها، مثل النشيد الوطني الشهير « اسلمي يا
مصر أو نشيد مصر » الذي كان مكتوبا باسم
الزعيم الوطني سعد زغلول .

يقول مصطفى نعمان البدرى عن هذا النشيد «
كان النشيد قد سمي باسم سعد زغلول، الذي
رفعته الأحداث إلى صدر الزعامة الوطنية، تشبها
بالترك الذين خلعوا على زعيمهم كمال أتاتورك» .

ومما يلفت الانتباه أن هذا النشيد قام بتقديمه
أحد الأطفال الموهوبين في العزف الموسيقي
والغناء ضمن البرنامج التلفزيوني الصباحي
«صباح الخير يا مصر - فقرة مسرح
التلفزيون» وبعد أن شد هذا الطفل انتباه مقدمة
البرنامج والحاضرين وكذلك المشاهدين، وبعد
أن أثنت مقدمة البرنامج على أدائه وحفظه لهذا
النشيد، سألته أن يقدم شيئا لإخوانه الأطفال
الحاضرين والمشاهدين، وكأنها لم تقتنع بأن هذا
النشيد يصلح لسن الطفولة التي عليها هذا
الطفل، وهو بالفعل كذلك، فهذا النشيد يحمل من



وهكذا تدب الحركة والحياة في بيت الفلاح المصري، أو على خشبة المسرح إذا تحول النص إلى أوبريت، ولكن يبدو أن فكرة الأوبريت كانت بعيدة عن ذهن الرافعي أثناء كتابة هذا النص، مع أن الفكرة الأساسية للنص - وهي محاولة لرفع الظلم عن الفلاح المصري، وتحسين صورته أمام الناس، وإشعار المجتمع بمدى

أهميته - كان الأصلح لها الأوبريت.

أما عن المجموعة الأولى « أغاريد التربية الفصحى » فقد احتوت على سبعة نصوص هي مناغاة، و أرجوحة سامي، وليلة الساهر على الطفل المريض، وكن دائماً لمصر، وندى الورد، ونشيد المدرسة، وبنث النيل.

وكما جاءت عن نصوص عمر بهاء الدين الأميري المكتوبة - في معظمها - عن الأطفال، وليست للأطفال، فإننا نجد عند الرافعي هذه الإشكالية أيضاً، وبخاصة في مناغاة حيث يتحدث الشاعر عن طفلاته وليس إليها، يقول :

طفلتي في العمر مرت

من سنيها باثنتين

ليستا فيما عدت تعد

قل إلا ضحككتين

جئتها يوماً فألقي

ت عليها قبلتين

أما في قصيدة « ليلة الساهر على الطفل المريض » فهي لا تتحدث عن الطفولة والأطفال، ولا إليهم، بقدر ما تتحدث عن الشاعر أو الساهر على الطفل المريض ومشاعره أثناء سهره على المريض، ورعايته له :

هنالك النجم الذي من سناه

تضيء في ظلمة قلبي مناه

نضنو سقام كلما قال : أه

أحسست في قلبي دوي انفجار



عمر الأميري

عنه هنا، وهو نشيد «حمى النيل» الذي يقول الشاعر في مطلعته :

يا حمى النيل الأمين

لك في قلبي حنين

لك إخلاصي المتين

وهوى الأطفال دين

مصر يا خير وطن

مصر يا أم الزمن

لك من غيـر ثمن

كل عمري الثمين

أما المجموعة الثالثة والتي جاءت تحت عنوان «أغاني الشعب» فقد احتوت على ثلاثة نصوص هي: الفلاح في الصباح، ونشيد الفلاحة، وزجل في تسرية فقير

وبداية نستبعد النص الأخير لأنه كتب بالعامية المصرية في صورة زجلية، ونحن في هذا المقال لا نتعامل إلا مع النصوص المكتوبة بالفصحى للأطفال .

أما بالنسبة لنص «الفلاح في الصباح» فقد كان من الممكن أن يرقى ويطور ليصبح أوبريتاً مثل أوبريت «الوسام» عند إبراهيم شعراوي على سبيل المثال.

لقد احتوى نص «الفلاح في الصباح» على الحركة وتعدد الأصوات وتداخلها، يقول الرافعي في مطلع النص:

هات يا محمود لي المحراث

وضع الآن على الثور الحبالا

يا «علي» قم فخذ هذي الحبالا

للسُّباح قارب الصبح الطلوعا

أنت يا «خضرة» قومي فاحلبي

يا «سماحي» قل لـ « زينب » انهبي

وخذي خبزاً ومثلاً لأبي

ثم أرسل «هانما» ترعى القطيعا

أنظر للطفل فلا أصبر
 كأن عيني في الذي أنظر
 تحولت قلبا غدا يشعر
 فكل لحظ خاطر يستثار
 وكما قرأنا قصائد عائلية عند عمر بهاء
 الدين الأميري في ديوانه «رياحين الجنة» فإننا
 نجد في «أغاريد الرافعي قصائد مماثلة يتحدث
 فيها عن ابنه سامي وعبدالرحمن، ولكن يظل
 الاتجاه العام في أغاريد الرافعي بعيدا عن هذا
 الاتجاه الذي أكده الأميري في ديوانه .
 يخاطب الرافعي ابنه سامي في قصيدة
 «أرجوحة سامي» فيقول:

أنعم بها أرجوحة يا سامي
 تنام فيها أهنا المنام
 في قطعة من روضة الأيام

ياوي إليها طائر الأحلام
 أما قصيدته عن عبدالرحمن الرافعي، وهي
 من القصائد المرقصات (انظر رأي الرافعي في
 شعر الترقيص في كتابه تاريخ آداب العرب،
 هامش ص ١٨٧، ج ٣ ...) حيث يقول :

« لو أن سيداتنا الأمهات يتقبلن شعر الترقيص،
 ويجرين به على ألسنتهن لكبرت اللغة العربية مع
 أولادهن، ولغرسن بذلك في أذواق الأطفال أصول
 الوزن والقافية وأصول الأدب معها ... » .
 لقد انتهز الشاعر فرصة كتابته لهذه القصيدة
 / المرقصة ليتحدث فيها إلى أطفال مصر جميعا،
 وليس لابنه عبدالرحمن فحسب، يقول فيها :

يا ابني ويا ابن مصر
 كن دائما لمصر
 أنت ابن مصر وابني
 وسعدها وسعدي
 أبنيك حين أبني
 تفي لها بوعدي
 أبنيك من ضميري
 فلتعطها ضميرك

ولتحى يا صغيري
 حتى ترى صغيرك
 جمال أهل عصرك

إن أهم ما يتميز به ديوان الرافعي علو النبرة
 القومية، والحس الوطني الصادق، وهو ما
 ينبغي أن يكون موجودا في القصائد التي تكتب
 للأطفال، جنبا إلى جنب مع الموضوعات
 الإنسانية والدينية والاجتماعية الأخرى التي
 رأيناها في العديد من دواوين الشعراء الآخرين
 الذين يكتبون للأطفال .

وعموما فقد أدت هذه الأناشيد الحماسية
 دورها المطلوب في الحركة الوطنية والمطالبة
 باستقلال مصر، وإجلاء الإنجليز .

وليس معنى هذا أن الرافعي لم يكتب أناشيد
 وقصائد إسلامية مباشرة لشبابنا وأطفالنا، بل
 كان يكتب النصوص الإسلامية من واقع
 حماسته الوطنية، وإخلاصه لأمة العربية أيضا .
 يقول في نشيد الشباب المحمدي:

يا شباب العالم المحمدي
 يعوز الكون شباب مهتدي
 فأروه دينكم ليقتدي
 دين عقل وضمير ويد
 يا شباب العزمات المبرمة
 يا رجال المكرمات الملهمة
 عرفوا الكون الهدى والمرحمة
 علموا الكون العلا والمكرمة
 عرفوا الكون النفوس المسلمة

وإذا كنا قد استبعدنا من أغاريد الرافعي
 للأطفال المجموعة الرابعة «متفرقات»
 بنصوصها السبعة عشر، والتي قلنا عنها إنها
 لا تصلح لسن الطفولة، فإنه ليس مصادفة أن
 تأتي بحور هذه المجموعة من البحور التي لا
 يكثر دورانها حاليا في القصائد المكتوبة ليس
 للصغار فحسب، ولكن للكبار أيضا، مثل
 المقتضب، والمديد، والمجتث، ومطلع البسيط،



أرجوحة سامي

أنعم بها أرجوحة يا سامي تنام فيها أهنا المنام
 في قطعة من روضة الأيام يأوي إليها طائر الأحلام
 في وكزي النهار والظلام على غصون العمر النوامي
 أزهارها ما زلن في الأكمام قامت على ذاك الغدير الطامي
 في شاطئ المستقبل البسام كأنها خواطر الأحلام

ما هزة الثناء في الكرام واليد في الأشواق والسلام
 و صلف المليك في القيام وطرب الشاعر للإلهام
 كما أرى أرجوحة الهمام تهتز فخرا بالفتى المقدام
 بملك البيان والكلام وصاحب العرش من الأقالم

وقائد الجيش من الأعلام

يا ساميا وأنت في الأقوام من «رافعي» الحكمة في الأنام
 من عترة الخليفة الإمام من «عمر» المعز للإسلام
 إن جميع السادة العظام أهل العلا والهمم الجسام
 ومن أضأؤوا أفق الدوام لم يولدوا أكبر في المقام
 منك ولا في العقل والأجسام فلا تكن أصغرهم يا «سامي»

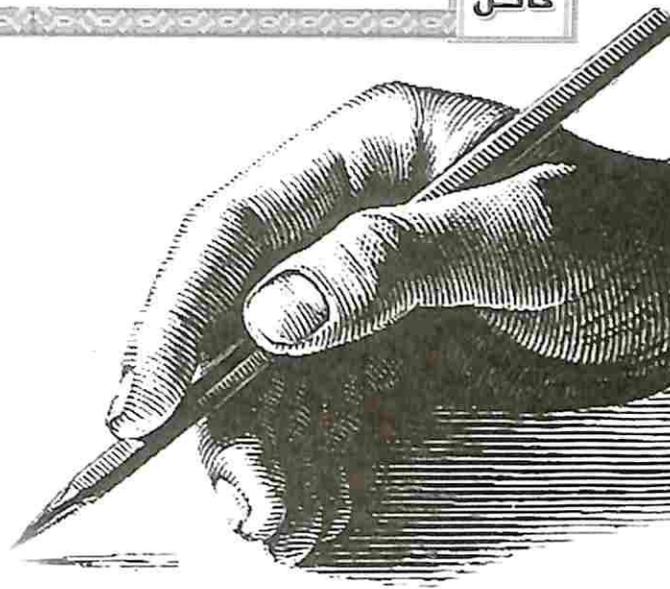
مصطفى صادق الرافعي

يقول في قصيدة « في ليلة
 الأنس» وهي من المقتضب،
 وهي كما نرى لا تصلح
 للأطفال:

من أشعة النظر
 لأشعة القمر
 من سهاد أعينه
 لكواكب السهر
 من ذبول مقلته
 لنضارة الحور
 أما عن المجموعات الثلاث
 الأخرى، فقد استبعدنا من
 المجموعة الثالثة نصا زجليا،
 ويبقى نصان جاءا من الرمل
 والرجز، أما المجموعة الثانية
 فقد جاءت نصوصها من
 بحور الطويل والرجز
 ومجزوئه، والرمل ومجزوئه،
 والمتقارب.

أما المجموعة الأولى فهي
 تعد من أقرب المجموعات الأربع
 إلى روح الطفولة والأطفال، وقد
 اعتمدت على الرجز ومجزوئه
 (٣ قصائد)، ومجزوء الرمل
 (قصيدة واحدة)، ومجزوء
 الهزج (قصيدة واحدة)،
 والسريع والخبب (قصيدة
 واحدة لكل منهما) .

لقد بلغ مجموع المجزوءات في
 أغاريد الرافعي تسعة مجزوءات
 مقابل اثنين وعشرين نصا من
 البحور التامة، وهو الأمر الذي
 يشي بأن عددا كبيرا من هذه
 النصوص لا يصلح بالفعل لسن
 الطفولة والأطفال. ■



عندها ندرس حياة مصطفى صادق الرافعي يظهر أثر الإسلام بارزاً في فكره وأدبه ونشاطه. وتبرز كذلك الناحية الوطنية. ولكن تظل العروبة والقومية لها النغمة القوية. فكيف برزت هذه النواحي في حياة الرافعي، وكيف واعم بينها؟!

أثر الإسلام في أدب الرافعي وفكره

أثر الإسلام في عواطفه وكتابات:

نشأ الرافعي نشأة دينية في بيت ملتزم بالإسلام. وبالرغم من ظروفه الصحية التي أثرت كثيراً في دراسته الرسمية، إلا أنه بذل الجهد الكبير لينال العلم من بيته، ومن المكتبات، ومن الشيوخ والأساتذة الأفاضل الذين أعانوه ووجهوه. فنال بذلك علماً متميزاً، كما تميّزت موهبته وبن نبوغه.

إذن كان غذاؤه الأول الإسلام قرأناً حفظه، ولغة عربية ملك زمامها وتمكن من علومها وأدابها، وفقهاً تعلّمه ووعاه. فلا بُدَّ أن يظهر أثر هذا الزاد في سلوكه ومواقفه. لقد كان وقوراً لا يهبط، صادقاً لا يكذب، واضحاً لا يماري، أميناً لا يخدع، صريحاً في وُدّه وخصومته، وكانت هذه الخلال من أبرز آثار الإسلام فيه.

والدين الإسلامي منهج حياة يقوم على الإيمان والتوحيد، ويلجم الشهوات، ويضبط الغرائز، ويُنير الدرب لتتحدّد المواقف والآراء والعلاقات في جميع ميادين الحياة.





جميع كتاباته: أدباً نثراً وشعراً، بياناً متميزاً. ويكاد لا يكون هناك خلاف بين النقاد على أن للرافعي أسلوبه المتميز الذي اختص به، فلا تجده عند سواه. هذه بعض آثار القرآن والسنة في عاطفة الرافعي، في فكره وكتاباته، في نشره وشعره، وفي مواقفه من دعاة الفتنة وحرية المرأة ومساواتها بالرجل، والظلم في الإسلام، فلقد كان الفارس المجلي في ذلك. وردوده هذه تمثل باباً واسعاً في كتاباته، وهذا باب يمكن الإطالة فيه حتى يبلغ كتاباً، ولكننا نوجزها هنا على قدر هذه الكلمة.

ولم ينحصر أثر الإسلام في حياة الرافعي في هذه النواحي، وإنما امتد إلى نواحٍ أخرى ترك فيها الإسلام أثراً واضحاً.

أثر الإسلام في العامل النفسي

كان للإسلام أثر كبير في العامل النفسي، العامل النفسي الذي كوّنته بيئته ومجتمعه وظروفه الصحية، ومرض التيفوئيد الذي ألمّ به وأذاه، فأنهك جسمه وأفقده السمع، وتناوبت الأمراض بعد ذلك حتى انقطع عن الدراسة، وعن الوظيفة التي رآها قيماً عليه وعلى طموحاته، كأنه شعر أن هناك سدوداً في حياته وحواجز تخطاها بجهد دائب، وعزم وتصميم، وموهبة متميزة.

أثر ذلك كله في نفسيته فترك جروحاً يطوي الأمها، وغضباً يكتم هيجانه، وكأنه يُنفس عن نفسه بحب الطبيعة والمروج والناظر الجميلة، وكثرة التأمل والنظر والتفكير، وحب الخلوة والانفراد. ولكن هذه كلها ولدت في نفسه عزيمة لا تتراجع، وتصميماً لا يقهر. فكان يقرأ يومياً ثماني ساعات، ويتخطى ما يثيره صممه من عقبات، بثقة ويقين. ولا أشك أن هذه العزيمة ما ولّدها فيه إلا إيمانه المستقر في فطرته وقلبه، فأمن بقضاء الله وقدره، وأمن بأن عليه واجباً



بقلم: د. عدنان النحوي
السعودية

كان من أبرز نواحي حياته الحب والتأثر الشديد بالجمال والحسن، وقد كان له في ميدان الحب والجمال جولات واسعة امتدت فترة غير قصيرة في حياته، وفجرت فيه مواهبه النثرية والشعرية. ولكننا نود أن نشير إلى أن الإسلام ألجم هواه وغرائزه حتى لا يهبط إلى ساحة الفجور، في واقع امتدت فيه فتنة الغزو الغربي، وامتد في نجاحه في بعض الميادين، من إطلاق حرية المرأة، وتغيير كثير من العادات، حتى سقط فيه

الكثيرون. وهنا يظهر الأثر المهم للإسلام في حياته. وقد يتحوّل الناس وتتبدل المفاهيم، ولكن ميزان الإسلام حق ثابت لا يتغير. إنه ميزان رباني حق لا يأتيه الباطل أبداً.

وكان للإسلام آثار أخرى عليه برزت في بعض مؤلفاته مثل "تحت راية القرآن" أو "بين القديم والجديد"، جاءت فيه موضوعات متعددة: الجملة القرآنية، ونقد لكتاب الشعر الجاهلي، مسلم لفظاً لا معنى. وتحدثت عن موضوعات الميراث "العربي"، والأدب "العربي" وغير ذلك. ونلمس هذه الحمية الإيمانية في "رسالة الحج" وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وغير ذلك من أبواب الجهاد بالكلمة والرد على من يسمون أنفسهم بالمجددين.

ونلمس تأثير القرآن الكريم والسنة النبوية في كتاباته بياناً وبلاغة مع قدرة متميزة على توليد المعاني، وتجديد التعبيرات، وإيراد المقابلات والمتطابقات، ومختلف أنواع البديع والبيان والبلاغة من استعارة ومجاز وتشبيه، مما كوّن له أسلوباً خاصاً في الكتابة لا تجده عند غيره، حتى وصفه أحد الصحافيين بقوله: "إنه المختار لحراسة لغة القرآن"^(١).

فمن الجلي أن أوّل آثار القرآن الكريم في الرافعي هي اللغة العربية التي أحبها وعشقها، وجاهد من أجلها، وأطلق عبقريتها. فهي خط بارز في

فتنتهم، والغرب يغذّيهم ويمدّهم بأسباب القوة وبأبواب التوجيه.

ولم يقتصر الأمر على مصر وحدها، ولكن هذه الفتنة امتدّت إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي، ولا ننكر أن التركيز كان أشدّ على مصر وبلاد الشام. واضطرب الواقع الاقتصادي في مصر وغيرها، واتسعت هوة التفاوت الاجتماعي والطبقي، وبرز نفوذ المرابين من اليهود وأعوانهم من بيوتات المال الأوروبية، هذه البيوتات وهؤلاء المرابون أصبحوا يتمتعون بخيرات البلاد وينعمون بها، ويظل الفلاح يشقى ويعاني في عوز وفاقة، وصبر وابتلاء. ومما كان يزيد البلاء بلاءً زيادة الضرائب على صورة مؤذية .

وامتدّت هذه الحالة زمنًا غير قصير، ومازالت آثارها واضحة حتى اليوم، وهي تتزايد وتتزايد فتنتها في المجتمعات الإسلامية، منذ القرن السادس عشر حتى اليوم. وشهد القرن العشرون حربين عالميتين أثرتا أسوأ التأثير على واقع المسلمين، وعلى مصر، وعلى ازدياد نفوذ الغرب وإعلامه وفكره وثقافته وأدبه، دون صناعته وسلاحه وعلومه. وتمزق العالم الإسلامي كله قطعاً قطعاً تناثرت في الأرض، واستقل بعضها عن بعض، ووقعت كلها تحت نفوذ الأجنبي الغازي المعتدي والمحتل، وأخذت كل قطعة تتغنى بقوميتها. وظهرت شعارات كثيرة متصارعة، وكان من أخطر ما انتشر في بلاد الشام والعالم العربي كله، من نزعة " العروبة " التي نُظمت لها الأناشيد، والتي كان يُردّها الأطفال المسلمون في المدارس والمناسبات، وامتدت هذه الأناشيد في العالم العربي كله، لتغرس في النفوس حركة " العروبة " في انحراف عن الدين كما في النشيد التالي:

بلاد العرب أوطاني
من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن
إلى مصر فططوان

يجب أن ينهض إليه ومضى على دربه حتى كتب الله له البروز والتميز في نواح جليّة من الأدب واللغة. وجابه كبار رجال الأدب والفكر في عصره بين نقد وهجوم، وودّ وألفة، ورضا وخصام، وبين مساجلات ومناظرات، في أجواء يثور فيها التحاسد والتباغض. وبسبب هذه العوامل النفسية كلها، كان شديداً عنيفاً في هجومه وفي نقده في قضايا أدبية وقضايا فكرية. كان يشعر بينه وبين نفسه أنه طاقة وموهبة، وأن عليه واجباً يودّ الوفاء به، ومسؤولية يجب أن ينهض إليها، ليس في ميدان القتال، ولكن في ميدان القلم والكلمة، فإذا كان هذا الشعور الذي عبّر عنه أحياناً أثارته الموهبة، فإن هذه الموهبة غذّأها حفظه لكتاب الله وبيئته الدينية.

أثر الإسلام في فهمه للواقع وتعامله معه

وحين دخل معترك الحياة بزاده الغني، وصحته المضطربة، وصممه المستديم، رأى ميادين الواقع هائجة مائجة، تموج فيها التغيّرات العاصفة، والأحداث الدولية الكبيرة، والحرب العالمية الأولى وأثارها، وسقوط الخلافة الإسلامية، وتمزق العالم الإسلامي كله، وغزو عسكري للعالم الإسلامي، وغزو فكري وثقافي علماني، وامتداد أثر ذلك في العالم الإسلامي والعالم العربي وفي مصر ذاتها، ورأى مظاهر التحول السريع.

لقد ران على الشرق الإسلامي عهود من الوهن والتخلف تركت فيه أمراضاً عديدة وأسوأ كثيرة. فلقد امتد الجهل بالكتاب والسنة وباللغة العربية بين الناس امتداداً واسعاً، واعوجّت الألسنة باللهاجات العامية وباللغات الأجنبية. ومهد ذلك إلى الغزو الثقافي الفكري والعسكري تحمله القوى الأجنبية، وتحمله كذلك جموع العائدين من الابتعاث إلى أوروبا، وقد اضطربت التصورات الإيمانية لدى بعضهم واختلفت لدى بعضهم الآخر، فانقلبوا جنوداً للغرب وفكره ومصالحه، يندفعون بجرأة يعلنون أفكارهم الجديدة ويقبلون التحديّ ويصرون على



موسى ولطفي السيد، وغيرهم، في مقالات صحفية وفي كتب تصدر من هنا وهناك. ودارت معركة حامية بين الرافعي والعقاد في كتاب «على السَّفود» الذي أصدره الرافعي يهاجم به العقاد هجوماً مقذعاً. غضب الرافعي لسقوط الخلافة الإسلامية وقطع الصلة بين الأتراك والعرب فكتب عند ذلك: "يا غربة الإسلام في موطنه" (٣) وبرزت عاطفته الإسلامية بصورة مباشرة وسلامة منهج. ولكن ظلّ الرافعي يرى في العرب قوماً متميزين من غيرهم من الأتوام.

ولا شك أنّ الرافعي كانت تشرق في قلبه آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التي لا تميز قوماً من قوم إلا بالتقوى.

ومن ناحية أخرى أراد الرافعي أن يجعل من اللغة العربية "جنسية لغوية" كما قال في إعجاز القرآن:

"إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به، متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً" (٣).

فتكون دلالة ذلك أنّ على المسلم مهما كان جنسه أو لونه أن يتقن العربية حتى يستطيع تدبّر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لتجتمع الشعوب الإسلامية كلّها على ذلك، على سلامة الفهم والتدبّر وصدق الإيمان والتوحيد.

ولذلك تحدث في الباب السابع من كتاب "تاريخ آداب العرب"، عن الأندلس وعروبته، وعن مصرع العربية فيها! ويقول: "... ونحن نريد الآن أن نبيّن كيف صرّعت العربية فيها بعد أن صارعت طويلاً" (٤)، ويشير بين حين وآخر إلى حقيقة الإسلام في الأندلس.

واعتبر جريمة النصارى في الأندلس وتنصيرهم للمسلمين عبارة عن "تنصّر العربية"، فجعل من ذلك عنواناً لفصل في كتابه "تاريخ آداب العرب" (٥).

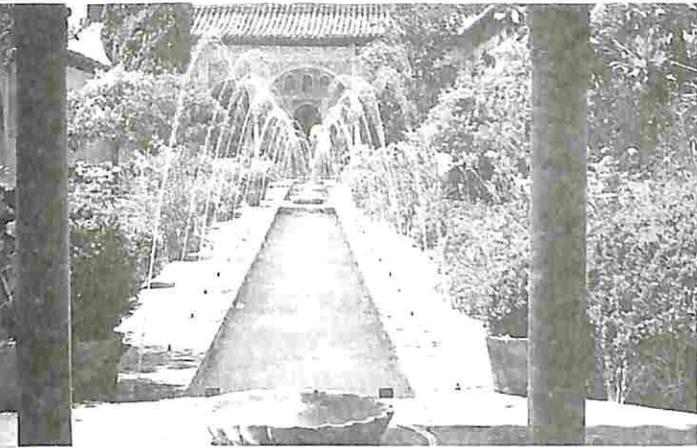


فلا حُدَّ يباعدنا
ولا دين يُفرّقنا
لسان الضاد يجمعنا
بفسّان وعدنان
لنا مدنيّة سلفت
سنحّيها وإن درست
ولو في وجهنا وقفت

دهاة الإنس والجان
والناحية الأخرى إقبالُ الكثيرين من المسلمين على تقليد الغرب ابتداءً من اللباس وسائر المظاهر، إلى مقاصف اللهو وحفلات الرقص، وامتداد اختلاط النساء بالرجال وانتشار بيوت القمار واللهو غير البريء. وكذلك اعوجاج الألسنة باللغات الأجنبية، وانتشار الأندية والجمعيات والمؤسسات والمنظمات لتغذي كلّ مظاهر الانحراف عن الإسلام، تزيده انحرافاً وقتنة.

أمام هذه الفتنة جاء الرافعي يحمل زاده وعلمه ويحمل أمراض جسمه ويحمل عزيمة وتصميماً، فوجد في الساحة سلامة موسى الذي كان يدعو إلى العامية والأدب المكتشوف والفرعونية، وطه حسين صاحب كتاب "الشعر الجاهلي"، ومدارس فكرية وأدبية وسياسية متعددة، ووجد الصراع الممتد الذي ملأ الندوات والصحافة والإعلام، يخوضه الجميع كأنهم لا يدرون ما يُحاك للأمة من تدمير وهلاك. لقد جاء الرافعي في مرحلة تميز بها المجتمع المصري بالحركة الأدبية الواسعة آنذاك على صورة لم تشهدها مصر من قبل. وشغل الأدباء وكثير من الناس بهذا الصراع الأدبي الشديد على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها، والأعداء يعملون بهدوء وفق منهج مدروس.

دارت معارك شديدة بين الرافعي دعاة التجديد والتغريب من أمثال قاسم أمين وطه حسين، وسلامة



الصافية والعاطفة الصادقة. ومنها نشيد: "اسلمي يا مصر"، ونشيد "حماة الحمى... ونشيد: "لك يا مصر السلامة، وسلاماً يا بلدي. وللرافعي مجموعة دواوين أميط اللثام عن أسمانها ولكنها لم ترَ النور، وهي "أغاريد الرافعي" ومجموعاتها الثلاث، تدور حول ترقيص الأطفال، والأناشيد الوطنية، وبعض قصائد الموشحات^(٩).

وكذلك مقالاته في "الأخبار" كتبها خلواً من التوقيع، أو بأحرف من اسمه. وامتدت مقالاته الوطنية حرارة وقوة، وساهم في أنشطة وطنية صافية. ثم لوحظ عليه الانكماش، بعد ما رأى من صراع الأحزاب وانشقاق صفوف الجماهير، وافتراق الحركة المصرية، حتى لم يعد لها جامع لا من العروبة ولا من الإسلام.

ويقول مصطفى نعمان البدرى: "وقد حفلت حياته الشعرية بموافقات طريفة في موضوعاته الوطنية..."^(١٠) ويستشهد بالقصيدة الوطنية التي مطلعها:

بلادي هواها في لساني وفي دمي

يمجدها قلبي ويدعو لها فمي^(١١)

فلما انتهت الحرب العالمية الأولى، وتقاسم الغرب أجزاء العالم الإسلامي، وظهرت بوادر المقاومة هنا وهناك، وفي مقدمتها مصر، كان الرافعي لسان الأمة المجاهدة عن قيمها وكرامتها بأدبه وفنّه، وقد رفع لها أكثر من شعار...^(١٢).

ولقد تحدّث مصطفى نعمان البدرى في كتابه "الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد" عن هذه الناحية في فكر الرافعي واتجاهه، بصورة مفصلة واسعة. وينقل البدرى عنه قولته المشهورة: "وما أراها إلا استنهض في مصر والشام نهضة من يستجمع - تأمل - وربما شهد الناس دهرأ يصلح أن يُسمّى فيه ما بين العراق والأطلسنطيق "جمهورية اللغة العربية"، وما هو ببعيد"^(٦).

ويقول أيضاً: "بعد نكبة الأمة في الحرب العالمية الأولى وضياع سلطانها، وتوزّع ديارها أسلاباً بين أيدي المستعمرين والمغامرين أدرك ما يعوز الأمة في ذلك الصراع المرير، وهو القوة، بل خوارق القوة،... فكتب في نوادر القوة عند المسلمين صفحات جليّ فيها شواهد من تاريخهم العظيم.

ولقد تأثر الرافعي بإنزال الإمام الشافعي اللغة العربية منزلتها الأمانة، فاعتبرها الأساس البياني لمعرفة دور اللغة العربية والكتاب والسنة في جمع الشعوب على الحقّ الذي جاء من عند الله^(٧). وإنه لأمر جميل أن يُنزل الإمام الشافعي اللغة العربية منزلتها الأمانة، ويبين أهميتها في فهم الكتاب والسنة للوصول إلى سلامة الاعتقاد الإيماني.

الاتجاه الوطني

أما الناحية الوطنية فما قصر الرافعي عنها. لقد كان للرافعي وجهة نظر ورأي في السياسة جعله يفقد الثقة بالأحزاب جملة. وقد عبّر عن ذلك قوله بقوله:

فيا عُصبة الأحزاب رُدُّوا حُلُومَكُم

وجرّوا على غير الثرى بذيول

ولكنه أشار إلى دعوة مصطفى كامل والحزب الوطني لإقامة "الجامعة" في فكرة وطنية انشقت لها مكانها في التاريخ^(٨).

الأناشيد التي أطلقها تحمل الروح الوطنيّة



صوت القبر*

مصطفى صادق الرافعي

يا من لهم في القبور أموات!
إن رؤية القبر زيادة في الشعور بقيمة
الحياة، فيجب أن يكون معنى القبر من معاني
السلام العقلي في هذه الدنيا .
القبر فم ينادي: أسرعوا أسرعوا، فهي مدة لو
صرفت كلها في الخير ما وقت به، فكيف يضيع منها
ضائع في الشر أو الإثم! لو ولد الإنسان ومشى
وأيفع وشب واکتهل وهرم في يوم واحد، فما عساه
كان يضيع من هذا اليوم الواحد؟ إن أطول الأعمار
لا يراه صاحبه في ساعة موته إلا أقصر من يوم .
ينادي القبر: أصلحوا عيوبكم، فإنها إن جاءت
إلى هنا كما هي بقيت كما هي إلى الأبد، هنا قبر،
وهناك قبر، وهناك القبر أيضا، فليس ينظر في
هذا عاقل إلا كان نظره كأنه حكم محكمة على هذه
الحياة كيف تنبغي وكيف تكون ...
في القبر معنى إلغاء الزمان، فمن يفهم هذا
استطاع أن ينتصر على أيامه، وأن يسقط منها
أوقات الشر والإثم، وأن يميت في نفسه خواطر
السوء . فمن معاني القبر ينشأ للإرادة عقلها
القوي الثابت، وكل الأيام المكروهة لا تجد لها
مكانا في زمن هذا العقل كما لا يجد الليل محلا
في ساعات الشمس.
ثلاثة أرواح لا تصلح روح الإنسان في الأرض
إلا بها:
روح الطبيعة في جمالها، وروح المعبد في
طهارته، وروح القبر في موعظته .

* مجلة الفتح، العدد ٤٢٩، ٢٦ شوال ١٣٥٣هـ

وله عدة أناشيد، كما ذكرنا أعلاه
بعضها، ومنها نشيده الأثير: "اسلمي يا
مصر" ! وهو نشيد وطني، ولكننا نردده،
وندعو لمصر وسائر بلاد الإسلام بالسلامة .
وله نشيد آخر: "يا شباب العالم
المحمدي" الذي كان صرخة تدوي به دماء
المؤمنين، وتطير به أشلاؤهم .
والنشيد الآخر: "حماة الحمى" الذي
أضحى نشيد الناس في مصر وخارج
مصر، شرّق إلى بلاد الشام والعراق، وغرّب
إلى تونس والمغرب. فكان صوته بهذه
الأناشيد وبكثير من قصائده وروائع شعره
صرخات يقاطر وتنبيه. ولا شك أننا نرى في
ذلك كله أثرا واضحا للإسلام .
وإني أشعر أن الرافعي ربط مفاهيمه
للإسلام وللوطنية والعروبة متأثرا
بعواصف الواقع وتحدياته. علما أن
الإسلام أعاد صياغة جميع الروابط
البشرية من عائلية ووطنية وقومية، لتكون
روابط إيمانية خالية من أي عصبية
جاهلية حرّمها الإسلام. رحم الله الرافعي
وغفر له وتقبل منه صالح عمله. ■

الهوامش:

- (١) مصطفى نعمان البدري: الرافعي الكاتب بين
المحافظة والتجديد: ص ١١١ .
- (٢) السابق: ٤٧٠ .
- (٣) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ج
١٥٧ /
- (٤) الرافعي - إجاز القرآن: ٤٧ .
- (٥) الرافعي: تاريخ ادب العرب: ج ٣/٢٩٣ .
- (٦) المصدر السابق: ٢٩٩ .
- (٧) الهلال، شباط ١٩٢٠م - ٤٠٠، د. البدري ٤٣٣ .
- (٨) البدري: ٢٠٧ .
- (٩) ديوان الرافعي تحقيق د. ياسين الأيوبي - ص: ٣٢١ .
- (١٠) البدري: ٥٣٩ .
- (١١) الديوان: ص: ٨٩ .
- (١٢) البدري: ١٢٦ .

المرأة في أدب الرافعي

للمرأة في أدب الرافعي مكانة كبرى وهذه المكانة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الرافعي، وتمت بحبل وثيق إلى شخصيته النابغة التي تجاوزت على تكوينها أسباب عديدة، منها أنه كاتب إسلامي أصيل ضرب بسهم وافر من الثقافة العربية الإسلامية الزاهرة التي ما فتئت تعتبر المرأة والرجل وجهين لعملة واحدة، أو هما سريان لقوس متقنة صناعتها، لكل منهما وظيفة التي خلقه الله لها كل فيما رسم له، فلا غنى لأحدهما عن صاحبه، ولا مناص لهما من السير على طريق دقيقة غاية في الدقة، وكيف لا تكون كذلك وواضعها هو خالق هذا الكون وبارئها؟! ومنها أن الرافعي قد أوتي نفساً مرهفة شاعرة، وإحساساً رقيقاً مبدعاً بما حوله، هذه الخاصة التي أوتيها كثير من عباقرة الفن ومبدعيه تجعل الإنسان ذا حس مضاعف وفهم ثاقب يستشف الأشياء وما وراءها، فينقل لنا ما يراه بصورة أكثر عمقاً وإشراقاً.





النبوي الشريف، ويتابع الشرح والتفسير بدقة متناهية وأسلوب لا يملك المرء أمامه إلا التسليم والقبول، فهو يستشهد على الفكرة التي يطرحها مستنبطاً الفكرة التي يؤمن بها، كقضية التبرج التي يجعلها مخالفة لطبيعة المرأة التي فطرت على كونها تميل إلى رجل واحد هو زوجها، فاهتمام المرأة بإظهار زينتها بإسراف، ولمن حرم الله عليها التزين أمامهم هبوط بمستواها إلى الفساد



بقلم: خير الله الشريف*
سورية

والضعة، ثم إن أزواج النبي ﷺ اللواتي هن المثل الأعلى الذي يجب على كل مسلمة اتخاذه أسوة حسنة كن في الحشمة والوقار بالغات الغاية، فيقول: "وقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال: اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء، فقلت: أين النساء؟ قال: شغلن الأحمران؛ الذهب والزعفران. أي الطمع في الغنى، والعمل له، والميل إلى التبرج والحرص عليه. ونفس الأنثى ليست أنثى، ولكن شغلها بذلك التبرج وذلك الحرص وذلك الطمع، هو يخصصها بخصائص الجسد ويعطيها من حكمه وينزلها على إرادته، وهذه هي المزلّة، فتتهبط المرأة أكثر مما تعلو، وتضعف أكثر مما تقوى، وتفسد أكثر مما تصلح، إن نفس الأنثى لرجل واحد، لزوجها وحده. رأيت أزواج النبي ﷺ فقيرات مقتوراً عليهن في الرزق غير أن كلاً منهن تعيش بمعاني قلبها المؤمن القوي في دار صغيرة فرشّتها الأرض" (٣).

وللرافعي قدرة فائقة على تحليل طبيعة المرأة ووظيفتها، فهو يصور دخيلتها تصويراً دقيقاً هو دائماً أو غالباً يصيب الحقيقة، ثم يستخدم الفلسفة في بسط فكرته مما يعطي كتاباته إعجاباً كبيراً مدهشاً، من ذلك حديثه عن ضعف المرأة،

كما هو الأمر عند كل مسلم حقيقي ينظر الرافعي إلى المرأة بمنظار إنساني قبل كل شيء، فكما أن الإنسان مكرم بالفطرة، ذو مكانة سامية تترجمها كثير من النصوص الإسلامية التي بين أيدينا، فإنه لا يخرج في أدبه عن إعطاء هذه الصورة الواضحة دائماً، فيرى أن المرأة هي الإنسانية في نصف الإنسان، وهذه الصورة هي صورة المثل الأعلى للإنسانية، وقد رآها

الرافعي متمثلة بدقة في زوجات النبي ﷺ، يقول في (فلسفة المال): "تم قال الإمام: وأنا دخلت على أزواج رسول الله ﷺ، ورأيتهن في دورهن يقاسين الحياة، ويعانين من الرزق ماشح درّه، فلا يجيء إلا كالقطرة بعد القطرة، وهن على ذلك، ما واحدة منهن إلا هي ملكة من ملكات الأدمية كلها، وما فقرهن إلا كبرياء الجنة نظرت إلى الأرض فقالت: لا...! يجاهدن مجاهدة كل شريف عظيم النفس، همه أن يكون الشرف أو لا يكون شيء" (١).

وهو يريد بهذا المثل أن يعطي صورة للمرأة الفضلى المسلمة التي تسامت بأنوثتها، فجعلتها نبراساً لبنات جنسها، تحضّهن على تمكين صفات الخير في نفوسهن، وتربية الأخلاق الفاضلة التي ستكون عدة لهن في حياتهن مع الرجال قبل أن تكون لهن ذخراً يوم القيامة، فيقول: "كانت أنوثتهن أبداً صاعدة متسامية فوق موضعها بهذه القناعة وبهذه التقوى، ولا تزال متسامية صاعدة، على حين تنزل المطامع بأنوثه المرأة دون موضعها، ولا تزال أنوثتها تنحدر ما بقيت المرأة تطمع، ورب ملكة جعلتها مطامع الحياة في الدرك الأسفل، وهي باسمها في الوهم الأعلى..." (٢).

وبما عهد عنده من أسلوب الإقناع بالحجة والبرهان والتحليل يستشهد الرافعي بالحديث

* مدير مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق.

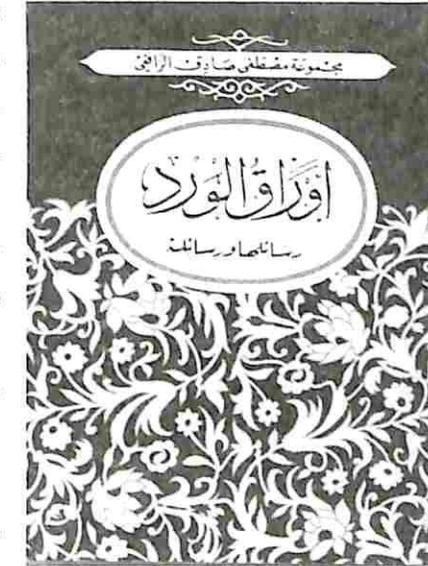
فتربية المرأة وإعداد الأم هو المنطلق الذي يبدأ الحياة في الشرق المسلم عندما يقول^(٦):

ربُّوا لدا الشرق يا قومي ممرضة
تحنو عليه بإحساسٍ ووجدانٍ
ربُّوا له الأمُّ يا قومي فلو وُجدتْ
في الشرق ما طاحَ في ذلٍّ وإهوانٍ
تلك التي ترفع الدنيا وتحفضُّها

بطفلها فهو والدنيا بميزانٍ
والرافعي الذي أوتي من القدرة على الوصف

فناً، ومن تصوير خوالج النفوس
روعة استطاع أن يسكب في
مقالته (موت أم) من إبداعه، فأخذ
يصور طفلاً قد فقد أمه وهو في
عالمه الطفولي البريء يشعر
بضخامة الرزء الذي ابتلي به، فهو
يظهر ما للأُم من رباط وثيق
بولدها، ومدى حاجته إليها فيقول:
"تبارك الذي جعل في قلب الأم
دنيا من خلقه هو، ودنيا من خلق
أولادها! تبارك الذي أثاب الأم
ثواب ماتعاني، فجعل فرحها
صورة كبيرة من فرح صغارها!..
انتهت- أيها الطفل المسكين-

أيامك من الأم: هذه الأيام السعيدة التي كنت
تعرف الغد فيها قبل أن يأتي معرفتك أمس الذي
مضى... الأم...؟ يا إلهي، أي صغير على الأرض
يجد كفايته من الروح إلا في الأم!"^(٧).



المرأة .. حبيبة
إن ذروة أدب الرافعي وعقدة حياته الفكرية
والأدبية شيء واحد هو الحب، وقد قاده هذا إلى
ابتداع لون جديد من فلسفة الحب والجمال في
الأدب العربي كان فيه "مخلصاً لأمانته وفنه، فقد
كان يسكب روحه على الورق، ويصدر عن نفس
مؤمنة عميقة الإيمان والاعتناع"^(٨).

وما يرسمه من تصرفها مع الرجل وعلاقة ذلك
بالأخلاق والفضيلة والفكرة الإسلامية الصائبة
التي تأخذ بعين الاعتبار هذه الطبيعة الرقيقة
المرهفة للمرأة بما يتناسب مع الحياة الأسرية في
مملكتها البيتية وما يتعلق بذلك من حجاب وغيره،
فمن هذا مقالته (زوجة إمام) التي يقول فيها:
"والمرأة ضعيفة بفطرتها، وهي على ذلك تأبى أن
تكون ضعيفة أو تقر بالضعف إلا إذا وجدت
رجلها الكامل، رجلها الذي يكون معها بقوته وعقله
وفتنته لها وحبها إياه... فإذا لم
تصب المرأة رجلها القوي لم
تستطع أن تكون معه في حقيقة
ضعفها الجميل، وعملت على أن
يكون هو الضعيف، وبهذا تخرج
من حيزها، وما أول خروج النساء
إلى الطرقات إلا هذا المعنى، فإن
كثُر خروجهن في الطريق.
وتسكن هاهنا وهاهنا فإنما تلك
صورة من فساد الطبيعة فيهن
ومن إملاقها..."^(٩).

المرأة .. أمًا

لعل تلك النظرة الإنسانية
الرقيقة التي نظر بها الرافعي إلى المرأة، واتخاذها
من أمهات المؤمنين مثلاً أعلى ونبراساً للبشرية قد
وطأ القدسية التي أحاط بها هالة الأم التي جعلها
عنواناً للمرأة ومكانة لا تتنازعها فيها مكانة على
الإطلاق كما يُستشف من قوله^(٩):

اجتْ خُضوعاً واحتراماً لمن
أمك في حواء من أمها
ألا ترى الجنة فيما رَووا

مطلوبة من تحت أقدامها
وفي قصيدته (الشرق المريض) جاءت الدعوة
الإنسانية مع الدعوة الإسلامية إنصافاً للمرأة
ورفعاً لمكانتها الاجتماعية إلى الأمومة الراحية،



● تنظر المرأة بقلبها إلى أشياء لا تراها بعينها.

الرافعي

وقد كانت صورة المرأة الحبيبة عند الرافعي تجسيدا لمفهوم الحب الإنساني العفيف عنده، وهذا يظهر جليا في تحليله لشخصية هذه المرأة أو لجمالها الحسي، أو في خطابه لها، أو في رسائله إليها.

والحبيبة عنده ليست تمثالا جميلا - وهو ذواقة الجمال الأول - ولا هي منظر رائع يمتع بفتنته وسحره - ومن الشاعر المرفه إلا يَكُنُّه الرافعي؟! - وإنما هي عون على أعباء الحياة، وشقيقة الروح، ورفيقة النضال، وإنما الجمال والسحر عندها في تصويره كونها قوة له وسندا وسببا من أسباب الحياة السديدة القويمة؛ لذلك يقول: "إذا رأيت رجلا موفقا فيما يحاوله، مسدد الخطا إلى الهدف الذي يرمي إليه فاعلم أن وراءه امرأة يحبها وتحبه"^(١٤).

ولاغرو أن تكون فلسفة الحب والجمال الرافعية الصادقة المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف قد بسطت أجنحتها على عدد من النساء اللواتي وجدن فيها الرجولة الطاهرة والأخلاق الباهرة، ومنهن الأدبية الشاعرة (مي زيادة) التي يقال: إنها أحبت الرافعي وأحبها حبا عفيفا قدم للأدب العربي - كما مر - تلك الروائع الرافعية النادرة، والدليل على شغفها بحبه تلك الرسائل التي جمعها في (أوراق الورد) والتي نشرت مي بعضها في كتبها، وكلمة (سيدي) التي كانت تخاطبه بها، كما كانت تلمح إلى تلك الضغوط التي تتعرض لها من الذين كانوا حولها ومن أهلها وأقاربها خوفاً من تأثير الرافعي الذي عرف بتمسكه الشديد بإسلامه، فتقول له: "لي بك ثقة موثقة... سأدعوك

وهذا الحب البناء يشير إليه الرافعي في مقدمة (أوراق الورد) فيقول:

"وتاريخ الحب عند صاحب هذه الرسائل كان كله نظرة أخذت تنمو وبقيت تنمو... وهو حب قد كان من نمائه وجماله وطهره كأنما أزهرت به روضة من الرياض لا امرأة من النساء..."^(١٥) فأنت لاتجد في هذه الرسائل معاني النساء متمثلة في امرأة تتصبي رجلاً، ولكن معاني الحب والجمال متألهة في إنسانية تستوحي من إنسانية أو توحى لها"^(١٦).

لذلك يؤكد الرافعي هذا السمو في الحب عند المسلم عندما يقارن ما هو فيه من طهر مع ما عليه الشهبانيون الخالص الذين يفهمون الحب ممارسة لاشعوراً من كتاب أوربا الذين تسترقهم أهواؤهم فيذلون لها خانعين، فيقول: "صاحب هذه الرسائل يرى نفسه في الحب كأنما وضع على هامش الناس، منطلقاً غير مقيد، عزيزاً غير ذليل، فهو كالسطر الذي يكتب على هامش الصفحة يستعرض ماملأها بين أعلاها وأسفلها.. يتجافى بها عن ألفاظ الشهوات ومعانيها مما يتعمده بعض فحول الكتاب في أوربا، ولا طلاوة لرسائلهم وقصصهم بغيره، إذ هو يشبه أن يكون روح اللحم والدم في اللغة، ويتوحد التأثير من أقرب الطرق إليه، فيمسسون شهوات القراء بالحادثة والوصف والعبارة كما يدر لعاب الجائع على ألفاظ الطعام وأوصافه ورائحته..."^(١٧).

والرافعي، وهو دائم الإشارة إلى الطهارة في الحب في أدبه شعراً ونثراً، كقوله^(١٨):

قلبي هو الذهب الكريم
مُ فلا يفارقه رنيته
قلبي يحب وإنما
أخلاقه فيه ودينه
الحب أفق طاهر
ما إن يدنسهُ خؤونه

وقوله: "الحب إحدى كلمتين هما ميراث الإنسانية، وهدية التاريخ، والطرفان اللذان تلتقي عندهما السماء بالأرض..."^(١٩).

بعض قضايا المرأة الاجتماعية في أدبه

عرف الرافعي بمشاركته الواسعة في المسائل التي كانت تطرح على بساط البحث في مجتمعه، كما عرف بنشاطه الكبير في ميدان النقد الأدبي، واشتهر بصولته وقوة جدله وغلبيته لخصومه، ولعل كتاب (وحي القلم) سجل حافل بكثير من تلك القضايا مثل: الإرث، والمهر، وتبرج المرأة وتعلمها، وتعدد الزوجات، والحجاب. وسنتناول هنا قضية حجاب المرأة والميراث:

المرأة .. والحجاب

تبني الرافعي الفكرة الإسلامية في هذه القضية المهمة، فراح يشرح فلسفة الحاجة إلى الحجاب والحكمة منه، فصرح بأن الفطرة الغريزية لدى الرجل والمرأة في ميل كل منهما إلى الآخر ميلاً طبيعياً قد تجرّ - إذا لم تقيد وتضبط بضوابط الحقوق والواجبات - الوليات الاجتماعية على الناس، وهذه الفكرة نجدتها ماثورة في (وحي القلم) في مواضع عديدة كقوله في (فلسفة الطائشة): " لهذا يمنع الدين خلوة الرجل بالمرأة، ويحرم إظهار الفتنة من الجنس للجنس، ويفصل بمعاني الحجاب بين السالب والموجب، ثم يضع لأعين المؤمنين والمؤمنات حجاباً آخر من الأمر بغض البصر، إذ لا يكفي حجاب واحد، فإن الطبيعة الجنسية تنظر بالداخل والخارج معاً، ثم يطرد عن المرأة كلمة الحب إلا أن تكون من زوجها، وعن الرجل إلا أن تكون من زوجته... وكل ذلك لصيانة المرأة، مادامت هي وحدها التي تلد، ومادامت لاتلد للبيع..."^(١٧).

ثم يتناول الرافعي كتاب قاسم أمين في (تحرير المرأة) بالرد على آرائه التي بناها على استنباطات خاطئة من النصوص، وعلى تأويل للقرآن لاينفذ إلى حقائقه ولايستبطن أسرار عربيته كما قال، ويرى في مقاله (تربية لؤلؤية)^(١٨) أن الحجاب حفظ لروحانية المرأة، وصون من التبذل المقوت، وهو

أبي وأمي، متهيبة فيك سطوة الكبير وتأثير الأمر، وسأدعوك قومي وعشيرتي، أنا التي أعلم أن هؤلاء ليسوا دواماً بالمحبين... وسأطلعك على ضعفي، واحتياجي إلى المعونة، أنا التي تتخيل في قوة الأبطال ومناعة الصناديد!..."^(١٥).

المرأة .. زوجة

تمثل الزوجة عند الرافعي المرأة في أنوثتها وفنونها النسائية الفردية، ولكنها تفوق المرأة العادية في ثبات وجودها في حياته، وبقائها فيها وحدها دون غيرها، وأن الاعتبار لها وحدها، ولها وحدها الوقت كله، وهذا يظهر بوضوح في حياة الرافعي الخاصة، فزوجته هي مستودع أسرارها التي كان يطلعها على كل رسالة وكلمة تبادلها مع حبيبته، وكل ما أتى به الرافعي في ذلك كان بمشورتها وتحت رعايتها، وكيف لاترعى هذا الحب وقد عرفت غاياته النبيلة، وأهدافه السامية، ناهيك عن كونها أمّاً لأولاده، وتظهر عاطفته وتقديره للزوجة في مثل قوله^(١٦).

فحسبك نبلاً قاله الناس أنجبت

وحسبك فخراً أن يصونك باب

لك القلب من زوج ووئد ووالد

وملك جميع العالمين رقاب

لم تخلقي إلا نعيماً ليانس

فمن ذا رأى أن النعيم عذاب

ويرى دائماً البيت قائماً على ركنين هما

الزوجان، فهو بعدها إحدى دعامتين لاغنى

لإحدهما عن الأخرى، إضافة لكونها زينة الحياة

فيقول^(١٧):

والعمر نهر ترى من

حواذئ الدهر طينه

وشاطئاه قرين

قد قابله قرينه

هذا تشاد به الدار

وهي لدار زينته



محاضرة كتبها سلامة موسى عن مساواة المرأة بالرجل في الميراث، وقد صرح فيها بأن تقليد أوروبا هو الطريق الأصح في رأيه، وأن الطبقة الغنية في الأمة هي التي تقرر ديانة الأمة... إلى غير ذلك، وهذا ألجأ الرافعي إلى أن ينعى عليه تقليده الأعمى، وعدم فهمه للدين الإسلامي، فضلاً عن تطفله بذاك الاقتراح مع قصر نظره في أمور الاجتماع، فيقول: "إن ميراث البنت في الشريعة الإسلامية لم يقصد لذاته، بل هو مرتب على نظام الزواج فيها،... فإن قلت كما يقول سلامة موسى: إن في الحق أن تنفق المرأة على الرجل، وأن تدفع له المهر، ثم تساويه في الميراث، قلنا: إذا تقرر هذا، وأصبح أصلاً يعمل عليه بطل زواج الفقيرات، وهن سواد النسوة؛ إذ لا يمكن ما يمهرن به، ولما ينفقن منه، وهذا ما يتحماه الإسلام، لأن فيه فساد الاجتماع وضياح الجنسين جميعاً، وهو مفض بطبيعته القاهرة إلى جعل الزواج للساعة ولليوم وللوقت المحدود... وإيجاد لُقطاء الشوارع، بدلاً من أن يكون الزواج للعمر وللواجب ولتربية الرجل على احتمال المسؤولية الاجتماعية بإيجاد الأسرة وإنشائها والقيام عليها والسعي في مصالحها،... وما نساء الشوارع ونساء المعامل في أوروبا إلا من نتائج ذلك النظام الذي أصبح مقلوباً، فهن غلطات البيوت المتخرية والمسؤولية المتهدمة، وهن الواجبات التي ألقاها الرجال عن أنفسهم، فوقعن حيث وقعت!" (٢٢).

تربية عملية على طريقة استحكام العادة لأسمى طباع المرأة وأخصها: الرحمة. هذه الصفة النادرة التي يقوم المجتمع الإنساني على نزعها والمنازعة فيها مادامت سنة الحياة نزاع البقاء، فيكون البيت اجتماعاً خاصاً مسالماً تحفظ المرأة به منزلتها، وتؤدي فيه عملها، وتكون مغرساً للإنسانية وغارساً لصفاتنا معاً، وينعى على الضعفاء الذين يعرفون ظاهراً من الرأي لا يدركون مذهبه، ولا يعرفون معنى الحجاب إلا في القماش والكساء.

ويرى في مقالة (س.أ.ع) (٢٠) أن الحجاب رمز لعاطفة الأمومة لأنه رمز الأمانة لمستقبل المرأة، ورمز الفصل بين ما يحسن وما لا يحسن، ولأنه وراء صفاء روحها الذي تخشى أن يكدر، وثبات كيائها الذي تخشى أن يُزعزع، ثم يسوق قصة كاتبة إنكليزية جاءت إلى مصر وأقامت أشهراً تخالط النساء المتحجبات، وتدرس معاني الحجاب، فلما رجعت إلى بلادها كتبت مقالاً عنوانه: (سؤال أحمله من الشرق إلى المرأة الغربية) قالت في آخره: "إذا كانت هذه الحرية التي كسبناها أخيراً، وهذا التنافس الجنسي، وتجريد الجنسين من الحجب المشوقة الباعثة التي أقامتها الطبيعة بينهما، إذا كان هذا سيصبح أثره أن يتولى الرجال عن النساء، وأن يزول عن القلوب كل ما يحرك فيها أوتار الحب الزوجي، فما الذي نكون قد ربحناه؟ لقد- والله- تضطرننا هذه الحال إلى تغيير خططنا، بل قد نستقر طوعاً وراء الحجاب الشرقي، لتتعلم من جديد فن الحب الحقيقي".

المرأة .. والميراث

هذه القضية هي إحدى الشبّه التي تُطلق للنيل من إحدى مزايا البناء الاجتماعي المحكم للإسلام، وهي تدل غالباً على جهل مطبق بعدالة توزيع الوظائف الاجتماعية في هذا الشرع الحنيف، وللرافعي في هذا المجال مقالة خاصة تحدث فيها عن (المرأة والميراث) (٢١) رداً على

خصائص أدب المرأة عند الرافعي

١- يمثل الرافعي في أدبه التيار الإسلامي الأصيل، ويتمثل فيه المفاهيم والحلول الإسلامية لمشاكل المجتمع والإنسان، ويتجلى ذلك في أدب المرأة الاجتماعي والعاطفي بشكل خاص، ويفسر ذلك فكرة (الجهاد في سبيل الله) في أدبه التي كانت شعاره في حياته، تحقيقاً لقوله والده الشيخ عبد الرزاق الرافعي في أن ما هو عليه جهاد في سبيل الله^(٢٣). أحس الرافعي أن عليه واجباً كبيراً قد لا يدرك تبعته بعض معاصريه، وأن ذلك الواجب قد يكون مذهباً جديداً في تجديد الفكر العربي بالعطاء العقلي والأساليب والأسلحة نفسها: فكان نقده العنيف لدعاة الانحلال بجميع أنواعه في المجتمع واللغة والدين والسياسة وغير ذلك، وكانت موضوعات الحب وفلسفة الجمال بياناً لبرقته الإسلام وإظهاراً لسمو معتقداته.

٢- يستخدم الرافعي في كتاباته العاطفية وغيرها أسلوب التحليل والشرح والإيضاح، ويرى أنور الجندي أن سبب ذلك هو "النقص الطبيعي في حاسة سمعه كان يدفعه إلى أن يدور المعنى ليسلس له، أو يجعله أشد وقعاً في أذن القارئ وفي نفسه"^(٢٦) وهذا صحيح، لكن السبب الأول يرجع إلى تمكن الرافعي من أدبه، وإلى ما عرف عنه من اتصاله الوثيق بكتب التراث، حتى كان أسلوبه أقرب ما يكون إلى عصور الأدب العربي الأولى، وحتى أطلق عليه لقب: "إمام البيان" و"حافظ العصر".

٣- يتميز الرافعي في تلك الكتابات باستخدام الرمز، وكثرة الاحتفاء باشتقاق المعاني وتركيب الأخيلة، وقد حفل أسلوبه بالعبارة البيانية يجريها في نسق جميل تلد فيه البلاغة العربية عهداً جديداً في الكتابة والأدب، وهذا الرمز المبدع قد جعله يُنهم بالغموض وخصوصاً من طه حسين.

ثم يوضح أن الدين يقوم في أساسه على تربية أخلاقية عالية، فهو يربأ بالرجل أن يطمع في مال المرأة، ويأمره أن يدع لها رأيها وعملها في أموالها، لاتحد إرادتها بعمله ولا بأطماعه ولا بأهوائه، ثم يقول: "وإذا انزاحت مسؤولية المرأة عن الرجل انزاحت عنه مسؤولية النسل، فأصبح لنفسه لا لأمته، ولعم هذا المسخ الاجتماعي، وأسرع فيه الهرم، وأتى عليه الضعف...، ثم إن هناك حكمة سامية، وهي أن المرأة لاتدع نصف حقها في الميراث لأخيها يفضلها به إلا لتعين بهذا العمل في البناء الاجتماعي: إذ تترك ما تتركه على أنه لامرأة أخرى، هي زوج أخيها، فتكون قد أعانت أخاها على القيام بواجبه للأمة، وأسدت للأمة عملاً آخر أسمى منه بتيسير زواج امرأة من النساء، فأنت ترى أن مسألة الميراث هذه متغلغلة في مسائل كثيرة، لامنفردة بنفسها، وأنها أحكم الحكمة إذا أريد بالرجل رجل أمته وبالمرأة امرأة أمتها، فأما إذا أريد رجل نفسه وامرأة نفسها، وتقرر أن الاجتماع في نفسه حماقة، وأن الحكومة خرافة، وأن الأمة ضلالة، فحينئذ لاتنقلب آية الميراث وحدها، بل تنقلب الحقيقة"^(٢٣).

ويسخر بعنف من سلامة موسى عندما يكشف عن غايته من تناول موضوع ميراث المرأة ومساواته بميراث الرجل في إغراء الشبان بالزواج ممن ورثن أكثر، فيقول: "ومما تشمئز له النفوس الكريمة قول المترجم في محاضرتة: (فلو كانت الفتيات يرثن مثل إخوتهن الذكور لكان في ثروتهم إغراء للشبان على الزواج...) إن الدين الإسلامي لايعرف مثل هذا الإسفاف في الخلق، ولا يقره، بل هو يهدمه هدماً، ويوجب على كل رجل أن يحمل قسطه من المسؤولية مادام مطيقاً إن كره أو رضي، ولعمري إن تلك الكلمة وحدها من كاتبها لهي أدل من اسم المحل على بضاعة المحل..."^(٢٤).



وبعد، فهذه محاولة للاطلاع على أدب الرافعي لا أكثر، وهي إذ تضرب أمثلة وتعطي نماذج لاتعدو أن تلقي نظرة على قمة سامقة من قمم أدبنا العربي، وما هي إلا صبابة على مائدة عامرة غنية، بل للماعة إلى خاصة من خصائص الرافعي الفذ في موهبته، السامي في فنه ومرتبته، ولو قدر للمرء أن يفوص في لجاج تلك الخصائص ويعاود التنقيب في مناجمها لعثر فيها على عروق التبر وكرائم اليواقيت من كل حجم ولون دون جهد أو كلال. ■

٤- يصب موضوعه في قالب قصصي مشوق، وهذا الأسلوب يتجلى في كتاباته عامة، ومنها ما يخص المرأة مثل: الأجنبية، الجمال البائس، الطائشة، فلسفة المهز، التربية اللؤلؤية، موت أم، في اللهب ولا تحترق، احذري... وغيرها كثير.

٥- مشابهة أسلوبه أساليب الفصحاء من العرب، وتأثره العميق بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ويبدو من خلال ذلك فهمه العميق لهذين المصدرين، واستيعابه لأسرار اللغة العربية ودقائقها.

الهوامش:

- (١) وحي القلم، ضبط وتعليق العريان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٠/١-١٣١.
- (٢) وحي القلم ١٣١/١.
- (٣) وحي القلم ١٣١/١-١٣٢.
- (٤) وحي القلم ١٣٩/١-١٤٠.
- (٥) ديوان الرافعي، القاهرة، المطبعة العمومية، ١٣٢١هـ، ٤٥/٢.
- (٦) حديث القمر ١٠٩.
- (٧) وحي القلم ١٥٣/١، ١٥٥.
- (٩) المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر، أنور الجندي، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٦١م، ٤٦٢.
- (١٠) أوراق الورد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٧، ١٩٨٢م، ٢٧.
- (١١) أوراق الورد ٢٨.
- (١٢) السحاب الأحمر، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٨، ١٩٨٢م، ٢٠-٢١-٢٢.
- (١٣) حديث القمر ١٢٦، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٧، ١٩٧٤م.
- (١٤) حياة الرافعي، العريان، القاهرة، المكتبة التجارية، ط٢، ١٩٥٥م، ٥٩.
- (١٥) ظلمات وأشعة ٧٣. وانظر الرسالة نفسها ند الرافعي في أوراق الورد ١٢٩، وقارن كتاب الأديبة مي زيادة بكتب الرافعي الأخرى، ويبدو أن ميأ تأثرت بالرافعي كثيراً وأعجبت به وبأدبه إعجاباً شديداً وقد تعرضت لضغوط شديدة أودت بها إلى دخول مصح نفسي، في الوقت الذي كان فيه الرافعي يخوض بحبها إحدى معاركه الظاهرة التي أراد أن تثبت من خلالها رقة الإسلام
- وسماحته، ويرد كثيراً من الشبه التي أثرت حوله.
- (١٦) ديوان الرافعي ٢٨/٢.
- (١٧) ديوان الرافعي ٤٤/٢.
- (١٨) وحي القلم ١٨٥/١.
- (١٩) وحي القلم ١٩٢/١.
- (٢٠) وحي القلم ٢٠٤/١-٢٠٥.
- (٢١) وحي القلم ٢٩٢/٣-٢٩٤.
- (٢٢) وحي القلم ٢٩٤/٣-٢٩٥.
- (٢٣) وحي القلم ٢٩٥/٣-٢٩٦.
- (٢٤) وحي القلم ٢٩٦/٣.
- (٢٥) الإمام مصطفى صادق الرافعي ٢٤٧، مصطفى نعمان البديري، بغداد، دار البصري، ١٩٦٨م.
- (٢٦) المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر ٤٦٣.

من للمحب ومن يعينه
أنا ما عرفت سوى قسا
إن يقض دين ذوي الهوى
قلبي هو الذهب الكرى
قلبي هو الألماس: يع
قلبي يحب وإنما
والحب أمنؤلا حزينه!
وته فقولوا كيف لينه؟
فأنا الذي بقيت ديونه
م فلا يفارقه رنينه
رف من أشعته ثمينه
أخلاقه فيه ودينه

مصطفى صادق الرافعي

الطفولة في أدب الرافعي

وحي القلم أنموذجاً



مرحلة
الطفولة
عمرية لها
خصائصها ومتطلباتها
وأهميتها، "وتأتي أهمية
الطفولة من كونها مرحلة
تشكل في مجملها ميداناً
يساعد المربين والعلماء
والموجهين على زرع
ما يرون من توجيهات
وأفكار وأخلاق دون أن
تعرض مقاومة أو عناء
يذكر (١).





بالوصف والتحليل إسهاماً في رفق الدراسات الأدبية المعاصرة - المتخصصة في أدب الطفولة والمشتغلة على قضية الطفل - بهذه الدراسات، التي تكشف حفاوة الأدب الإسلامي "بالطفولة" شأنها شأن موضوعات الحياة الأخرى، فضلاً عن أهمية الموضوع على مستوى الساحة العالمية، فطالما تخصصت جمعيات ومراكز وهيئات ومنظمات بالطفولة وحقوق الطفل.



بقلم د. عبدالحميد الحسامي
اليمن

ويتكفل هذا البحث بإبراز جهد أديب إسلامي في عرض القضية بأسلوب أدبي رفيع، وتحقيق حضور لائق من خلال مقالاته المتعددة، ومدى إسهام الفن الأدبي في تناول الواقع الاجتماعي وتقديم الرؤية الإسلامية المتميزة في مضمار الرؤى المعاصرة .

فالعودة إلى الطفولة ليست هروباً من الواقع ولكنها تقديم صيغة جديدة للسلام والبراءة في عالم استوحش فيه الإنسان، عودة إلى النبع بحثاً عن الجمال في عالم تشوهت ملامحه واستطالت نقائمه. ويستنطق الرافعي الأطفال قائلاً: «أيها الناس انطلقوا في الدنيا انطلاقاً الأطفال يوجدون حقيقتهم البريئة الضاحكة لا كما تصنعون إذ تنطلقون انطلاقاً الوحش يوجد حقيقته المفترسة» .

فالطفولة هنا تصرخ في وجه الإنسانية الطائشة المتوحشة اخلعي "أرسانك ولو يوماً" وتعرض على اغتيال براءة الحياة، ويخلص الرافعي ليجعل الطفولة مجمعاً لكل مظهر من مظاهر "جمال الحياة" .

"أيتها الرياض المنورة بأزهارها، أيتها الطيور المغردة بألحانها، أيتها الأشجار المصفقة بأغصانها، أيتها النجوم المتألئة بالنور الدائم، أنت شتى، ولكنك جميعاً في هؤلاء الأطفال يوم العيد .." (٣).

وتشغل "الطفولة" حيزاً كبيراً في كتابات الرافعي ولاسيما في مصنفه "وحي القلم" حتى شكلت ظاهرة بارزة تنم عن هاجس ظل يلح على يراع هذا الأديب فجسده ألواناً ببيان شتى، ووشاه ببيانه المصفي ، وليس غريباً على قلم مثل قلم الرافعي أن يتنزل وحيه ، ويفيض خاطره ببيان رائع عن الطفل والطفولة، في أحوالها وتقلباتها، موجهاً الأنظار إلى شريحة من شرائح المجتمع

يستجلي من خلالها فلسفة الحياة، ومعنى الإنسانية، ويكشف سوءات واقع يمتهن معاني الطفولة، ويحطم قيم الحياة، باعتدائه على براءتها، وتشويهه لجمالها، مجتمع تسربت إليه أمراض العصر، تخلخل بنيانه، فطفق يعبث بجمال الأشياء ويحرف ويزيف حقائقها، ويزيع عن كثير من تعاليم دينه التي تستهدف بناء حياة قويمه أساسها الحب، والطهر، والنقاء .

لقد وعى الرافعي مدى الانحراف والتشوه الذي أصاب مدماك بنية الحياة الاجتماعية، ومن ذلك ما يخص "الطفولة" ومعاونة الأطفال في ظل الواقع الجديد الذي أفرز علاقات اجتماعية جديدة عكست نفسها سلباً على واقع الأطفال، ولما كان الرافعي "أديب" الأمة العربية المسلمة المعبر بلسانها الناطق عن ذات نفسها " (٢) فقد أخذ يتلمس قضاياها ومنها قضية الطفولة - ببلسم بيانه ويعرضها في مقالاته - سابراً أغوارها ومقدماً وجهة نظره - المستقيمة المنبثقة من نظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان .

وينهض هذا البحث بمهمة تتبع تلك المقولات والشذرات المبتوثة في مقالات كتاب وحي القلم - بأجزائه الثلاثة طمعاً في جمع أشتات رؤية الرافعي للطفولة، وتجليات تلك الرؤية في أنساق مقالاته، ومعالجته لجوانب القضية، متناولاً ذلك

* أسنان الأدب والنقد المساعد في جامعة إب، اليمن.

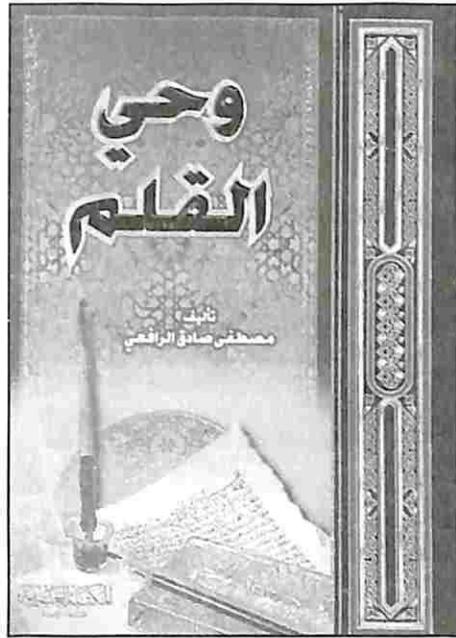
الأطفال في نظر الرافيعي هم :
« السحرة الصغار الذين
يخرجون لأنفسهم معنى الكنز
التمين من قرشين » .
يسحرون العيد فإذا هو يوم
صغير مثلهم جاء يدعوهم إلى
اللعب .

يبنون كل شيء على أحد
المعنيين الثابتين في نفس الطفل،
الحب الخالص، واللهو
الخالص، يبتعدون بطبيعتهم عن
أكاذيب الحياة فيكون هذا بعينه
هو قربهم من حقيقتها
السعيدة، هم السهولة قبل أن
تتعقد، يفتشون الأقدار من ظاهرها، ولا يستبطنون
كيلا يتألموا بلا طائل، يأخذون من الأشياء لأنفسهم
فيفرحون بها ولا يأخذون من أنفسهم للأشياء كيلا
يوجدوا لها الهم، قانعون يكتفون بالتمرة ولا
يحاولون اقتلاع الشجرة التي تحملها .
يعرفون كنه الحقيقة وهي أن العبرة بروح
النعمة لا بمقدارها .

يجدون من الفرح في تغيير ثوب للجسم أكثر
مما يجده القائد الفاتح في تغيير ثوب للمملكة،
حكماء .. يشبه كل منهم آدم أول مجيئه إلى الدنيا
حين لم تكن في الأرض خليفة ثالثة معقدة من
صنع الإنسان المتحضر .

شعرهم البديع : أن الجمال والحب ليس في
شيء إلا في تجميل النفس وإظهارها عاشقة
للفرح، حكمتهم العليا أن الفكر السياسي هو جعل
السرور فكرا وأظهاره في العمل .

فلاسفة تقوم فلسفتهم على قاعدة عملية هي أن
الأشياء الكثيرة لا تكثر في النفس المطمئنة .
يوجدون حقيقتهم البريئة الضاحكة، أحرار ..
حرية نشاط الكون كالفوضى ولكنه في أدق
النواميس»^(٧) .



إننا لن ندرك روعة الجمال
في الطبيعة إلا إذا كانت النفس
قريبة من طفولتها ومرح
الطفولة ولعبها وهذيانها^(٤) .
وهنا نلاحظ كيف اتسع
مفهوم الطفولة لدى الرافيعي
ليصبح الحياة الجميلة فهي
السرور والقناعة والحب
والجمال والبراءة والبساطة،
والطمأنينة والحرية والسلام ..
مقابل : المعاني الضدية
التي تقتضيها دلالة المخالفة،
وتتظلي على المجتمع المعاصر،
إن البحث عن الطفولة وإثبات

قيمتها ومعانيها يمثل محاولة نفي للواقع المتشكل
ولو من ناحية نظرية، واعتماد الكاتب على توليد
هذه المواصفات أو القيم يمثل إصرارا على تحقيق
حضور أكبر للقيم الإيجابية لترسيخها في طفولة
اليوم التي هي بالضرورة ملامح الغد .

مفهوم الطفولة

يعمد الرافيعي إلى فلسفة الأشياء والبحث عن
جواهرها فهو لا يرى الطفولة مرحلة عمرية ممتدة من
سن إلى آخر، ولكن الطفولة معنى من المعاني بل كل
المعاني الجميلة مجسدة في الأطفال، بهم ومن خلالهم
يستقرئ الجمال في الأشياء ويرصد ملامحه .

فالعيد بالأطفال - مثلا - هو « يوم الخروج من
الزمن إلى زمن وحده لا يستمر أكثر من يوم» لكن
هذا اليوم له معانٍ آخر في وجوه الأطفال .

« خرجت أجتلي العيد في مظهره الحقيقي على
هؤلاء الأطفال السعداء، على هذه الوجوه النضرة
التي كبرت فيها ابتسامات الرضاع فصارت للزمن
ضحكات»^(٥) .

« هؤلاء الأطفال السعداء الذين لا يعرفون
قياسا للزمن إلا بالسرور »^(٦) .



وأحيانا يقوم الطفل بدور آخر فلا يكون امتدادا لحياة والده فحسب بل يكون إنقاذا لوالده من خسارة فادحة قد تحل به، ويستلهم الرافعي قصة من التاريخ الإسلامي يتوسل بها في طرح موضوعه، ويبني عليها نصه، وينسج على هيكلها خيوط بيانه، وهي قصة مالك بن دينار وقد سُمها بـ « بنته الصغيرة » وجعلها في جزأين ولما كانت البنت « الطفلة » هي الأضعف فقد كانت الحكمة من قيامها بهذا الدور أدل وأولى انتصارا لضعفها، لقد قامت الطفلة فاطمة بإنقاذ حياة أبيها وتحويل مجرى حياته من ظلمات أقصى الفجور والغي إلى أنوار الهداية والاستقامة .

« كانت البنية بدء حياة في بيتي وبدء حياة في نفسي، فلما دبت على الأرض ازدادت لها حبا، ألفتني وألفتها، فرزقت روعي منها أظهر صداقة في صديق، تتجدد للقلب كل يوم بل كل ساعة، ولا تكون إلا لمحض سرور القلب دون مطامعه فتملك بالحياة نفسها لا بأشياء الحياة فلا تزيد الأشياء في المحبة ولا تنقص منها » .



مكانة الأطفال في نفوس الآباء :

الذرية الصالحة نعمة، وقررة عين ولذا كانت دعوة عباد الرحمن ﴿ ربنا هبنا لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ (٨) .

ويستلهم الرافعي هذا المعنى ومعاني أخرى للذرية حين يقول « رأيت الناس قد أنعم الله عليهم أن يكونوا آباء فنسأ بالولد في آثارهم، ومد بالنسل في وجودهم، وزاد منه في أرواحهم أرواحا، وضم إلى قلوبهم قلوبا وملا أعينهم من ذلك بما تقر به قررة عين كانت لم تجد ثم وجدت، فهم بهؤلاء يملكون القوة التي ترجعهم أطفالا مثلهم في كل ما يسرهم، فيكبر الفرح في أنفسهم وإن كان في ذات نفسه ضئيلا صغيرا، ويعظم الأصل في أشياءهم وإن كان هو من شيء صغير لا يؤبه له، وتلك حقيقة من حقائق السعادة لا أسمى ولا أعظم منها إلا الحقيقة الأخرى وهي القوى التي تحول بها الكون في قلب الوالدين إلى كنز من الحب والرحمة، وجمال العاطفة بسحر من ابتسامه طفل أو طفلة، أو بكلمة منهما أو حركة على حين لا يتحول مثل ذلك ولا قريبا منه بمال الدنيا ولا يملك الدنيا (٩) .

« وكم تتحمل الأم الجنين صابرة راضية فرحة بآلامها وتغذوه وتقاسمه حياة نفسها (١٠) .

إنهم - أي الأطفال - امتداد لوالديهم، وزينة حياتهم بل إن ابتسامه أو كلمة لا توازيها كنوز الدنيا، وفوق ذلك يكون مولد الطفل في نظر والده مولدا جديدا له، يقول الرافعي على لسان أب : « قال المسكين ثم أعادتني قدماي إلى البيت لأرى طفلي وما كنت رأيتها ولقد كانت ولادتها أول الحياة لها وأول الحياة لي ... » (١١) .

فكم ظل ينتظر مجيئها مشدود الأعصاب حين أخذ المخاض يعتصر زوجته وكانت أمنيته « أن تلد لي الحياة والحب معا .. وتأتي لقلبي بمثل طفولتي الأولى .. » (١٢) .

لسان أحدهم - وهو يخاطب أخاه : « انظر هاهم أولاء يرى عليهم أثر الغنى وتعرف فيهم روح النعمة، وقد شبعوا .. إنهم يلبسون لحما على عظامهم أما نحن فنلبس على عظامنا جلدا كجلد الحذاء .. إنهم أولاد أهليهم، أما نحن فأولاد الأرض، هم أطفال ونحن حطب إنساني يابس يعيشون في الحياة ثم يموتون، أما نحن فعيشنا هو سكرات الموت إلى أن نموت، لهم عيش وموت ولنا الموت مكرورا ... هؤلاء الأطفال يتضورون شهوة كلما أكلوا ليعودوا فيأكلون، ونحن نتضور جوعا ولا نأكل لنعود فنجوع ولا نأكل، وهم بين سمع أهليهم وبصرهم ما من أنة إلا وقعت في قلب، وما من كلمة إلا وجدت إجابة، ونحن بين سمع الشوارع وبصرها، أنين ضائع، ودموع غير مرحومة » (١٥) .

ولم يكتف بمجرد تصوير هذه النوازع النفسية التي تعتلج في نفس طفل يتيم تصويرا واصفا، بل يحاول أن يلامس نفسياتهم مدعما معنوياتهم بتشبيهم بأبطال الحرب : « أنتم أيها الفقراء حسبكم البطولة فليس غنى بطل الحرب في المال والنعيم ولكن بالجراح والمشقات في جسمه وتاريخه » (١٦) .

ويؤكد أن الفقير لا يهزم في معركة الحوادث، وأن الأغنياء سبب هزائم الشرق ...، ويدعو على لسان طفل فقير إلى أن يكون الحكام من صالح الفقراء ليحكموا بقوانين الفقر والرحمة لا بقانون الغنى أو القسوة (١٧)، أما أولاد الأغنياء فيجب أن يباشروا الصناعة والتجارة ليجدوا عملا شريفا يصيبون منه رزقهم بأيديهم لا بأيدي آبائهم، « لأن اختلال العدل أو ما سماه الرافعي « العمى الاجتماعي » سبب بقاء تلك الفجوة بين حياة الفقراء وحياة الأغنياء، ولولا العمى الاجتماعي لما كان فرق بين ابن أمير متبطل في أملاك أبيه من القصور والضياع، وابن فقير متبطل في أملاك المجلس البلدي من الأزقة والشوارع .

وقد كانت بحبه لها سببا في تركه للخمرة « جهدت أن أترك الخمر فلم يأت لي ولم أستطعه إذ كنت منهمكا على شربها، ولكن حب ابنتي وضع في الخمر إثمها الذي وضعته فيها الشريعة فكرهتها كرها شديدا ». وبعد أن توفيت ابنته كانت رؤياه الشهيرة التي وقفت ابنته فاطمة درعا في وجه التنين الذي أراد هلاكه « فإذا ابنتي التي ماتت قد أشرفت علي، فلما رأت ما أنا فيه صاحت ثم بكت، ثم وثبت كرمية السهم، فجاءت بين يدي ومدت إلي شمالها فتعلقت بها ومدت يمينها إلى التنين فولى هاربا، وأجلستني وأنا كالميت من الخوف والفرع وقعدت في حجري كما كانت تصنع في الحياة وضربت بيدها إلى لحيتي وقالت يا أبت .. ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ (١٣) .

وتخبره عن تفاصيل الرؤيا « يا أبتاه ذلك عملك الصالح أنت أضعفته فضعف حتى لم يكن له طاقة أن يغيثك، من عملك السيئ ولو لم أكن لك هنا ولو لم تكن اتبعت قول رسول الله ﷺ فيمن فرح بناته المسكينات الضعيفات - لما كانت لك هنا شمال تتعلق بها ويمين تطرد عنك »، وقد عالج في هذه المقالة « ابنته الصغيرة » واجب الوالدين نحو البنت وضرورة تربيتها تربية مشتملة « تربية عقلية، تربية إحسان، تربية جسمها تربية إحسان وإطاف، وتربية روحها تربية إكرام وإحسان وإطاف ... ويقول : « البنت هي أم ودار ليس ينبغي أن ينظر الأب إلى بنته الأعلى أنها بنته أم أولادها ثم أم أحفاده فهي بذلك أكبر من نفسها وحقها عليه أكبر من الحق، فيه حرمتها، وحرمة الإنسانية معا .. (١٤) .

الأطفال الفقراء

يلتفت الرافعي إلى الأطفال الفقراء نظرة تنتصر لهم من واقعهم بعد أن يعمد إلى تجسيد مأساتهم بأسلوب كله استعطاف، فيقول على



الأطفال أيتاماً..

إن مأساة «اليتيم» زاوية من زوايا نظرة الرافعي إلى الطفولة وتناولها في كتاباته، ولا شك في أن اليتيم ومأساة الأطفال بموت والديهم يمثل مادة خصبة لقلم الأديب ناهيك عن أهمية هذه القضية في مضمار البناء الاجتماعي، والرافعي إذ يصور هذه المأساة بريشته الصانعة يرسم لوحة «موت أم» يبين أثر موت الأم في نفوس أبنائها، ومقدار العواطف المنطلقة عند رؤية أطفال خمسة»



وكان مجمل هذه المقالة انتصاراً لحقوق الطفولة الفقيرة في وجه الغنى المفرط الذي ينبئ عن اختلال المعادلة الاجتماعية .

وفي هذه المقالة يجسد الرافعي مفارقة عجيبة حين يرسم مشهداً لطفلين فقيرين يتضوران جوعاً وهما متوسدان عتبة البنك « يا عجباً بطنان جائعان في أطمار بالية يبيتان على الطوى والههم ثم لا يكون وسادهما إلا عتبة البنك، ترى من لعن البنك بهذه اللعنة الحية ؟».

وتصل المأساة إلى قمة التآزم حينما يحاور الفقير أحمد أخته أمينة :

- أه لو صرت مديراً ! أتدريين ماذا أصنع ؟

- ماذا تصنع يا أحمد ؟

- أعمد إلى الأغنياء فأردهم بالقوة إلى الإنسانية وأحملهم عليها حملاً، أصلح فيهم صفاتهم التي أفسدها الترف واللين والنعمة، ثم أصلح ما أخل به الفقر من صفات الإنسانية بالفقراء أحملهم على ذلك حملاً .. « القانون الآن كلمة حقي، ونحن نريد أن يكون: « حقي وواجبي، وما أهلك الفقراء بالأغنياء ولا الأغنياء بالفقراء ولا المحكومين بالحكام إلا قانون الكلمة الواحدة ... » .. أنا أحمد المدير .. أنا عمل اجتماعي منظم يحكم أعمال الناس بالعدل أنا خلق ثابت يوجه أخلاقهم بالقوة، أنا الحياة الأم مع الحياة الأطفال الأخوة في هذا البيت الذي يسمى الوطن، أنا الرحمة عندي الجنة، ولكن عندي جهنم أيضاً ما دام في الناس من يعصي، أنا بكل ذلك لست أحمد، لكني الإصلاح» (١٨) .

لقد لجأ الرافعي إلى تصوير الطفولة المشردة مجسدة في الطفلين (أحمد وأمينة) اللذين ناما على عتبة البنك يفترشان الرخام البارد، ويلتحقان جوا رخامياً في برده وصلابته على جسميهما، ويتساءل : « أهما طفلان أم كلاهما تمثال للإنسانية التي شقيت بالسعداء ... » .

أكبرهم كأنه ثمانية أرتال لا ثمانية أعوام، جاء إلينا كما يجيء الفزع لقلوب مطمئنة، إذ كان في عينيه الباكيتين معنى فقد الأم طغت عليها الدموع فتناول منديله ومسحها بيده الصغيرة، ولكن روحه اليتيمة تآبى إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معاني يتمها.. جلس مستسلما تترجم هيئته معاني هذه الكلمة «رفقا بي» ثم تطير من عينيه نظرات في الهواء كأنما يحس أن أمه حوله في الجو ولكنه لا يراها^(١٩).

ويصور الرافعي مشاهد هذا الطفل اليتيم بصور شتى «يتلمل في مجلسه فينعطف جسمه كله بهذه الكلمة «يا أمي»، ويستبطن أعماقه النفسية «أحس ولا ريب أنه قد ضاع في الوجود لأن الوجود كأنه أم «لمس خشونة الدنيا منذ ساعة»، شعر بالذل ينساب في قلبه الصغير، لبسته المسكنة لأنه صار وحده في المكان كما هو وحده في الزمان..

ثم يخاطبه: «انتهت أيها الطفل المسكين أيامك من الأم.. بدأت أيها الطفل المسكين أيامك من الزمن، يا إلهي، أي صغير على الأرض يجد كفايته من الروح إلا في الأم»^(٢٠).

ويرسم الرافعي صورة أخرى من صور اليتيم في مقالته «قصة أب» إمعاناً منه في تشخيص المشهد وبيان أبعاده كافة، فيتحدث عن طفلة ولدت وفارقت أمها الحياة بعد ولادتها «إنها طفلة ولدت وكأنما أخرجت من تحت الردم، إذا ولدت تحت ماض من الحياة منهدم، وهل فرق بين هذا وبين أن تكون ولدت أمها في الصحراء» فالمسكينة على الحالين منقطعة أول ما انقطعت من حنان الأم ورحمها، طفلة ولدت صارخة، لا صرخة الحياة ولكن صرخة النوح والندب على أمها، صرخة حزينة معناه: ضعوني مع أمي في القبر» صرخة ترتعد كأن المسكينة شعرت أن الدنيا خالية من الصدر الذي يدفئها، صرخة تتردد في ضراعة كأنه



جملة مركبة من هذه الكلمات «يارب ارحمني من حياة بلا أم»^(٢١).

وينتصر الكاتب للطفولة مجسدة في هذه الطفلة المسكينة إذ يتعهدا أبوها بالرعاية ويحوطها بالحنان والعطف تعويضاً لها على فقدان الأم.

«إذا صبر الناس على الحياة فمن أجلك يامسكينة، من أجل ضعفك وانقطاعك.. سأعاني الصبر لك، وأعاني الصبر لي، وأعاني الصبر عن أمك، سأصبر عن الصبر نفسه»^(٢٢).

الأطفال اللقطاء..

تناول الرافعي في مقالته عربة اللقطاء مأساة الأطفال اللقطاء محاولاً رسم ملامح هذه المأساة في مشهد درامي حزين؛ مستخدماً مشهداً ضدياً هو مشهد أطفال صغار مع أمهاتهم وذويهم إمعاناً



وتبلغ المساة ذروتها حينما أخذت المرأتان المصاحبتان لجماعة اللقطاء تتناجيان بشأنهم.

"قالت الكبرى: يا حسرتا على هؤلاء الصغار المساكين، إن حياة الأطفال فيما فوق مادة الحياة أي سرورهم وأقراحهم، وحياة هؤلاء البائسين هو دون مادة الحياة أي في وجودهم فقط، وكبر الأطفال يكون منه إدخالهم في نظام الدنيا، وكبر هؤلاء إخراجهم إلى الملجأ، وهو كل النظام في دنياهم، ليس بعده إلا التشريد والفقر وابتداء القصة المخزية .

قالت الصغرى : ولم لا يفرحون كأولاد الناس ؟ أليست الطبيعة لهم جميعاً ، وهل تجمع الشمس أشعتها على هؤلاء لتضاعفها لأولئك ..

- هؤلاء اللقطاء في حياة عامة قد نزعت منها الأم والأب والدار ..

- هم أطفال غير أنهم طردوا من حقوق الطفولة، كما طردوا من حقوق الأهل، وحسبك شقاء الطفل الذي لم يعرف من حنان أمه إلا أنها لم تقتله، ولا من شفقتها إلا أنها طرحته في الطريق .

- ألا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على أولئك الرجال الأذال الطغام الذين أولدوا النساء هؤلاء المنبوذين ..عجباً إن سيئات اللصوص والقتله كله تيبس وتلاشى، ولكن سيئات العشاق تعيش وتكبر» .

ولم يتوقف الرافعي عند عملية استنطاق هاتين المرأتين، والمرأة بحكم تكوينها قادرة على التعبير عن هذا الموقف بعاطفتها الجياشة تعبيراً مؤثراً، لكن الرافعي يقدم مؤثراً آخر ييسط من خلاله القضية وتمثل ذلك بالتقاط صورة لطفل صغير بمعية أمه يلعب ويمرح، وطفل لقيط ليجري بينهما الحوار الآتي :

«فنظر الطفل إلى اللقيط وأوماً إلى جماعته ثم قال له: أنتم جميعاً أولاد هاتين المرأتين أم أحدهما .

- هما المراقبتان، وأنت أفليست هذه معك مراقبة؟

منه في تشخيص الموقف، وقد كان عنوان المقالة دالا مناسباً حيث يوحى بأن عالم هؤلاء اللقطاء قد اختزل ليصبح مجرد «عربة» تشكل ميدان حياتهم، عربة مسورة بألواح من الخشب كجوانب النعش تمسك من فيها من الصغار أن يتدحرجوا منها إذا هي تدرج وتقلقل»^(٢٣).

«أولئك ثلاثون صغيراً من كل سطح لقيط ومنبوذ، وقد انكمشوا وتضاعفوا إذ لا يمكن أن تمط العربة فتسعهم ولكن يمكن أن يكبسوا ويتداخلوا حتى يشغل الثلاثة أو الأربعة منهم جزأين ومن منهم إذا تألم سيذهب فيشكو لأبيه» .

يشعر كاجتماعهم أنهم صيد في شبكة لا أطفال في عربة، ويدلك منظرهم البائس الدليل أنهم ليسوا أولاد أمهات وآباء ولكنهم وساوس آباء وأمهات.

لقد كثف الرافعي مشهد الحزن والحسرة حينما رسم مشهد نزولهم من العربة، وصور امرأتين تقومان على اللقطاء «وكلتاهما تزوير للألم على هؤلاء الأطفال المساكين» فضلاً عن الحوار الذي دار بين الحصانين اللذين يجران العربة أحدهما الكميث والآخر الأدهم» .

الأول: كان يجر عربة الكلاب التي يقتلها الشرطة، والثاني كان يجر القمامة والأقذار، ويحس الأول بثقل الأطفال اللقطاء حتى يخيل إليه أن ظل كل طفل منهم يثقل وحده عربة والثاني: يشعر بأن الريح الخبيثة أشد من ريح القمامة إذ أصبحت في الزمن نفسه حينما قرن بهؤلاء وعربتهم.

أما حوزي العربة فإنه يشكو من هذه المهنة إذ يرى أن كل واحد من هؤلاء إن هو إلا جريمة تثبت امتداد الإثم والشر في الدنيا .. ويستطرد الرافعي في المقارنة بين هؤلاء اللقطاء وبين غيرهم من الأطفال - على لسان حوزي العربة وأحد أصدقائه .

ولا شك في أن تمرد عصمت وهو ابن المدير على وضعه الاجتماعي يعد بحثاً عن طفولته الغائبة، الطفولة التي طوتها طقوس الإدارة وكبالتها مواصفات علو المنزلة إذ أصبحت مكانة الشخصيات فوق المعاني ..

إن هناك طفولتين: الطفولة المزيفة التي يحيها عصمت، والطفولة الحقيقية التي ينبغي أن يعيشها كما يعيش الأطفال الآخرون، وكان قرار عصمت استجابة لنداء الفطرة وانسياقاً وراء انسجام الأشياء، وقد أخذت نفسه تهتز وترف بإحساسها، كالورقة الخضراء عليها ظل الندى، وأخذ قلبه يتفتح في شعاع الكلام كالزهرة في الشمس، وسكر بما يسكر الأطفال حين تقدم لهم الطبيعة مكان اللهو معداً مهيناً^(٢٥)، ودبت روح الأرض دبيبها في عصمت، وأوحت إلى قلبه بأسرارها فأدرك من شعوره أن هؤلاء الأعمار الأغنياء من أولاد الفقراء والمساكين هم السعداء بطفولتهم، وأنه وأمثاله هم الفقراء والمساكين في الطفولة، وأن ذلك الجندي الذي يمشي وراءه لتعظيمه إنما هو سجن .

ويرى الرافعي أن أبناء المسؤولين والأغنياء أعجز عن التعامل مع نظرائهم من الأطفال، إذ إن عصمت لم يستسغ أن يكون مهزوماً في اللعب مما حدا بهم أن يمرغوه في التراب، لولا أن أحدهم جاء وفرقهم، طفل في العاشرة تبين عصمت منه القوة والمتانة معللاً ذلك لما سأله عصمت من أين لك هذه القوة ؟ فأجاب إني أعمل بيدي فأنا أشتد، وإذا جعت أكلت طعامي، أما أنت فتسترخي فإذا جعت أكلت طعامك، ثم إني ليس لي عسكري ... !

أنت طفل المدرسة كأنك طفل من ورق، وكراسات من لحم، وكأن عظامك من طباشير، لا تبك يا ابن المدير ، تعلم أن تكون جلدًا ...
وكما انتصر الرافعي للطفولة المضطهدة بتمرد عصمت انتصر للطفولة الفقيرة قائلاً :

- وما معنى مراقبة ! هذه ماما!!

- فما معنى ماما؟ هذه مراقبة!!

- كلكم من دار واحدة.

- نحن في اللجأ ومتى كبرنا أخذونا إلى دورنا .

وانقطع الحوار بصوت من المراقبة:

تعال يا رقم عشرة..فلوى اللقيط المسكين

وجهه وانصاع وأدبر».

ويختم المشهد ومشى الأطفال بوجوه يتيم يقرأ من يقرأ فيها أنها مستسلمة مسكينة معترفة أن لا حول لها في شيء من هذا العالم إلا هذا الإحسان البخس القليل.

ونلاحظ أن الرافعي يقلب الموضوع من جوانبه كافة، يستقصي الظاهر ويرصد تجلياتها وأسبابها منوعاً في عرضها، مستثمراً كل التقنيات التي تسهم في جلاء الموضوع، فتارة يصف وأخرى يحاور وثالثة يتوسل بشخصية أو بشخصيات ورابعة يستنطق الحيوان .

ولا ينسى أن يشير إلى تعاليم الإسلام وأدابه التي تضمن سلامة المجتمع وتحقق طهارته، "لأيهما يجب التمحيص للصاعقة أم للمكان الذي يخشى أن تنقض عليه، لقد أجابت الشريعة الإسلامية : حصنوا المكان ولكن المدنية أجابت حصنوا الصاعقة"^(٢٤).

أبناء الذوات

لم تغب عن قلم الرافعي تلك الشريحة من الأطفال الذين لا ينعمون بطفولتهم ولا يمارسون حياتهم الطبيعية نتيجة نمط الحياة الذي تفرضه ظروف آبائهم، وقد عالج الرافعي هذه الظاهرة الاجتماعية .. ظاهرة أبناء الذوات أو الأغنياء من خلال قصة الطفل "عصمت" : إذ كان طفلاً مترقفاً يكاد ينعصر لينا وتراه يرف رفيفاً مما نشأ في ظلال العز، بيد أنه تمرد على هذه القيود حين انساق وراء خياله، وهرب على وجهه من تلك الصورة التي يمشي فيها الجندي وراء ابن المدير .



ندى الورد*

ندى الورد على فُكِّ
كسفت الورد والفُلاً
ومن غصنك من ظلِّك
كسفت الغصن والظلاً
فما أحلاك في دلك
ومن علمك الدلا؟
وكل الحسن في كلِّك
فربي يحفظ الكلا

ألا يا حبة الحب
ويا إنسانة الأنس
وروح القلب في القلب
ومعنى النفس في النفس
وثغر اللؤلؤ الرطب
ولحظ الماس في الشمس
يعيش الحسن في شكلك
فما أحلى ، وما أحلى

فكوني دائماً حسناً
بأعمالك في الناس
ومن أخلاقك الحسنى
أضيئي ضوء نبراس
على الأماس ما أثنى
كهذا النور في الماس
ومن فضلك من فضلك
أرينا المرأة الفُضلى

مصطفى صادق الرافعي

* كتبها لابنته زينب في طفولتها .

أنتم الفقراء حسبكم البطولة، فليس غني بطل
الحرب بالمال والنعيم ولكن بالجراح والمشقات
في جسمه وتاريخه (٢٥) .

خاتمة :

من خلال هذه الطيافة العجلى تبين كيف
استأثر موضوع الطفولة باهتمام الرافعي فكان
هاجسا ملازما يحفز قلمه للكتابة عن الطفل،
وأهمية تربيته، موجهها عدسته لالتقاط صورها من
عالم الطفولة، مجسدا آلامها ومصورا عذاباتها
ومدى الانحراف الذي حاق بعالم الطفولة عن
مساره الطبيعي، فقدم مشاهده لمآسي الطفل
اليتيم، والطفل الفقير، واللقطاء، وأغنياء من أبناء
الذوات.

ويستخدم في ذلك : القصة مستعملا إياها
من التراث، أو صائغا إياها من مفردات الواقع ،
يتوسل بالوصف ، ويوظف الحوار ويرسم
المشهد ، وهو في كل ذلك يكتب بخيال مجنح
ومفردات بيانية فيه من الطراوة ما لا يقدر عليه
غيره . ■

الهوامش:

- (١) مجلة الأدب الإسلامي، ناول (١٢) نفسه، ج٢، ١٥٧ .
عبدالهادي، مج ١٠، ع٤٠، (١٢) نفسه، ج١، ٢٣٥ .
ص ١٠٤ . (١٤) نفسه، ج١، ١٩٩ .
- (٢) وحي القلم (المقدمة)، (١٥) نفسه، ج١، ٨١، ٨٢ .
محمد سعيد العريان، (١٦) نفسه، ج١، ٧٧ .
ص١٢ . (١٧) نفسه، ج١، ٨٢ .
- (٣) وحي القلم، ج١، ٣٢، ٣٣ . (١٨) نفسه، ج١، ٨٤ .
- (٤) نفسه، ج١، ٤١ . (١٩) نفسه، ج٢، ١٥٤ .
- (٥) نفسه، ج١، ٢٩ . (٢٠) نفسه، ج٢، ١٥٥ .
- (٦) نفسه، ج١، ٣٠ . (٢١) نفسه، ج٢، ١٥٧ .
- (٧) نفسه، ج١، ٣٢ . (٢٢) السابق نفسه .
- (٨) سورة الفرقان، آية ٧٤ . (٢٣) نفسه، ج١، ٢٠٦ .
- (٩) وحي القلم، ج٢، ١٥٦ . (٢٤) نفسه، ج١، ٣١١ .
- (١٠) نفسه، ج٢، ١٥٨ . (٢٥) نفسه، ج١، ٧٢ .
- (١١) نفسه، ج٢، ١٦٠، ١٦١ . (٢٦) نفسه، ج١، ٧٧ .

شخصية الأديب المسلم في حياة الرافعي ورسالته



بقلم: د. محمد أبو بكر حميد

«كاشر» الرافعي في هذه الأمة وكأنه ليس منها، فما أدت له في حياته واجبا ولا اعترفت له بحق، ولا أقامت معه على رأي، وكأنما اجتمع له هو وحده تراث الأجيال من هذه الأمة المسلمة فعاش ما عاش ينبهها إلى حقائق وجودها على حين تعيش هي في ظلال التقليد وأوهام التجديد ورضي هو مقامه منها غريبا ومعتزلا لا يعرفه أحد إلا من خلال ما يؤلف من كتب وينشر في الصحف أو خلال ما يكتب عنه خصومه الأكثرون وهو ماضٍ على نهجه لا يبالي.. ولا ينظر لغير الهدف الذي جعله لنفسه منذ يومه الأول، وهو أن يكون من هذه الأمة لسانها العربي في هذه العجمة المستعربة، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال وما كان - رحمه الله - يرى في ذلك إلا أن الله قد وضعه في هذا الموضع ليكون عليه وحده حياطة الدين والعربية.. كأن ذلك «فرض عين» عليه وهو على المسلمين «فرض كفاية».





ذلك التاريخ كاد القضاء يكون حكراً لآل الرافعي حتى اجتمع في زمن ما أربعون قاضياً رافعياً في مختلف محاكم مصر، ووالد أديبنا الرافعي هو المرحوم الشيخ عبدالرزاق الرافعي كان رئيساً للمحاكم الشرعية في كثير من الأقاليم وهو واحد من أحد عشر أخاً اشتغلوا جميعاً بالقضاء.

وكان الرافعي - رحمه الله - شديد الاعتزاز بانتهاء نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أما والدته فهي سورية الأصل من حلب وكان والدها الشيخ الطوخي يعمل تاجراً بين مصر والشام. وكان مولد أديبنا في بهتيم إحدى قرى مديرية القليوبية بمصر، وليس في طنطا كما يظن البعض، ونشأ في رعاية أبيه، وما كاد يتم العاشرة من عمره حتى استظهر القرآن عليه حفظاً وتجويداً. لم يدخل الرافعي المدرسة إلا بعد أن جاوز العاشرة بسنة أو سنتين، فقد درس سنة من الابتدائية في دمنهور ثم نقل والده قاضياً في محكمة المنصورة فانتقل معه إلى مدرسة المنصورة الأميرية وحصل على شهادة الابتدائية وسنه يومئذ سبع عشرة سنة! فكانت الشهادة الابتدائية هي كل ما حصل عليه الرافعي من شهادات المدارس النظامية، ثم استقرت أسرة الرافعي في طنطا منذ عُيِّن والده رئيساً لمحكمة الشرعية، ومنذ ذلك الحين أصبحت طنطا مقراً لأسرة الرافعي وعاش فيها أديبنا إلى أن توفاه الله بها.

وقد منعت الرافعي من مواصلة دراسته بعد الابتدائية إصابته بمرض التيفوئيد الذي أقعده أشهراً وأصابه بحبسة في صوته وصمم في أذنيه ظل يثقل عليه حتى تحول إلى صمم تام، وانقطع الرافعي به عن دنيا الناس والأصوات مع تمامه الثلاثين من عمره، فكانت هذه العاهة زلزلة خير وبركة في حياته فلزم الكتاب وانقطع للقراءة يقرأ تسع ساعات كل يوم لا يتصل بالناس إلا من خلال القلم على أحسن ما يكون الاتصال حتى ظهر نبوغه وأشرقت عبقريته، على أنه قبل هذا كله لازم أباه في صباه يأخذ عنه علوم العربية ويتفقه في

بهذه الكلمات الموجزة اختصر محمد سعيد العريان مأساة جهاد أستاذه مصطفى صادق الرافعي ورسالة حياته، وذلك عقب وفاة الرافعي سنة (١٩٣٧) في مطلع كتابه الفريد «حياة الرافعي» الذي يعد مصدراً أساسياً إلى الآن لكل من يتعرض لحياة الرافعي، وذلك ليذكر هذه الأمة بالدين الذي عليها لهذا الأديب الكبير والكاتب الإسلامي المستنير ولا تزال تلك الكلمات - رغم مضي - أكثر من ٦٠ عاماً عليها - لم يجف مدادها تستنهض الهمم نابضة بالحياة، تدعو لإنصاف الرجل. والمأساة أن الرافعي لم يأخذ إلى الآن - ولو بعض حقه - من أمة لا تزال تحمل على عنقها ديوناً كثيرة لأمثاله من أدبائها ومفكريها الذين أخلصوا حياتهم لها وماتوا في سبيلها.. أمة - للأسف - منذ بدأت تستبدل برايتها الحقيقية التي تسامت بها على باقي الأمم رايات أخرى ملونة تراجعت عن ركب الحضارات. وقد ظهر الرافعي في عصر هذه الفتن، وعاصر هؤلاء المفتونين فتصدى لهم ورد كيدهم في نحورهم بقلمه وحده لا يسنده حاكم يحميه، ولا منصب يترفع به، ولا حتى صاحب يزود عنه، فكان متكلاً على الله وحده متخذاً شعاره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فكانت هذه الآية محور حركته كلها ومصدر جرأته وشجاعته وجهره بالحق في وجوه من كان يشتم منهم عداوة للدين أو للغة من صغار وكبار.

إشراق العبقرية:

ينتمي مصطفى صادق الرافعي (١٢٩٨- ١٣٥٦هـ = ١٨٨١- ١٩٣٧م) إلى أسرة عريقة في النسب خدمت الإسلام والعروبة بعدد من العلماء والقضاة والأدباء والمؤرخين اشتهروا في الشام ومصر، وأول من وفد من هذه الأسرة إلى مصر من طرابلس الشام وطنهم الأول كان الشيخ محمد طاهر الرافعي سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) ليتولى القضاء في مصر على مذهب أبي حنيفة، ومنذ

الرافعي في بيته:

تزوج الرافعي في الرابعة والعشرين من عمره من فتاة مصرية صريحة النسب أخت صديقه الأستاذ عبدالرحمن البرقوقي صاحب مجلة «البيان». وقد عاش الرافعي لزوجه وفي بيته

وبين أولاده مثل الزوج والاب الذي يحترم حدوده ويعطي لكل ذي حق حقه، وحسبنا أن نقراً ما كتبه عنه تلميذه وصديقه الأستاذ العريان حين شهد بقوله: «وأنا ما عرفت أبا لأولاده كما عرفت الرافعي إذ يتصاغر لهم ويناغيمهم ويدلهم ويبادلهم حبا بحب ثم لا يمنعه هذا الحب من أن يكون لهم أبا فيما يكون على الآباء من واجب التهذيب والرعاية والإرشاد...».

ولم يفرط الرافعي يوماً في عقد الأسرة وظل مرضياً لزوجه التي أعطت له كل حياتها وهيأت له في بيته كل ما يحتاجه رجل مفكر مثله، وما يقال عن علاقة الرافعي بالمرأة خارج محيط الأسرة فيه كثير من التجاوز للحقيقة، وما يقال عن حبه لمعاصرتة الأدبية الشامية المعروفة الآنسة مي زيادة فيه من الخيال أكثر مما فيه من الواقع.

لقد هب الحب على قلب الرافعي مثله مثل كل إنسان ولكنه لم يترك هذا الحب يعصف بحياته فسرعان ما حوله إلى نسيم يستوحي منه أرق وأجمل مؤلفاته لغة وأسلوباً ومعنى، فليس الرافعي الذي يسلم قياده لهواه، فإذا كان حبه أقوى منه قد كان دينه وإيمانه أقوى من حبه، وهو القائل:

الحب سـجـدة عـابـد

ما أرضه إلا جـبـينه

قلـبـي يـحـب وإنـما

إيـمانـه فـيـه ودينه

وقد صرح الرافعي زوجه بحقيقة أمره مع فلانة الذي لم يتجاوز «الاستلهاج»، وكانت أعرف الناس بعفة زوجها واستقامته وعظيم إيمانه،



ارسموا شخص الوفا ثم انظروا من بعد رسمي
لو يسمى في الأنام الحـب ما اختار سوى اسمي

مصطفى صادق الرافعي

اللغة وعلوم الدين والتفسير وقرأ لعلماء الأمة. وهكذا امتلاً الرافعي منذ طفولته بروح الإسلام وتشبع بفكره، وأمن برسائله فجعلها رسالته يهتدي بهداها، ويقتدي بأعلامها، ويتخذ من لغة القرآن حصنه الحصين يدافع عنها ويهاجم منها كل الذين أرادوا الطعن في كتاب الله من خلال الطعن في لغته.

على هذه الروح شب الرافعي وشاب، وتشبع بحب القرآن ولغته منذ ميعة صباه ونشأ لا يتكلم إلا الفصحى، وكان حظه من العامية المصرية قليلاً - كما يروي صفيه الأستاذ محمد سعيد العريان - وظلت لهجته الشامية في الحديث تنم عن أصله إلى آخر أيامه. فقد باعد فقده للسمع مبكراً بينه وبين إتقان اللهجة المصرية مضافاً إليها حرصه وعشقه للتخاطب مع الناس بالفصحى.

أما حياة الرافعي الوظيفية فهي تختصر في سطور قصيرة، فقد دلف إليها في أبريل عام ١٨٩٩م وهو في سن التاسعة عشرة فعُيّن كاتباً في محكمة "طلخا" الشرعية القريبة من "طنطا" ثم نُقِلَ إلى محكمة «إيتاي البارود» الشرعية ثم إلى محكمة طنطا الشرعية ثم إلى محكمة أهلية واستقر به المقام في طنطا، وعاش الرافعي طوال حياته موظفاً صغيراً يتقاضى راتباً ضئيلاً يعيش عليه بقناعة إذ لم تكن الوظيفة في حياته إلا وسيلة تعينه على العيش الكفاف ليفرغ لنفسه بعد ذلك يقودها إلى العلا في مراتب الثقافة والأدب والفكر ليتسنى قممها العالية ويمثل مكانته اللائقة به بين كبار أدباء عصره.



كلمة الصدق

إن الأمة لن تكون في موضعها إلا إذا وضعت
الكلمة في موضعها، وإن أول ما يدل على
صحة الأخلاق في أمة كلمة الصدق فيها،
والأمة التي لا يحكمها الصدق لا تكون معها
كل مظاهر الحكم إلا كذبا..

مصطفى صادق الرافعي

وهكذا كان هذا الحب في حياة الرافعي طائفا روحانيا بعيدا عن شهوات الجسد، وأوحى إلى الرافعي بأعظم ما خطه يراع في فلسفة الحب والجمال في أدبنا الحديث، كان أولها «حديث القمر» كتبه سنة ١٩١٢ عقب زيارة قام بها لوطنه الأصلي لبنان ومن وحي لقائه بالأديبة مي زيادة، ثم تبعه بثلاثة كتب أخرى على شكل رسائل حب خيالية فكان

«رسائل الأحزان» و«السحاب الأحمر» سنة ١٩٢٤ ثم تبعهما «أوراق الورد» سنة ١٩٣١ .

شاعر الأمة:

وبدأ الرافعي حياته شاعراً ونظم الشعر في سن باكراً قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وبدأ يتألق بما ينشره من شعر في الصحف والمجلات التي كان يصدرها الشاميون في مصر، فقد كانت الزعامة الأدبية في اللغة والأدب والتاريخ في أيديهم، فنشر الرافعي في مجلات «الضياء» و«البيان» و«أثرىاء» و«الزهراء» و«المقتطف» و«الهلال» وغيرها .

وتطلع الرافعي في تلك السن الصغيرة إلى منافسة شعراء عصره الكبار: البارودي وشوقي وحافظ وأعد نفسه لانتزاع إمارة الشعر، فلما أصدر حافظ إبراهيم سنة ١٩٠٣ ديوانه ورأى الشاعر الشاب ما ناله ديوان حافظ من ترحيب وثناء أعد عدته وأصدر الجزء الأول من ديوانه ١٩٠٤ بعد ديوان حافظ بشهور، وقدم له بمقدمة بارعة تحدث فيها عن معنى الشعر وفنونه، ثم أصدر الجزء الثاني من ديوانه سنة ١٩٠٤ والثالث سنة ١٩٠٦، وفي سنة ١٩٠٨ أصدر الجزء الأول من ديوان النظرات، وارتفع اسم الرافعي عاليا

متألقاً في سماء الشعر ولقي من احتفاء الأديباء والنقاد ما لم يلقه إلا قلة من أديباء جيله، فقد قرظ شعره الإمام محمد عبده حيث كتب إليه يقول: «أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يحق به الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل» وصدقت فيه فراسة الإمام.

وكتب الزعيم مصطفى كامل يقول: «وسياتي يوم إذا ذكر فيه الرافعي قال الناس هو الحكمة العالية مصوغة في جمال قالب من البيان»، وإذا كان هذا بيان شعر الرافعي فإن نزوة هذا الشعر بإجماع الكثير من دارسي أدب الرافعي تكمن في أناشيده، فقد غنى الرافعي للإسلام والوطن والطفولة والشعب بشكل لم يسبق إليه أحد مما يجعله بحق إمام عصره في شعر الأناشيد، فقد غنى الشعب أناشيده الوطنية، وهتف أبناء المدارس بها كل صباح في مدارسهم، ورددها المجموعة في الإذاعات والاحتفالات، كما ساهم الرافعي في الحركة الوطنية المصرية منشداً بكل نبضات قلبه وسبحات روحه وعزيمة إيمانه، اسمعه يقول في نشيده الوطني الأول:

يا حامي النيل الأمين

لك في قلبي حنين

لك إخلاصي المتين

وهوى الأوطان دين

ومعي قلبي وعزمي للجهاد
ولقلبي أنت بعد الدين دين
لك يا مصر السلامة
وسلاما يا بلادي
إن رمى الدهر سهامه
أتقيها بفؤادي
واسلمي في كل حين

وقد قرظ هذا النشيد وأشاد

به كبار رجال العصر في الفكر والأدب والسياسة
أمثال سعد زغلول وأحمد زكي باشا ومحب الدين
الخطيب وغيرهم، وهكذا أصبح هذا النشيد نشيد
مصر القومي الرسمي خلال الفترة من سنة ١٩٢٣
إلى سنة ١٩٣٦ م.

واستجابة لرغبة شبان الوفد وزعيمه كتب
الرافعي نشيدا وطنيا آخر بعنوان: «حماة الحمى»:
حماة الحمى، يا حماة الحمى
هلموا، هلموا، هلموا لمجد الزمن

لقد صرخت في العروق الدما
نموت، نموت ويحيا الوطن
هذا إلى جانب العديد من الأناشيد التي كتبها
لطلاب المدارس مثل نشيد «بنت النيل» و«نشيد
الطلبة» و«نشيد المدرسة» مضافا إليها الأناشيد
التي كتبها لأطفاله فتبنتها رياض الأطفال
والمدارس الابتدائية كما كتب أغان للفلاحين.

والرافعي هو مؤلف النشيد الإسلامي الخالد
«نشيد الشباب الحمدي» الذي ذاع واشتهر في
كل بلاد العالم العربي حتى يومنا هذا:

رينا إياك ندعو رينا
أتنا النصر الذي وعدتنا
إننا نبغى رضاك إننا
ما ارتضينا غير ما ترضى لنا
أنفسا طاهرة طهر الحرم
ملا التاريخ مجدا وكرم
وافيات بالعهود والذمم
راقيات للمعالي والهمم

● غنى الشعب أناشيده الوطنية وهتف أبناء
المدارس بها كل صباح في مدارسهم، وردتها
المجموعة في الإذاعات والاحتفالات، وأصبح
الرافعي صوت الأمة ووطنيا وإسلاميا.

ويشاء الله أن يكون الرافعي بنشيد «إلى العلاء»
صوت الأمة سنة ١٩١٩ في نهضتها في الدعوة
للحرية والاستقلال فيكتب هذا النشيد الذي تجاوز
لجنة الأناشيد التي أرادت مجاملة شوقي أمير
الشعراء حين اجتمعت طائفة من رجال مصر آنذاك
واختارت نشيد الرافعي، وكتبت عنه صحف العصر
تطالب به نشيدا قوميا للأمة، فجاء في جريدة
«الأخبار» ما نصه «نقدم إلى الأمة هذا النشيد الفخم
الذي وضعه ذلك الشاعر في نبوغه والناطقة في شعره
- الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي وهو صورة
حية للشعور الوطني الذي ملك الروح بل هو معرفة
تلك الروح...وما أجدره أن يكون ندى على الألسنة في
كل هاجرة» وتم تلحين النشيد وهتفت به مصر كلها:

إلى العلاء إلى العلاء بني الوطن
إلى العلاء كل فتاة وفتى
إلى العلاء في كل عصر وزمن

فلن يموت مجدنا كلا ولن
وبعده كتب الرافعي نشيدا أصبح نشيد الفتوة
والكشافة والجنود وأصبح نشيد مصر القومي في
عصر الزعيم سعد زغلول استجابة لدعوة الأدباء
والطلبة، وتألقت اللجان في أنحاء البلاد لإذاعته
وتبارى الملحنون على تلحينه، وتغنى به الناس في
أنحاء مصر من أعماق قلوبهم: «اسلمي يا مصر»

اسلمي يا مصر إنني الفدا
ذي يدي إن مدت الدنيا يدا
أبدا لن تستكيني أبدا
إنني أرجو مع اليوم غدا



الرافعي ولم يقعد حتى استنهض الهمم، واستنفر الأمة كلها للدفاع عن قرآنها، وتحولت المعركة بينه وبين طه حسين من معركة بين القديم والجديد أو على الأصح بين الأصل والداخل في الأدب إلى معركة للدفاع عن عقيدة الأمة وحمائتها ممن يشكك فيها.

وتجاوزت حدود الصحف إلى قاعة البرلمان وساحة القضاء، صرخ الرافعي مستنكرا: كيف

يرخص طه حسين لنفسه أن يتجرد عن دينه ليحقق مسألة من مسائل العلم أو يناقش رأيا في الأدب أو التاريخ إذ لم يسبق أحد من رجال الأدب في جعل حقيقة من حقائق القرآن موضع التكذيب أو الشك؟!!

ولم يقعد الرافعي من وقفته تلك إلا بعد أن تنادت الأمة كلها من الأزهر والعلماء والهيئات والنقابات والجامعة ورجال الشارع في الدعوة إلى محاكمة طه حسين وطرده من الجامعة، وزلزلت الأرض من تحت أقدام أنصاره في الحكومة فوصل إلى النيابة وكتب بيانا أذيع على الناس يعلن فيه احترامه للإسلام وإيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وصودر الكتاب وأعدمت نسخه وأصدره طه حسين فيما بعد بعنوان «في الأدب الجاهلي» بعد أن حذف كل ما فيه من طعن في القرآن والإسلام، ثم جمع الرافعي مقالات هذه المعركة وأصدرها في كتاب بعنوان «تحت راية القرآن» سيجد فيه القارئ تفنيد الرافعي لآراء طه حسين رأيا رأيا فيما لا يتفق مع العقيدة الإسلامية ونسخها بالحجة والبرهان وإثبات تأثر طه حسين بآراء المستشرقين التي افترق بها وحاول أن يفتن بها طلاب الجامعة.

● تجاهل الرافعي مسابقة الجامعة المصرية ، وتجاهل مكافأتها المغربية ، وأخرج كتابه الفريد (تاريخ آداب العرب) على نفقته الخاصة ، فأحدث انقلابا في مناهج الجامعة وطرق تدريسها واقتحم كتابه أسوار الجامعة بقوة وجدارة وأصبح اسم الرافعي على كل لسان .

الأدبية الكبيرة لدى الجمهور، وكان طه حسين آنذاك لا يزال طالبا في الجامعة، بينما كان نجم الرافعي قد تألق في سماء الشعر وعالم البيان العربي، فقد تعقب الطالب طه حسين كتب الرافعي واحدا بعد الآخر بالهجوم مدعيا بأنه «لم يفهمها» ابتداء من كتاب «رسائل الأحزان» الذي صدر سنة ١٩١٢، وكان ذلك في أغلب الظن غير منه فدارت بينه وبين الرافعي مناوشات على صفحات جريدة «السياسة الأسبوعية» الشهيرة في حينها.

لكن المعركة الحقيقية التي كانت خالصة لله وللدين وللقرآن لم تحدث إلا بعد أن عاد طه حسين من فرنسا دكتورا وأصبح أستاذا للأدب الجاهلي في كلية الآداب بالجامعة وأخرج للناس سنة ١٩٢٦ محاضراته في كتاب يحمل عنوان «في الشعر الجاهلي» والذي كان أخطر ما فيه إنكار طه حسين لقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي...».

وهنا غضب الرافعي من هذه «الوقاحة» كما سماها، ومن هذا التطاول على كتاب الله، ووقف

وكان الراجعي الموظف الصغير والمفكر الكبير يحرص على تأدية عمله دون الالتزام بمواعيد الحضور والانصراف، فلما جاء مدير جديد في دائرة عمله لم يسارع الراجعي لتهنئته فأوغر الموظفون - الذين يغيظهم اعتزاز الراجعي بنفسه - صدر المدير الجديد عليه، فبعث برسالة إلى وزارة العمل يخبرها أن



طه حسين

في محكمة طنطا كاتباً أصمّ لا يصلح للتفاهم مع الجمهور، ومع ذلك فهو كثير التهاون في مواعيد العمل، ويطلب فصل الراجعي من وظيفته بالمحكمة!

وكان من حسن حظ الراجعي أن المفتش الذي أرسلته الوزارة كان الشاعر حفني ناصف - يرحمه الله - قال له الراجعي: إن كانت وظيفتي هنا فليؤاخذوني بالتقصير والخطأ فيما يسند إلى من عمل، وإن كانت الوظيفة تعال من الساعة الثامنة واجلس على الكرسي كأنك مشدود إليه بحبل حتى يحين موعد الانصراف فلا علي إن تمردت على هذا التعبد.. قل لهم في الوزارة: إنكم لا تملكون من الراجعي إلا هاتين الإصبعين ساعات من النهار! فكتب حفني ناصف - وهو الذي يعرف عبقرية الراجعي - إلى الوزارة يقول: «إن الراجعي ليس من الموظفين الذين تعنيهم الوزارة بهذه القيود.. إن للراجعي حقاً على الأمة أن يعيش في أمن ودعة وحرية، إن فيه قناعة ورضى، وما كان هذا مكانه ولا موضعه لو لم يسكن إليه، دعوه يعيش كما يشتهي أن يعيش، ودعوه يعمل ويفتن ويبعد لهذه الأمة في أديها ما شاء أن يبذل، وإلا فاكفلوا له العيش المرضي في غير هذا المكان».

وعملت الوزارة بنصيحة مفتشها الأديب الكبير حفني ناصف، وتركت للراجعي حرية الغدو والرواح من الوظيفة ولا سلطان عليه إلا

وقد مات الراجعي رحمه الله قريراً العين مطمئن البال لمستقبل الإسلام في قلوب الشباب حين طالب طلاب الجامعة - قبل وفاته بقليل - بمكان يخصص للصلاة ويفصل الفتيان عن الفتيات فحياهم بمقالة كتبها في مجلة الرسالة ولم ينس - عفا الله عنه - أن يغمز فيها طه حسين!

خصاله وسجاياه

كان الراجعي - رحمه الله - في خلقه وسلوكه مع الناس مثال المسلم الحق في اعترافه بالفضل لأهل الفضل ومد يد العون للمحتاجين، وفي الوفاء وحفظ العهود والذمم، وفي سيرة حياته العديد من الشواهد التي يرونها معاصروه التي تدل على نبل خلقه، ومنه مثلاً ما يدل على مبلغ وفائه لأساتذته، فقد كان الراجعي في مجلس فدخل أستاذ له علمه في الابتدائية، فما أن رآه الراجعي حتى طأطأ وانحنى يريد تقبيل يده، ولما خرج الأستاذ مال الراجعي ليهمس في أذن صديقه العريان: «هذا أستاذي» وكان في صوته رنة هي أقرب إلى صوت الطفل لأبيه حين يمر بهما معلمه، وقد ظل الراجعي يذكر أستاذه طوال اليوم!

وقد أتنى كل من عرفه وزامله في العمل على خلقه وسعة صدره، فقد كان يتطوع ليحمل عن زملائه تبعة كل خطأ يقعون فيه ويتقبل نتيجته، وقد تولى عن زملائه مرة مواجهة مفتش من وزارة العدل جاء ليحقق في خطأ تقدير الرسوم لأكثر من مئة وعشرين قضية لم يكن للراجعي فيها خطأ واحداً!

وكان الراجعي - رحمه الله - شديد الاعتداد بنفسه عارفاً حق المعرفة بمكانته، حريصاً أشد الحرص على كرامته من أن يمسه أي إنسان مهما ارتفع مقامه، وكان يكره الوقوف على الأبواب والتزلف إلى الرؤساء ونشر كلمات النفاق بين أيديهم.



● انتصر الرافعي في الجامعة على طه حسين ووقفت الأمة كلها معه غيرة على دينها، وحيًا الرافعي طلاب الجامعة لمطالبتهم بتخصيص مكان للصلاة للطلاب والطالبات، واعتبر ذلك استكمالاً لانتصاره على طه حسين لله وللدین .

سلطان نفسه ولا رقيب عليه إلا ضميره الذي يراقب الله سبحانه! ، فكانت نفسه أزكى النفوس وكان ضميره أكثر ضمائر الموظفين أمانة ويقظة وحرصاً .

هكذا عاش الرافعي عزيزاً منيعاً مرفوع الرأس موفور الكرامة، يهابه الكبراء ويحسب له

الفجر بمسح وجهه بقطرات الندى التي تتساقط على أوراق البرسيم، فلما سأله قال الرافعي: «إنه ينضد الوجه ويرد الشباب!» ويحدثنا أن الرافعي مارس أنواعاً أخرى من الرياضة كالملاكمة وحمل الأثقال، وأنه كان يحتفظ في الغرفة التي كان فيها مكتبه «بعقلة» تتدلى من السقف، وكرات وأساطين من الحديد وأثقالاً من أثقال الرياضة مسندة إلى الحائط، وكان يملك عموداً طويلاً من الحديد، يعلق من طرفيه ولديه الصغيرين «سامي» و«محمد» ثم يرفعهما بيده! ومن شدة عشقه للرياضة سعى الرافعي لمعرفة أبطالها المشهورين ورفع في مكتبه صورة الرياضي الفرنسي المشهور صاندو إلى جوار صورة الإمام محمد عبده! لتمثلاً أكمل ما يحتاج إليه الإنسان من قوة الجسد وقوة الروح، وكان يردد قول الرسول ﷺ: «إن الله يحب المؤمن القوي» وعملاً بدعوة سيد الخلق ص تعلم الرافعي السباحة وكان يرتاد شاطئ «سيدي بشر» في الصيف مع أسرته ويلوذ بمكان آمن فيه يبعده عن أعين الرقباء، وكان أصحابه يسمون ذلك المكان «بلاج الرافعي» لا يقترب منه إلا من عرفه الرافعي وأذن له وإلا سال من عصا الرافعي الشهيرة دم رأسه!

أصحاب الجاه والنفوذ ألف حساب، ويخشى أصحاب الزينغ والفتن صليل قلمه وغضبه الذي لا يخشى في الله لومة لائم، أما الفقراء والمساكين فقد كان يشعر بالتوحد معهم والشعور بالأمهم ومعاناتهم، وقد كتب فيهم كتاباً بعنوان «المساكين» سنة ١٩١٧م، وقال في مقدمته «أردت به بيان شيء من حكمة الله في شيء من أغلاط الناس» واحتشد وجدانياً وعاطفياً وبيانياً في الحديث عن معاني الفقر والإحسان والتعاطف.

لقد كانت موضوعات الكتاب من قلب الواقع تشعرك أن الرافعي لم يتخذ لنفسه برجا عاجياً يعيش فيه بمعزل عن معاناة الناس، ولم ينظر للحياة من حوله نظرة فلسفية مجردة، وإنما غرق في معاشنة الواقع والإحساس بطريقته الخاصة به، فكان يشعر بعضة الجوع في أمعاء الفقير وحرارة دمعة اليتيم على خده وغلجان قلب المظلوم والمقهور.

الرافعي المؤمن القوي:

وبقدر ما حرص الرافعي على السمو بروحه وتغذية عقله وتعميق إيمانه بالفكر والتأمل والقراءة والعبادة، حرص كل الحرص على تقوية جسده بالرياضة البدنية منذ باكر شبابه، وكانت رياضة المشي أحب رياضة إليه، ويروي العريان أنه شاهد الرافعي ينهي مشيه الذي يبدوه بعد

حلم الرافعي الذي لم يتحقق:

لم يكن الرافعي يقيم وزناً للاعتبارات

وفاجأ الرافعي الناس مرة أخرى بشيء من هذا القبيل، حين نشرت مجلة المقتطف سنة ١٩٢٨ إعلاناً فيه كلمة للرافعي يشيد بقرن أحد المهندسين المعماريين، وقصتها أن الرافعي استعان بهذا المهندس في وضع رسم لمنزل كان يحلم ببنائه، فأعجب الرافعي بالرسم فكتب لذلك المهندس رأيه فكانت هذه الشهادة أجرة المهندس على رسمه، فاستغلها المهندس وطبع منها آلاف الصور فكانت خير دعاية له، درت عليه أموالاً طائلة.

ومات الرافعي دون أن يتحول ذلك الرسم إلى بناء حقيقي، فقد كانت موارده لا تكاد تكفي قوت عياله، فقد انصرف - رحمه الله - عن تنمية دخله المادي إلى الإضافة إلى فكر الأمة وتنميته وإثرائه بلا حساب، ومات الرافعي الشاعر الأديب الذائع الصيت في طول العالم العربي وعرضه وراتبه لم يزد على بضعة وعشرين جنيهاً في الدرجة السادسة بعد خدمة ثمان وثلاثين سنة في وظائف الحكومة! ■

ملا يقول نابغة الأدب رحجة العرب
في الفوسفورين



الإستاذ الكبير السيد معطل صادق الرافعي الذي
من بعد ما عاش وعلم في وقت بيته:
«كأن قلبه من الشرق»
شون القادر كثير له أسدال العزيمون فوجد
أن لا يوجد شيء مثله في اللغة الأصيلة وحسنه
يسبح من يشكو الضيق أن يستعمله في العيون
اقرأ شهادة بخطبه، ثماد بار.

فما شئت الفوسفورين ما أدري بشرية أم شريرة فيلهل باراد
إنه قوة نياج قشري، ولد كما أدرك من فرغ من زجاجة
من ينلم بشدة يشتر أن المعنى الحديس من الأبر من في
أعصابه إنما كان في هذه الزجاجة
السنة الفوسفورين في تمريرة العصب ورسن بجزء في العمان؟
تفصيلين لمن يشكك في أن يشككوا في الفوسفورين
أنظره في ما يشكك

الفوسفورين مركب طبيياً في اللبن بيلاذ الأستاذ
يبلغ من الأبحاث والبحوث الأربعة الفوية
الزهد، وطبوع: الشركة للطباعة التجارية - ٤٤ شارع جلال أبا نصر
الأكاديمية في بيروت

لذبوع صيته استغل صاحب صيدلية
كلمة كتبها الرافعي للإعلان عن بضاعته

الشكلية التي تسود المجتمع، فقد كان يتعامل مع الناس ببساطة وتلقائية ووفق مفاهيم خاصة به، شأنه في ذلك شأن كل عبقرى لا يستطيع بداهة الالتزام بكل ما تعارف عليه الناس، فله عالمه الخاص وله سلوكه الخاص الذي قد ينكره عليه الغير، وعلى سبيل المثال فقد أنكر عليه الناس أن يظهر كل يوم في إعلان في إحدى الجرائد اليومية عن الفسفورين وعليه شهادة بخطه عن مزياده، حتى ظن البعض أن الرافعي قد قبض مبلغاً كبيراً لقاء ظهوره في هذا الإعلان كما يفعل

الممثلون هذه الأيام، ولكن أهل الرافعي وأصحابه يؤكدون أن الرجل لم يقبض شيئاً، وكل ما في الأمر أنه اشترى الفسفورين مرة فأعجب به فطلب منه صاحب الصيدلية أن يكتب رأيه فيه ففعل فاستغله في الإعلان الذي ظهر يحمل صورة الرافعي مديلاً بلقب «إمام الأدب وحنة العرب» الذي أطلقه عليه أمير البيان شكيب أرسلان.

أمة وحدها

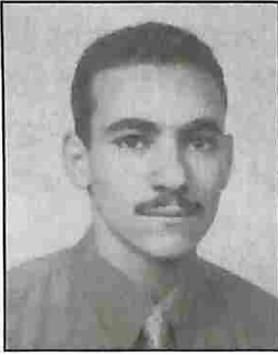


الرافعي أمة وحدها، لها وجودها المستقل، وعالمها المتفرد، ومزاجها الخاص، وأكثر الذين كرهوا هم الذين جهلوا..
إنما يحب الرافعي ويبكيه من عرف وحي الله في قرآنه،
وفهم إعجاز الفن في بيانه، وأدرك سر العقيدة في إيمانه.

أحمد حسن الزيات



قضية الفقر في أدب الرافعي



بقلم: وليد عبدالمجيد كساب*
مصر

نناول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي قضية الفقر في أكثر من كتاب له، فكتب في كتابه الرائع «وحي القلم» عدة مقالات منها: سمو الفقر، حديث قطين، والطفولتان، وأحلام في الشارع، وأحلام في القصر، وقصة زواج وفلسفة المهر، وقد عالج أديبنا تلك القضية بشكل رمزي متميز وهو ما لا يتأتى لأحد بسهولة.

الفقر أن لا يظهر الفقر كاسيا أو تكون له زينة إلا من أوجاع الإنسانية أو المعاني التي يتمنى الحكماء لو أنها غابت في جماجم الموتى الأولين^(١).

وحسب قوله فقد كتب كتابه «المساكين» وكتب فيه عن الفقر وما هو من باب الفقر، للاحوه، ولكن للصبر عليه، ولا من أجل البحث فيه ولكن للعزاء عنه، ثم كتب عن الغنى وما إليه، لارغبة في إفساده على أهله، ولكن لإصلاح ما يفهم منه غير

أما كتابه «المساكين» فهو قطعة إنسانية رائعة صاغها لأسباب وضحتها في قوله «هذا كتاب حاولت أن أكسو الفقر من صفحاته مرقعة جديدة..فقد والله بليت أثواب هذا الفقر، وإنها لتتسدل على أركانه مزقا متهدلة يمشي بعضها في بعض، وإنه ليلفقاها بخيوط من دمع، ويمسكها ببرقع من الأكباد، ويشد بالقطع المتنافرة من حسرة إلى أمل، وأمل إلى خيبة، وخبية إلى هم، وأقبح من



* باحث برابطة الجامعات الإسلامية - القاهرة.

كان آدم في الأرض وليس عليه إلا ما خصف من ورق الجنة، وعاش دهرًا تحت السماء يلبس من ضياء كل كوكب، ويمرح في ثياب بيضاء من أشعة القمرين، إذ لم يكن يعرفه أحد بعد ولا استطار به سماع السوء في الأحياء: بل كان عنصرًا مجهولًا في غيث الطبيعة، ولم يكن لهذا الإنسان يومئذ من المعاني الفقرية غير شعور طبيعي لازيغ في تأويله عن الطبيعة، وهو شعور المعدة القوية المعصوبة التي لا تتحمل الشعر والخيال وفنون الكذب العقلي، ولا تشعر إلا لتطلب، ولا تطلب إلا ما تجد، ومتى وجدت وانطفأ نهمها فليس إلا قوة الجسم وانبساط النفس وحمدًا لله من كل ضرب من ضروب الجمال في الخليقة.

ويقول الراجعي: «إنه حين فتحت الصفحة الأولى من تاريخه الدموي الأساسي كان الحقد أول سطورها، ثم يأتي الفقر من بعده، يظهر ذلك في عداوة بني آدم ﴿إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم تقبل من الآخر﴾^(٢)، فما الحقد إلا فقر من المحبة، ولا الحسد إلا فقر من الثقة، ولا الطمع إلا فقر من العقل^(١).

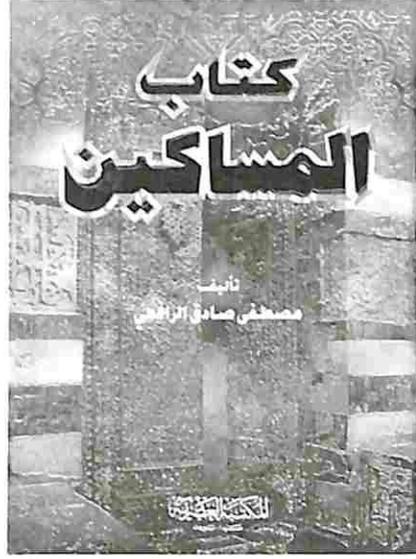
وفي ضوء ذلك فإن الفقر عند الراجعي فقران..

١- فقر مادي.

٢- فقر معنوي.

فالفقر المادي هو عوز الإنسان إلى المال الذي يسد به حاجاته الأساسية من مأكّل ومشرب وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس في معاشهم.

أما الفقر المعنوي وهو افتقار النفس إلى خلق من الأخلاق الكريمة كالرضا والزهد وغيرهما، فيرى الراجعي أنه أقدم من الفقر المادي، يقول: «ولقد كان الفقر قبل أن يكون المال، ثم وجد المال، فيما صنع أن يلقي أهله الأغنياء من هموم الدنيا وبأساء الحياة ما



أهله^(٣)، إذن فالراجعي لم يتناول قضية الفقر ليفسد على الأغنياء حياتهم، فالغنى أمر مباح مشروع طالما أعطى الغني الفقراء من مال الله الذي آتاه.

وقد أدار الراجعي كلامه في هذا الكتاب على الوجه الذي يراه الشاعر في ضحك الطبيعة ورقتها دون الوجه الذي يعرفه الفيلسوف في عبوس المادة وجفائها، لأنه كما يقول: «يريد به النفس في مستقرها، وجاء به من مبرق الصبح لا من غياهب الليل، وأطلعه

من أفق الإيمان لا من قرارة الشك، كما أراد به تفسير شيء من حكمة الله في شيء من أغلاط الناس»^(٤).

لقد أخرج الراجعي كتابه هذا سنة ١٩١٧م، وهو الكتاب الرابع مما ألف في المنثورة، وثاني ما ألف في أدب الإنشاء، يقول الأستاذ محمد سعيد العريان في تقديمه لهذا الكتاب «كان الراجعي يقرأ فيما يرد إليه من بريد قرائه كثيرًا من المآسي الفاجعة يسأله أصحابها الرأي أو المعونة، فما يقرؤها إذ يقرؤها كلامًا مكتوبًا، ولكنها تحت عينيه حادثة يشهدا ويرى ضحاياها، فما تبرح ذاكرته من بعد إلا مع الزمن الطويل»^(٥).

ولقد حاز هذا الكتاب إعجاب القراء والمتقنين لما يتمتع به من أسلوب أخاذ بديع فضلًا عما يحتويه من مواقف إنسانية رائعة تثير مكنونات النفس وتحرك سواكنها، حتى إن أحمد زكي باشا ليقول مخاطبًا الراجعي «لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير، وهيجو كما للفرنسيين هيجو، وجوته كما للألمان جوته».

مفهوم الفقر عند الراجعي:

يرى الراجعي أن الفقر والغنى قضيتان أزليتان منذ خلق الإنسان الأول، فقد كان الفقر عُريانا يوم



فقضت عليه شرائع الاجتماع أن ينفق من حياته
أضعاف ما يكسب لحياته .. (١٠) .

أما الفقر الاختياري فهو الذي قعد صاحبه عن
الأخذ بأسباب الرزق، فتواكل على الآخرين، واعتمد
على عطاياهم في التقوت والحصول على حاجاته
الأساسية من مسكن وملبس وغير ذلك، وليس هذا
بالفقر الذي يتعاطف معه الرافعي في كتبه وإنما
تتجه كتاباته إلى الذين قعدت بهم حاجاتهم، فهم
أولى بالرعاية من هؤلاء المتواكلين .

رمزية الرافعي في التعبير عن الفقر:

يتميز أدب الرافعي برمزيته التي تضفي على
أسلوبه طلاوة ليس لها مثيل، فتارة يمثل لكل من
الفقر والغنى بقطين أحدهما يرفل في النعيم والآخر
يعيش في فقر مدقع، ويدور الحديث بين القطين في
صورة ممتعة متندرة .

ويصف الرافعي القط السمين - الذي هو رمز
الغنى - وصفا بديعا لا يقدر عليه إلا مقتدر، يقول :
« خرج يتخلع تخلع الأسد في مشيته، وقد ملأ جلدته
من كل أقطارها ونواحيها، وبسطته النعمة من
أطرافه، وانقلبت في لحمه غلظا، وفي عصبه شدة،
وفي شعره بريقا، وهو يموج في بدنه من قوة وعافية،
ويكاد إهابه ينشق سمنا» .

وعلى الجانب الآخر يصف القط الهزيل الذي
هو رمز الفاقة وقد راه : « نحيفا متقبضا، طاوي
البطن، بارز الأضلاع، كأنما همت عظامه أن تترك
مسكنها من جلده لتجد لها مأوى آخر .. متيبسا
كالميت في قبره غير أنه لم يموت .. أعطي الحياة
غير أنه لم يحيي ..» .

ويدور الحوار بين القطين - أو الرمزين - جذابا
مؤثرا في النفس ومثيرا لشجونها وأحزانها يقول
السمين للهزيل : « أو ليس الهر منا صورة مختزلة
من الأسد، فمالك - ويحك - رجعت صورة مختزلة
من الهر، أفلا يسقونك اللبن، ويطعمونك الشحمة،
واللحمة، ويأتونك بالسّمك، ويقطعون لك من الجبن
أبيض وأصفر، ويفتون لك الخبز في المرق، ويؤثرك

لو استطاعوا لافتدوا من عذابه كل مافي أيديهم ولو
أن لهم طلاع الأرض ذهباً» (٧) .

أما الفقير فيما وصف الرافعي فهو شخص في
الناس «ضائع حتى لايعرف له محلا، ومنفرد حتى
لايوجد بينهم لشخصه ظلا، وإذا هو بالسماء وقد
التهت بأقذارها حتى كأنها في عينه جمرة من البرق
الخاطف، وإذا الأرض قد ثارت بأهلها كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف، فإن أقبل على
الناس فروا من أماكنهم كأنه زلزلة تمشي، وإن
استصرخهم نفروا كأنه في صوته فزع الرعد
القاصف» (٨) .

الفقر عند الرافعي بين الجبر والاختيار:

يفرق الرافعي بين نوعين من الفقر، فيرى أن
هناك فقرا إجباريا، لا يمكن لصاحبه أن يتخلص منه
إلا بإذن الله عز وجل ومشيئته، وقد لا يجدي معه
الأخذ بأسباب الغنى فكم من رجل « حط الله أوزاره
وكتب عليه أن يكون فقيرا من المال وحب المال وذل
المال، فخرج وليس في أفئدة الناس إلا الرأفة
والحنان، وجاء وليس له من الناس حاسد أو عدو،
وخلق ذا حدين نفسه الماضية لا يكتفه ذل أو هم إلا
قطعها، وانطلق كالفرس العتيق ... ماذا يبغض
الناس منه، وماذا يعادون؟! هو في ذلك البحر زورق
قد سقط مجدافه، فليس له ما يضرب وما يسخر به،
وإنما تدافعه رحمة الله حيث اندفع، والبحر لا يعادي
الزورق الذي يجري فوقه، ولكن يعادي المجداف
الذي يديره هنا وهناك .. رجل كأنه قطعة من الأبد،
لا أمس له يتعقبه ولا غد له يترقبه، بل الحياة عنده
يقظة طويلة والموت نوم أطول» (٩) .

والفقير في هذا عند الرافعي هو ذلك « الكائن
الضعيف الذي أحاط به الجهل حتى إنه ليجهل
نفسه، وأينما يول وجهه أشاح عنه الناس بوجوههم
فلووا رؤوسهم، وصعروا خدودهم وأمالوا أعناقهم
.. وهو من تنكرت له الدنيا حتى أصبح فيها كأنه
نوع شاذ من الخلق يقوى على كل شيء حتى
الطبيعة، ولكنه يضعف عن شيء واحد وهو الغنى،

ويمثل الرافعي للفقير والغنى بمعانيهما المتعددة بطفولتين متباينتين، فطفولة مترفة منعمة تتمثل في شخصية (عصمت) ابن الباشا الذي وصفه بأنه يكاد ينصر لنا .. ويرف رفيقا في ظلال العز كأن لروحه من الرقة مثل ظل الشجرة حولها، وطفولة أخرى بانسة تظهر في شخصية (جعص) - وانظر إلى الظلال التي يلقيها هذا الاسم على نفس القارئ- وكعادته يدير أديبنا حوارا طريفا بين الطفلين اللذين يمثلان اتجاهين متغايرين في الحياة البشرية .

ثم هو يتحدث عن شخصية حلمت أنها عاشت حال الفقر كما عاشت حال الغنى فليست الدنيا تدوم على حال، « فقد كان فلان ابن الأمير فلان يتنبل في نفسه بأنه مشتق ممن يضع القوانين لا ممن يخضع له، فكان تياها صلفا يشمخ على قومه بأنه أمير ابن أمير، ثم هو وقد مالت عليه الدنيا ففقد كل أمواله وأهين إهانة بالغة، وابتلي بالجنون، فساح في الأرض لا يستبين نهارها من ليلها، ثم رأى أنه أفاق من الإغماء فإذا هو قد استيقظ من نومه على فراشه الوثير»^(١٣) .

ونراه يستلهم في كتابه « المساكين » معاني الفقر المختلفة من الشيخ علي الذي التقى به حين كان في زيارة أصهاره في بلدة « منية جناح » بدسوق، والشيخ علي كما وصفه الرافعي « رجل سدت في وجهه منافذ الجهات الأربع كلها إلا جهة السماء، فكأنه في الأرض بطل خيالي يرينا من نفسه إحدى خرافات الحياة، ولكنه مع ذلك يخرج للدنيا تلك الحقيقة الإلهية التي لا تغذوها مادة الأرض ولا مادة الجسم، فهي تزدري كل ما على الأرض من متاع وزينة وزخرف، وكل ما وردت عليه الغبطة من بسطة في الجسم أو سعة في المال أو فضل في المنزلة، وكل ما أنت من إقباله على طمع ومن فوته على خوف .. فهو من أجهل الناس في الدنيا بالدنيا ... وأنت إذا سطعت له بالجوهر الكريمة النادرة فلا يعدو أن يراها حصة جميلة تتألق»^(١٤) .

وعلى النحو الذي رأينا فقد أجاد الرافعي في تعبيره الرمزي عن الفقر بأساليب مختلفة، فنراه يرمز

الطفل ببعض طعامه، وتدللك الفتاة على صدرها، وتمسحك المرأة ببيديها .. وما لجلدك هذا مغبرا كأنك لا تلتطعه بلعابك ولا تتعدهه بتنظيف؟!» .

ويرد القط الهزيل عليه ردا يفيض بالحكمة والذكاء، إذ ينتقد تلك المعيشة المترفة التي يعيشها، لأن النعمة لا تأتيه وحدها وإنما تأتيه البلادة أيضا، وإن صلحت له الحياة فقد فسدت الغريزة، وإن ربح الشبع فقد افتقد اللذة التي يشعر بها



من يتعب في تحصيلها .

ويستمر القط الهزيل « الحكيم » في شرح فلسفة الفقر والغنى بشكل فريد، حتى إن القط السمين (الأبله) يقول له : « تالله لقد أكسبك الفقر حكمة وحياة، وأراني بإزائك معدوما بزوال أسلافي منك وأراك بإزائي موجودا بوجود أسلافك منك ..»^(١٥) .

ثم نراه تارة أخرى ينام نومته الشعرية بعد أن رأى طفلين (أحمد وأمينه) يرقدان على عتبة أحد البنوك، ولنا هنا وقفة لا بد منها، فقد اختار أديبنا البنك ليرمز به إلى الغنى الفاحش والطغيان، كما يرمز به إلى الفروق الطبقيّة التي يعاني منها الناس في حياتهم، يقول : « وظهر لي بناء شيطان في ظلمة الليل من مرأى الغلامين - أسود كالحا، كأنه سجن أقفل على شيطان يمسه إلى الصبح، ثم يفتح له لينطلق معمرا، أي مخربا، أو هو جسم جبار كفر بالله وبالإسانية، ولم يؤمن إلا بنفسه وحظوظ نفسه، فمسخه الله بناء، وأحاطه من هذا الظلام الأسود بمعاني أتامه وكفره»^(١٦) .



النفس ضئيلة منزوية في صورة تصغر على قدر من الضيق والعسرة.

وعلى عكس ما يرى أكثر الكتاب من زهد النبي ﷺ فإن أدينا الرافعي يرفض ذلك، حيث يرى أن فقره من نوع آخر، يقول: « ولا يسمى فقره ﷺ زهدا كما يظن الضعفاء ممن يتعلقون على ظاهر التاريخ، ولا يحققون أصوله النفسية . وأكثرهم يقرأ التاريخ النبوي بأرواح مظلمة تريهم ما ترى العين إذا ما اختلط الظلام ولبس الأشياء، فترات مجملة لا تفصيل لها، مفرغة لا تبين فيها، وما بها من ذلك شيء غير أنها تتراءى في لقية من البصر لا تعمق حقا ... وهل الزهد إلا أن تطرد الجسم عنك وهو معك، وتنتثر عنه وهو بك متعلق ؟ فتلك سخرية ومثلة، وفي رأيي تشويه للجسم بروحه . وقد تنعكس فتكون من تشويه الروح بجسمها، فليس يعلم إلا الله وحده : أنذاك تفسيره الإنسانية الزاهد بالنور، أم هو تفسير بالتراب .. ولقد كان ﷺ يملك المال ويجده، وكان أجود به من الريح المرسله، ولكنه لا يدعه يتناسل عنده (١٥) . ■

إليه بطفلين تارة، وبقطين تارة أخرى، ويجعلهما مدار كلامه فيسيح بالنفس في أرجاء الكون الفسيح يستلهم من الفقر معانيه المختلفة، ويبحث في مظاهره التي تلقي بظلالها على النفس والمجتمع.

سمو الفقر :

ويتحدث الرافعي عن الفقر السامي الذي يعتلي فوق المادة، فلا يعبأ بالحياة ولا يكثرث بها، وإن هذا السمو ليبدو واضحا جليا في أخلاق النبي ﷺ . فبالرغم من الفقر والفاقة التي عاشها إلا أنه كان بطبيعته فوق الاستغناء، فهو فقير لا يجوز أن يوصف بالفقر، ولا تناله المعاني النفسية التي تلو بعرض من الدنيا وتنزل بعرض، فما كانت به خلة تحدث هدمًا في الحياة فيرممها المال، ولا كان يتحرك في سعي ينفق فيه من نفسه الكبيرة ليجمع من الدنيا .. ولا استقر في قلبه العظيم ما يجعل للدينار معنى الدينار ولا للدرهم معنى الدرهم، فإن المعنى الحي لهذا المال هو إظهار النفس رابية متجسمة في صورة تكبر على قدر من السعة والغنى، والمعنى الحي للفقر من المال هو إبراز

- (١١) مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ، ٤٢/١ ، ط الهيئة العامة للكتب ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٢ م .
(١٢) نفس المرجع ، ٦٧/١ .
(١٣) وحي القلم ، ٧٦/١ .
(١٤) المساكين ، ص ٢٤ .
(١٥) وحي القلم ، ٤٣/٢ .

- (٤) المرجع السابق ، ص ٥ .
(٥) المائدة ، الآية ٢٧ .
(٦) المساكين ، ص ٢١ .
(٧) المساكين ، ص ٢١ .
(٨) نفس المرجع ، ص ٥٣ .
(٩) المساكين ، ص ٢٨ .
(١٠) المساكين ، ص ٥١ .

الهوامش:

- (١) مصطفى صادق الرافعي ، المساكين ، ص ١٩ ، مكتبة الإيمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، تحقيق عبدالله المنشاوي .
(٢) نفس المرجع ، ص ٢٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

وحب امال أشبه بالقيود
كمثل العود جفف للوقود
تعامى الناس عن هذي النقود
جزاء السعي يعطى للعقود

مصطفى صادق الرافعي

ومن عجب يكون امال تاجا
فيا أسفا على الفقراء أمسوا
دموعهم دنانير ولكن
أليس من التغابن وهو ظلم؟

قراءة في كتاب حديث القمر للرافعي

على الرغم من الدراسات المتعددة المستفيضة لمؤلفات الرافعي تظل كتبه الوجدانية الأربعة: «حديث القمر»، رسائل الأحران، السحاب الأحمر، أوراق الورد» بحاجة إلى دراسات وعناية خاصة، ولا سيما كتابه «حديث القمر».

وتؤلف الكتب الأربعة المذكورة وحدة متوالية فيما بينها، قد تختلف شكلا في التعبير، لكنها تدور أصلا حول محور واحد في التفكير، هو المرأة. وهكذا يمثل كتاب «حديث القمر» البداية أو الفاتحة، على حين يمثل كتاب «أوراق الورد» النهاية أو الخاتمة، كما تمثل الأزهار والأوراق والأغصان نسبة وعلاقة بجذرها. وقد حدد الرافعي الأغراض التي وضع من أجلها كتاب «أوراق الورد» وهي تشمل الكتب الأربعة بقوله لمحب الدين الخطيب:

- ١ - سدّ المكان الخالي في الأدب العربي .
- ٢ - وضع عمل يحسم النزاع في الخلاف بين القديم والجديد .
- ٣ - إسقاط زعم المستشرقين وغيرهم ممن ينتقدون العربية بأنها قاصرة في الوصف والتحليل، تحليل العاطفة .
- ٤ - وضع قطعة فنية بليغة في البيان العربي تحفظ على نشء هذه الأيام ذوق البلاغة، فإن كتابة الجرائد أفسدت الأذواق .
- ٥ - تطهير فكرة الحب، والسمو بها في نفوس الشباب، فإن الحب طور من أطوار النفس لا بدّ منه (١).





المشاعر والتعبير «كان الرافي في كتابه أوراق الورد شاعراً خيالياً فيلسوف النزعة، عذريّ الهوى، ينسج في الحب حلةً أثرية، وإن حبه غريب الوجود، بل نادر ..»^(٥). ولما كان الرافي متمثلاً للإسلام فالتصور الإسلامي للمرأة، كان مذهبه في الحب ومعلماً من معالم العاطفة في الأدب الإسلامي المعاصر، وصورة معبرة عن التصور الإسلامي للتعبير عن الحب في الأدب الإسلامي أيضاً .



بقلم : محمد الحسناوي
سورية

وهذا وجه آخر من وجوه الأهمية في دراسة كتبه الوجدانية الأربعة .

التربية الأدبية :

لا تفوتنا أيضاً نظرتة التجديدية للتربية الأدبية، أي من خلال التذوق ومدارسة النماذج البيانية، وليس من خلال «التلقين» أو الطريقة التقليدية لتدريس البلاغة، فيقول : «كل علوم البلاغة إنما تدور على شرح أمثلة بليغة وغير بليغة . فما من كاتب يحاول أن يستفيد تصورَه من هذه العلوم على أن ينزلها في ذلك منزلة الأصول والضوابط إلا انتهى إلى ملكة علمية، تتصل منه بعقل جامد، كأنه غلاف لفظي، نسجته القواعد والأمثال، فإلى أن يعقد الموت لسانه لا تكون قيمة عمره قد أربّت في البلاغة على ثمن كتاب من كتب علوم البلاغة ... ولا غرو فإن من ضلال العقل أن يعمل المرء لمقدمات متسلسلة يُنتج بعضها بعضاً وليس لمجموعها نتيجة»^(٦) .

ذلك لأن البلاغة ليست في القواعد، وإنما في المشاعر والأشكال التعبيرية التي استنبطت منها القواعد : «..علم التصور الكتابي الذي توضع أمثله، ولا توضع قواعده، لأن هذه القواعد في جملتها إلهام ينتهي إلى الإحساس، وإحساس ينتهي إلى الذوق، وذوق يفيض الإحساس والإلهام على الكتابة جميعاً، فيتترك فيها حياة كحياة

غرض الكتاب :

عقد الرافي فصلاً في بداية الكتاب، عنوانه «غرض الكتاب» صرح فيه، ببعض ما ذكره عن كتاب أوراق الورد، فالغرض التعليمي، عبر عنه بقوله : «وأنا أرجو أن أكون قد وضعت لطلبة الإنشاء المتطلعين لهذا الأسلوب أمثلة من علم التصور الكتابي الذي توضع أمثله، ولا توضع قواعده»^(٦)، أما دورانه حول المرأة، ولا سيما الحب، فكل حرف

من حروفه تنطق بهذه المسألة من مثل قوله : «نشرت على خيوط القمر ليلاً من ليالي الجمال دونه شباب الشاعر الغزل، يمتد من أحاط فاتنته الحسناء كلما استطار في آفاقه ابتسامها»^(٦)، أما التجديد وما عبر عنه من «سدّ الفراغ» و «تطهير فكرة الحب» فغرضان من أغراض هذا البحث .

صاحبة القمر :

إذا كانت صاحبة الكتب الثلاثة، أي التي تتصل بها الأسباب هي الأدبية اللبنانية الأصل «ميّ زيادة»، فإن الكتاب الأول الذي سبق الثلاثة، فيتصل سببه بفتاة لبنانية أخرى «فقد كان له في بحمدون من لبنان والمنظر الجميل خيال مليحة ألهمته الأشعار، وساهرتة الليالي . وفي ربوة من ربا الجبل الأشمّ عرف (ليلي)، وكانت أديبة شاعرة أذاه فراقها، فسكب على صفحات مجلة الزهور قصيدته (عبرات البين)، وحبها هو الذي أثمر عنده (حديث القمر) ذلك الكتاب الفريد ..»^(٤) .

طفولة قلب :

لما صدر الكتاب عام ١٩١٢م كان الرافي في ميعة الصبا والشباب أي في الثانية والثلاثين من عمره، وهو كتابه الأول في الحب، لكن الرافي لم يتغير مذهبه في الحب حتى كتبه الأخيرة مثل «أوراق الورد» : صدق في العاطفة وسمو في

● الحب عند الرافعي في الفكر لا في الحس، وهو مدعاة للسمو لا للتسفل ، وشتان بين حب الرافعي الذي يرفع وبين الحب الذي يضع.

والإلحاد، جمال الطبيعة، أهمية الألم، الحب الحقيقي، الصداقة والحب» .

قد يلحظ القارئ العلاقة الواضحة بين معظم المحاور والموضوع الرئيس أو عنوان الكتاب «حديث القمر»، لكنه يستغرب علاقة موضوع مثل «الإيمان والإلحاد» مثلاً بهما . إن الجواب في تصور الرافعي للإنسان وعلاقته بالوجود وبخالق هذا الوجود سبحانه وتعالى، فلا انفصام بين مشاعر الإنسان الفطرية، مثل مشاعر الحب عامة والإيمان خاصة . يقول: «كتبتها وأنا أرجو أن تكون الطبيعة قد أوحت إليّ بقطعة من مناجاة الأنبياء التي كانت تستهلّ في سكون الليل فيعنيها كأنه ذاكرة الدهر، وأن تكون بثت في ألفاظي صدى تلك النغمات الأولى التي كان يتغنى بها أطفال الإنسانية فتخرج نغمات من أفواههم ممزوجة بحلاوة الإيمان الفطري» ويضيف: «فالبلاء هم أرواح الأديان والشرائع والعادات، وهم السنة السماء والأرض، وإذا شهد عصر من العصور أمةً ليس فيها بليغ فذلك هو العصر الذي يكون تاريخاً صحيحاً لأضعف طبائع الأمم» (٩) .

فالحديث الرئيس عن البكاء والدموع استتبع بالتداعي النفسي الحديث عن الجمال في الحبيبة وفي العاشق، هذا أولاً.

والحديث ثانياً عن جمال العاشق استدعى استجلاب المثل من المرأة والضبع التي رأت جمالها في المرأة، وهذه على طريقة القرآن الكريم في ضرب الأمثلة واستثمار المثل في توضيح المراد

الجمال، لا تداخلُ الروح حتى تستبدّ بها، ولا تتصل بالقلب حتى تستحوذ عليه، فتكون له كأنها فكره في ذاته» (٧) .

وما لم يصرح به، لكن عبر عنه بلسان الحال، هو اختيار الموضوعات والأغراض الغزلية جسراً لعرض النماذج والأساليب

الأدبية البليغة، التي يؤمل منها وبها صقل المواهب الأدبية، لأن ناشئة الأدب عادة ما يكونون في أعمار الشباب، ومشاعرهم نحو الأنثى في غاية من الحساسية والإرهاق للتلقي والعطاء بأن . فهل الحال العاطفية التي كان عليها الكاتب آنذاك وراء هذا التصور، أم التصور الناضج لديه حول الإنسان عامة، وحول مكان المرأة من كيان هذا الإنسان ذكراً كان أم أنثى، أم الأمران معاً، يقول: «كتبتها وأنا أمل أن تكون الطبيعة قد ألفت في معانيها بذوراً من عناصر التحول الأخلاقي تزكو في هذه القلوب الحيوانية التي لو نُقلت إلى جوانح البهائم لعاشت بها ... وهذه النفوس تذلل لأحقر من في الأرض ولا تثور إلا على السماء، وهذه العقول التي تحاول أن تكتب للروح تاريخاً أرضياً يبتدىء وينتهي في التراب فتكون الحقيقة الإلهية التي يدركها الإنسان بسبيل من الوهم الإنساني الذي لا يدرك الحقيقة ...» (٨) .

ويتألف الكتاب من تسعة فصول، بتعبير المؤلف، ومن مقدمة حول «غرض الكتاب» . كل فصل من هذه الفصول يدور حول محور واحد رئيس، تتضام كلها لتتصوي تحت عنوان واحد هو المرأة، أو الجانب العاطفي من العلاقة بين الرجل والمرأة : الحب . وذلك كله من خلال حب الرافعي نفسه وتصوراته الفكرية والفلسفية حول هذا الحب . ويمكن أن نسمي المحاور في كل فصل على التسلسل التالي : «البكاء والدموع في الحب، العواطف، الفقر، الشعر والشعراء، الإيمان



لا ينفصل عن البلاغة والشعر في يوم من الأيام . ولا يقف الانفعال الشعري عند الكتابة النثرية ذات الأخيلة المحلقة والإيقاعات الموسقة، بل يتضمن الفصل الثامن قصيدة شعرية على أبحر الخليل والقافية الموحدة تعد ثلاثة وأربعين بيتاً، عنوانها «الشرق المريض» . الفصل يحتل سبع عشرة صفحة، تلتها صفحات القصيدة الشعرية، والبقية النثر الشعري الذي رأينا أمثلة منه . يقول :



والممثل له، وقد صنفت كتب عدة في أمثال القرآن معروفة (١٠) وثالثاً يعكس النص جانباً من قضية المرأة، أي صورتها أو علاقتها بالرجل الذي يحبها مثلاً، وهل هو شريف نظيف أم عاشق أخرق كالضبع التي نظرت في المرأة .
ورابعاً يحدد صفات العاشق الأخرق خرق الضبع عقلاً وحساً «الذي يحب حواسه فتجوع روحه وتشبع وتعتل بالتخمة أيضاً...» .
ولعمري أجاد الرافعي

وأراه في كل زهرة تفوح

وفي كل نجم يلوح،

وفي هذا القمر كأنه طلعة حبيبة الروح (١١) .

هذه القصيدة «الشرق المريض» صورة مكثفة لكتاب «حديث القمر» أو لقضية الكتاب التي هي قضية المرأة، التي هي أيضاً قضية الشرق في الوقت نفسه . ولذلك زعمنا أن قضية المرأة في أدب الرافعي لم تعط حقها، لأنها أكبر من حجاب أو سفور أو تعليم أو اختلاط . وليس الفرق بين هذه القصيدة وبين أي فصل من فصول الكتاب إلا الوزن العروضي، ومتى كان العروض هو الفيصل بين الشعر والنثر إلا عند القواعد البلاغية الآلية الجامدة التي عرّض بها الرافعي في هذا الكتاب نفسه .

الفصل الرابع كله يدور حول الشعر والشعراء، وجوهر الشعر عند الرافعي ليس في العروض والأوزان، بل في الأحاسيس والمعاني والأخيلة والأفكار إذا كانت سامية أو محرّضة على السمو فنياً، وإلا كانت زيفاً أو سقط المتاع : «الشاعر الصحيح رجل الكمال السماوي، لأن الشعر إذا لم يكن مع الشرائع كان عليها، وفي

التمثيل والتحليل والتصوير، كما أقنع العقل في الوقت نفسه . وعلى هذا النسق تحدث في الفقرة الأولى من هذه الفقرات عن محاسن الحبيبة الجسدية ولكن بلغة سماوية فقال: «... ورأها في جملة الجمال تمثال الفن الإلهي الخالد الذي يُدرّس بالفكر والتأمل لا بالحس والتلمس... فذلك الذي يشعر بحقيقة الحب» .

الحب عند الرافعي في الفكر لا في الحس وإن انطلق منه، وهو مدعاة للسمو لا للتسفل . وشتان شتان بين حب الرافعي الذي يرفع والحب الذي يضع . وفي زعمنا هذا هو الفرق بين تصور الرافعي الإسلامي لقضية المرأة وتصور الجاهليات القديمة والحديثة لها .

فالقمر هو الحبيبة، والحبيبة هي المرأة، والمرأة هي الشرق، والشرق مريض بسبب ظلم المرأة .

الرافعي .. وقصيدة النثر:

لم يكن حديث الرافعي في هذا الكتاب عن البلاغة أولاً وعن الشعر والشعراء ثانياً عبثاً، بل تأصيل في سياقه الذي يكتب فيه عن المرأة والجانب العاطفي من قضيتها، هذا الحديث الذي

ولا سيما الرافعية منها، لم يتهاى له خليل آخر كالفرايدي يكتشف له عروضه وأوزانه»^(١٣)، ثم تجلت بوضوح أكبر في «نشيد اليمامة» الذي أدرجه في «وحي القلم» يقول فيه :

«على فسطاط الأمير يمامة جاثمة
تحتضن بيضها
يمامة سعيدة ستكون في التاريخ
كهدهد سليمان،

نُسب الهدهد إلى سليمان
وستنسبُ اليمامة إلى عمرو .



بدر شاكر السياب

واهاً لك يا عمرو : ما ضرَّ لو عرفتُ

اليمامة الأخرى !؟»^(١٤) .

وبالمناسبة نوضح تعارضاً ظنه مصطفى نعمان البدرى في موقف الرافعي من الشعر المنثور الذي قال فيه : «إنه تسمية تدل على جهل واضعيها» وبين تجربته نفسه في القصيدة النثرية^(١٥)، فنزعم أن الرافعي رفض المصطلح خوفاً من أن يحل الشكل الجديد محل الشكل الشعري الخليلي على أنه الشعر والآخر ليس بشعر، وهذا لم يمنعه من كتابة الشعر المنثور لأنه مجدد يؤمن بالتعدد في الفن، ويرفض التحزب للشكل الواحد .

أما آخر ملمح فني يلحق أدونيس بالرافعي نشير إليه، فهو الشغف بالتلاعب الأسلوبى، أي تقليب المعنى الواحد بتقليب ألفاظه، أو اشتقاق معنى آخر من الألفاظ نفسها بتغيير سياقها أو علاقاتها، من مثل قول الرافعي : «بيكي صابراً ويصبر باكياً»^(١٦) وقوله : «الجمال الغض الذي يرخص في شرائه القلب حين ترخص في شراء القلب الحياة»^(١٧) وقوله «أه يا قمرى الحبيب، بل يا حبيبي القمر» «فلا أنظر إلى خلفة المعاني ولكن أنظر إلى تركيبها الخلقى»^(١٨) .

الظاهرة الأسلوبية نفسها تواجهنا في أعمال أدونيس، ففي كتابه «النص القرآني وأفاق

ذلك فساد كبير، والشعراء أنفسهم كالشرائع تكون لمن يشاء أن تكون له، وهم يحكمون النفوس بالحب، والشرائع تحكمها بالرهبة، ولولا هم ما أعطي الناس قوة فهم التعزية فلم يكن لهم أن يطمئنوا لدين من الأديان»، «لا كهذا الشعر البارد الثقيل الذي تفرغه .. أفواه بعض شعرائنا المشهورين ... شعراء !! وشعراء الشرق ! ! نعم ونعيم وعين : وعند الزوج جماعة يحسنون الرقص على نقر الطبول هم شعراؤهم، بل شعراء العقول الذاهلة والأحلام الطائشة، بل شعراء الوحشية التي تكتب بأسنانها وأظافرهما»^(١٢) .

ويبلغ الأمر بالرافعي مستوى منح الشاعر قبسا من النبوة، وهذا المذهب ليس شطحة بيانية عند الرافعي، بل هي جزء من تصوره للشعر والشعراء ودورهم في الحياة . وهذا التصور لشعراء «الرؤيا» كما يسمون في الأدب الغربي ويسمي الشعراء المحدثون أنفسهم بدءاً بأدونيس وانتهاءً ببدر شاكر السياب أو العكس، هو نفسه تصور الرافعي الأديب الشاعر، بل مبدع قصيدة النثر التي لم يدعها بهذا المصطلح لنفسه وادعاها آخرون .

ومن غير شطح أو مبالغة أزعج أن أدونيس وكثيرين من شعراء ما يسمى بـ قصيدة النثر قد تتلمذوا في مدرسة الرافعي ولا يعترفون بذلك . وبوسعنا أن نجمل الملامح الأدونيسية المتأثرة بملامح الرافعي أولاً بنبوة الشعر أو ما يسمى رؤيا الشعر، مع اختلاف بين نبوة مؤمنة ونبوة وثنية أو ملحدة، وثانياً قصيدة النثر التي كتبت بها كتب الرافعي الوجدانيات الأربعة التي نحن بصدها، وقال فيها مصطفى نعمان البدرى : «يكاد المرء يحس بوزن خاص في المقالة البيانية،



مطلوب . ثم يصرح في البيت العاشر حتى آخر القصيدة أنه يعني بالمريض «الشرق» . وبوسعك أن تترجم الشرق إلى «العالم الإسلامي» المزجى بين أعوانه الأشرار اليائسين العاجزين، الذين يبادرون به الموت قبل أوانه، من شدة اليأس والإذعان، اللذين لا ضرورة لهما، يتمنون الأمانى بلا عمل يقدمونه، إيماناً منهم بمعجزات سخيصة يفترونها على الإيمان الحقيقي .



أدونيس

الكتابة»^(١٩) نلحظ الأمثلة التالية «أبدية المعنى ومعنى الأبدية»^(٢٠) «أصبحت القصيدة أشبه بمسرح كلي لكتابة اللغات والأشياء»^(٢١) «الكلمات قريبا البعيد جداً، وبعدها القريب جداً»^(٢٢) «من يدافع بقوة عن حق الاختلاف، لا بد من أن يدافع بقوة أيضاً عن حق الانتماء»^(٢٣) «حتى الذكرى السياسية، حتى ذكر المؤسسات»^(٢٤) . أما سميت الغموض والتفلسف في الشعر فأتردد في نسبتها إلى الرافعي أو إلى معادلة أدونيس الشخصية والاجتماعية .

قضية المرأة أو الشرق المريض :

القمر هو الحبيبة ليلي، وليلى هي المرأة الشرقية، والمرأة الشرقية هي الشرق لأهميتها فيه، والشرق مريض لأن ليلي مريضة أو مظلومة . تلك هي المعادلة التي تجمل الكتاب كله، كما تجمل قصيدة «الشرق المريض» فيه .

هناك خيط فني بين ليلي مجنون بني عامر، وليلى المريضة في العراق لزكي مبارك، وليلى مصطفى صادق الرافعي في الوقت نفسه . فليلى رمز وحقيقة بأن . وبوسعك أن تلحق ليلي مفترضة لقاسم أمين إن شئت أيضاً . وأيكم ليست له ليلي !؟

في مطلع القصيدة «الشرق المريض» مقطع من ستة أبيات يضاف إليها ثلاثة أخرى من المقطع

الثاني يتحدث الشاعر عن مريض في ليله ونهاره يعاني، وكبده تؤزّه بين الأضلع كالنار، وهو ناعس أو مخدر، يحفر له قبره أمام عينيه، حتى تظن أنه يعني نفسه أو شاعراً مثله، والالتباس

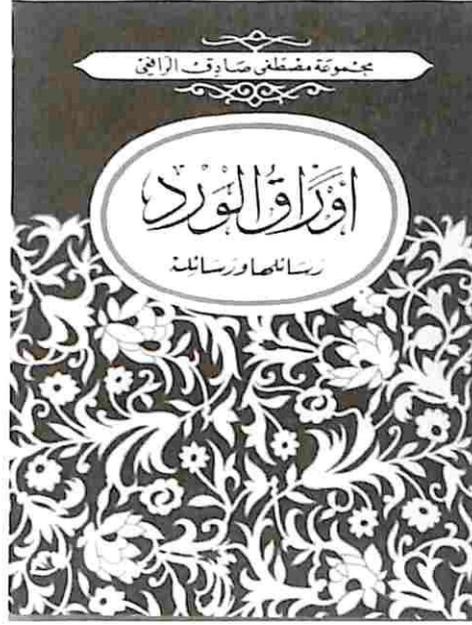
ثم ينتقل إلى تشخيص

المصيبة التي ألت بهذا الشرق، وهي معضلة نحس معقدة ملتوية أشبه ما تكون «بامرأة مصبوغة من جهالات بألوان» . وطريقته في هذا التشبيه إرهاب فني للانتقال إلى المرأة الدواء لهذا المدنف العاني : حيث يأخذ بالحديث عن امرأة ممرضة «حقيقية أو مجازية» تداوي الشرق بإحساس ووجدان، بل بالروح، «لأن أقتل داء الشرق روحاني»، فهي تذكره بعهد الملائكة، وحنان الأنبياء، ونبات الفضائل من القلب، أو الحديث عن «الأم» التي هي دواء الشرق من ذله وهوانه، ترفع الدنيا وتخفضها بطفلها الذي يعدل الدنيا بأسرها، تلك المرأة الفاضلة أشبه بالسماة التي ترسل الملائكة لا الشياطين، وليس كالمرأة المطروحة في بيت للعميان الذين لا يرون جمالها ولا يقدرونها قدرها .

السبب في هذا البلاء هو الرجال، لكن العقاب نازل بالنساء المأوشجنأ، كمثل العين المتألة، ومريضها في جزء منها هو الأجفان .

● لما كان الرافعي متمثلاً للإسلام فإن نظرتة إلى المرأة جاءت وفق التصور الإسلامي .

عن تجربة ذاتية، عن «ليلي» حبيبته الحقيقية، وقد زوّجت من غير حبيبها الشاعر، وهي مأساة معروفة في شرقنا المريض؟ في مواضع أخرى كثيرة مؤشرات على ما نذهب إليه، فالفصل الثالث حديث عن الغنى والفقير، يتعصب فيه المؤلف للفقير على الغني، وفي الفصل الثامن يحمل المؤلف بشدة على الغني الجلف الذي يشتري الحسناء بالمال «ويأتي هذا الرجل - ولا يكون إلا غنياً - وقد أدلّ بنفسه وأشرق وجهه كأن فيه



كل معاني ذهبه وفضته، وإن كان هذا الوجه الجلدي كأنه بعض ما خلق من أحذية الرذيلة... فيريد أن يتسفه الجمال عن ماله وثورته، ويريد أن يشتري الحسناء الجميلة التي خلقت للحب لا للبيع... اشتراها من فقرها بماله، ومن تعاستها بقبحه... فإن الله يأبى أن يجعل في الأرض أو في السماء قوة تجعل الحسان الجميلات يشعرن من الغلظة والفظاظة بما يشعر به أولئك البهائم، رحمة لهذا الجمال!» (٢٥).

ويضيف «أيوثق فؤاد الحسناء بالسلسلة الربوض التي صيغت من كلمات الزواج ثم يشد طرفها في يد الرجل الذي تكرهه أو ستكرهه شخص البغض ويقال مع ذلك إنهما ارتبطا برباط مقدس... سواءً لك، أيعيد التاريخ نفسه وتكون أنت الصنم الذي تقرب له الذبيحة وعيناه جامدتان تبعثان الرعب والخوف... عزاءً أيتها الجميلة... عزاءً أيتها الجميلة... إلى أن يقول: «..ولا يعلمون (الكتاب والأدباء والمصلحون) أن التاريخ الإنساني وإن لم يكن نسانياً غير أن المرأة هي التي تلده وترضعه بأخلاقها حتى يتماسك ويدير ثم يذهب يافعاً، وإن العظمة التاريخية وإن

في المقطع الرابع يتلّف على حال المرأة، مكرراً لفظ «لهفي» في بداية الأبيات الثلاثة الأولى منه، يتلّف على معاملتها لحسنها المادي كالجوهرة في عقد حسناء أو تاج سلطان مرة، أو ريحانة خضراء تقطع من أصلها لتذبل على يد سكير ثانية، أو غانية عذراء وضعت في غير موضعها بين الأسواء والأضغان الثالثة، وهي كنيات عن تزويج الفتاة من غير من تحبه أو تختاره أو يناسبها أو لأغراض لم تخلق لها أصلاً.

لذلك يوضح في أربعة أبيات التالية أهمية التناسب بين الزوجين من حب ورضى :

لكل معنى جميل ما يلانمه

كما تمازج الحان بأحان

وليس يطرب صوت الماء منجدرًا

كما نرى وقعه في سمع ظمان

فيا إلهي إذا أجريت في قدر

يوماً بأن يلتقي في الناس ضدان

فاجعل للطفك معنى في التقائهما

كيلا يكون من الضدين زوجان

ويوضح المأساة إذا كانت المعادلة بين الرجل والمرأة مختلة : فالرجل الذي ينال المرأة بطغيان : أي وهي تبغضه لأمر ما .. هو حقد مدمر لا مثيل له، وعلى العكس : إن الذل الذي يعاني منه الرجل من امرأة سوء أيضاً لا مثيل له .

الخاتمة في ثلاثة أبيات تدور حول ضرورة الحب للزوج، وضرورة التناسب بين الزوجين، لأن الزواج بناء للحياة التي تشبه القصر، والحب والتناسب أركان أساسية في هذا البنيان، وبهما تتحقق السعادة والهناء .

هل نفهم من هذه القصيدة أن الشاعر يتحدث



الحاصلة بين الحالين، هو الشبه الحاصل بين الحالة الأولى، وبين الحالة الثانية (٣١).

وهذا يقتضينا التذكير بأنواع المثل الثلاثة :

النوع الأول : وهو المثل الموجز السائر، حكماً وغير حكماً .

النوع الثاني : المثل التشبيهي أو التمثيلي .

النوع الثالث : القصصي (٣٢) .

لقد اشتمل الكتاب على الأنواع الثلاثة، النوع

الأول منها سماه مصطفى نعمان البدي «الآبدة» :

«هي الحكمة المرسله في المثل، بجوامع الكلم التي يكون منها خلاصة التجربة في الحياة... حفل بها «حديث القمر» فأشرق بالعربية على معانيها» (٣٣)

من مثل قول المؤلف : «ربّ دقيقة واحدة من حياة

رجل تُبذل في ثمنها حياة بتمامها من رجل أو

رجال» (٣٤) «العبودية للحب الصحيح هي مبدأ

العبودية الصحيحة لله» (٣٥) «السعادة طفولة

القلب» (٣٦) «ولعمري ماذا يفعل أن تمشي وراء الملك

لتقيس خطواته» (٣٧) .

النوع الثاني : المثل التشبيهي أو التمثيلي

صادفنا منه أكثر من خمسة عشر مثلاً، بعضها

مقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف

أو مُشابه أمتلتهما شبيهاً كبيراً، من مثل

قوله : «العلم الذي لا يخلق ذبابة ولا

أحقر من ذبابة، فيتفلسف ويقول لنا:

كيف خلقت؟» (٣٨) «السفينة لا تزال

تجري بمجدافها ما اتجها في

الحركة إلى جهة واحدة، فإذا

اختلفا وتدابرا في هذه الحركة

التوت السفينة أولاً واضطربت

ثانياً وانقلبت أخراً، وهل الرجل

والمــــرأة إلا

مجدافان في

زورق البيت

(العائلة) الذي

يعبر بهما نهر

كانت مترجلة إلا أن في باطنها دائماً روح أنثى، حتى إنها أعظم ما تكون إذا همّت همها لشيء من آمال هذه الروح» (٣٧) .

ما نظننا بحاجة للبرهنة على أن مذهب الرافعي

في المرأة عامة وفي الحب من التصون والعفة

والنزاهة خاصة .. مذهب إسلامي، وأن يؤلف أربعة

كتب توقع على الألمان نفسها لأمر يلفت النظر،

ويستدعي الانتباه، في عصر تشابعت فيه الأمور

والتبست على كثيرين . المرأة هي الشرق، والشرق

مريض، تلك هي المسألة . أما جوهر المسألة فهو

قلب المرأة، وليس حجابها وتعليمها واختلاطها إلا

بعضاً من كل، وبعضاً أقل أهمية من هذا «البعض»

الذي بين الصدور .

ما بعد الجملة القرآنية.. الأمثال:

سوف نتجاوز الحديث عن الخصائص

الأسلوبية عند الرافعي مثل ما عرف عنه من التأثير

بالجملة القرآنية (٣٨) مفردات وصيغة، ودفاعه عنها

عربية وفصاحة، ومثل الغموض أخذ عليه في كتابه

«حديث القمر»، ثم تخفف منه في كتابه الرابع

«أوراق الورد» (٣٩)، ومثل تصنيف النقاد فصوله

وفصول الكتب الثلاثة الأخرى في «المقالة البيانية»،

وهي : «مقالة أدبية متميزة، تتخذ الفكرة أساساً،

وتدير الأسلوب صياغة بيانية مثيلة من حول

الفكرة، وتجعل الفن والجمال والإشراق بالعبارة

وانتقاء الكلمات وسيلة، تشرق فيها المقالة، فتشف

عن الأصالة» (٤٠)، لأن الدراسات السابقة أفاضت

الحديث عن هذه الجوانب، فباتت مشهورة . وسوف

نعنى بمسألتين، إحداهما لم تلق العناية، وهي

ضرب الرافعي «الأمثال» على طريقة القرآن الكريم،

والثانية تصوره لقضية المرأة والحب .

والمثل اصطلاحاً : قول سائر، يُشَبَّه به حالُ الثاني

بحال الأول . والعلاقة بين الحالين، أن الحالة الأولى

هي التي يُضرب بها المثل في الأصل، والحالة الثانية :

هي التي يُذكر فيها المثل مرة أخرى . والعلاقة



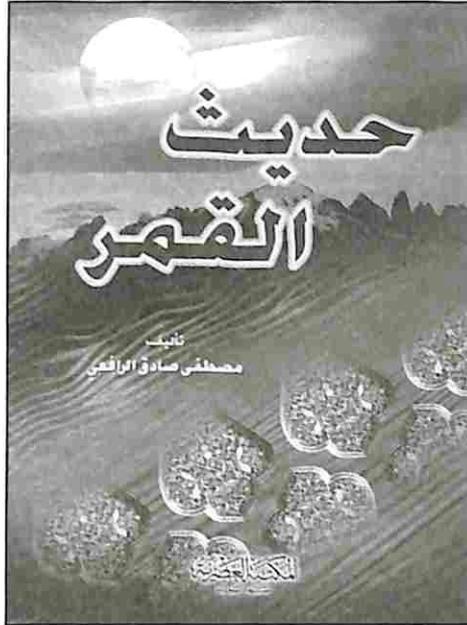
الأرض محببٌ غيري فليس فيها
عازلٌ غيره، وأنا في كل ذلك
أصعد فيه وأصوب فلا تأخذ منه
عيني إلا رجلاً موضوعاً في جلده
وثيابه كما يُطمر لوح الثلج في
اللفائف والقشور»^(٣٩).

المرأة :

في تصور الرافعي : المرأة
هي الشرق، والشرق مريض
بمرضها، ومرضها من ظلم
الرجل لها، ومن ظلمه لها طغيانه
عليها بسلبها الإرادة وحق
الاختيار والزواج ممن تحب

ورفض من تكره، فلو أتيح لها أن تحنو على قلوب
المشرقيين بحنانها، أو تربي أولادها التربوية
الحقيقية لشفي الشرق من بلانه، وعمرت الحياة
بقصور كقصور الجنة والحرور العين .

وعلاقة الرجل بالمرأة علاقة قلب وروح وعقل، لا
علاقة جسد وحسب، وهي علاقة تبادلية، وليست
من طرف واحد، وإلا فهي ليست علاقة، بل
استبداد وجلافة وغلظة ورباط غير مقدس . هذه
العلاقة تنشئ السعادة إذا اتصلت، وتنشئ
التعاسة إذا انقطعت . هذه العلاقة تصقل النفس
وترتفع بها إلى السماوات، وبالشعراء إلى الإبداع
وبالإنسان إلى الإيمان، وهي التي تميز الإنسان
من الحيوان . والحب هو إكسير هذه العلاقة،
وليس المال أو الجاه أو القشور الأخرى، وهو ليس
حب الجمال الذي يذوي أو الشهوة التي تجوع أو
تشبع وتتخم، بل حب الجمال الإلهي في النفس
والروح والفكر، وفي العفة والتصون والنزاهة
تابعاً أو نابغاً من محاسن الطبيعة أو الفطرة، يقول
مثلاً : «ولو فهم الناس الحب على حقه لاستجدوا
لأنفسهم عقولاً، فإن الطبيعة نفسها متى أرادت أن
تجدد إنساناً لتبعث منه رجلاً من رجالها، شاعراً



الحياة !»^(٣٩) . أما بعضها
الأخر فمبتكر جميل فيه من
البراعة والذكاء وتسديد الرمية
ما يعجب ويدهش، نختار منها:
«إن الذباب ليقع على الزهر كما
يقع النحل ليحني العسل، وإنه
ليطن في الروض كما تغرد
الطيور لترقيص قلوبها
الصغيرة، ثم يطير عن الزهرة
ذباباً كما وقع ويسكت ذباباً كما
طن، وكيفما نظرت إليه تراه
ذباباً، ولكنه من الطير، ولكنهم
من الشعراء»^(٤٠) . نحسب أنك
لم تفتك النكتة الصدمة المفاجئة

«ولكنهم من الشعراء»، وهي مزية أسلوبية تشكل
ظاهرة في أسلوب الرافعي حين يمهّد أو يطيل
التمهيد للغرض الفني أو الفكري الذي يرمي إليه،
نكتفي بهذه الإشارة العابرة، وهي المزية التي
أورثته غموضاً عند بعض المتلقين . ومثل قوله : «لا
تنسل أيها المسكين المحزون ريش جناحك للذين
تطير بهما لتنظر لون ما تحته من الجلد فتترك
نفسك بلا إيمان وتدع قلبك بلا توكل وتسقط آخر
الأمر مع هؤلاء الذين لا يرتفعون عن الأرض في
طيرانهم نحو السماء إلا مقدار ما يرتفع غبار
الأرجل في طريق السابلة»^(٤١) .

النوع الثالث : المثل القصصي، نصادف اثنين
منه، أحدهما أسطوري، سبق أن أشرنا إليه في
قصة الضبع التي صادفت امرأة صقيلة جميلة
نسيتهما صاحبتهما، فنظرت فيها فوجدت قبج وجهها،
فاتهمت المرأة بالقبح ولم تعترف بقبح نفسها، ولعل
هذا المثل مستمد من مثل عربي قديم «لشر ما
أطرحك أهلك»^(٤٢) . ثانيهما قصة مستمدة من تجربة
المؤلف الشخصية «أعرف رجلاً كأنه نزعته شك بين
أهل العزائم... ورأني صامتاً كأنما تبعثرت نفسي
فمر في هذيانه عجلاً غير راث،... كأنه ليس في



ومع ذلك نزع أن قضية المرأة في أدب الرافعي عامة، وكتبه الوجدانية الأربعة خاصة - وبينها حديث القمر - لا توفّيها حقها إلا رسالة جامعية لا مقالة واحدة. ■

أو حكيماً أو بطلاً، تجلت على نفسه وأماله في صورة إحدى الحسان وتركته محباً، فلا تكون آلام الحب وأماله في باطنه إلا تغييراً نفسياً كأنه على ذلك إنما يهدم ويبنى» (٤٤).

الهوامش:

- (١) الرافعي بين المحافظة والتجديد ، مصطفى نعمان البدري ، دار الجيل ، بيروت ، دار عمار ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ٤٠٢ و ٤٠١ .
- (٢) حديث القمر - مصطفى صادق الرافعي - كتاب المعارف - سوسة: تونس - ١٩٨٨م - ص : ٦ .
- (٣) المرجع السابق : ٥ .
- (٤) الرافعي بين المحافظة والتجديد : ١١٤ .
- (٥) المرجع السابق : ٤٠٠ .
- (٦) حديث القمر : ٧ .
- (٧) المرجع السابق : ٧ و ٦ .
- (٨) نفسه : ٦ .
- (٩) نفسه : ٥ و ٨ .
- (١٠) وضع العلماء الأقدمون كتباً في أمثال القرآن، نكر منها محقق كتاب (أمثال القرآن لابن القيم) تسعة مؤلفات، وفي مؤلفات الحديث الشريف وضعت مصنفات أخرى . من الكتب الحديثة: الأمثال في القرآن .
- (١١) حديث القمر : ٧٦ و ٧٧ .
- (١٢) المرجع السابق : ٤٥ و ٤٦ .
- (١٣) الرافعي بين المحافظة والتجديد : ١٩٦ .
- (١٤) المرجع السابق : ٣٢٨ : نقلاً عن الرسالة ٩٣، وحي القلم : ٢٨١ .
- (١٥) الرافعي بين المحافظة والتجديد : ٣٢٧ .
- (١٦) حديث القمر : ١٣ .
- (١٧) المرجع السابق : ١٠٦ .
- (١٨) نفسه : ١١٤ .
- (١٩) النص القرآني وأفانق الكتابة - أدونيس - دار الآداب - لبنان - ط ١ : ١٩٩٣ .
- (٢٠) المرجع السابق : ١١٩ .
- (٢١) نفسه : ١٢٣ .
- (٢٢) نفسه : ١٢٥ .
- (٢٣) نفسه : ١٢٧ .
- (٢٤) نفسه : ١٤٨ .
- (٢٥) حديث القمر : ١٠٠ و ١٠١ .
- (٢٦) نفسه : ١٠٢ - ١٠٤ .
- (٢٧) نفسه : ١٠٧ و ١٠٨ .
- (٢٨) الرافعي بين المحافظة والتجديد : ٣٧٧ .
- (٢٩) المرجع السابق : ٣٩٩ .
- (٣٠) نفسه : ١٩٤ .
- (٣١) أمثال القرآن - ابن قيم الجوزية - دراسة وتحقيق: الدكتور موسى بناي علوان العلي - مكتبة القدس - ط ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م - ص ١٠ .
- (٣٢) الأمثال في القرآن - الدكتور محمد جابر الفياض - دار الشؤون الثقافية العامة - ط ١ : ١٩٨٨ - ص ٤٨٨م .
- (٣٣) الرافعي بين المحافظة والتجديد : ٢٩٦ .
- (٣) حديث القمر : ٢١ .
- (٣٥) المرجع السابق : ٢٩ .
- (٣٦) نفسه : ٣٣ .
- (٣٧) نفسه : ٤١ .
- (٣٨) نفسه : ٥٧ و ٥٨ .
- (٣٩) نفسه : ١٠٨ .
- (٤٠) نفسه : ص ٤٧ .
- (٤١) نفسه : ٩٦ .
- (٤٢) نفسه ، ١٦ و ١٧ .
- (٤٣) نفسه ، ١٢٢ .
- (٤٤) نفسه ، ١٢٢ .

بشعرك فوق هامر الأولينا
وما دانيت حد الأربعينا
كما زانت فرائدنا الجبيننا
على ملك القريض وكن أميننا
وأنت قد غدوت له قرينا

حافظ إبراهيم *

أراك - وأنت نبت اليوم - قمشي
وأوتيت النبوءة في المعاني
فزن تاج الرئاسة بعد (سامي)
وهذا الصولجان فكن حريصا
فحسبك أن مطريك (ابن هاني)

* في تقرّظ ديوان مصطفى صادق الرافعي.

الرافعي والشعر

بدأ الرافعي شاعرا وانتهى كاتباً، وقد خطر بباله كما يقول د. مصطفى الشكعة^(١) أن يكون ذات يوم أميراً على الشعراء بل إنه كان في يوم ما شاعر الملك^(٢) ثم غضب لكرامته حينما تصور أن تصرفاً ما صدر عن ناظر الخاصة الملكية في حقّه قد مس كبرياءه فأسمع رجل القصر الكبير ما لم يكن يتوقعه من مواطن متواضع الحال كمصطفى صادق الرافعي، وكان طبيعياً أن يحرم من لقب «شاعر الملك». وقد تعرض الرافعي لكثير من المضايقات في حياته، وتصدى لها وهو لا يحتاج إلى من يدافع عنه.

تفتحت موهبة الرافعي مبكرة وصقلها بالقراءة الثرية العميقة. لقد اهتم الرافعي باللغة العربية اهتماماً كبيراً فحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وحفظ قدراً كبيراً من شعر القدامى وخطب العرب ومحاوراتهم.

نظم الرافعي الشعر في أغراض مختلفة تقليدية وحديثة، فتناول القضايا الوطنية والقومية والاجتماعية، فتحدث عن قضية الشرق والغرب والفرق بينهما في الثقافة والعادات والتقاليد في ذلك الوقت، كما تحدث عن قضية تعليم المرأة الشرقية ودورها في المجتمع، كما نظم الشعر في الإخوانيات من مدح وثناء وتهنئة.

لقد أولى الرافعي الشباب اهتماماً كبيراً فخصص عدداً من القصائد في الجزء الأول من ديوانه المعنون باسمه، رسم فيها لهم طريق النجاح بالتمسك بالمبادئ التالية: التمسك بدينهم وتعاليمه القويمية، وملء القلوب بحب الله، والاعتماد على النفس. وقد اتضح ذلك كله في قصائده الموجهة للشباب ومنها:

لا زينة المرء تعلية ولا المال

ولا يشرفه عم ولا خال

وإنما يتسامى للعلا رجل

ماضي العزيمة لا تننيه أهوال^(٤)

للرافعي شعر معروف وأناشيد رائعة تشهد بشاعريته، ومنها:

حماة الحمى يا حماة الحمى

هلموا هلموا لمجد الزمن

فقد صرخت في العروق الدما

نموت نموت ويحيا الوطن^(٣)





وعن ضعف الشرق يقول الأبيات
التالية متسائلا عن أسباب ضعف
العرب والمسلمين وتدهورهم ، وكيف
نصل إلى هذا الحال ونحن أمة العلم
والحضارة والرجال الذين أضأوا
الأرض بعلمهم:

لقد أشرق العلم من شرقنا
وما زال يضؤل حتى (غرب)
وكنا صعدا مراقي المعالي
فأصبح صاعدنا في صيب
وكم كان منا ذوو همة

سمت بهم لمعالي الرتب
وكم من هزیز تهز البرايا

بوادره إن ونى أو وثب^(٩)
ثم يختم القصيدة متسائلا هل نتكاسل حتى
نضيع ما تبقى من أمجادنا ؟ أم نعمل نجد ونشاط
لبنائه من جديد ، ثم يبين أننا إن توانينا في أداء
واجبنا فسنكون سبة في جبين الزمان فيقول:

فهل نضيع ما أبقى الزمان لنا
ونفرض الكف لا مجد ولا حسب
إنا إذا سبة في الشرق فاضحة
والشرق منا وإن كنا به خرب
هيهات ينفعنا هذا الصباح فما
يجدي الجبان إذا روعته الصخب
ومن يكن عاجزا عن دفع نائبة

فقصر ذلك أن تلقاه يحتسب^(١٠)
أما بالنسبة للمرأة فقد طالب بتعليمها ما يناسبها
وفيفدها في أداء دورها في البيت ، فيقول مبينا الفرق
بين المرأة الشرقية والغربية:

للحسان الدلال والخيلاء
ولك الأمر بعد يا حسناء
كل بدر له سماء ولا يعر
ف للحسن كالبيوت سماء
لا تغرنك من تزين من العج
م فما الشرق والشمال سواء^(١١)



بقلم : إبراهيم سعفان
مصر

وقال أيضا:

وعزز العلم فاعتز الأنام به

وما إلى العز غير العلم من سبب^(٥)

أما قصائد المديح فنراه يمهدها لها
الرافعي بأبيات في الغزل، ثم بعد ذلك
ينتقل إلى مدح الشخصية ، وهو انتقال
سلس لا يشعر المتلقي فيه بقلق وهو في
مدحه يركز على صفاته الخلقية والعلمية
وما قدمه للمجتمع من أعمال ذات فائدة ،
فهذه الصفات هي التي تجعل الإنسان
عند الرافعي يستحق المدح ، كما نرى
الرافعي ينأى بشعره عن المبالغة والنفاق فيقول في
مدح الخديوي عباس:

على أنك استغنيت عن كل مادح

بتأرك الغرا وأيامك الغر

وأوحيت لي ذا الشعر حتى كأنما

لقطت نفيس الدر من ساحل البحر^(٦)

ونظم الرافعي أيضا في الرثاء ، فرثى الأمير
عبدالرحمن أمير أفغانستان ، ورثى عمه عبدالقادر
الرافعي ، والشيخ محمد عبده ، ولكن قصائد الرثاء
هذه قليلة في الديوان، وتعتبر قصائد الرثاء متطورة
فنيا حيث نجد الرافعي يتخلص من الرثاء التقليدي
الذي يذكر مآثر المرثي مسبوقه بالفعل «كان» كما
كان حريصا على الصورة الشعرية حتى يبعد عن
التقريرية المباشرة .

ففي رثاء الأمير عبدالرحمن أمير أفغانستان يقول:

يا فاجع الموت ماذا ينفع الحذر

وقد عهدناك لا تبقي ولا تذر

جنت أناملك الأرواح فانتثرت

كما تنائر من أوراقه الزهر^(٧)

وفي رثاء عمه الشيخ عبدالقادر الرافعي يقول:

الدهر طرس ونحن الأحرف السود

والموت آخره والعمر تمهيد

وذي الليالي بلاغات معبرة

جناسهن الأمانى والمواعيد^(٨)

* الجوانب الفنية:

يرى الرافعي أن الشعر ينبني على الأسس التالية:

١- الموهبة

٢ - الفكر الذي يبرزه البيان الناصع

٣ - الصدق، لأن ما صدر من القلب يصل إلى القلب

٤ - التأثير في المتلقي

ويبين أيضا صفات الشاعر الحقيقي المطبوع ، والفرق بينه وبين الشاعر غير الحقيقي.

فالشاعر الحقيقي هو الذي يصدر كلامه من القلب فيصل إلى القلب وألا يكون كلامه خارجا من اللسان فلا يتجاوز الأذان ، أما الشاعر غير المطبوع فهو يفتقد إلى الموهبة الحقيقية فيأتي شعره متكلفا لأنه كما يقول الرافعي « كالأعمى يتناول الأشياء ليقراها في مواضعها وربما وضع الشيء الواحد في موضعين أو مواضع وهو لا يدري»^(١٢).

لقد طبق الرافعي آراءه هذه في نقده للمبدعين، فهل طبقها على نفسه؟

من العرض التحليلي الذي قدمته والذي حرصت فيه على تقديم نماذج متعددة من شعر الرافعي، وذلك ليكون بين يدي القراء ليتمكنوا من الإلمام بصورة واضحة عن شعره، ويمكن القول أن الرافعي التزم بالمقاييس النقدية التي ذكرها.

فشعره يتسم بالسلمات التالية:

١- تميز شعره بالسلاسة والعذوبة والصدق ونصاعة البيان ، والوضوح الفني الذي يتصف بالشفافية.

٢ - نظم الرافعي القصائد الطويلة التي تبلغ أكثر من ثلاثين بيتا ، في وحدة محبوكة تنتظم القصيدة كلها دون خلل فني.

٣ - اهتم الرافعي بالتركيز والتكثيف، كما أجرى في القصيدة أبياتا مجرى الحكمة والمثل، والرافعي شاعر مطبوع ، وقد مكنه هذا من

قول الشعر ارتجالا .

٤ - اهتم الرافعي بالصورة الشعرية التي تدل على رقة إحساسه وشفافيته ، كما اهتم بالصور الشعرية الجديدة مثل:

* والناس في الدنيا دلاء فذا

يهوي إلى القاع وذا يرتقي

* والماء الين شيء لكنه لا يداس

* وإنما الأرض جيد والقبور حولها

عقد ومثلك در فيه منضود

* فأغروا به «الخان» حتى خلته

وصيا يريه كيف ينفق بالقدر

٥ - ضمن الرافعي شعره بعض الأمثلة الشعبية مثل:

«فما جهينة إلا عندها الخبر».

كما استوحى آيات القرآن الكريم في مثل قوله:

فإن كان هذا بحكم الزمان

فتبت يدا ذا الزمان وتب

كتابات مصطفى صادق الرافعي الثرية

والشعرية تنطلق من قلب مؤمن عامر بحب الله ، كتابات ملتزمة بالتعاليم الإسلامية، تحافظ على حياء المتلقي ومشاعره. إنها نموذج للأدب الإسلامي الصحيح الذي يدعو إلى الخير والحق والجمال بأداء فني متميز. ■

الهوامش:

- (١) كتاب «مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً، ص ٢٥ .
- (٢) المصدر السابق : ص ٢٦ .
- (٣) المصدر السابق : ص ٢٦ .
- (٤) ديوان الرافعي ، ج١ ، ص ١٤ .
- (٥) المصدر السابق : ج١ ، ص ١٤ .
- (٦) المصدر السابق : ج١ ، ص ٢٠ .
- (٧) المصدر السابق : ج٢ ، ص ١٤٢ .
- (٨) المصدر السابق : ج١ ، ص ١٤٧ .
- (٩) المصدر السابق : ج١ ، ص ٢٦ .
- (١٠) المصدر السابق : ج١ ، ص ٢٦ .
- (١١) المصدر السابق : ج٢ ، ص ٤٦ .
- (١٢) من وحي القلم ، ج ٣ ، طبعة الهيئة العامة للكتاب.



مصطفى صادق الرافعي

كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً

دكتوراه من جامعة القاهرة

الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

واشتمال الكتاب على ثلاث مراحل : الأولى حملة الرافعي على أصحاب الجديد بعامة ، ونظرته إليه، وتصويره لهم ، والحديث عن الذوق الأدبي . والثانية تتصل بآراء طه حسين حول الشعر الديني في الجاهلية واتهام المسلمين بمحوه وإسقاطه ، وقد ندد الرافعي وأصحابه

بهذا الرأي في ضوء المنهج العلمي والتاريخي . والثالثة الرد على آراء طه حسين في كتابه " الشعر الجاهلي " تلك المرحلة التي زعزت كرسى الأدب العربي تحت صاحبه .

أما الفصل الرابع : فقد كان عنوانه " المقالة الإسلامية " ويبين المؤلف في هذا الفصل " المضمون الإسلامي في المقالة الرافعية " من خلال مقالات الرافعي عن : طبيعة النبي ﷺ ، شخصية الرسول ، سمو الفقر عند الرسول ، معجزة الإسراء والمعراج ، عبدة الهجرة . ثم المقالات الخاصة بأدب السياسة الإسلامية ، يتبعها بالمقالات الخاصة بأدب المحاجة والجدل ثم المقالات الخاصة بأدب العقيدة ويذكر المؤلف منها : الجمال الفني في بلاغة الرسول ، حقيقة المسلم مستمدة من فلسفة الإسلام وفرائضه .. وغيرها .

وفي الفصل الخامس وعنوانه : " كتاب المساكين " يعلق المؤلف على هذا الكتاب قائلاً : إن "كتاب المساكين" من خلال النهج الذي قدمه الرافعي - فكرة وهدفاً وصياغةً - يعدّ بمعايير النقد المحايد حلقة جديدة في سلسلة الإنجازات الإبداعية التي واكبت عصر الرواد القلميين الذين ينتظم الرافعي قافلتهم ، ولكنه استطاع أن ينفرد بينهم بأسلوبه المشرق المكين ، وجملته العربية الأصيلة ، وعبارته الغنية بأسباب من الترف الذي جعل منه سمّةً ومذهباً ، ويتوج الرافعي ذلك كله بالروح الإسلامية التي تتضوع بالأريج في كل صفحة سطرها يراعه ، وفي كل مقالة دبجتها بنانه .

وهكذا نصل إلى الفصل السادس : " الأثر الإسلامي للرافعي في أدب عصره " ، وفيه يقرر المؤلف أن الرافعي بريادته للكتابة في ظل الفكرة الإسلامية كان هادياً لمعاصريه من الكتاب الذين قدر لهم بسطة في العمر من بعده ، وكانوا خصوماً للإسلاميات ظاهراً أو باطنياً . ■

الكتاب : مصطفى صادق الرافعي " كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً "

تأليف : دكتور مصطفى الشكعة

الناشر : الدار المصرية اللبنانية

الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

عرض : محمود حسين عيسى

جاء الكتاب في ستة فصول هي :

الفصل الأول : وعنوانه " الرافعي نشأة وثقافة وزماناً "

وفيه تحدث المؤلف عن نشأة الرافعي وثقافته ، ومذاهبه الأدبية التي مزج بينها وبين اللغة العربية ، حيث نمت الملكة الأدبية عند الرافعي مبكرة خصبة في نطاق الشعر ، وقد عمد إلى إثراء معلوماته اللغوية بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وحفظ أكبر قدر من شعر القدامى والمحدثين وخطب العرب ومحاوراتهم في الجاهلية ، ودرهم الخطابية في الإسلام .

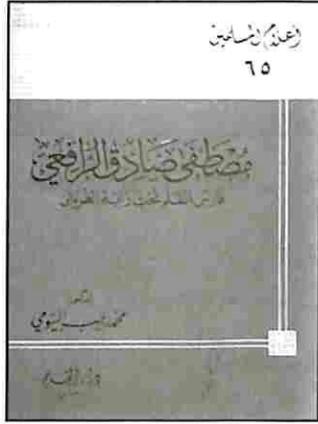
وتحدث المؤلف عن أفكار الرافعي الاجتماعية، ثم انتقل للحديث عن شعره وكيف أنه طرق أبواب الشعر المختلفة من تقليدية ومحدثة . كما يبين المؤلف موقفه من خلال تصديه لدعوات العامية والفرعونية والإلحاد ومحاربة الفكرة الإسلامية .

الفصل الثاني : وعنوانه " آداب العرب وإعجاز القرآن "

وفي هذا يقول المؤلف : لعل الرافعي لم يكتب كتابه " تاريخ آداب العرب " إلا مستجيباً لدعاء نفسه في خدمة اللغة العربية ، لغة القرآن ، فأراد أن يميظ اللثام عن الخبء من جمالها والخالد من آثارها . وكان هذا في الجزء الأول من الكتاب . أما الجزء الثاني فقد اختصه الرافعي بـ " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية " حيث يصف المؤلف " الرافعي " بأنه كان في إيمانه صادقاً مع ربه ، صادقاً مع نفسه ، صادقاً مع مجتمعه ، وكان هذا الإيمان قوة دافعة له في الذود عن حياض كتاب الله والتعلق الشديد بكلام رسول الله ﷺ حباً ودراسة . ويذكر المؤلف كيف فجر ظهور هذا الكتاب طاقة دينية كبرى في المجتمع ، وكيف استقبله المؤمنون بالبهجة والثناء ، واستقبله المنكرون بالصمت المغلف بالغيظ المتأجج والحقد الدفين .

وقد كان عنوان الفصل الثالث : " معركة النقد المقدس ..

تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد " ويبين المؤلف هنا طبيعة كتاب " تحت راية القرآن " والهدف منه ،



البلاغة النبوية:

وتحدث فيه عن
بلاغة النبي ﷺ
مستخلصا سمات
هذه البلاغة من
الخلوص والقصد
والاستيفاء .

ثم يقول:
«ولاجتماع تلك
الثلاثة في كلامه ﷺ

وبناء بعضها على بعض سلم هذا الكلام العظيم
من التعقيد والعي والخطأ والانتشار، وسلمت
وجوهه من الاستعانة بما لا حقيقة له من أصول
البلاغة» .

الاستشفاف الذوقي في فهم القرآن والحديث:

تحدث فيه عن تفسير القرآن وشرح الحديث،
حيث يقول: «طريقنا في اكتناه إعجاز القرآن أن
الكلمة الواحدة من كلماته لها جهات عدة، فالبحث
في فهم القرآن يجب أن يكون في اللفظة ووجه
اختيارها وسياق تركيبها وما تدل عليه في كل ذلك
وما يدل كل ذلك بها» .

في حومة الدفاع:

يبرز المؤلف هنا كيف أن الرافعي لم يكن
مهاجما بادئ ذي بدء، ولكنه التزم الفريضة في
دفع المنكر والأمر بالمعروف، وكانت المسألة بالنسبة
إليه فرض عين، رادا عن مفاهيم الرجعي
والتقدمي، مدافعا عن الرابطة الدينية، وعن الشرق،
وعن اللغة العربية، مهاجما الدعوة إلى اللغة
العامية واللغة الأجنبية.

عن الشعائر الدينية :

تحدث الرافعي عن الأذان في أروع مظاهر
تأثيره، وتأثير كلمة «الله أكبر»، وحديث المسجد،
والقيام في الصلاة، وتولي شطر القبلة، والركوع
والسجود بين يدي الله، والتسليم الذي يخرج به
من الصلاة، والزكاة والصوم والتقوى .

الكتاب : مصطفى صادق الرافعي " فارس

القلم تحت راية القرآن "

تأليف : د . محمد رجب البيومي

الناشر : دار القلم ، دمشق ، سلسلة

أعلام المسلمين (٦٥)

الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٧٧ م .

عرض : عبدالرزاق ديار بكرلي

يؤرخ هذا الكتاب لعلم العربية مصطفى صادق
الرافعي، حياة، وأدبا، ويدرس نتاجه، ويحلل مواقفه،
ويفصل في نزاعاته، ويرد الأمور إلى أسبابها
ومسبباتها، ويضع المواقف في إطارها التاريخي
وتسلسلها المنطقي، وبذا يصحح الكثير من المفاهيم
الخاطئة، ويزيل اللبس، وينصف الأديب الرافعي أيما
إنصاف . واشتمل الكتاب على الموضوعات الآتية:

هذا الرجل، المقدمة، تمهيد موجز، نشأة كريمة،

الكاتب البليغ :

تدور حول حياته ونشأته، وبواكير أعماله
الأدبية والظروف والملابسات التي أسهمت في
تشكيل أدبه وبلاغته.

محمد ﷺ:

عنوان موضوع تحدث فيه عن النبي ﷺ
بأسلوب غاية في البراعة، عن نبوته، وسيرته، ويوم
الطائف، والإسراء، الأذان، مقتبسا حول كل ذلك
فقرات من أقواله البديعة.

تاريخ الأدب العربي :

أورد فيه المؤلف قصة كتابة الرافعي عن الأدب
العربي مؤرخا والظروف التي دفعته إلى هذه الكتابة
والجوانب التي تميز بها تأريخه أخذا عليه عدم التقيد
بذكر المصادر التي رجع إليها في كتابه.

إعجاز القرآن الكريم:

تحدث فيه عن كتابه الذي خصصه للحديث عن
إعجاز القرآن وتفردته عن سابقيه والحفاوة التي
قوبل بها هذا الكتاب .



عن علماء الإسلام :

يتحدث فيه عما كتبه الرافعي في سلسلة أدبية عن كبار العلماء ممن جابهوا السلطان الظالم في غير هوادة، من مثل : سعيد بن المسيب، والشعبي، ومالك ابن دينار، وأحمد بن حنبل، والحسن البصري، والعز ابن عبدالسلام، وغيرهم من أفاض العلماء، حيث ولدت القصة الإسلامية على يد الرافعي فيما صور من أحداث ورسم من شخصيات.

للمرافعي مفهوم خاص في كتابة القصة لا يتقيد فيه بما تعورف عليه من خطوات العمل القصصي، ولكنه يذكر الحادثة في ثوب القصة، ثم يفتح بابا للتحليل الأدبي، والتفسير النفسي يكشف عن مدلول هذه الأحداث . ولم يقل الرافعي للقارئ إنه يكتب قصة أدبية حتى نحاكمه في ضوء ما نعرف من أساليب التأليف القصصي، ولكنه يخاطب القراء بما يراه مجالا للتأثير في شعوره النفسي، تاركا لقلمه أن يجمع المقالة والقصة في ثوب واحد .

عن المرأة:

لقد دافع الرافعي عن المرأة دفاعا شرعيا منصفاً، لا كغيره ممن أرادوا من خلال دعوى الدفاع عنها أن تنزلق إلى الفساد وحمأة الرذيلة تحت دعوى التحرر والانفتاح .

وهنا يرد الحديث عن كتبه أوراق الورد، ورسائل الأحزان، والسحاب الأحمر، وغيرها من مقالات في هذا الشأن .

مع العقاد:

هذه هي المشكلة الكبرى التي استطاع المؤلف أن يضع مبضعه في مفصل النزاع بين الرجلين حاكما بينهما، ملطفا الجو في خلافتهما، راداً الأمور إلى أسبابها ومسبباتها معللاً إياها بأسلوب منطقي حصيف، وليس «على السفود» من ذلك ببعيد .

يقول البيومي : وقد لحق العقاد بالرافعي بعد قرابة ربع قرن فغاب عن الميدان فارسان مدججان تحدث بآثارهما الركبان حديثا ما زال يمتد صدها .

تحت راية القرآن:

هذا الموضوع امتداد للموضوعات السابقة في دفاع الرافعي عن القرآن الكريم حينما تورطه حسين فيما قاله عن القرآن الكريم في كتابه «الشعر الجاهلي» حيث تصدى له الرافعي وفند مزاعمه الخطيرة .

الرافعي كاتب الوجدان :

تميزت كتابات الرافعي بتحريك العواطف النبيلة والمشاعر الفياضة فهو في ذلك فرد لا نظير له، وانظر ذلك في حديثه عن القلب الطاهر، وحديث القمر، ورسائل الأحزان، وأوراق الورد، والسحاب الأحمر، إلى أن يقول الكاتب عن كتاب المساكين : «إنه من الأدب الوجداني من ناحية تأثر العاطفة وانفعالها بمظاهر الفقر المحتشم والصبر القانع والثوق المطمئن .. وكل ذلك يتجلى في مسيرة قروي هادئ قانع..».

الشاعر الموهوب :

وللرافعي شعر في غاية الإبداع والتألق، ومنه الشعر الوصفي والاجتماعي والتقريرى التعبيري، ممزوجا بالخيال والإدراك المتيقظ الذي هو أول منافذ الخيال.

أما نثر الرافعي فهو النثر الفني الذي يخلق في القارئ بعيدا في مجال الخيال والفكر في أن واحد .

الرافعي ناقدًا:

يقول الدكتور البيومي : لا أقول: إن النقد كان أبرز ميزات الرافعي، بل أقول: إنه كان أثرا قيما من آثاره وله وزنه في تقدير كفاحه الأدبي الطويل.

الرسائل الخاصة وجهة إسلامية:

تحدث فيه الكاتب عما كتب من الرسائل الخاصة التي ينشرها الآخرون لأدباء استأمنوهم عليها .. وهنا يأتي ذكر «أبي رية» فيما نشر من الرسائل الخاصة للرافعي، ويرى الكاتب أن الرسائل التي تحمل بعض الشطط أولى بالكتمان والصون الخلقي، وإن كان النشر ضروريا في رأي من يبيحه فإن الواجب أن يبعد عن الرسائل ما يشي بنقيصة أو ينبئ بتهم على إنسان مناوئ .. بما يحفظ لصاحب الرسائل أسرارها الخاصة. ■

بين الرافعي وطفه حسين تحن

يعد الأديب مصطفى صادق الرافعي في الطليعة من الكتاب والأدباء الذين أثروا بفكرهم وإبداعهم الحياة الأدبية والفكرية في مصر والعالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين . وهو يمثل مع «عباس العقاد»، و«طفه حسين» الريادة الحضارية في محاولة النهوض بالعقلية العربية في العصر الحديث، وإعادتها إلى دائرة الضوء المتوهجة التي انتشرت أشعتها .. وعمت أرجاء الأرض في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية .

ولكل من هؤلاء الثلاثة منهجه في التفكير، وطريقته في الأسلوب، وأثره فيمن حوله، ولكل منهم شيعته.. ومريدوه، ودوره الكبير في الحركة الثقافية، والحياة الأدبية في مصر والعالم العربي في العصر الحديث .

وكان الرافعي أشدهم ارتباطا بالتراث العربي، وأكثرهم دراية واقتناعا به، وهو ينفرد بملكة إبداعية ابتكارية في صياغة الأساليب، مع ارتباط شعوري صادق بكل مقومات التاريخ الإسلامي، وبالمصدرين الرئيسيين للدين الإسلامي وهما القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

وكتابه «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» .. يظل منارة مضيئة تموج أشعتها الهادية في كل زمان ومكان، تهدي العقول الحائرة، وتقوي العزائم الفاترة، وتدفع عن حياض الدين غزوات المغيرين، وشبهات الملحدين، ومؤامرات المنافقين .

ويعلل الأستاذ حسين حسن مخلوف «شدة الرافعي في نقده، وقوة شكيمته في خصومته العلمية والنقدية .. وعدم استسلامه في معاركه النقدية بما قاله أحد القراء عن الرافعي: «إنه ناقد صعب» فأجاب قائلا: لشعوره بالتمكن من مادة اللغة العربية وثقته بنفسه، وفهمه لأسرار البيان العربي شعرا ونثرا، ولدراسة أدوات الأدب العربي لتكون صناعة القلم سليمة لديه .

ثم إنه لا يكتب رأيا إلا إذا امتحنه على آداب القرآن الكريم، وأصول الإسلام فما وافقها فهو رأيه، وما خالفها فهو بريء منه^(١) .





تحت راية القرآن



بقلم: د . صابر عبدالدايم
مصر

تحت راية القرآن في قلب الميدان:

وكتاب «تحت راية القرآن» ميدان لمعركة دارت رحاها بين قطبين رائدين هما «الرافعي» مدافعا عن تراث العربية، وعن كثير من ثوابت الإسلام ضد آراء جريئة، وحقائق مغلوطة، وشبه مغرضة أثارها د . طه حسين في كتابه «الشعر الجاهلي» في إصداره الأول عام ١٩٢٦م.

ولنتساءل: لماذا وضع الرافعي قضية الانتحال التي تعد العنصر الأساسي في كتاب د . طه حسين، والقاسم المشترك بينه وبين الرافعي في كتابه «تحت راية القرآن»؟ لماذا جعل الرافعي مناقشة هذه القضية وتحريرها تحت راية القرآن، وما علاقة القرآن بقضية الشعر الجاهلي؟

إن منهج الرافعي الذي ينطلق من المصدرين الكبيرين: الكتاب والسنة: هو المحرك الأول لهذه القضية .

والبعد الديني لا الأدبي .. هو في المقدمة من أبعاد قضية «الانتحال» في الشعر الجاهلي، وهو المحرك الأول لهذه القضية .

ولنتأمل النتيجة التي انتهى إليها د . طه حسين متبعا فيها آراء كثير من المستشرقين .. وهي نتيجة سلبية لا تصدر من باحث متمكن من مقومات تراث الأمة العربية والإسلامية، وفي مقدمة هذه المقومات الإيمان بقداصة النص القرآني، وبأنه قطعي النص والدلالة، يقول د . طه حسين:

«للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا

بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة».

قال د . طه حسين «ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والتوراة والقرآن من جهة أخرى».

والرد على هذه الفرية التي تقدر في قداصة النص القرآني .. لم تقتصر على الرافعي فقط بل تصدى لها كثير من العلماء وفي مقدمتهم: «الأمير شكيب أرسلان، والشيخ محمد الخضر حسين، ومحمد فريد وجدي، و د . محمد أحمد الغمراوي، والشيخ محمد أحمد عرفه، وغيرهم .

ومن الذين قاموا بالرد المباشر بعض النواب في البرلمان في هذا الوقت ومنهم النائب الأستاذ عبد الخالق عطية في جلسة يوم الاثنين ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٦م . وفي رده إثارة لقضية تربوية يجب أن نقندي بها في مدارسنا وجامعاتنا ومعاهدنا العلمية .. وما أحوجنا إليها في هذا الوقت الذي كثر فيه المتقولون والأدعياء .

يقول النائب معلقا على ما أثاره د . طه حسين من شكوك ومزاعم .. وكذب وتلفيق حول القرآن، «إننا إذ نسلم أولادنا للحكومة ليتعلموا في دورها نفعل ذلك معتمدين على أن بيننا وبينها تعاقدًا ضمينا على أن الديانات محترمة، لا أقول تعاقدًا ضمينا فقط، بل صريحا، لأن الحكومة تعنى بتعليم الدين في مدارسها، وتضعه في مناهجها .

التجديد في رأي هذه الطائفة حتى رأينا أستاذ الجامعة يقرر في مواضع كثيرة من كتابه أنه هو الشك، ومعنى ذلك أنك إذا عجزت عن نص جديد تقرر به شيئاً فشك في النص القديم، فحسبك ذلك شيئاً تعرف به، ومذهبها تجادل فيه، لأن للمنطلق قاعدتين إحداهما تصحيح الفاسد بالقياس والبرهان: "والأخرى إفساد الصحيح بالجدل والمكابرة".



د . طه حسين

ثم يحترس الرافعي .. ويزيل هذه المثالب التي شخّص بها مسلك د . طه حسين في منهجه وفي شخصيته .. ببعض المعالم الإيجابية التي يتسم بها، وهذا يؤكد أن الرافعي في تقويمه له لم يكن متجنّباً، ولا مسفهاً مثلما كان في "السفود" وهو يهجم على العقاد بكل ألوان السباب .. وفي قلب هذا الهجوم .. تبرق شهب نقدية حارقة لا يستطيع العقاد لها دفعا .. ولكن "الرافعي" مع العقاد لم يكن منصفاً، ولم تكن غضبته للعلم وحده، ولم تكن غيرة على الدين وإنما كانت رد فعل اتسم بالغضب الشديد والانفعال الجارح وكأنه استجابة مباشرة لقانون الطبيعة البشرية، وقوانين الحياة نفسها "لكل فعل رد مساو له في الاتجاه".

وقصة الرافعي في مواجهة العقاد لها فضاء آخر .. وسياق مغاير، يقول الرافعي ... وهو يضع طه حسين فوق ميزانه النقدي والعلمي، وإنه لولا ضعف خيال الدكتور طه، وبعده من الصناعة الفنية في الأدب، واستسلامه لتقليد الزنادقة، وبعض المستشرقين الذين لا يوثق برأيهم ولا يفهمهم في الآداب العربية، ثم لولا هذه العصبية الممقوتة التي نشأت فيه من هاتين الصفتين إلى صفات أخرى يعرفها من نفسه حق المعرفة لكان قريباً من الصحة فيما يرى، ولتدبر الأمور بأسبابها القريبة منها

وإذا كان الأمر كذلك، فعلى الذين يريدون أن يحرقوا بخور الإلحاد أن يحرقوه في قلوبهم، لأنهم أحرار في عقائدهم، أو أن يحرقوه في منازلهم، لأنهم أحرار في بيئاتهم الخاصة، أما أن يطلقوه في أجواء دور العلم ومنابر الجامعة فهذا لا يمكن أن نفهمه بأي حال من الأحوال» (٢).

ولنتأمل أحوال جامعاتنا الآن !!
ووصف الشيخ: مصطفى القاياتي

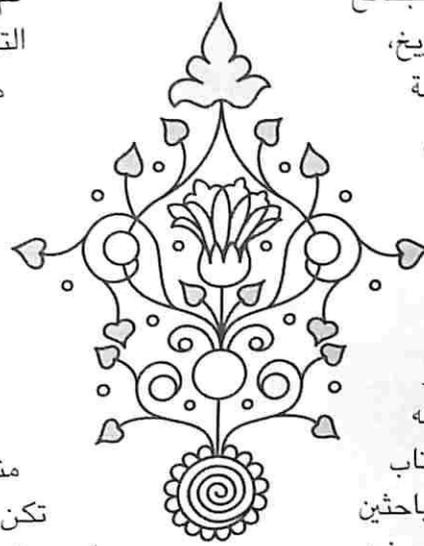
بأن ما جاء به د . طه حسين: «قبائح متعددة»، ما بين تكذيب لصحيح التاريخ، وتكذيب لنصوص القرآن، ونسبة التحايل إلى الله وإلى النبي محمد ﷺ، وإلى موسى عليه السلام».

والرافعي يلخص تقويمه لشخصية د . طه حسين .. مع تفنيد آرائه في أسلوب حاد ساخر .. يوجز الحقائق، ويجمال التفاصيل ولكنه يتوسع فيها بعد ذلك عبر مباحث الكتاب مستعينا بشهادات المعاصرين من الباحثين والعلماء والنواب ورجال السياسة المنصفين .

فيقول معللاً فساد آراء د . طه حسين فيما يتعلق بالقضايا التي أثارها في كتاب «الشعر الجاهلي» وهي كثيرة:

«وصاحبنا يرجع في ذلك إلى طبع ضعيف لم تحكمه صناعة الشعر، ولا راضته مذاهب الخيال، ولا عهد له بأسرار الإلهام التي صار بها الشاعر شاعراً، ونبغ الكاتب كاتباً.

وما هو إلا ماترى من خلط يسمى علماً، وجرأة تكون نقداً، وتحامل يصبح رأياً، وتقليد للمستشرقين يسميه اجتهاداً»، وغض من الأئمة يجعل به الرجل نفسه إماماً، وهدم أحقق يقول هو البناء وهو التجديد، وما كنا نعرف على التعيين ما الجديد أو



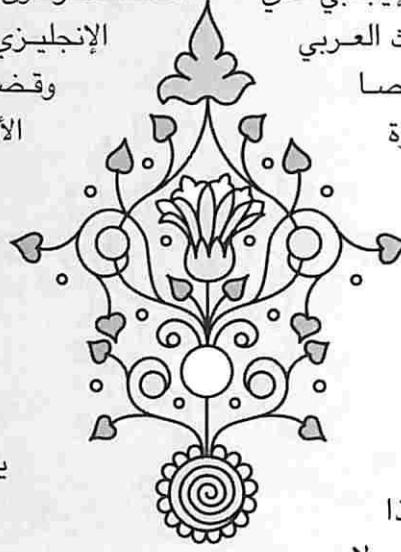


أما المستشرقون الذين لا يوثق برأيهم ولا يفهمهم في الآداب العربية ومعهم الزنادقة الذين قلدتهم طه حسين - كما يقول الرافعي - .. وكما تشهد بذلك الوثائق العلمية ووقائع التاريخ، وكما انتهت إلى ذلك اللجنة التي فحصت كتاب «في الشعر الجاهلي» وكذلك المحكمة التي أصدرت حكمها بعد اعتذار د . طه حسين وإقراره بأنه مسلم ولم يتعمد الإساءة إلى الإسلام .

وقد انتهى الأمر إلى مصادرة الكتاب وإحالة د . طه حسين إلى النيابة، وحققت معه وانتهت إلى أن هذا البحث ليس من عمل الدكتور، بل سبقه به المستشرقون ومنهم «مرجليوث» المستشرق الإنجليزي، وانتهت هذه القضية بقضها وقضيتها سنة ١٩٢٦م، كما يقول الأستاذ حسنين حسن مخلوف .

وحفظت النيابة الأوراق لعدم كفاية الأدلة ولثبوت حسن النية فيما صدر من د . طه حسين .
ولسنا هنا بصدد معارضة الحكم، ولا التنقيب عن حقيقة معتقد طه حسين .. فهذا أمر لا يعلمه إلا الله وحده .

ومن الحقائق التي تؤكد تقليد طه حسين واتباعه لما قاله المستشرقون .. ما ورد من آثار لهم في دراسة الأدب العربي وتحقيق دواوين الشعر الجاهلي ؟ وحين تصدق هذه الحقيقة .. فإنها أصدق تهمة توجه إلى « عميد الأدب العربي » الذي رفع لواء التجديد، وهو في الحقيقة يلبس مسوح التقليد، ظنا منه بأن الحياة الثقافية لن تكشف هذا الصنيع، أو أنه يضحى بسمعته العلمية في سبيل إرضاء أساتذته من بعض المستشرقين الذين وصفهم الرافعي بأنهم « لا يوثق برأيهم ولا يفهمهم في الآداب العربية » وكل هذه الاحتمالات تصب في تيار مضاد لما كان يتوهمه طه حسين، ولكنه أغرى الكثيرين من الباحثين بارتداد هذه الطرق الشائكة التي تجدف ضد التيار .. حتى لو كان هذا التجديف ضد



واستعان عليها بما يصلحها ، ولتوقى بذلك جنابة التهجم التي هي في أكثر أحوالها علم الجهلاء ، وقوة الضعفى ، وكياسة الحمقى وعقل الممرورين» .
ويمكن أن نتهم الرافعي بالمبالغة في اتهام د . طه حسين وإلصاق كل هذه المثالب به .. ولكني أرى أنه أصاب كبد الحقيقة حين وصف صاحب كتاب «في الشعر الجاهلي» بأنه مستسلم لتقليد الزنادقة ، وبعض المستشرقين الذين لا يوثق برأيهم ولا يفهمهم في الأدب العربية .

ولنتأمل دقة الرافعي في التفريق بين الزنادقة .. وبعض المستشرقين حيث لم ينكر الدور الإيجابي الذي قام به المستشرقون في خدمة التراث العربي والإسلامي تحقيقا .. وطباعة، وتمحيصا وتدقيقا وفهرسة .. وهي جهود بارزة لاتنكر .. وتحتاج إلى قليل من تصحيح المفاهيم، وكشف مناطق الشبهات، وتحريير بعض الآراء التي تشوهها الترجمات الحرفية التي تحرف المعنى وتقلب الحقائق (٣) .

يقول الرافعي: إن طه حسين استسلم للزنادقة وبعض المستشرقين وهذا كلام صائب ودقيق لأنه حدد هذا «البعض» وهم الذين «لا يوثق برأيهم، ولا يفهمهم في الآداب العربية» .

ومن المستشرقين المنصفين للحضارة العربية والفكر الإسلامي «توماس كارلايل» صاحب كتاب «محمد المثل الأعلى في كل شيء» و «الكونت هنري دي كاستري» صاحب كتاب «الإسلام خواطر وسوانح» و «المستشرق» فرانز روزنثال» والمؤرخ الإنجليزي «برناد شو» الذي يقول ويؤكد أنه «في الوقت الحاضر كثيرون من أبناء أوروبا قد دخلوا في دين «محمد» أي الإسلام، حتى يمكن أن يقال: إن تحول أوروبا إلى الإسلام قد بدأ، وأحسن ما يقال: إن القرن الحادي والعشرين لن يمضي حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينا لها، وعهدت إليه في حل مشاكلها» .

وكيف جعل نفسه بوقا لهم عن طواعية - رغبة في الظهور - وصدمة للواقع الأدبي، والفكري .

وأول من تناول موضوع الانتحال شيخ المستشرقين الألماني تيودور نولدكه سنة ١٨٦١ أي قبل طه حسين بخمسة وستين عاما .

ولقد استعان بنتائج البحث في اللغات السامية، وما كشفت عنه النقوش الحميرية والسبئية وفي اليمن عموما، وبالمقارنة بما حدث في الآداب الأخرى، الأدب اليوناني وخاصة هوميروس، وفي الأدب الألماني ليسوق الأسباب الدقيقة التي تؤيد وتوسع من نطاق النتائج التي وصل إليها ابن سلام الجمحي بنظرة ثاقبة ولكنها غير مؤيدة بالأسانيد التاريخية .

وبعد ثماني سنوات جاء «ألفرت فلهلم» ليثير الشكوك سنة ١٨٧٢ في مقدمة ديوان «الشعراء الستة الجاهليين» .

وفي سنة ١٩٠٤ م كتب «كليمان هوار» مقالة مغرضة بعنوان «مصدر جديد للقرآن» .

وفي عام ١٩٠٥ أصدر «مرجليوث» كتابه عن «محمد وظهور الإسلام، ثم كتب مقالته عن «محمد» في دائرة معارف «الدين والأخلاق»^(٤) .

وتوالت الجهود التي تدرس التشابه بين لغة القرآن ولغة الشعر الجاهلي وكتب مرجليوث مقالا عن أصول الشعر العربي عام ١٩١١م، وكتب بحثا في الموضوع نفسه سنة ١٩٢٥ .

ومن القضايا المغرضة التي أثارها «مرجليوث» هي أن الشعر تطور للقرآن، أي أتى بعده .. وهذا أخطر مافي القضية التي قلد كل تكويناتها د . طه حسين .

العلم والدين وشبهات المستشرقين:

ومما يتصل بتقليد طه حسين للزنادقة وبعض المستشرقين الذين لا يوثق برأيهم ولا بفهمهم في الآداب العربية قضية «الصلة بين العلم والدين» .. حيث يرى أن الدين من نتاج الجماعات البشرية تقليدا لرأي «دور كايم» الذي يقول: «إن الجماعة

الثوابت، وضد القيم والأعراف والتقاليد الأدبية والحقائق التاريخية، والثوابت الدينية» .

والمستشرقون الذين ردد أقوالهم د . طه حسين .. لم يبتكروا الجديد، وإنما بالغوا، في تضخيم ظاهرة الانتحال - التي أثارها ابن سلام في كتابه «طبقات فحول الشعراء» - ووردت هذه القضية على لسان الرواة في تقويمهم لبعض الروايات، ولبعض من رووا الشعر العربي .. وهذا دليل جودة وتمحيص، وتدقيق ورغبة في الوصول إلى النص الأصلي الصحيح .. حيث كانت الرواية منهجا دقيقا من مناهج العرب والمسلمين .

فالمفضل الضبي، يفند حماد الرواية المتوفى سنة ١٩٨ هـ، والأصمعي ينقد خلف الأحمر

ويتهمه بالانتحال وقد توفي سنة ٢١٦ هـ،

هـ، وابن هشام في سيرته ينقد ابن

إسحاق المتوفى سنة ٢١٨ هـ، وابن

سلام يقوم روايات ابن إسحاق

وحماد الرواية .

وابن إسحاق يقر بعدم علمه

بالشعر .. وهذا الإقرار عده رواية

الشعر فضيحة وقد روى أشعارا عن

عاد وشمود .

وأبو الفرج الأصفهاني رفض روايات

ابن الكلبي عن دريد بن الصمة .

إن هذه الظواهر التي تؤكد حرص رواة الشعر

على صحة ما ينسبونهم للشعراء لم تؤد بهم الى القول

بانتحال معظم الشعر الجاهلي، ولا بالقول إلى

أسبقية القرآن . وأن الشعر العربي أتى بعده، لأنه

تقليد له في الألفاظ والأساليب، ولا إلى القول بأن

الشعر تطور للقرآن كما يزعم المستشرقون .

هذه الظواهر القديمة في قضية الانتحال . دفعت

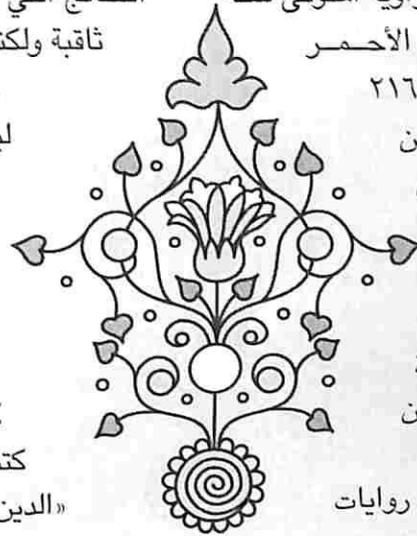
بعض المستشرقين إلى الطعن في صحة الشعر

الجاهلي وإلى الطعن في كثير من حقائق القرآن،

وحتى نثبت صحة ما ذهب إليه الرافعي نسوق هذه

الحقائق التي تكشف عن دور المستشرقين في تضخيم

هذه القضية، وتكشف كيف خدع د . طه حسين بهم !!





وتتطور حسب تطور الأزمنة .. والبيئات ونظريات العلم ووسائله، والحركة العلمية في ظل الإسلام تؤكد ذلك نظريا وعمليا .

وعلم النفس في أحدث ما انتهى إليه ينقض كلام د . طه حسين في مسألة الذات العاقلة والذات الشاعرة .

وهل التدين بعيد عن «العقل» وهل هو مجرد خواطر وسوانح وتخيلات؟

وأمام هذا التصور الغريب، والموقف المتناقض من «الدين» يقول الرافعي مستظلا برأية القرآن، ومتحصنا بأسلحة

اليقين ويرد على «طه حسين مفندا رؤيته

المتناقضة»: يخلط طه في معنى العلم

ومعنى الدين، فيذكر أنهما لا يلتقيان

إلا نزل أحدهما للآخر عن

شخصيته، ويزعم أن العلم لا يرى

الدين إلا قد خرج من الأرض كما

تخرج الجماعة، فمتى قطع العلم على

أن الجماعة الإنسانية خرجت من

الأرض، وقد أخذ مذهب دارون يتصدع

ويتخرب على زلازل القلم وانحياز ناموس

النشوء عن هذه الجهة الحيوانية.

ومتى كان العلم يبحث في الأديان على أنه علم؟

وكيف له أن يبحث فيها وهو مقصور بطبيعته وتحديد

هذه الطبيعة على ما يدخل في باب الأدلة الحسية،

ولا وسائل له إلا وسائل الحس المعروفة من البحث

والاستقراء والمقابلة والاستنباط، دون ما يتصل

بالمعاني العقلية المحصنة مما هو نظري فلسفي

كالمعاني التي يرجع إليها الدين . إنه ليس بعلم ما

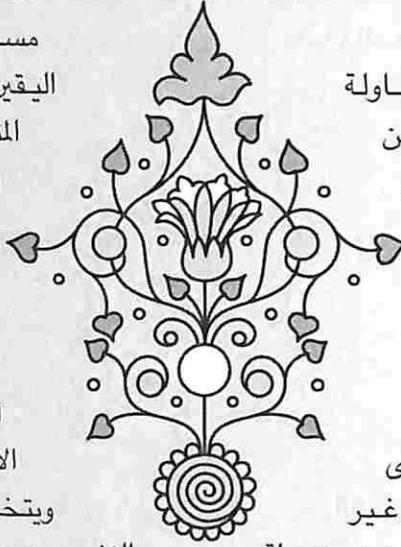
يجاوز تلك الحدود المسورة بأسوار البحث والامتحان

بحيث لا تخرج منه النتيجة الصريحة التي برهانها

«الحس واليقين دون الظن والجدل» .

ثم يقول الرافعي ملخصا الرد على طه حسين

ومنكرا عليه رأيه:



تعيد نفسها أو بعبارة أدق «أنها تؤله نفسها ويقول د . طه حسين وهو يتبنى الفكر «العلماني»:

إن العالم ينظر إلى الدين كما ينظر إلى اللغة، وكما ينظر إلى الفقه، وكما ينظر إلى اللباس، ومن حيث إن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة في تطورها، وإذن فالدين في نظر «العلم الحديث» ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية، لم ينزل من السماء، ولم يهبط به الوحي، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها .

ثم يرى د . طه حسين في محاولة

للتوفيق الملقق بين العلم والدين: «أن من

الممكن أن يكون الإنسان ذا دين يؤمن

بما يثبته العلم، ويكون عالما لا يقر ما

لم يثبته العلم» .

فكل امرئ هنا يستطيع إذا فكر قليلا

أن يجد في نفسه شخصيتين ممتازتين:

إحداهما عاقلة تبحث وتنتقد وتحلل (*).

وتغير اليوم ما ذهب إليه أمس، والأخرى

شاعرة تلذ وتفرح وترضى وتغضب في غير

نقد ولا بحث ولا تحليل وكلتا الشخصيتين متصلتا

بمزاجه وتكوينه لا نستطيع أن نخلص من إحداهما .

ثم يتصور «طه حسين» الحل التلفيقي للتلاقي بين

العلم والدين وهما في رأيه لا يلتقيان !! يقول: «فما

الذي يمنع أن تكون الشخصية الأولى عاملة باحثة

ناقدة ؟ وأن تكون الشخصية الثانية مؤمنة ديانة

مطمئنة طامحة إلى المثل الأعلى؟

ثم يقول: «وأنا أؤكد أن هذا اللون من الحياة النفسية

وحده هو الذي يكفل السلم بين العلم والدين»^(٥) .

وهذا التقسيم قائم على افتراض مخطئ وهو

التصادم بين العلم والدين، والمنهج الإسلامي لا يقول

بهذا التصادم .. لأن العلم يكتشف أسرار الله في الكون وفق تفكير منظم، وآليات وتقنيات تتجدد

فقول طه مثلاً: «إن قصة بناء الكعبة خرافة، وإن إبراهيم وإسماعيل شخصان وهميان لا يعدان علما، بل حمق محض، فإذا اعتذر منه بالعلم أضاف إلى حمقه جهلا، فإذا أصر على قوله واعتذاره زاد على الجهل الحمق والغفلة»^(١).

وفكر د. طه حسين الدائر في فلك «العلمانية، والذي أدى به إلى التقليد واتباع آراء بعض المستشرقين .. جعله يتعصب لآرائه اقتناعاً منه بهذا المنهج .. وقد اتهمه الرافعي، وحلل موقفه الفكري، ومنهجه «العلمي» القائم على «الشك».

يقول: رأينا عصبية طه على الإسلام تلبس ثلاثة وجوه:

أولها: عقيدته في القرآن وأنه من وضع الذي جاء به لا من وحي ولا تنزيل ولا معجزة .

وثانيها: رأيه في النبي ﷺ وأنه رجل سياسي فلا نبوة ولا رسالة .

وثالثها: عمله في توهين أمر الأئمة من الصحابة فمن بعدهم وقياسهم في الإنسانية وأهوائها وشهواتها على قياس من نفسه وطباعه.

وهذه التهم تحتاج إلى مراجعة

ومناقشة وتحليل ولكنها تتوافق مع المنهج الذي تابع فيه د. طه حسين آراء المستشرقين ومناهجهم المادية .

والدكتور طه حسين لم يتابع الردود على ناقديه .. ولكنه كتب إلى مدير الجامعة المصرية موضحاً موقفه العام من «الدين» وهو موقف نابغ من رؤيته لتكوين الشخصية تكويناً ازدواجياً أو تناقضياً، كما اتضح من أقواله.

يقول: كثّر اللفظ حول الكتاب الذي أصدرته منذ حين باسم «في الشعر الجاهلي»، وقيل إنني تعمّدت فيه إهانة الدين، ولم أخرج عليه وما كان لي أن أفعل ذلك وأنا مسلم أوّمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر.

ولكن الرافعي يفند هذا الكلام في فصول متعددة من كتابه «تحت راية القرآن وهي:

* عصبية طه حسين على الإسلام .
* قد تبيين الرشد من الغي .

و «مسلم لفظاً لا معنى» وهو من أشد المباحث ضراوة . والرافعي في المقدمة يقول وهو يرجو أن يتراجع د . طه حسين عن آرائه التي قلدها الزنادقة وبعض المستشرقين يقول «وما نريد أن نزيد طه على ما قلنا مما سنقرؤه في هذا الكتاب، ولكننا نرجو أن يهديه الله فيكون من أمته ويعود إليها، فإنه إلا يكن بها لا يكن بغيرها، وإنها إلا تكن به تكن بغيره»^(٢) . وأرى أن الخلاف بين الرافعي وطه حسين يرجع إلى طبيعة منهج كل منهما وطريقته في التفكير .. فالرافعي ينطلق من ثوابت الفكر الإسلامي، ومن الإحساس بقيمة التراث العربي، وعلومه ومناهجه.

والدكتور طه حسين متأثر بمناهج التفكير الغربية، وينطلق من قاعدة منهجية وهي التصادم بين التفكير العلمي، والتفكير الديني مع محاولة التوفيق بينهما في صورة تليفقية أو خداعية من باب «التقية» .

والجزء الأول من كتاب «تحت راية القرآن» يجسد هذا التصور الذي يؤطر حقيقة الخلاف بين الرجلين فهو خلاف جذري، ومنهجي، وشخصي، وقد تضمن الكتاب ست مقالات في قسمه الأول .. وهي تفصيل لمنهج «الرافعي» ولموقفه من الثقافة الغربية ودعاوي التجديد والمقالات هي:

١ - المذهبان: القديم والجديد .

٢ - الجملة القرآنية .

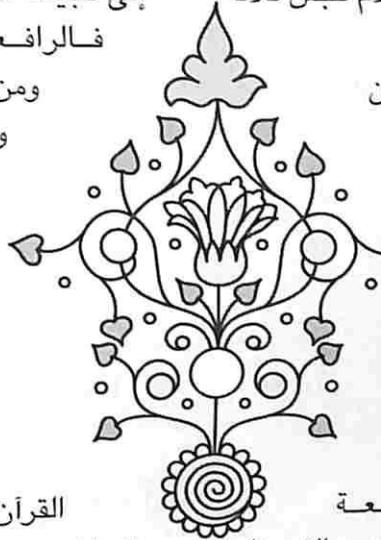
٣ - ما وراء الأكمة .

٤ - الرأي العام في العربية والفصحى .

٥ - تمصير اللغة .

٦ - جلد هرة .

وكل هذه المباحث تناقش ماهية القديم .. وماهية الجديد، وماذا نقبل منهما ؟ وماذا نرفض في ظل ثوابت الحضارة العربية، والثقافة الإسلامية: مع





وحين ألف الرافعي كتاب «حديث القمر» قرظه الأديب العالم «حفني ناصف»، ولكن د . طه حسين نقد هذا الكتاب نقدا لاذعا .. وقال في تهكم: «إن هذا التقريظ ليس من عمل حفني ناصف، بل من عمل الرافعي نفسه» .

وحين ألف الرافعي «رسائل الأحزان» التي كتبها إثر موقف «مي زيادة» المضاد منه بعد أن توهم أنها تبادلته مشاعر المودة والمحبة .. وبعد أن سعى العقاد للوقية بينهما . تناول د . طه حسين والعقاد هذه الرسائل بالنقد العنيف، ومما زاد من ألم الرافعي في محنته مع «مي» أنها وقفت كما يقول «حسين حسن مخلوف»، مع د . طه حسين في بعض ما أخذه على الرافعي ونشرته في مجلة «المقتطف» .

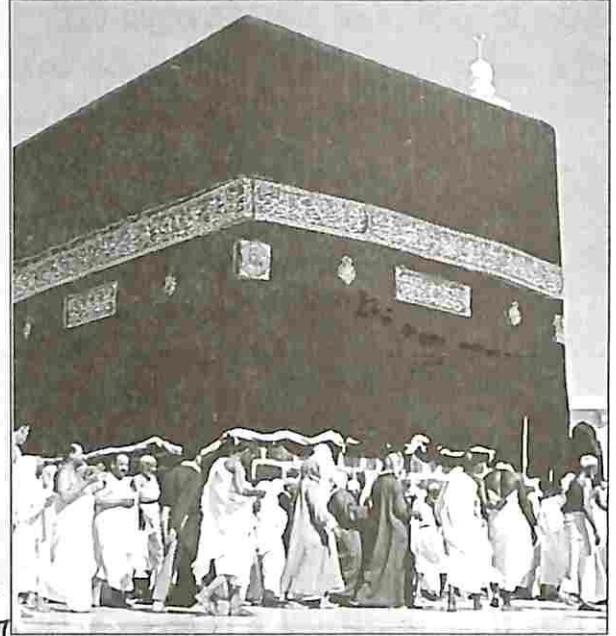
ويقول د . طه حسين في نقده للرافعي ونقد «رسائل الأحزان» نظلم الرافعي إذا قلنا إنه يشق على نفسه في الكتابة والتأليف بل أنت تنصفه إذا قلت: «إنه ينحت من صخر، إن كل جملة من هذا الكتاب تبعث في نفسي شعورا قويا مؤلما بأن الكاتب يلدها ولادة، وهو يقاسي من هذه الولادة ما تقاسي الأم من آلام الوضع» .
ويقوم الرافعي بالرد معلنا اشتعال المعركة، واحتدام لهيبها فيكتب في «السياسة الأسبوعية» قائلا:

الأستاذ الفهامة الدكتور طه حسين: يسلم عليك المتنبئ ويقول لك:

وكم من عائب قولاً صحيحاً

وأفته من الفهم السقيم

قرأت يا سيدي ما كتبتة عن «رسائل الأحزان» مما أتمسح في تسميته نقداً، وألمت بالغاية التي أجريت لها كلامك، وما كان يخفى علي أن في الحق ما يسمى تعسفاً، وفي النقد ما يدعى تهجماً، وفي المنطق ما يعرف بالمغالطة، وفي كل صناعة ما هو انتحال ودعوى وتلفيق .

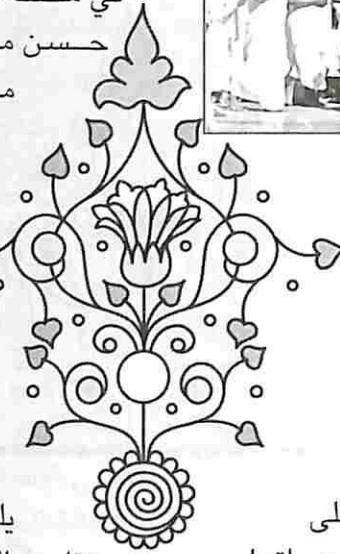


رفض كل ما يتعارض معهما من مكونات الفكر «الأجنبي» وقبول الرؤى والأفكار والمناهج التي لا تتصادم مع مناهجنا وعقيدتنا .
جذور المعركة وبواعثها:

وحين نتأمل ونبحث عن جذور الخلاف بين الرافعي وطه حسين نجد أن طه حسين هو الذي بدأ بالهجوم على الرافعي متهما إياه بالجمود الفكري، وهو اتهام ينطلق من الخلاف المنهجي كما وضحت سابقاً . فالرافعي أسبق في الحياة الأدبية من طه حسين والعقاد .

وبدأ الرافعي بالنقد الأدبي مبكراً وسنه خمس وعشرون سنة، وكتب في «المقتطف» مقالا عن الشاعر محمود سامي الباروي سنة ١٩٠٥م . قال فيه «شاعر فحل مجود، ضيق الفكر، ضعيف الحبك في إبراز المعاني واختراعها .

ولكن طه حسين يبدأ بالهجوم على الرافعي .. ويسخر من منهجه في كتاب «تاريخ آداب العرب» فيقول في صحيفة «الجريدة» سنة ١٩١٢م إنه لم يفهم من هذا الكتاب حرفاً واحداً» .



وكما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿٧٨﴾﴾
(سورة الأنبياء) .

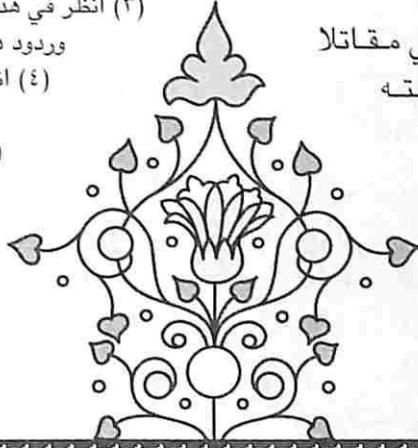
وما أروع الكلمات التي وصف بها الرافعي
«القرآن الكريم» الذي عاش يستروح نسائمه،
ويستظل برأيته، ويدافع عن حقائقه، ويحتمي بآياته
البيّنات . ■

الهوامش:

- (١) مصطفى صادق الرافعي، حياته وأدبه، حسنين حسن مخلوف .
- (٢) ص٣٨٨، تحت راية القرآن للرافعي .
- (٣) انظر في هذا الموضوع «إعادة قراءة القرآن لجاك بيرك»،
ورود د. محمد رجب البيومي، إصدار دار الهلال .
- (٤) انظر ذلك بالتفصيل في كتاب «أصول الشعر
العربي لمرجليوث»، ترجمة د . يحيى الجبوري .
(* يعلق الرافعي قائلًا بين قوسين «يعني
وتكفر»!!!)
- (٥) انظر ص ٣٥٣ - ٣٥٤ تحت راية القرآن .
- (٦) تحت راية القرآن ٣٥٦-٣٥٧ .
- (٧) ص ١٠ تحت راية القرآن .
- (٨) انظر: مصطفى صادق الرافعي، حياته وأدبه،
حسين حسن مخلوف ..

وانطلق الرافعي من هذه المقدمة الحادة
الساخرة إلى التصريح بالهجوم على كتابات د. طه
حسين في تاريخ الأدب قائلًا: «أفلا تسأل نفسك»
لم لم تعجبني كل الفصول التي كتبتها في الأدب
وتاريخه، وأنت تتخبط منذ سنين، وتكتب كل
أسبوع مرة، فإن سألتها فهل تستخرج من ذلك إلا
أن هذه الفصول هي في رأيي خلط مخلوط، تركب
فيها الشطط، ثم تعتسف الطريق، ثم تضع التاريخ
كما تخلقه أنت لا كما خلقه الله، وتصل على
الأموات الذين لا يملكون دفعا ولا ردا ولا حوارا
ولا جوابا»^(١).

وتحت راية القرآن يظل الرافعي مقاتلا
ومدافعا عن قيم الإسلام وثوابته
ومعالمه لا يخشى في الله لومة لائم .
وهذه المعركة ما زالت مستمرة
.. وما زال الفريقان يصولان
ويجولان .. وكل يرفع رأيته -
ويشهر أسلحته ويعلن حجته -
ولكن تبقى كلمة الله هي العليا .



لقد أدى الرافعي رسالة كبرى في معركته الفكرية
الواسعة، دافعا عن اللغة العربية وأصالتها ودافعا عن الإسلام
وقيمه العالية وحضارته الخالدة، وقرر في معظم كتاباته أن
الحل الإسلامي هو الحل الصحيح لمشاكلنا، لكن ما معنى
مؤامرة الصمت التي تقف اليوم إزاء تراث الرافعي العريق،
أهي جزء من المؤامرة الشاملة ضد الإسلام وأهله في هذا العصر؟ أم هي
مخلب من مخالب الغزو الفكري الذي يأبى إلا أن يطمس الحقائق النيرة الباهرة
في تاريخنا الإسلامي المعاصر؟

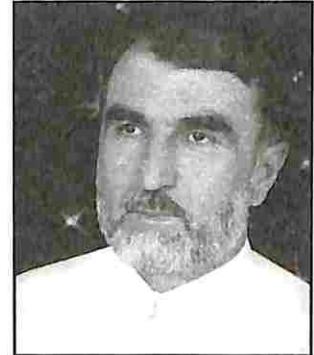
نجيب الكيلاني



من ملامح القصة عند الراجعي

هل يعد الراجعي كاتب قصة في نظر النقاد وأصحاب هذا الفن؟! يبدو أن الجواب: لا، بحسب معايير القصة القصيرة المعاصرة التي تأثرت بمعايير القصة الأوروبية، ورسخت أسسها لدى مبدعيها وكتابها بدءاً من الترجمات ومروراً بالتمصير والتعريب وانتهاءً باستقلالية كتاب هذا الفن. ولقد أجاب الراجعي في الجزء الثالث من وحي القلم بوضوح على هذا السؤال الذي طرح عليه، لا يحتاج القارئ معه إلى تأويل، وذلك في مقاله الذي بعنوان " فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها " (١)، يقول الراجعي: " لم أكتب في القصة إلا قليلاً، إذا أنت أردت الطريقة الكتابية المصطلح على تسميتها بهذا الاسم، ولكنني مع ذلك لا أراني وضعت كل كتبي ومقالاتي إلا في قصة بعينها، هي قصة هذا العقل الذي في رأسي، وهذا القلب الذي بين جنبي... ".

ومع أن الراجعي يميل إلى الإطناب في مقالاته إلا أنه في هذه المقالة الجوابية أوجز إيجازاً كأنه يريد أن يقول للقراء: إن قضية القصة الاصطلاحية محسومة لديه لا مجال فيها للجدل، فهو يوضح قائلاً "وأنا لا أنكر أن في القصة أدباً عالياً، ولكن هذا الأدب العالي في رأبي لا يكون إلا بأخذ الحوادث وتربيتها في الرواية كما يربي الأطفال على أسلوب سواء في العلم والفضيلة، فالقصة من هذه الناحية مدرسة لها قانون مسنون، وطريقة محصنة، وغاية معينة، ولا ينبغي أن يتناولها غير الأفاضل من فلاسفة الفكر..." "وأما من عداهم ممن يحترفون كتابة القصص فهم في الأدب رعا ع وهمج كان من أثر قصصهم ما يتخبط فيه العالم اليوم من فوضى



بقلم: شمس الدين درمشي

الغرائز..^(٢) إذن.. فقد اختار الرافعي أسلوبه في كتابة القصة عن قناعة، وترك أساليب القصة المصطلح عليها رغبة عنها لا عجزاً في أن يأتي بمثلها، بل يمكنه أن يكتب أحسن مما كان يكتبه معاصروه.

وكان الرافعي يجهد في كتابة القصة بطريقته، لأنها تحتاج إلى الفكرة، ثم تقمص هذه الفكرة ومعايشتها، ثم الخوض في أعماق هذه الفكرة، ثم النفاذ إلى ما خلف الفكرة حتى تتكون لديه أفكار متسلسلة ودوائر متداخلة فيخرج بالأعاجيب من اللطائف في التحليل والتصوير والعبارات..

ومن ذلك ما يحكي لنا في قصة "الله أكبر"^(٣) عن طريقته في كتابة القصة ومعاناته في ذلك بما يمكن أن نسميه قصة كتابة القصة لدى الرافعي، يقول: "جلست وقد مضى هزيع من الليل أهيب في نفسي بناء قصة أديرها على فتى كما أحب خبيث داعر، وفتاة كما أحببت.. عذراء متماجنة، كلاهما قد درس وتخرج في ثلاثة معاهد: المدرسة والروايات الغرامية والسيما، وهو مصري مسلم وهي مصرية مسيحية.. ثم يكمل تخيل مسار القصة قائلاً: "وتمضي قصتي في أساليب مختلفة تمتحن بها فنون هذه الفتاة وشهوات هذا الفتى فلا يزال يمشي من حيث لا يصل، ولا تزال تمنعه من حيث لا ترده..." ويتابع موضحاً "ولكن الميلاد في قصتي لا يكون لرذيلة الفتاة بل لفضيلتها..." وتمضي القصة في خيال الكاتب فيقول: "ففي قصتي تدعن الفتاة لصاحبها في يوم قد اعترتها فيه مخافة.." ويصور تخيل الفتاة نتيجة وقوعها في الرذيلة ونشوء الجنين في بطنها، فتتخيل طفلها المسكين يصرخ في أذنها صرخة قبل أن يولد ويلقى في الشارع (الله أكبر) وكان ذلك صوت المؤذن لصلاة الفجر، يقول الرافعي: "ويكرر المؤذن في ختام أذانه الله أكبر.. الله أكبر.. فإذا..".

ويتابع قائلاً: "وتبلك خاطري فوقفت بناء القصة عند هذا الحد ولم أدر كيف يكون جواب: إذا،

فتركت فكري يعمل عمله كما تلهمه الواعية الباطنة ونمت".

وهنا ينتقل من عالم اليقظة إلى عالم الحلم فيدخل المسجد لصلاة العيد، والمسجد يضج بالتكبير، ويحلق الرافعي بالقارئ في شرح معاني الصلاة والتكبيرات ليصل إلى جواب إذا، الذي توقف عنده في اليقظة، ويأتي بذلك على لسان ملك في المسجد فإذا لطمتان على وجه الشيطان فولى مدبراً ولم يعقب، ووضعت الكلمة الإلهية معناها في موضعه من قلب الفتاة فلأيا بلاي ما نجت".

فهل هذه قصة قصيرة بصيرة بمعناها الاصطلاحي أم هي قصة كتابة القصة عند الرافعي؟!

إن قصة "الله أكبر" هذه قد استكملت شروطها من: فكرة البداية، إلى تنامي الحدث، إلى العقدة، إلى لحظة التنوير، ولكنها بأسلوب الرافعي الخاص.

ونحن نجد عند الرافعي عدداً من العناوين تتضمن كلمة (القصة) مثل قصة زواج وفلسفة المهر، وذيل القصة وفلسفة المال، وفلسفة قصة، وقصة أب، وقصة الأيدي المتوضئة، والسطر الأخير من القصة. مما يدل على أن التوجه نحو القصة واضح لدى الرافعي.

قصص الرافعي بين التراث والمعاصرة

تنقسم قصص الرافعي في وحي القلم إلى نوعين:

- ١- قصص مستوحاة من التراث العربي الإسلامي.
- ٢- قصص مستوحاة من الواقع الاجتماعي المصري المعاصر.

وقد عدت في وحي القلم سبع عشرة قصة من التراث، وثلاثاً وعشرين قصة من الواقع المعاصر، ولم أحصها جميعاً. وكل من قصصه التراثية والمعاصرة تنقسم إلى قصة مفردة من حلقة واحدة، وإلى قصة تتألف من حلقتين فأكثر حتى يصل بعضها إلى ثلاث عشرة حلقة، ويأتي في بعض الأحيان بما يسميه تكملة القصة أو ذيل القصة.



ومن أمثلة قصصه من الواقع المعاصر ذات الحلقة الواحدة قصة الأجنبية^(٧) ومثال القصة ذات الحلقات المتعددة قصة الجمال البائس^(٨) وهي من قصة س. أ. ع. ^(٩) وهي تعقيب على مقاله القصصي تربية لؤلئية، ويذيلها بقصة استنوق الجمال^(١٠) ويستكملها هي الأخرى بقصة أرملة الحكومة^(١١).

القصة الرمزية والعناوين المثناة عند الرافي:

نجد عند الرافي عدداً من القصص تميل إلى الرمزية، وذلك باتخاذها عناوين من شخصيات غير إنسانية من عالم الطيور والحيوانات والحشرات أحياناً، مثل قصة اليمامتان^(١٢)، وحديث قطين^(١٣)، وحوار بين خروفين في يوم العيد^(١٤)، والسمكة، وكفر الذبابة^(١٥)، والأخيرة على طريقة ابن المقفع في كليلة ودمنة بفكرتها وأسلوبها ويبدوها قائلاً: " قال

فمن القصص التراثية ذات الحلقة الواحدة قصة اليمامتان^(٤)، وهي تحكي صورة من السماحة في الفتوحات الإسلامية عندما وصل عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر وكانت (أرمانوس) ابنة المقوقس على أهبة الزفاف إلى قسطنطين بن هرقل قيصر الروم، فأكمل عمرو ابن العاص زواجها وزفها بحماية جيش المسلمين، وهي تعجب من هذا الحدث! غير أن عمراً لما أراد الرحيل وجد يمامتين بنتا عشاً على خيمته فترك الخيمة منصوبة حتى لا يفزع اليمامتين، وأمر ألا تطوى حتى تفرخ ويكبر الفراخ . وتتلاقى خيوط القصة في عالم الرحمة الإسلامية في لقاء أرمانوس وقسطنطين من جهة، وتفريخ اليمامتين من جهة أخرى في عش الزوجية معاً!! رحمة شملت عالم الإنسان والحيوان .

ومثال القصة التراثية ذات الحلقات المتعددة قصة السمكة^(٥) وهي من أربع حلقات، ويجعل لها تكملة بقصة أخرى بعنوان دعاة إبليس^(٦).



الله أكبر، وقصة الانتحار^(٣١)، وقصة السمكة، وقصة الشيطان^(٣٢)، وقصة تاريخ يتكلم^(٣٣) والأخيرة تعتمد على آلية الرؤيا كلياً، إذ يصرح في افتتاحيتها قائلاً: " أيعرف القراء أن في الأحلام أحلاماً هي قصص عقلية كاملة الأجزاء، محكمة الوضع، متسعة التركيب، بديعة التأليف، تجعل المرء حين ينام كأنه أسلم نفسه إلى (شركة من الملائكة) تسيح به في عالم عجيب كأنما سحر، فتتحول إلى قصة ؟. إن يكن في القراء من لا يعلم هذا فليعلمه مني، فإنني كثيراً ما أقرأ وأكتب في النوم، وكثيراً ما يلقي علي من بارع الكلام، وكثيراً ما أرى ما لو دونته لعد من الخوارق والمعجزات.

وهذه القصة التي أروها اليوم كانت المعجزة فيها أنني مشيت في التاريخ كما أمشي في طريق ممتدة، فتقدمت إلى أهل سنة ٣٩٥ هجرية وما يليها، فعشت معهم، وتخبرت من أخبارهم، ثم رجعت إلى زمني لأقص ما رأيته على أهل ١٣٥٣ هجرية ". والقصة تعالج مشكلة (الحاكم بأمر الله) في مصر وما جرى على يديه من الظلم في وقته حتى ادعى الألوهية، وكان ولوعاً بالنساء ففكرت أخته (ست الملك) والأمير سيف الدين في قتله، ويكون الرافعي في مستشاريها، فيقول في خاتمة القصة وهي ما نسميها بلحظة التنوير: " ورأيت أني اجتمعت بهما

وخضع يخضع، والمعجم السياسي، وسر القبعة.. إلى آخر ذلك.

ووضع بعض قصصه لمعان دينية خاصة مثل قرآن الفجر^(٣٥)، وقصة الأيدي المتوضئة^(٣٦) ويعنى فيها بقضية صلاة الجمعة وخطبائها وعلاقتها بحياة الأمة، وفي فلسفة قصة^(٣٧) يحكي زهاب الرسول ﷺ إلى الطائف وما تعرض له من الأذى، وبعدها مباشرة قصة فوق الآدمية الإسراء والمعراج^(٣٨) وهي متصلة بما قبلها .

وللرافعي قصص ذات مضمون أدبي فكاهي مثل قصة المجنون في سبع حلقات، وهما مجنونان يقيم الرافعي بينه وبينهما حوارات طويلة يضع فيها كثيراً من النوادر، ويوضح ذلك قائلاً: " ويا ربما جاء من النوادر في اجتماع مجنونين ما لا يأتي مثله من عقليين يجتمعان على ابتكاره، غير أنني خشيت أن أكون أنا المجنون الثالث بينهما، ثم لا آمن أن يثب أحدهما بالآخر إذا خطرت به الخطرة من شيطانه، فرأيت أن يكون لي ظهير عليهما...، وكان إلى قريب مني الصديق - أ. ش - فأرسلت في طلبه"^(٣٩).

قصص الرافعي وعالم الرؤى والأحلام

يعتمد الرافعي الرؤى والأحلام في عدد من قصصه التاريخية والمعاصرة مما يشكل ظاهرة أسلوبية في آلية الكتابة لديه . ويلجأ إلى هذا الأسلوب في سير الأحداث في القصة لتشكيل العقدة وحلها، فيعطي القارئ متعة المفاجأة لأنه يأتي بالغرائب في الأحلام والرؤى مما لا ينكره القارئ عقلاً، ولا الناقد منطقياً في تسلسل الأحداث، وخصوصاً عندما يريد أن يتحدث عن عالم الآخرة، وعن الشيطان، وعن الملك .

وقد شكلت كلمة الرؤيا أو الأحلام بعض عناوين قصصه في الجزء الأول مثل أحلام في الشارع، وأحلام في قصر، ورؤيا في السماء . ومن القصص التي تشكل الرؤيا جزءاً مهماً في تكوينها بنته الصغيرة^(٣٠) وهي قصة توبة مالك بن دينار، وقصة

وفي قصة السمكة وما تتلوها من قصص الزاهدان^(٣٤)، وإبليس يعلم^(٣٥)، والدنيا والدرهم^(٣٦)، ودعابة إبليس فهي مجموعة واحدة تبدأ جميعاً بـ "حدث أحمد بن مسكين الفقيه البغدادي" أو "قال أحمد بن مسكين" ...

التعليق على القصص بعد لحظة التنوير:

.. وذلك أن القارئ يشعر بانتهاء القصة، لكن الكاتب لا يتركه، بل يذيل قصته بالتعليق على الفكرة التي يريد أن يوصلها إلى القارئ فيستمر في الحديث قليلاً أو كثيراً، وربما صرح بذلك بعبارات واضحة، وهي ظاهرة مقصودة هادفة ناشئة أساساً من عدم اقتناع الرافعي بأسلوب القصة الاصطلاحية كما ذكر في مقاله "لماذا لا أكتب القصة"، ومن اختيار طريقته الخاصة في بناء القصة وسردها المتأثر أساساً بالتراث القصصي العربي الإسلامي، وتجنبه أساليب الآداب الأوروبية المترجمة شكلاً ومضموناً، ولعله من هنا وقع هذا الانفصال بينه وبين نقاد القصة الذين لا يرون ما يكتبه الرافعي قصة فنية، ويصنفون كتاباته في وحي القلم جميعاً في المقالات. غير أن بعض هذه التذييلات أقرب إلى الدعابة وليس فيها ما يخص فكرة القصة نفسها. ومن أمثلة هذه النهايات:

في قصة الدرهم والدينار من أحاديث أحمد ابن مسكين تنتهي القصة بقول عمر رضي الله عنه حين سأل عن رجل: "قال عمر: أظنك رأيت قائماً بالمسجد يهيمهم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى؟ قال: نعم. قال: اذهب فلست تعرفه". فيتابع الكاتب التعليق على معنى التاجر والدرهم والدينار في أحد عشر سطراً آخرها قوله: "هذا هو الإسلام الذي غلب الأمم لأنه قبل ذلك غلب النفس والطبيعة"^(٣٧). وهذه النهاية مما لها علاقة في تعزيز الفكرة والهدف من القصة.

ومن النهايات التي هي أقرب للدعابة قوله في نهاية أحاديث الباشا: "اعتذار: بهذا المقال انتهت

واطمأنا إلى فأخذنا ندير الرأي، قالت الأميرة لسيف الدين فيما قالت: والرأي عندي أن تتبعه غلمانا يقتلونه إذا خرج في غد إلى جبل المقطم، فإنه ينفرد بنفسه هناك.

فقلت أنا: ليس هذا بالرأي ولا بالتدبير!

قالت: فما الرأي والتدبير عندك؟

قلت: إن لنا علماً يسمونه علم النفس، لم يقع لعلمائكم، وقد صبح عندي من هذا العلم أن الرجل طائش الغريزة مجنونها، وأن الأشعة اللطيفة الساحرة التي تنبعث من جسم المرأة هي التي تنفجر في مخه مرة بعد مرة، فإذا خبت هذه الأشعة وبطلت الغريزة بطلت دواعي أعماله الخبيثة كلها... فإذا...

قال الأمير: فإذا ماذا؟

قلت: فإذا خصي...

فضحكت ست الملك ضحكة رنت رنيناً !!

قلت: نعم فإذا خصي هذا الحاكم...

فغلبها الضحك أكثر من الأول، ورمت بمنديل لطيف كان في يدها أصاب وجهي، فانتبهت وأنا أقول: نعم إذا خصي هذا الحاكم... . ونجد مثل هذا في مواضع أخرى من قصصه .

شخصية الراوي في قصص الرافعي

يبدأ الرافعي معظم قصصه، أو يدخل فيها شخصية "الراوي" مثل قصة الطائشة التي تبدأ بـ "قال صاحبها وهو يحدثني بحديثها"، وفي قصة الجمال البائس يستخدم عبارة "قال الراوي"، وفي قصة المشكلة يبدأ بـ "قالت لي صاحبة الجمال البائس فيما قالت: " وهذه قصص من الواقع المعاصر. أما قصصه التاريخية فإن من طبيعتها ترشحها لأن تبدأ بأسلوب قال، وحدث، مما يناسب أسلوب العصر الذي يسرد قصصه مثل قصة الانتحار في ست حلقات تبدأ بـ "حدث المسيب بن رافع الكوفي قال: " في الحلقة الأولى ثم تليها الحلقات الأخرى بـ "قال المسيب بن رافع".



قصة في اللهب ولا تحترق^(٣٨) من المتناقضات التي يقدمها الرافعي في الحياة، وصورة من صراع الخير والشر في النفس الواحدة، إذ يحكي فيها قصة فتاة تعمل راقصة في الليل حتى إذا طلع الفجر وانصرف الناس عنها أقبلت تصلي؟! والرافعي نفسه يعجب مما يقدمه لنا، ويثير سؤال الاستغراب فينا، فيبدأ قصته بهذا السؤال: "أفي الممكن هذا؟" ويختتم قصته قائلاً: "تختنق بالرقص وتنتعش بالصلاة، وفي كل يوم تختنق وتنتعش، ولكنني لا أزال أقول: أفي الممكن هذا؟ أفي المترادف شرعاً: رقصت وصلت؟" والشاهد في القصة هنا ليس هو هذا النزاع النفسي والصراع بين الخير والشر داخل الإنسان، إنما هو أسلوب الرافعي في عرض قصة هذه الفتاة التي تكون في مظهرها بين طرفي نقيضين حين ترقص وحين تصلي، فهولا يتجاوز كلمات قليلة في وصفها الحسي بعيداً عن الإثارة الجنسية الغريزية .

معركة الرافعي مع إبليس .

خاض الرافعي معارك متعددة في الأدب والفكر، كتب عنها الكثير، ولكن معركته مع إبليس لم يكتب عنها أحد . ويعطي الرافعي في قصصه مساحة

أحاديث الباشا، فقد أنبأنا صاحب السر أنه سيكتب السر! " (٣٨).

وفي نهاية قصة المجنون يقول: " والرواية الآن؟ رواية عربية الإسعاف" (٣٩) . ولم أجد في وحي القلم عنواناً عن رواية عربية الإسعاف. ولكنه يذكر عربية الإسعاف في قصة أحلام في الشارع ، وربما كان ينوي كتابة قصة مستقلة عنها فلم يفعل!!

أما قصة صاحب القلب المسكين فقد ذيلها الرافعي بهذه الفقرة: " جائزة ! لمن يحكم كتابة الحكم في هذه القضية خمس نسخ من كتاب وحي القلم، وترسل المقالات باسمنا إلى طنطا، والموعود آخر شهر يناير هذا، والشروط رضا المحكمين ومنهم صاحب القلب المسكين وصاحبته" (٤٠).

العناية بالمعاني النفسية وإغفال الأوصاف الحسية .

من أبرز مظاهر كتابة القصة عند الرافعي عنايته بالمعاني النفسية، وتدقيقها ومتابعتها والاستطراد فيها، وهو مقابل ذلك يغفل العناية بالأوصاف الحسية لشخصيات قصصه، وخصوصاً تلك القصص الاجتماعية التي تكون فيها المرأة شخصية رئيسة، وكأنه قصد إلى ذلك قصداً ليعطي صورة مخالفة تماماً لظاهرة العناية بالوصف الحسي إلى درجة إثارة الغريزة الجنسية لدى القارئ مما هو معروف في القصة المعاصرة لدى معظم الكتاب، فإن قصصاً مثل أحلام في قصر، وبنات الباشا، والطائشة، والجمال البائس، والمشكلة، تعد المرأة الشابة الشخصية الرئيسية فيها، ومثل هذه القصص مرتع خصب للوصف الجسدي وإبراز المفاتن وإثارة الغرائز، لكن الرافعي يتجنب كل ذلك مركزاً على الهدف السامي من قصصه، وهو توجيه المجتمع إلى الخير وتجنبيه الرذائل .

ولا شك أنه يتخذ القصة القرآنية مثله الأعلى في هذا حتى إنه يشرح في قصة " سمو الحب " آية : ﴿ وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ... ﴾ (٢٢) (سورة يوسف)، ويطليل الوقوف في معانيها وأسرارها. وتعد



واسعة للمعركة مع إبليس أو الشيطان، وسمى عدداً من قصصه بهذا الاسم مباشرة مثل: إبليس يعلم، ودعابة إبليس، والشيطان، وشيطان وشيطانة^(٤٢) بالإضافة إلى تعرضه لدور الشيطان في قصص عديدة خلال أحاديث النفس والوساوس . وفي مقابل ذلك يحاول إقامة ما يشبه معادلة في الصراع داخل النفس فيستعين بشخصية الملك في مواضع عدة ليقوي جانب الخير، ومن ذلك ما مر ذكره في قصة الله أكبر عندما أغلق عليه جواب (إذا) فاستكمله من الملك في المنام، إذ يقول له الملك: " فإذا لطمتان في وجه الشيطان فولى مدبراً ولم يعقب.." ^(٤٣)، وتعد قصة إبليس يعلم في الحلقة الثالثة من قصة السمكة التي يرويها أحمد بن مسكين إحدى أشد معاركه ضراوة مع إبليس وتأتي نهايتها كالاتي: " قال أحمد بن مسكين: وغضب الشيخ، فمد يده فأخذ فيها عنق إبليس، وقد رآه دقيقاً، ثم عصره عصراً شديداً يريد خنقه، ففقهه الشيطان ساخراً منه . ويتنبه الشيخ، فإذا هو يشد بيده اليمنى على يده اليسرى".

إدخال العامية في بعض القصص

من المتفق عليه أن الرافعي كان المدافع الأول عن العربية الفصحى ضد دعاة العامية والتغريب، وقد تميز بأسلوبه العربي الأصيل، ومع ذلك نجده في كتابه وحي القلم يدخل العامية في قصتين من قصصه، مما يجعل القارئ يتساءل عن الدافع لذلك! الأولى في قصة بنت الباشا، والتي فقدت سعادتها لأنها أجبرت على التخلي عن الشاب المتعلم الفقير الذي أحبته وأحبها، وأجبرت على الزواج من ابن أسرة غنية شقيقت معه، وكان خلف قصرها منزل زبال راض بحياته، فإذا أوى إلى منزله ليلا رفع صوته بالغناء:

يا ليل يا ليل يا ليل !
القلب أهو راضي
من الهموم فاضي
ما تنجلي يا ليل
لك حمدي يا ربي
أفرح لي يا قلبي

ويمضي الرجل الفقير في غناء زجله بالعامية، فتزداد بنت الباشا الغنية شقاء على شقانها.

والقصة الأخرى هي بعنوان السطر الأخير من القصة^(٤٤) وهي قصة طفل سرق علبة كبريت من دكان القرية، فقبض عليه وسلمته الشرطة إلى المحكمة، ومع أنهم استردوا علبة الكبريت، فقد حكم عليه القاضي بالسجن ستة أشهر يقضيها في إصلاحية الأحداث، ليخرج منها مجرماً محترفاً سيق إلى الإعدام بعد سنوات، لأن الإصلاحية لم تصلحه، بل أفسدته! وفي المحكمة يجري الرافعي حواراً بالعامية بين القاضي والطفل المتهم .

فما الذي دفع الرافعي إلى إدخال العامية في هاتين القصتين ؟

قد يقول قائل: ما كان للرافعي إلا أن يقدم زجلاً بالعامية على لسان الزبال، وحواراً بالعامية على لسان الطفل مراعاة للواقع . ولكن الرافعي يعرض في قصصه إلى حالات كثيرة مثل هذه ولا يلجأ إلى العامية، ويقدم حوارات بالفصحى بين الأطفال، ومع شخصيات مماثلة للزبال، ففي قصة الطفولتان، وفي قصة عربة اللقطاء^(٤٥) ينشئ حوارات بين الأطفال تدور بالفصحى، وكذلك يتحاور الحوذي الذي يسوق العربة مع صديقه أبي هاشم ، ولم يحتج الرافعي إلى العامية لمجاراة الواقع، وهذا نموذج للحوار الفصيح بين طفل إلى جانب أمه مع آخر لقيط:

- أنتم جميعاً أولاد هاتين المرأتين أم إحداهما ؟
- قال اللقيط : هما المراقبتان، وأنت أفليست هذه التي معك مراقبة ؟
- قال الطفل : ما معنى مراقبة ؟! هذه ماما .
- قال اللقيط : فما معنى ماما ؟ هذه مراقبة !!
- قال الطفل : وكلكم أهل دار واحدة ؟
- قال اللقيط : نحن في الملجأ، ومتى كبرنا أخذونا إلى دورنا .

وهنا أتساءل : هل اصطنع الرافعي العامية في هاتين القصتين ليقول لكتاب القصة بالعامية : إن ما



٢- قصص تظهر عليها طابع المقال .
 ٤- مقالات يدخل فيها بعض أساليب القصة .
 ٥- المقالات التي تتوافر فيها الشروط الفنية المعاصرة للمقالة، وهي مبثوثة في الجزئين الأول والثاني، وتغلب على الجزء الثالث من وحي القلم، وخصوصا النصف الثاني منه، في مقالاته الأدبية والنقدية في إسماعيل صبري، وحافظ إبراهيم وأحمد شوقي وعلي محمود طه .. وغير ذلك .
 وأمل أن يقوم بعض الدارسين في تناول القصة عند الرافعي في رسالة جامعية لتسجيل ملامحها، ومضامينها، وأهدافها، وأن ينقدها ليس بميزان النقد الحديث فحسب، بل من خلال ما اختاره الرافعي لنفسه من رؤية خاصة في القصة أيضا . ■

يتباهون به من أساليب ليس بشيء، بل هي من أيسر ما يمكن الكتابة به، ولكن له طريقا آخر، وغاية أخرى يمضي فيها ليصل إليها ! .

وبعد :

فإن موضوعات " وحي القلم " على خمسة أقسام، وهي :

١- قصص تتحقق فيها الشروط الفنية للقصة بمقاييسها الاصطلاحية المعاصرة، وهي قليلة لديه كما ذكر هو نفسه في مقاله : لماذا لا أكتب القصة ؟ .

٢- قصص من التراث، وهذه لا تلتزم بالمقاييس الفنية المعاصرة للقصة . وهي لاتقل جمالا عن القصة المعاصرة .

الهوامش:

- | | | | |
|---------------------|---------------------|---------------------|---|
| (١٠) السابق ، ١٩٩/١ | (٢٢) السابق ، ١٤١/١ | (٣٤) السابق ، ١٦١/٢ | (١) وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، طبعة جديدة ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ٢٤٣/٣ . |
| (١١) السابق ، ٢٠٦/١ | (٢٣) السابق ، ٩٣/١ | (٣٥) السابق ، ١٦٧/٢ | (٢) السابق ، ٢٤٤/٣ |
| (١٢) السابق ، ٦١/١ | (٢٤) السابق ، ٢٤٦/٢ | (٣٦) السابق ، ١٧٤/٢ | (٣) السابق ، ٣٠٠/١ |
| (١٣) السابق ، ٤٤/١ | (٢٥) السابق ، ٢٥/٣ | (٣٧) السابق ، ١٧٩/٢ | (٤) السابق ، ١٢/١ |
| (١٤) السابق ، ٥١/١ | (٢٦) السابق ، ٢٢٩/٢ | (٣٨) السابق ، ٢٩٨/٢ | (٥) السابق ، ١٥٢/٢ |
| (١٥) السابق ، ٢٠٧/٢ | (٢٧) السابق ، ٢٣/٣ | (٣٩) السابق ، ٣٤٧/٢ | (٦) السابق ، ١٨٠/٢ |
| (١٦) السابق ، ٥٤/٣ | (٢٨) السابق ، ٢٩/٢ | (٤٠) السابق ، ١٤٧/٣ | (٧) السابق ، ٢٣٧/١ |
| (١٧) السابق ، ١٢٤/١ | (٢٩) السابق ، ٣٠٦/٢ | (٤١) السابق ، ٣٠٧/١ | (٨) السابق ، ٢٥١/١ |
| (١٨) السابق ، ٢٩٩/٢ | (٣٠) السابق ، ٢٢١/١ | (٤٢) السابق ، ١٥٦/٣ | (٩) السابق ، ١٩١/١ |
| (١٩) السابق ، ٣١٣/١ | (٣١) السابق ، ٨٢/١ | (٤٣) السابق ، ٣٠٥/١ | |
| (٢٠) السابق ، ١٥١/١ | (٣٢) السابق ، ١٨٧/٢ | (٤٤) السابق ، ٧٨/٣ | |
| (٢١) السابق ، ٨٢/١ | (٣٣) السابق ، ١٩٧/٢ | (٤٥) السابق ، ٢٩٢/١ | |

رب بالإسلام قد هديتني رب من نورك قد آتيتني
 فعلي العهد ما أحييتني أحرس الكنز الذي وهبتني
 أو أموت دونه موت البطل ثابتا أحيأ بقلب من جبل
 نيرا أحيأ بروح من شعل جاهدا أحيأ بجسم من عمل

ساعيا بالخير مضرب المثل

مصطفى صادق الرافعي

الشاعر والمتلقي

في كتاب وحي القلم للرافعي

إننا عندما ننظر في الخطاب النقدي العربي منه والغربي نجد أن اهتمام النقاد انصب على مجموعة من العناصر ومنها: الشاعر والشعر والمتلقي. كما تحدث هؤلاء النقاد عن رسالة الشعر وعن الآثار التي يخلفها في الناس وغير ذلك مما يتصل بالعمل الإبداعي. وما اختلاف النقاد والمناهج النقدية إلا باختلاف اعتماد كل واحد منها على عنصر دون الآخر. أو الجمع بين بعضها في بعض الأحيان. ونريد في هذا البحث أن نتحدث عن الشاعر وجمال شعره وعن المتلقي كما يعالجها مصطفى صادق الرافعي في كتابه " وحي القلم ". ونشير في البداية إلى أن هذه العناصر كلها استأثرت باهتمام هذا الناقد باعتبار أنه يرى أن جمال الشعر في آخر المطاف مبني على تلاحم هذه العناصر كلها دون إهمال عنصر منها. ولعل فشل بعض المناهج النقدية في الإلمام بكل عناصر العملية الإبداعية أت من تركيزها على عنصر واحد في نقد العمل الإبداعي وإهمال العناصر الأخرى. ورحلتنا مع كتاب " وحي القلم " تبتدئ بالحديث عن الشاعر. فكيف نظر الرافعي إلى الشاعر في كتابه هذا؟



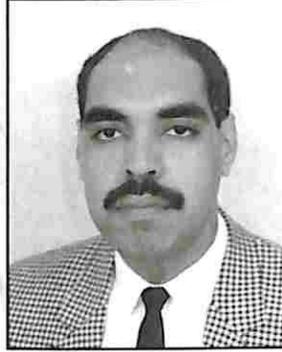


إن العاطفة من العناصر التي تدخل في قدرات الشاعر باعتبار أنها تكون لديه متأججة متحركة حية. وهو بذلك يجمع ما تفرق في نفوس أخرى ويضم كثيرا مما انطوت عليه أعمار آخرين.

ومن هنا حق له أن يكون نبعاً إنسانياً يمد الناس بشعره المشتغل على هذه العواطف في كل أغراض الشعر ومواضيعه، وأشار الرافعي في هذا النص إلى عنصر آخر من أهم عناصر قوة الشاعر وهو الإحساس. ومما لاشك فيه أنه مرهف لدى الشاعر متميز برقته. وبذلك يكون بمثابة المرآة التي تعكس ما تكون عليه أحوال الناس في مجالات عدة.

ومن هنا يكون الناس في ميسر الحاجة إلى الشاعر لأنه يرشدهم بعاطفته وعشقه وإحساسه إلى ما لم يروه في الطبيعة وفي أنفسهم. ويعمل هذا الإحساس الرقيق لدى الشاعر المؤمن في مجالين: فهو بمثابة المنبه للناس إذا زاغوا عن الطريق أو أرادوا إفساد الجمال المبتوث فيهم وفيما حولهم. كما أنه يستشعر صور الجمال التي قدمها الناس في كل المجالات ويهيب بهم أن يحافظوا عليها ويستمروا في إبداعها.

ويعد لنا مصطفى صادق الرافعي مؤهلات أخرى لدى الشاعر حيث يقول: "هناك قُوى روحية لإدراك الجمال وخلقه في الأشياء خلقاً هو روح الشعر وروح فنه، وقوى أخرى لصلة العواطف بالفكر صلة هي سر الشعر وسر فنه، وقوى غير هذه وتلك لتحويل ما يخالج النفس الشاعرة تحويل المبالغة التي هي قوة الشعر وقوة فنه؛ وبمجموع هذه القُوى كلُّها تمتاز روح الشاعر من غير الشاعر^(٤).



بقلم: د. إسماعيل علوي
المغرب

إن الحديث عن الشاعر من الأمور الضرورية في النقد الأدبي لأن الشاعر هو منبع الشعر. ومن ثم كان الحديث عن حياته وظروفه وطبعه وأخلاقه وبيئته وغير ذلك.

وقد اهتم المنهج التاريخي بهذا المنحى وامتد منه بعض الغربيين: "سانت بوف" و"هيولي تين" و"لانسون" وإذا نظرنا إلى الأدب العربي نجد أن "المنهج التاريخي نما نموا عظيماً، فهذه دراسات جورج

زيدان وأحمد الإسكندري والشيخ المهدي تبدأ الطريق... فقد أخذت تدرس عصور الأدب... وتدرس شيئاً عن الشخصيات... أما أول مؤلف سلك هذا المنهج سلوكاً حقيقياً فهو الدكتور طه حسين في كتابه الأول "ذكرى أبي العلاء...^(١).

وإذا كان لهذا المنهج جوانبه القوية فإن له جوانب سلبية كذلك لإغفاله للنص ومتلقيه. وقد اهتم مصطفى صادق الرافعي بدوره بالشاعر في عدة مستويات تتناول مؤهلاته وما امتلكه من قدرات.

وقد عد هذا الناقد الشاعر ذلك الإنسان الذي يتوافر على مؤهلات ليست لغيره من الناس. فهو يرى الأشياء بطريقة مختلفة تمكنه من الغوص في أغوارها واكتناه أسرارها. وذلك لأنه: "يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص وفيهما غزل على حدة"^(٢).

ويحدثنا الرافعي كذلك عما يمتلكه الشاعر من مؤهلات في قوله: "والإنسان من الناس يعيش في عمر واحد، ولكن الشاعر يبدو كأنه في أعمار كثيرة من عواطفه، وكأنما ينطوي على نفوس مختلفة تجمع الإنسانية من أطرافها. وبذلك خلق ليفيض من هذه الحياة على الدنيا، كأنما هو نبع إنساني للإحساس يغترف الناس منه"^(٣).

* جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة.

غيره لأنه "أختط لنفسه طريق العقل".^(٨) وبه تتهدب النفس وتستقيم وتهتدي إلى كل فن جميل وكيف لا "ونفس الشاعر العظيم تكاد تكون حاسة من حواس الكون"^(٩).

ولا شك في أن مصطفى صادق الرافعي حديثه عن الشاعر وتعداد مؤهلاته يجعلنا ندرك مدى أهمية الاهتمام بهذا العنصر في العمل الإبداعي.

ومن جملة ما سطره هذا الناقد إزاء الشاعر حديثه عن موهبته فقال: "فأمثل الطرق في نقد موهبة الشاعر إدراكها بالروح الشعرية القوية من ناحية إحساسها والنفاذ إلى بصيرتها، واكتناه مقادير الإلهام فيها، وتأمل آثارها في الجمال، وتدبر طبيعتها الموسيقية في الحس والفهم والتعبير".^(١٠)

ونرى كيف أن الموهبة من خلال ما اجتمع لها في هذا النص هي أساس العمل الشعري والمهراز الذي به نقيس قدرة الشاعر على الإبداع ومدى استعداده لدخول عالم الشعر.

ومما يحسب للرافعي أنه لم يكتف بتناول الشاعر بذكر حياته وظروفه لأنه يدرك بأن "الشاعر لم يكن شاعرا بأنه رجل من الناس وحي من الأحياء وعمر من الحوادث المؤرخة ولكن بموضعه من أسرار الحياة وصلة نفسه بها وقدرة هذه النفس على أن تنفذ إلى حقائق الطبيعة في كائناتها عامة".^(١١)

ولم يكن نقده مرتبطا بالشاعر فقط بل كان يعتمد طريقة تولي الاهتمام للشاعر وللشعر معا فقال: "وطريقتنا نحن في نقد الشعر تقوم على ركنين: البحث في موهبة الشاعر وهذا يتناول نفسه وإلهامه وحوادثه، والبحث في فنه البياني، وهو يتناول ألفاظه وسبكه وطريقته وسنقول فيهما معا".^(١٢)

ويعد هذا النص مدخلا إلى الحديث عن العنصر الثاني في هذا البحث وهو الشعر. فماذا عن الشعر عند الرافعي؟

فهناك مجموعة من القوى يمتاز بها الشاعر، وبها يُعرف. وفي كل هذه القوى بعد روعي يكون بمثابة الطاقة التي تجمع وتوحد بين الفكر والعاطفة وبين النفس والعقل فيكون الإبداع عبارة عن شحنة قذفت في كيان الشاعر فتولد الشعر.

وقد تحدث الرافعي في مقاله "سر النبوغ في الأدب" عن جهاز التوليد لدى العباقرة والمبدعين. وقوامه هو جماع ما ذكر من مؤهلات سابقة. ومن هنا يتبين لنا اهتمام هذا الناقد بالشاعر الذي يتأثر سلبا وإيجابا بمحيطه ولكنه يفوقهم بما حباه الله به من قدرات.

ومما نُذكر في سياق الحديث عن مؤهلات الشاعر قوله: "ولهذا تمتاز قريحة الشاعر بقدرتها على خلق الألوان النفسية التي تصبغ كل شيء وتلوّنه لإظهار حقائقه ودقائقه".^(١٣)

إن القريحة من أهم ما يمتاز به الشاعر ويتفوق به عن غيره وذلك لأنها تخلق الألوان النفسية وهذا هو جوهر الشعر حيث إن الشاعر العظيم هو من يتمكن من خلق هذه الألوان. وخلقها يرتبط أيضا بما سبقت الإشارة إليه من إحساس وشعور متوقد عنده.

ويحدثنا الرافعي عن الشاعر بكونه ذلك الإنسان الذي يستطيع محاورة كل أشياء الطبيعة وتكليمها واستخراج جمالها. إذ يقول: "فكل شيء تعاوره الناس من أشياء هذه الدنيا فهو إنما يعطيهم مادته في هيئته الصامتة، حتى إذا انتهى إلى الشاعر أعطاه هذه المادة في صورتها المتكلمة".^(١٤)

وإذا كان الشاعر يتوافر على هذه المكونات المتصلة بالقلب والإحساس والشعور فإنه كذلك "يفكر بعقله".^(١٥) وبهذا يكون شعوره وعواطفه موجهة توجيهها لطيفا بالعقل حتى لا يزيغ إلى الأوهام والترهات. ولا يخفى علينا مدى اهتمام الرافعي بالعقل سواء في هذا المقام أم في



المادة الحلوة للذوق والشعور".^(١٥) كما أن الشعر عند هذا الرجل "فكر ينبض وعاطفة تخرج".^(١٦)

ولا ننسى نصيب العقل في صنع الشعر

كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الحديث عن الشاعر. وبهذا ليست الأفكار ولا الحقائق هي الشعر عند صاحب وحي القلم وإنما الشعر هو ما يضيفه عليها من رونق وبهاء وجمال.

وهذه العناصر المذكورة هي المسؤولة عن جمال الشعر عند الرافعي. وهناك أمور أخرى تصب في هذا المنحى وتكشف لنا عن فهم الرافعي للجمال إذ يقول: "يقف الشاعر بإزاء جمال الطبيعة، فلا يملك إلا أن يتدفق ويهتز ويضطرب. لأن السر الذي انبثق هنا في الأرض، يريد أن ينبثق هناك في النفس".

والشاعر نبي هذه الديانة الرقيقة التي من شريعتها إصلاح الناس بالجمال والخير.^(١٧) يتحدث هذا النص عن جمال الطبيعة وعن انفعال الشاعر بذلك وتدفعه بالشعر. وهذا أمر ضروري لكل شاعر وأمانة على الفعل الشعري عنده. وما الطرب والاهتزاز إلا بفعل ما حركته الطبيعة من تجليات الجمال. وبهذا تكون الطبيعة هي المحرك لقول الشعر الجميل بما بثه الله تعالى في الإنسان من قوى نفسية وعقلية تستلهم الجمال من الطبيعة، لأن الطبيعة ليست جميلة إلا بالشعر.^(١٨)

ويحدثنا الرافعي هنا عن وظيفة هامة لهذا الجمال المبتوث في الطبيعة وفي نفس الشاعر ألا وهي الإصلاح. فيكون الشعر بجماله وسيلة لفعل الخير وتثبيت الجمال. ومما يبين لنا اهتمام هذا الناقد بالجمال في الشعر أنه جعله مقياساً لنقد الشعر ونقد الأدب بصفة عامة في كتابه

● طريقنا في نقد الشعر يقوم على ركنين: البحث في موهبة الشاعر ثم في قلمه البياني.

إذا كان الرافعي يقدم خطاباً نقدياً إزاء الشعر، فلأنه شاعر من الشعراء الذين دفعوا إلى مضايق الشعر ومارسوه. ولسنا هنا بصدد تقويم عمله

الشعري ولكننا نود أن نشير إلى أن هذا الناقد يقول "لا ينبغي أن يعرض لنقد الشاعر والكلام عنه إلا شاعر يكون ذا طبيعة في النقد، أو كاتب عظيم يكون ذا طبيعة في الشعر".^(١٣)

وهذا النص بالذات يعطي المشروعية للرافعي لممارسة النقد الأدبي. فكيف تمت معالجته للشعر؟ قبل أن نتحدث عن اهتمام الرافعي بالشعر نشير إلى أن هنالك مدارس نقدية اهتمت بالنص الشعري ونظرت فيه من داخله سواء عند العرب أم عند الغرب وما تقدمه البنيوية في هذا الصدد دليل على ذلك. ولا يسمح المقام هنا بالتفصيل في هذا المجال.

وإننا بالنظر إلى "وحي القلم" نجد أن هذا الناقد يهتم بالنص الشعري ويعالجه في مستويين الأول منهما خاص وهو ما يبدعه الشاعر من شعر وهذا ما أقره النص السابق من حيث تناول الفن البياني من ألفاظ وسبك وغير ذلك. وثانيهما عام وهو الذي ينظر فيه إلى الإبداع الشعري في مستوى آخر. وسنبتدئ بالحديث عن المستوى الأول:

المستوى الأول:

يعرف الرافعي أن الشعر يشتمل على جملة من المقومات الفنية والأبعاد المعنوية التي تجعل منه شعراً. فهناك الصور الشعرية والأوزان وكل ما يكون الجانب الموسيقي بالإضافة إلى "جو اللغة البيانية، فالبيان إنما هو أشعة معاني القصيدة".^(١٤) كما أشار إلى الخيال الذي يكون بمثابة "نحلة من النحل تلم بالأشياء لتبدع فيها

الأمة من حيث الأفكار والحكم. وهذا المجال من أصعب المجالات التي تُبدع فيه الأمة. وعلى هذا الأساس كانت قيمة الشاعر مرتفعة.

وإلى جانب ما ذكر يشير الرافعي إلى أن الشعر في "أسرار الأشياء لا في الأشياء ذاتها".^(٢٣) كما أنه "فكرة الوجود في الإنسان وفكرة الإنسان في الوجود"^(٢٤). وكل هذه الأمور تحيلنا إلى مفهوم الجمال في الشعر كما يراه الرافعي.

المستوى الثالث:

أضحى الاهتمام بالمتلقي بيّنا في الخطاب النقدي المعاصر، حيث إن هنالك إعادة الاعتبار إلى هذا العنصر الذي عانى من الإقصاء عند كثير من النقاد السابقين. ولهذا الاهتمام قيمته لأن المتلقي عنصر فاعل وضروري لحياة الشعر والأدب عامة.

ونجد أن مصطفى صادق الرافعي لم يقف عند تناول الشاعر والشعر فقط وإنما اهتم بالمتلقي كذلك. والعلاقة بين الشاعر - والأديب بصفة عامة - وبين المتلقي أمر أكد لأن الأديب "كأنه خلق ليتلقى الحقيقة ويعطيها للناس ويزيدهم فيها الشعور بجمالها الفني".^(٢٥) فعن طريق الأديب يتم التعرف إلى الجمال الكامن في الكون.

والمتلقي عند ناقدنا إما أن يكون ناقدًا للشعر عارفاً بمكوناته الفنية وقيمه المعنوية وإما أن يكون من عامة الناس. يقول الرافعي عن المتلقي الناقد "والشاعر والناقد يلتقيان جميعاً في القارئ فوجب من ثم أن يكون الناقد قوة تكشف قوة مثلها أو دونها ليُصحَّحَ فنُّه أو يقره أو يزيد عليه فضل بيان ومزية فكر".^(٢٦)

وهو إذ يتحدث عن المتلقي الناقد فإنه يشير إلى أنه "لا يراد من النقد أن يكون الشاعر وشعره مادة إنشاء، بل مادة حساب مقدر بحقائق معينة لا بد منها. فنقد الشعر هو في الحقيقة علم حساب الشعر".^(٢٧) وقد انتقد الرافعي المتلقي الذي يقف

قيد الدرس حيث إنه يقول عن الأديب إن "الأصل في عمله الفني ألا يبحث في الشيء نفسه، ولكن في البديع منه، وألا ينظر إلى وجوده، بل إلى سره، ولا يعنى بتركيبه، بل بالجمال في تركيبه".^(٢٨)

فهو يدعو إلى الاهتمام بالجمال ويرتكز عليه أثناء نقده للشعر. وعلى هذا الأساس يقول عن الشاعر عبد المجيد محمود أبو الوالوفا: "مذهبه الجمال في المعنى يبدعه كأنما يزهر به، والجمال في الصورة يخرجها من بيانه كما تخرج الغصون والأوراق من شجرتها".^(٢٩)

وكان الرافعي ينبهر بالجمال الفني في كل تجلياته حيث إنه قال عن المتنبّي "ولكن حكمته الإنسانية ودقة أوصافه وإقامته الفضائل والذائل في كمالها الفني مقام تماثيل بارعة من الجمال، كل ذلك ترك شعره مستمرا باستمرار الحياة وباستمرار الإنسانية وباستمرار الذوق".^(٣٠)

المستوى الثاني:

هنالك مستوى آخر تحدث فيه الرافعي عن الشعر وفيه يقول على لسان شيطان طاغور: "الشاعر يبدع أمة كاملة وإن لم يخلقها فإنه يخلق أفكارها الجميلة وحكمتها الخالدة. وأدائها العالية وسياستها الموفقة".^(٣١) يحمل هذا النص اعتباراً للشاعر يجعله في مرتبة مهمة في المجتمع، وهذا التقدير أت من أدبه وحكمته في شعره. فمن خلال الشعر تخلق الأمة.

هنالك إذن فراغ في هذه الحياة لا يقوم بملئه إلا الشاعر. كما أن هنالك نقصاً عند الناس يجدون استكمالاً له بما أوتي من قوة. فكما أن الأمة في حاجة إلى الصانع والتاجر والسياسي والمهندس فإنها كذلك في أمس الحاجة إلى الشاعر باعتبار أنه يبدع



إن الرافعي يضع يدنا هنا على داء صعب قد يعصف بما في الشعر من قيم وجمال وهو فقدان الجمهور إذ لا حياة للشعر بدون جمهور ولا وظيفة له بدون من يتلقاه. ولا يتم النجاح إلا بشاعر مقتدر وشعر جميل وجمهور متذوق.

وقد عمل الرافعي في كتابه هذا على تبيان أسباب عزوف الجمهور على متابعة الشعر ومن ذلك ما ينشر في الصحف من شعر رديء وما يقدم عليه بعض النقاد من ترويج لهذا الشعر أو قدح في الشعر الجيد أو غير ذلك. وهناك ما يتصل بالقارئ أيضا في تكاسله أو عدم تمييزه بين الجميل والقبيح.

وانطلاقا من هذه الجولة القصيرة مع "وحي القلم" يتبين لنا أن الرافعي رحمه الله قد عالج الشعر في علاقته بمؤلفه ومتلقيه. ولم يضيق على نفسه في تناول عنصر وإهمال آخر مما جعله يلم بالعمل الإبداعي في شموليته.

وقد أوصى بأن يكون الشاعر مقتدرا فاعلا في المجتمع وأن يكون الشعر ذا وظيفة سامية وهي الإصلاح بالجمال وفعل الخير. كما أكد على دور المتلقي الذي يجب أن يعرف قيمة الشعر ويفصل فيه بين النافع والضار. ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة مواطن الجمال فيه. ■

عمله على التعليق على كلام الشاعر أو ذلك الذي "يتناول الشاعر باعتباره رجلا له موضع من الناس ومنزلة من الحياة ثم لا يعدو ذلك." (٢٨).

إن الرافعي يطمح إلى أن يكون المتلقي الناقد في المستوى المطلوب الذي يتيح للقارئ أن يتعرف إلى عوالم الشعر ويستمتع بها. وأن يكون طريقا إلى تذوق الشعر وكشف أسرارها. ونراه يقول عن الشعر العربي: "ألا وإن شعرنا العربي الجميل قد أصبح اليوم في أشد الحاجة إلى من يعلم القارئ كيف يذوقه ويتبينه ويخلص إلى التأثير فيه، ويخرجه مخرجا سريا في أنغامه وألحانه." (٢٩).

ولا يخفى على قارئ "وحي القلم" أن يلاحظ أنه يعير اهتماما خاصا للمتلقي بوصفه قارئاً للإبداع يقول الرافعي: "ومن أثر ذلك ما تحسه أنت إذا قرأت للأديب البليغ التام صاحب الفكر والأسلوب والذهن الملهم؛ فإنك تقف على المعنى من معانيه يملاً نفسك..." (٣٠).

ويقول كذلك: "فيأتون بنظم تقرأه إذا قرأته وأنت تتلوى كأنما يقرع على قلبك بقبضة يد أو يدق عليه بحجر." (٣١) ومما يدل على احتفاء ناقدنا بالمتلقي أنه يقول: "على أن شوقي لم يكن ينقصه باعتبار زمانه إلا (الجمهور الشعري)، وكل بلاء الشعر العربي أنه لا يجد هذا الجمهور..." (٣٢).

الهوامش:

- (١) سيد قطب "النقد الأدبي أصوله ومناهجه". دار الشروق ط الرابعة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م. ص ١٦٣
- (٢) مصطفى صادق الرافعي "وحي القلم" دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان. الجزء ٣، ص ٢٣٥
- (٣) نفسه الصفحتان ٢٣٥-٢٣٦
- (٤) نفسه ص ٢٤٥
- (٥) نفسه ص ٢٣٥
- (٦) نفسه ص ٢٣٥
- (٧) نفسه ص ٢٣٦
- (٨) أحمد بسام ساعي "دراسات في الأدب الإسلامي ونقده الواقعية الإسلامية في
- (٩) وحي القلم الجزء ٣، ص ٢٢٦
- (١٠) نفسه ص ٢٤٦
- (١١) نفسه ص ٢٣٩
- (١٢) نفسه ص ٢٤٢
- (١٣) نفسه ص ٢٤٠
- (١٤) نفسه ص ٢٤٣
- (١٥) نفسه ص ٢٣٦
- (١٦) نفسه ص ٢٢٢
- (١٧) نفسه الجزء الأول ص ٣٦
- (١٨) وحي القلم الجزء ٣، ص ٢٢٢
- (١٩) نفسه ص ٢١٦
- (٢٠) نفسه ص ٢٧٣
- (٢١) نفسه ص ٢٧٣
- (٢٢) نفسه ص ٢٥٢
- (٢٣) نفسه ص ٢٣٥
- (٢٤) نفسه ص ٢٥٢
- (٢٥) نفسه ص ٢١٤
- (٢٦) نفسه ص ٢٤٠
- (٢٧) نفسه ص ٢٣٩
- (٢٨) نفسه ص ٢٣٩
- (٢٩) نفسه ص ٢٤٢
- (٣٠) نفسه ص ٢٢٦
- (٣١) نفسه ص ٢٤٣
- (٣٢) نفسه ص ٢٠٠

طبيعة البيان عند الرافعي

إن غياب الدراسات
الجادة التي تتناول قضية البيان العربي
يجعل مهمتنا صعبة . فمعظم الدراسات التي رجعنا إليها
تعرض القضية بشكل سطحي^(١)، وأكثرها لا يخصص إلا صفحات
قليلة يتحدث فيها عن مفهوم «البيان» أو «البلاغة» في الكتب القديمة
التي اهتمت بالموضوع .

ويمكن الحديث عن هذا البيان بكلمات قليلة، كما يرى الدكتور حسين الصديق،
بكونه: «يتمحور على اختيار الألفاظ والمعاني والصور، ويهتم بالجمال أو بالمقاطع
القصيرة من الكلام، وهو ما يمكننا تسميته (بالوحدات التعبيرية) القادرة على
حمل أكبر قدر من التوتر والانفعال الجمالي إلى المتلقي، وهذا ما يمثله
مجموع الأدب الجاهلي، كالشعر، والأمثال، والخطب، والوصايا، التي
جاء القرآن بآياته ووحداته التعبيرية ممثلاً أعلى لها»^(٢).

سوف نقصر دراستنا في هذه المقالة على مفهوم الرافعي
للبيان، والتي يمكن أن نجد في أثناء الأبحاث التي قدمها محاولة
تنظير لهذا، وبالتالي محاولة الكشف عن مفهوم البلاغة ووظيفتها
الفكرية والأدبية التي هي من أسس النظرية الأدبية، ولعل مصطلح
البيان يعادل مصطلح البلاغة في فكر الرافعي، بل إنه خرج
بتعريف مبتكر للبلاغة .

عوامل نشأة البيان وتطوره

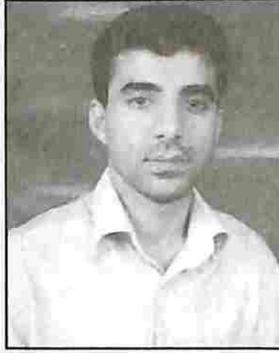
إن أهم عمل أدبي أثر في تكوين البيان العربي هو القرآن
الكريم، والرافعي^(٣) يعرض هذه القضية لبيان جمالية الأسلوب
القرآني، وإعجازه البياني من جهة؛ ولبیان جمالية الأدب من جهة
ثانية. ويحاول الرافعي^(٤) نفي الرأي المشهور الذي يرى أن
الجرجاني صاحب «دلائل الإعجاز» أول من صنف في الإعجاز
البياني، ورأى الرافعي أن ذلك وهم، فأول من جود الكلام في هذا
المذهب وصنف فيه محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦ هـ)، ثم أبو
عيسى الرماني (ت ٣٨٢ هـ)، ثم بعد ذلك جاء الجرجاني^(٥).

وما يهمنا، هنا، ليس التطور التاريخي لكتب الإعجاز، وإنما





نحو مئة نوع من معاني البلاغة وشروحها، واستخرج أمثلتها من القرآن وعلم البيان. ويرى الرافعي أن هذا الكتاب الأخير «في معناه بتلك الكتب كلها»^(٧). لقد استطاع القرآن الكريم بعد أن أثار انبهارا جماليا لدى معاصري الرسول الكريم ﷺ أن يهيمش الشعر، بعد أن كان يمثل مركز الصدارة في الثقافة العربية الجاهلية، وتحول الشعر ليصبح مرجعا لتفسير القرآن، وفرعا من فروع المعرفة^(٨)، ذلك أن القرآن جعل البلاغة



بـقـلم: ياسر عبدالرحيم*
سورية

بيان أن القرآن الكريم وإعجازه دفع الباحثين إلى وضع علم البيان الذي حاولوا فيه إثبات الإعجاز البياني في القرآن، مما يؤكد أصالة فكر الرافعي، وأن هذا الكتاب أثر في تكوين البيان العربي، وفي صياغة قواعده ومقاييسه العامة، وقد نجح هذا الكتاب في إثارة الانبهار الجمالي اللغوي منذ أن لفظ محمد ﷺ آياته الأولى، أما الذين حاولوا تفسير هذا الانبهار بأنه نتيجة للسحر الشعري الذي تتضمنه تلك

الآيات، فقد لقوا تحديا صريحا من تلك الأخيرة يدعوهم إلى أن يأتوا بمثله. وقد استمر القرآن في ممارسة هذا التأثير، وفي توجيه البيان العربي حتى يومنا هذا، فقد ظل منذ أن اتخذ ترتيبه النهائي على يد الخليفة عثمان رضي الله عنه نموذجا أدبيا يحتذى^(٩).

وذهب الرافعي إلى أن الجرجاني في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» لقي اهتماما بالغا من معاصريه ومن تبعهم، وأدخل علوم البلاغة في بيان خدمة الإعجاز القرآني، مما دفع الإمام الرازي (ت ٦٠٦ هـ) إلى تلخيصهما، واستخرج منهما كتابا في إعجاز القرآن، ثم جاء الأديب ابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤ هـ) فصنف كتاب «بدائع القرآن» أورد فيه

● أهم مؤثر في تكوين البيان العربي هو القرآن الكريم.

● هاجم الرافعي الغموض، فرأى أن الاستغلاق في بلاغة الإنسان يعني أن الحياة لا تحتاج إليه.

الإسلامية أرقى من البلاغة الجاهلية، بتعبير الرافعي^(٩)، والمهم ظهور علم البيان أو البلاغة، كما يرى الرافعي، فهو يعتبر «أن القرآن الكريم كان علم البلاغة عند العرب، ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم»^(١٠).

إذا، فقد عمل القرآن على ظهور تفكير بلاغي جديد اتصل بالإعجاز القرآني. ووضح من كلام الرافعي أن السبب الرئيس لظهور علم البيان أو البلاغة هو القرآن الكريم، ثم صار القرآن عاملا مهما في تكوين هذا البيان، فأصبح بلاغة هذا العلم. فمن الطبيعي أن مفهوم البيان لم يبق هو نفسه في القرون الأولى، فانتظما من ارتباط اللغة بالفكر والمجتمع والتاريخ، نستطيع القول: إن الأطر الاجتماعية والثقافية والسياسية التي ظهرت في تلك القرون مسؤولة عن تطور البيان العربي ونشأة علومه، ويمكن أن تحصر العوامل التي أثرت في تكوين البيان في خمس، هي: " القرآن الكريم، والشعر العربي، وتقعيد اللغة، والحاجة إلى التعلم والتعليم، والمؤثرات الأجنبية"^(١١).

ويزيد الرافعي الأمر وضوحا فيرى أن القرآن: " هو علم البلاغة عند أولئك العرب الذين كانت البلاغة

* محاضر بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة حلب.

● عمل القرآن على ظهور تفكير بلاغي جديد اتصل بالإعجاز القرآني .

تجعل من الإنسان بليغا إن لم يكن ملهما، ذلك أن أجمل البيان، كما يرى الرافعي، يسمى وحياً^(١٦)، ربما يؤيد ذلك قول الرافعي: "إن البلاغة هي الإلهام، وهي أبلغ البلاغة"^(١٧). وربما، ما ذهب إليه من أن "حديث القمر" وضع لطلبة الإنشاء المتطلعين إلى أمثلة من علم التصور الكتابي الذي توضع أمثله ولا توضع قواعده، لأن هذه القواعد في جملتها "إلهام ينتهي إلى الإحساس، وإحساس ينتهي إلى الذوق، وذوق يفيض الإحساس والإلهام على الكتابة جميعا، فيترك فيها حياة حياة الجمال..."^(١٨).

وموقف الرافعي، هذا، ينسجم مع ما ذهب إليه سابقا في "ديوان النظرات"، إذ قرر أن على الشاعر المتأخر أن يعرف علوم البلاغة معرفة ممارس، لمعرفة مدارس^(١٩). وهذا الموقف الأخير سينقلب عليه الرافعي حين يأخذ على حافظ إبراهيم أنه لم يكن فيلسوف بلاغة، رغم بلاغته، مؤكداً أنه لو تمت له هذه المهوبة الفلسفية لما جراه شاعر آخر^(٢٠). فلا يكفي الشاعر ممارسة البلاغة، بل عليه دراستها، وأن يدلي بدلوه فيها، ويكون له رأي يمثل فلسفته فيها، وهو ما حاوله الرافعي من تنظير للبلاغة أو البيان.

يرى الرافعي أن العلماء حاروا في تعريف البلاغة، لذلك يعرفها تعريفا مبتكرا يخرج به عما عرف قديما، فهي: "قوة التصور، والقوة على ضبط النسبة بين الخيال والحقيقة، وهما صفتان من قوى الخلق تقابلان الإبداع والنظام في الطبيعة، وبهما صار أفراد الشعراء والكتاب يخلقون الأمم التاريخية خلقا، ورب كلمة من أحدهم تلد تاريخ جيل"^(٢١) والبلاغة في وصف شامل هي: "فن لغة بأكملها"^(٢٢). هذا الأمر يؤكد أن الرافعي يريد وضع نظرية

فيهم إحساسا محضا، ثم صار من بعدهم بلاغة هذا العلم في المولدين، وهو على ذلك ما بقيت الأرض، فكان العرب يتلقون عنه البلاغة بوجود الحاسة اللغوية وإحساس الفطرة، كما يتلقى أهل الفن الواحد قواعد النبوغ عن المثال الذي يخرجهم لهم نابغة الفن"^(١٢)، وإذا ما تذكرنا أن الانبهار الجمالي الذي أثاره القرآن الكريم لدى معاصري الرسول ﷺ كان يتعلق بالآيات القصيرة المتفرقة التي كانت توحى إلى النبي ﷺ بحسب المناسبات والظروف، وليس بالسور القرآنية التي لم تتخذ شكلها النهائي إلا شيئا فشيئا، وانتهاء بوفاة الرسول ﷺ، فإننا نستطيع أن نتصور بسهولة الخطوط العامة للبيان الذي كان يسود بين العرب في حياة الرسول ﷺ. ونستطيع أن نعتبر هذا البيان امتدادا لمفهومه عند العرب قبل ظهور الإسلام، إذ من المتوقع أن يخاطب القرآن بحسب البيان السائد عندهم^(١٣)، وهذا ما يؤكد الرافعي، وأن يتحداهم بما هو شائع بينهم.

وقد تكون مفهوم البيان وازدهر في القرون الخمسة الأولى من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وبلغ ذروته في نهاية القرن الخامس الهجري، ثم أصيب البيان بعد هذا القرن حتى عهد الرافعي، في رأيه، بالجمود والمرض، فأكد أن بعض الشعراء والكتاب كانوا أنذ بلا شعر ولا كتابة، وأن التصور في الإنشاء قد مسخ، وشرد الخيال، فذهب كخيال المجانين^(١٤).

٢ - مفهوم البيان:

يرى الرافعي أن علم البلاغة لا فائدة منه، وكتبه تجمد العقل فيصبح البليغ "وكأنه غلاف لفظي نسجته القواعد والأمثال، فإلى أن يعقد الموت لسانه لا تكون قيمة عمره قد أربت في البلاغة على ثمن كتاب من كتب علوم البلاغة..."^(١٥).

فهل يفهم من كلام الرافعي أن علم البلاغة شيء، والمهوبة شيء آخر؟ بمعنى أن تعلم علوم البلاغة لا



- تعلم علوم البلاغة لا يجعل من الإنسان بليغا إن لم يكن ملهما.
- فلسفة البيان الفني أن تمتد الحياة من النفس إلى اللفظ.

فكثرة الصور البيانية الجميلة للحقيقة الجميلة هي كل ما يمكن أن يتسنى من طريقة تعريفها للإنسانية، لذلك يعتقد الراجعي أن: "الحقائق الكبرى كالإيمان والجمال والحب والخير والحق ستبقى في كل عصر محتاجة إلى كتابة جديدة في أذهان جديدة" (٢٧).

وهو يذهب إلى أن البيان شرط الأدب (٢٨) لأنه دليل نضج المعنى وتمامه وصحته، وأن الأدب لا يتحقق إلا بالكتابة البيانية (٢٩)، لهذا كان الأصل في الأدب البيان والأسلوب في جميع لغات الفكر الإنساني، لأنه كذلك في طبيعة النفس الإنسانية (٣٠).

أما تفاصيل البلاغة فيرى الراجعي أن المجازات والاستعارات والكنيات ونحوها من أساليب البلاغة ما هي إلا أسلوب طبيعي لا مذهب عنه للنفس الفنية إذ هي بطبيعتها تريد دائما ما هو أعظم وأجمل وأدق، ويفهم من كلام الراجعي أن هناك نفسا موهوبة، وأخرى غير موهوبة، ترى الأخيرة في تلك الأساليب البلاغية «تكلفا وتعسفا ووضعاً للأشياء في غير مواضعها» ويذهب إلى أن المحسنات البيانية ذات أثر في ألفاظ اللغة هو الاهتياج (٣١).

ويفرق الراجعي بين أسلوب البحث العقلي وبين الفن البياني، ففي الأول يندر البيان، وغايته صحة الأداء، وسلامة النسق. ولكن الفن البياني غايته قوة الأداء مع الصحة، ورسم التعابير مع الدقة، وإبداع

جديدة في البلاغة، فهو يسعى إلى فلسفة البيان، فيرى أن " فلسفة البيان الفني أن تمتد الحياة من النفس إلى اللفظ، فتصنع فيها صنعها، فتفصل العبارة الفنية عن كاتبها أو قائلها، وهي قطعة من كلامه، لتستحيل عند قارئها أو سامعها قطعة من الحياة في صورة من صور الإدراك، فالبيان الفني هو الوسيلة لحمل الوجود وبعثته في مواضع غير مواضعه، وخلقها خلقا آخر في النفس الإنسانية، وبذلك يؤول قوله ﷺ: " إن من البيان لسحرا" إذ جعل نوعا من البيان هو السحر، لا البيان كله، فالحديث كالنص على تسمية الفلسفة الأوربية اليوم «بالبيان الفني» كأنه قال: إن من البيان فنا هو سحر من عمل النفس في اللغة تغيير به الأشياء، وله عجب السحر وتأثيره وتصرفه، وهذا معنى لم ينتبه إليه أحد، ولا يذكر معه كل ما قالوه في تفسير الحديث، وبذلك التأويل يكون هذا الحديث قد احتوى أسمى حقيقة فلسفية للفن « (٣٢).

أي فهم من هذا الكلام أن هدف البيان هدف جمالي بحث؟ بمعنى إثارة الانفعال الجمالي لدى المتلقي والتأثير فيه لا عن طريق الحجج التي تخاطب العقل مباشرة، وإنما عن طريق الصور التي تخاطب المشاعر، فتملكها بما تثيره من إحياءات وردود فعل، وتوجهها على الرغم من إرادة صاحبها، تماما كما يفعل السحر (٣٤). ربما، لكن لا ريب في أن هذا الرأي وذلك التأويل الذي أتى بهما الراجعي من أجمل ما عرض له الراجعي: بعثرة الوجود وإعادة خلقه وتغييره، فهذه نظرة متقدمة تجعل الأدب خلقة للعالم، ثم خلقه خلقا جديدا، بمعنى تجديد رؤيته ومخالفته المعهود (٣٥).

ويزيد الراجعي على ذلك: " أن الكلام في وصف الطبيعة والجمال والحب على طريقة الأساليب البيانية إنما هو من باب الأحلام، إذ لا بد فيه من عيني شاعر أو نظرة عاشق " (٣٦) ذلك أن الطبائع الملهمة لا بد لها من البيان ليتسع به التصرف، إذ الحقائق أسمى وأدق من أن تعرف بيقين الحاسة، أو تنحصر في إدراكها، فلو حدثت الحقيقة لما بقيت حقيقة. ومن ثم

● الحقائق الكبرى كالإيمان والجمال والحب والخير والحق ستبقى في كل عصر محتاجة إلى كتابة جديدة في أذهان جديدة.

من ابتكاره^(٣٦). والرافعي لم يأخذ من الترجمات إلا ما فهمه، وانسجم مع ثقافته العربية والإسلامية، وهذا ما يثبت أصالة التفكير عنده. والظاهر أنه أراد أن يستعويض بمثل هذه المصطلحات من مصطلح آخر، لعله كان مستخدماً في أيامه هو مصطلح النثر الفني، أو لعل الحاجة هي التي بعثته على ابتكار مصطلحاته هذه، كما بعثت زكي مبارك على استنباط مصطلح النثر الفني، وذلك من أجل أن يجد تسمية لما يقع بين منزلتي النثر والشعر، أو لما يشمل كليهما في أن معاً.

وقد هاجم الرافعي الغموض، فرأى أن الاستغراق في بلاغة الإنسان يعني أن الحياة لا تحتاج إليه، وغموض بعض الفلاسفة الشعراء هو دليل الطبيعة على أنهم زائدون في الطبيعة، لأن من بين أساليبهم الفلسفية والشعرية ما يجعل معنى الكلمة أحياناً هو نقض معناها، إذ يتصنعون للفكر ويستجلبون له ويشققون فيه، كما يفعل أهل صناعة الألفاظ بالألفاظ "فها هنا البديع اللفظي، وهناك البديع الفكري، ولا طائل وراءهما إلا صناعة وبهجة" (٣٧).

هذا الموقف من أغرب مواقف الرافعي، الميل بطبيعته إلى الغموض، المتكف للفسفة، حتى مازج بينهما وبين الشعر، وهو يبدأ بتقعيد الفن الطبيعي لينتقل إلى التقعيد البياني، مقررًا "أن الطريقة التي يكون بها الجمال جميلاً هي بعينها التي يكون بها البيان بليغاً، فالمرجع في اثنيهما إلى تأثيرهما في النفس" (٣٨) ولنذكر أن التعقيد

الصورة زائداً جمال الصورة "ولو كتب الفريقان في معنى واحد لرأيت المنطق في أحد الأسلوبين وكأنه يقول: أنا هنا في معانٍ وألفاظ، وترى الإلهام في الأسلوب الآخر، ويطالعك أنه في جلال الجمال وفي صور وألوان" (٣٩).

وهذا ينسجم مع تعريف الرافعي للبليغ، فهو: "ذلك الذي لا يستطيع أن يؤتيك طبائع الأشياء التي تجهلها في غير صورها، ثم أنت لا تعرفها من كلامه إلا في صورها، فكأنه ناسب بين قوتها وضعفك بصناعته وسحره، إذ يمازجها بخيال قوي كالعقل، خيال يوازن ضعفك، ويمازجها أيضاً بحقيقة ضعيفة كالقلب توازن "قوة الحقيقة" وهو لا يتسلط على طبيعتها إلا بتصوره، ولا يستهوي طبيعتك إلا بقدرته على ضبط النسبة بينك وبينها "وأهمية البلاء تكمن في أنهم أرواح الأديان والشعراء والعبادات، وهم ألسنة السماء والأرض، وإذا شهد عصر من العصور أمة ليس فيها بليغ فذلك هو العصر الذي يكون تاريخاً لأضعف طبائع الأمم" (٣٣).

ويحصر الرافعي الفصاحة والبلاغة بال بيت النبي محمد ﷺ، فقد أورثهم ذلك "أفصح الخلق ولادة، وجاءت لهم طباعه الشريفة بهذه الإجابة" (٣٤).

لقد حاول الرافعي أن ينظر للبيان، وأورد تنظيره في مواطن متعددة من كتبه، وتجلى ذلك بصفة خاصة في مقالة عنوانها "البيان"، حيث صدر بها الجزء الأول من "وحي القلم"، وقد أورد مصطلحات عدة مبتكرة، كالفن البياني، ومثله مصطلح الكاتب البياني والحس البياني، فضلاً عن المقالة البيانية. أما مصطلح البيان الفني فكان نتيجة بروز التأثيرات الأجنبية، كما يصرح الرافعي (٣٥)، بخلاف ما ذهب إليه الدكتور مصطفى الجوزو من أن هذا المصطلح





لهم إلى الشعر لا يميلون إلى كتابتي ولا يفهمونها حق الفهم، مع أن المجاز هو حلية كل لغة» (٤٢). باختصار: إن ما استقر في التفكير البلاغي عند الرافعي ارتباط علم البيان بالقرآن، وبهدف محدد هو فهم النص القرآني وبيان إعجازه من جهة، وبيان جمالية الأدب من جهة أخرى. ولا شك في أن ذلك يتوافق مع الموقف العام للحضارة العربية الإسلامية عامة (٤٣). لقد أدى ارتباط الدراسات اللغوية والبلاغية بالقرآن إلى صيغ مجمل مباحث الرافعي بصيغة دينية عقائدية، بحيث يصعب علينا أن نجردها من العقيدة وأنفهمها بعيدا عنها. ■

والتكلف والغموض من التهم الموجهة إلى أسلوب الرافعي، لا سيما اتهام طه حسين (٣٩)، ورد الرافعي (٤٠). ولكن يبدو أن الرافعي يدافع عن نفسه بشكل غير مباشر، فإذا صح هذا الاستنتاج فإنه لا شك طريقة تنم عن ذكاء، لأنه نقل المعركة إلى ميدان آخر حين أعطى التعقيد والغموض معنى آخر، ولا ريب أن الذين رموا الرافعي بذلك كانوا يقصدون تكلفه وافتعاله، لا الأسلوب الفني السهل (٤١). وهناك موقف دافع فيه الرافعي عن نفسه سرا، حينما صرح لصديقه محمود أبو رية بأن الذين لا معرفة لهم "بفنون المجاز أو لا ميل

الهوامش:

- (١) لمزيد من التفصيل انظر:
- ضيف، د. شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، مصر ١٩٦٥م.
- طبانة، بدوي، علم البيان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١م.
- (٢) الصديق، د. حسين، مقدمة في نظرية الأدب العربي الإسلامي، جامعة حلب، كلية الآداب، ١٩٩٤م، (١٧٧-١٧٩).
- (٣) الرافعي، مصطفى صادق، الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م، (٢٥٤).
- (٤) الرافعي، مصطفى صادق، حديث القمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، (٧).
- (٥) الإعجاز القرآني، مصدر سابق، (١٤٨).
- (٦) مقدمة في نظرية الأدب العربي والإسلامي، مصدر سابق، (١٧٨).
- (٧) الإعجاز القرآني، مصدر سابق، (٢٥٧).
- (٨) مقدمة في نظرية الأدب العربي والإسلامي، مصدر سابق، (١٧٩).
- (٩) الإعجاز القرآني، مصدر سابق، (٢٥٢) الحاشية.
- (١٠) المصدر نفسه، (٢٥٧).
- (١١) مقدمة في نظرية الأدب العربي والإسلامي، مصدر سابق، (١٧٩) وينظر: (١٨٠ - ١٨٢).
- (١٢) الإعجاز القرآني، مصدر سابق، (٢٥٢).
- (١٣) مقدمة في نظرية الأدب العربي والإسلامي، مصدر سابق، (١٧٨-١٧٩).
- (١٤) حديث القمر، مصدر سابق، (٧) وينظر: المرجع السابق، (١٧٨).
- (١٥) المصدر نفسه، (٧-٨).
- (١٦) الرافعي، مصطفى صادق، ديوان الرافعي، (٥/٢).
- (١٧) الإعجاز القرآني، مصدر سابق، (٢٥٨) الحاشية.
- (١٨) حديث القمر، مصدر سابق، (٦).
- (١٩) الرافعي، مصطفى صادق، ديوان النظرات، القاهرة، ١٩٠٨م، (١٣) نقلاً عن الجوزو، د. مصطفى، مصطفى صادق الرافعي، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٥م، (٢٤١).
- (٢٠) الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، دار الكتاب العربي،
- بيروت، (د. ت.) (٢٧٨/٣).
- (٢١) حديث القمر، مصدر سابق، (٧).
- (٢٢) وحي القلم، مصدر سابق، (٥/٢).
- (٢٣) المصدر نفسه، (١٨/٣ - ١٩).
- (٢٤) مقدمة في نظرية الأدب العربي والإسلامي، مصدر سابق، (١٧٩).
- (٢٥) الجوزو، د. مصطفى، مصطفى صادق الرافعي، مصدر سابق، (١٩٠).
- (٢٦) وحي القلم، مصدر سابق، (٢٣/٣).
- (٢٧) المصدر نفسه، (١/١٦).
- (٢٨) المصدر نفسه، (٢١١/٣).
- (٢٩) المصدر نفسه، (١٧/١).
- (٣٠) المصدر نفسه، (٢١٢/٣).
- (٣١) المصدر نفسه، (١٨٢/٣).
- (٣٢) المصدر نفسه، (١٦/١).
- (٣٣) حديث القمر، مصدر سابق، (٨).
- (٣٤) الإعجاز القرآني، مصدر سابق، (٢٤١).
- (٣٥) وحي القلم، مصدر سابق، (١٨/٣ - ١٩).
- (٣٦) الجوزو، د. مصطفى، مصطفى صادق الرافعي، مصدر سابق، (١٨٨).
- (٣٧) وحي القلم، مصدر سابق، (٢٠/٣).
- (٣٨) المصدر نفسه، (١٧/١).
- (٣٩) ينظر، حسين، طه، حديث الأربعماء، دار المعارف بمصر، ١٩٥١م، (٢٥٤/٢ - ٢٥٩) و (١٠/٣ - ١٣، ١٢ - ١٣٠).
- (٤٠) الرافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م، (١٠٩ - ١١٠).
- (٤١) الجوزو، د. مصطفى، مصطفى صادق الرافعي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م، (١٩٩).
- (٤٢) أبو رية، محمود، من رسائل الرافعي، (٦٢).
- (٤٣) مقدمة في نظرية الأدب العربي والإسلامي، مصدر سابق (١٨٣).

كتاب علي السفود للرافعي



بقلم: أيمن ذوالغنى
سورية

لـ يكن الرافعي شهاباً لاح في سماء الأدب لم يلبث أن مضى وتلاشى، بل كان كوكباً متلألئاً مضيئاً، لم يبرح كبد السماء، ولم تزده الأيام إلا القفاً وبريقاً. ولا غرو فقد تملك الرافعي ناصية البيان، وتربع على عرش الأدب، وأوتي من جمال التعبير وحسن الدباجة ما يأخذ بعقول قارئيه، صادراً في ذلك كله عن ثقافة إسلامية أصيلة، ومعرفة لغوية عميقة، وإحاطة بالتراث العربي واستظهار له، مع نظرة فلسفية متألمة، وزاد معرفي جبار، حتى لتخاله قد قد عوده من العربية بعقريتها وروعيتها وجلالها، ولقد صدقت فيه نبوءة الزعيم المصري الكبير مصطفى كامل، فيما كتب إليه مقرظاً ديوانه: «سيأتي يوم إذا ذكر فيه الرافعي قال الناس: هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب من البيان».





حتى كَتَبَ في تقرِيظه والثناء عليه زعيمَ مصرِ
سعد زُغلول كلمته الذائعة السيّارة:

«وأيّد (كتابُ الرافعي) [بلاغَةُ القرآن
وإعجازه بأدلة مُشتقّة من أسرارها، في بيان
يَسْتَمِدُّ من رُوحها، بيان كأنه تنزيلٌ من التنزيل،
أو قَبَسٌ من نُور الذِّكْرِ الحَكِيمِ».

ويلتقي الرافعي العقّاد في مقرّ مجلة
المقتطف، سنة ١٩٢٩ م، ويسأله عن رأيه في كتابه،
فيفجّوه العقّاد برأى شديد، فيه قسوةٌ وغلظةٌ،
يسفّه فيه كتابه، ولم يكتفِ بذلك حتى اتّهم الرافعي
بتزوير تقرِيظ سعد زُغلول - أنف الذِّكْرِ - ونحله
إياه؛ دعايةً للكتاب وترويجاً له^(٣).

غضب الرافعي من افتراءات العقّاد أشدَّ
الغضب، وحنقَ عليه كلَّ الحنق، وكتّم نفسه على
مثل البركان يوشكُ أن يثور.

وما ذهب إليه العُريان من أن هذا اللقاء كان
أولَّ الصراع بين الأدبيين فيه نظراً، فقد تقدّم من
العقّاد نقدٌ للرافعي فيه شدةٌ وسُخريّةٌ وتجنُّ^(٤).

ففي سنة ١٩١٤ م كتب العقّاد مقالةً
نشرها في صحيفة المؤيّد بعنوان: (فائدةٌ من
أفكوهة) عقّب فيها على قول للرافعي في الجزء
الأول من كتابه «تاريخ آداب العرب» وختم
مقالته بقوله: «فإن شاء عدّدنا كتابه كتاب أدب،
ولكنّا لا نعدّه كتاباً في تاريخ الأدب؛ لأنّ البحث
في هذا الفنّ متطلّبٌ من المنطق والرّكّانة ومعرفة
النطق الباطنيّ ما يتطلّبُه الرافعي من نفسه ولا
يجده في استعداده».

وفي سنة ١٩٢٠ م نشر الرافعي نقداً لنشيد
أمير الشعراء أحمد شوقي الذي مَطَّلَعُه:

بني محرر مكاكُم تهياً

فهياً مهّداً للملك هياً

فتصدّى له العقّاد سنة ١٩٢١ م بمقالةٍ
نشرها في الجزء الثاني من «الديوان في الأدب
والنقد» بعنوان: (ما هذا يا أبا عمرو؟!)، اتّهمه
فيها بسرقة ما كتبه في الجزء الأول من

تقلّب الرافعي في عصر فيه كلُّ ألوان
الطيف، تراه زاهراً في جوانب منه، مضطرباً
متقلّقلأ في جوانب أخرى، ومن مظاهر ذلك
الاضطراب: كثرة الصراعات الفكرية والأدبية،
وهو مظهرٌ فيه ما له وفيه ما عليه، ولعلّ من
أهمّ ما يُحسبُ له ما تمخّضت عنه تلك المعاركُ
من نتاج فكريٍّ وثقافيٍّ وأدبيٍّ، أغنى الحياة
الثقافية في مصرَ والعالم العربيّ، وما زالت
أثاره بيّنةً جليّةً في ثقافة أدياننا وفكر مفكرينا
في أيامنا هذه.

وقد عاش الرافعي عصره كما هو، راكباً فيه
الصعّبَ والذلول، لابساً لكلّ موقف لبوسه، فارساً
من فرسان الميدان غير مدافع.

ومن أشهر معاركه الأدبية وصراعاته الفكرية
التي حمي فيها الوطيس واشتدّ الأوار، ما كان بينه
وبين الأديب الكبير الأستاذ عباس محمود العقّاد،
فقد كتب الرافعي في نقده مجموعة مقالات دامغة
بعنوان: «على السّفود»، أصلاه بها ناراً حامية،
نائياً فيها عن حدود النقد الأدبيّ، إلى التشهير
والسُخريّة، وما لا يليق.

بدءُ الخلاف بين الرافعي والعقّاد:

ذهب صديق الرافعي الأستاذ الأديب محمد
سعيد العُريان في كتابه «حياة الرافعي»^(١) إلى
أن ابتداءً الخصام بين الرافعي والعقّاد كان
بسبب كتاب الرافعي «إعجاز القرآن والبلاغة
النبوية» الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩١٢
م^(٢)، ثم أمر الملك فؤاد بطبعه على نفقته تقديرًا
للكتاب ولصاحبه، وقد صدرت هذه الطبعة
الملكيّة سنة ١٩٢٨ م.

ويُضيف العُريان أنه لم يكن بين الرجلين قبل
صدور الطبعة الملكيّة من الكتاب إلا الصفاءُ
والودُّ.

ولاقى «إعجاز القرآن» قبولاً كبيراً من الأدباء
والنقاد، ونال به الرافعي مكانةً ساميةً بينهم،

العقّاد (على السّفود):

عرض الأستاذ إسماعيل مظهر على
الرافعي أن يكتب في نقد شعراء
آخرين، فلاقى ذلك في نفسه هوياً،
وأسرع إلى ذاكرته لقاءه بالعقّاد في
دار المقتطف، ولم يكن ناسياً مقالتيه:



عباس محمود العقّاد

عمرو^(١)، فالفأها فرصة سانحة للانتقام من
العقّاد، وللثأر لكرامته، فافترسه بسبع مقالات
طاحنة، نشرها تباعاً في مجلة العُصور، مُعَفِّلةً
النسبة، وجعلَ عنوانها أيضاً: (على السّفود)، نقد
فيها ديوان العقّاد، وحشدَ فيها من مرّ الهجاء،
وقوارص القول، وصنوف الذمّ والقُدح المُقزع، ما
يمكن أن يُستخرَج منه معجمٌ لألفاظ التلبّ والشتم.
واليكم عناوين السّفافيد السّبعة، مع ذكر
تواريخ نشرها:

السفود الأول: عباس محمود العقّاد، نشر في
عدد شهر تموز / يوليو، ١٩٢٩ م.

السفود الثاني: عضلات من شراميط، نشر في
عدد شهر آب / أغسطس، ١٩٢٩ م.

السفود الثالث: جبّار الذّهن المُضحك، نشر في
عدد شهر أيلول / سبتمبر، ١٩٢٩ م.

السفود الرابع: مفتاح نفسه وقفل نفسه، نشر
في عدد شهر تشرين الأول / أكتوبر، ١٩٢٩ م.

السفود الخامس: العقّاد اللصّ، نشر في عدد
شهر تشرين الثاني / نوفمبر، ١٩٢٩ م.

السفود السادس: الفيلسوف، نشر في عدد
شهر كانون الأول / ديسمبر، ١٩٢٩ م.

السفود السابع: ذبابة لكن من طراز زبلين،
نشر في عدد شهر كانون الثاني / يناير، ١٩٢٩ م.

وقدّم الرافعي بين يدي كلّ سفود من تلك
السّفافيد بيتين من الشعر، ناطقين بما تضمّنته

تلك المقالات من نقد فاتك مُحرق، يقول فيهما:

وللسّفود نارٌ لو تَلَقَّتْ

بجاحمها حديداً ظنّ شحماً

«الديوان» في نقد نشيد شوقي أنف
الذّكر، وقد اتّسمت مقالة العقّاد
بالشدّة والقسوة، والسّخرية اللاذعة،
والهجوم العنيف على شخص
الرافعي.

وإذن لم يكن ما جرى بين الأدبيين
الكبيرين في لقاء دار المقتطف أوّل
الخصومة بينهما.

العفيفي (على السّفود):

السّفود في اللغة: هو الحديدُ يُشوى بها
اللحمُ، ويُسمّيها العامّة: (السيخ). ويُجمَع
السّفود على سّفافيد، ومن تناولهُ السّفود يُقال
فيه: مُسَفَّد؛ لأنّ تَسْفيدَ اللحمِ نُظْمُهُ في تلك
الحديدة للاشتواء.

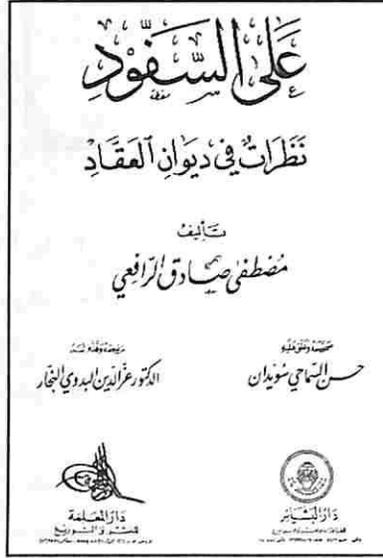
ولم يكن العقّاد أوّل من سفّده الرافعي، بل
سفّده قبله الشاعر عبد الله عفيفي الذي كان
يطمح أن يكون شاعرَ الملك فؤاد بدلاً من
الرافعي^(٢)، ونظّم في مدح الملك عدداً من
القصاصد، وكان الرافعي يراه لا يرقى أن يكون
نداً له، بله أن يحتلّ مكانه، فوجدَ عليه موجدةً
عظيمة، وقرّر أن يكتب في نقده، وحقاً انقضّ
عليه بثلاث مقالات عنيفة نشرها بمجلة العُصور
لصاحبها إسماعيل مظهر، وجعلَ عنوان
مقالاته: (على السّفود)، وصمّ فيها عبد الله
عفيفي بالغفلة وضعف الرأى وقلة المعرفة
وفساد الذوق، وقد اختارَ لمقالاته ذاك العنوان:
إشارةً إلى ما تضمّنته من نقد مؤلم لاذع،
أشبه بنار متأججة لا تدرّ من شيء أتت عليه إلا
جعلته كالرّميم.

ولكنّ الرافعي لم يكن موفقاً حين اختارَ - في
مقالاته الثلاث - نقدَ ثلاثِ قصائدٍ لخصمه في
مديح الملك؛ فقد جرّ ذلك عليه غضبَ القصر
الملكي، ومن ثمّ قطعت حبالُ الودّ بينه وبين القصر،
ليفوز العفيفي بمكانه شاعراً للملك^(٣).



بيد أن ذلك لا يمنع أن يكون موقف العقاد من تأليف الرافعي في الإعجاز أحد أسباب غضبه الرافعي الكبرى، بل هو كذلك، تنضم إلى أسباب أخرى، مدارها على اختلاف وجهة الرجلين في الفكر والنظر، وأن لكل منهما في الأدب طريقاً ومذهباً.

يقول محمد الكتّاني^(٩): «ولو أخذنا بالخلاف بين الأدبيين في أية مناسبة من مناسبات الخلاف بينهما، فإن هذا الخلاف يرتد إلى ذلك التباين في النظرة إلى الأدب، ومنهج الدرس، والموقف النقدي، وكل ما يتصل بعد ذلك بالكتابة الفنية، والشعر، وفهم النصوص، ونوعية القيم المنشودة فيها، ودراسة التراث الأدبي، وكل ما يتفرع عن هذه القضايا من وسائل مختلفة يعنى بها النقاد».



أسلوب مقالات (السفود) ومضمونها:

لم تكن الحدة والتجني والشتم - التي تقدمت الإشارة إليها مرّات - هي كل ما في مقالات السفود، بل مادة تلك المقالات قبل ذلك نموذج فد في النقد الأدبي المحكم، ونظرات في نقد الشعر بصيرة، وصور من عمق التحليل بديعة، وهو المتوقع والمرجوه من نقد منشئه الرافعي، وهو من عرفت علو كعب في الأدب والنقد وعلوم العربية. ويكاد يجمع محبو الرافعي - وبعض شأنبه - أن هذه المقالات لو برئت مما شأنها من منكر القول ومُرّ الهجاء، لكانت آية من آيات الإبداع، ومثالاً يُحتذى في النقد الأدبي. ويذهب العلامة الدكتور عز الدين البدوي النجار^(١٠) إلى أن الذي أخذ فيه الرافعي من نقد ديوان العقاد باب من نقد الشعر هو أصعب

ويشوي الصخر يتركه رماداً فكيف وقد رميتك فيه لَحماً؟!

الدافع إلى مقالات (السفود):

يصرح الرافعي بأن الدافع لكتابته هذه المقالات هو الغيرة على القرآن الكريم وإعجازه، يقول: هذا أسلوب من الردّ قصدت به الكشف عن زيف هذا الأديب والزراية بأدبه، حتى إذا تقررت منزلته الحقيقية في الأدب عند قراء العربية، لا تراهم يستمعون لرأيه عندما يهّم بالحديث عن إعجاز القرآن، وهل يُحسّن الحديث عن إعجاز القرآن من لا يستقيم منطق العربية في فكره، ولا يستقيم بيانها على لسانه^(٧)!

ويشكك العريان في أن تكون مقالات السفود غضبة

خالصة لله وللقرآن: لأن هذه المقالات خلّت من أي ذكر لقضية إعجاز القرآن، وليس فيها إلا نقد ونقض لديوان العقاد!

أما الدكتور علي عبد الحليم محمود فإنه يقطع بنفي أن تكون هذه المقالات كتبت انتصاراً لإعجاز القرآن، ومن هنا يرفض أن يعد ما كتبه الرافعي فيها اتجاهًا إسلامياً في أدبه^(٨).

ومما يرجح هذا الرأي أن الرافعي لم يكن ليغفل في نقده للعقاد هذه القضية بته، على خطورتها، إذا ما كانت المحرض الرئيس على إنشاء تلك المقالات، وهو الذي أثار زوبعة من الهجوم الكاسح على طه حسين رداً على آراء له في كتابه «الشعر الجاهلي» تناقض القرآن، وتشكك في بعض آياته، وكتب في ذلك كتابه القيم «تحت راية القرآن»، لم يدار فيه ولم يجمع.

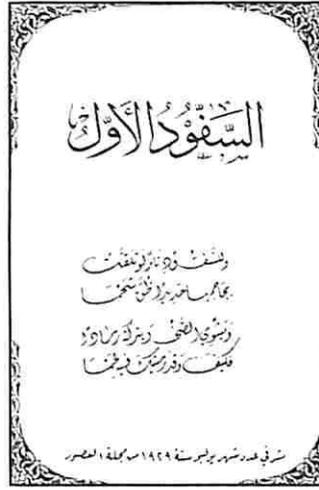
أبوابه، وأبعدها متناولاً من طالبه، هو باب ما في الفن الواحد من دقائق الصنعة التي تكشف عن سرائره، وتنزيل هذه الدقائق في منازلها: من سمو وارتفاع، أو توسط، أو غير ذلك، ومقابلة ذلك بما يكشفه ويؤكد من النماذج المعبرة في ذلك الفن.

ثم يقول: والذي قدر عليه الرفاعي في هذا الباب خاصة - في عامة ما تكلم عليه، في مقالات السفود وفي غيرها - لم يقدر عليه

من أهل عصره أحد، ولا اقترب منه، إلا ما كان من العلامة الكبير محمود محمد شاكر، وهو عبقرية فنية أخرى بالمعنى الكامل للكلمة.

ودونكم اقتباسات من مقدمة الرفاعي لمقالاته، صريحة الدلالة على وجهته فيها:

«وأما بعد، فإننا نكشف في هذه المقالات عن غرور مَلْفَف، ودعوى مُعْطَاة، ومنتقد فيها الكاتب الشاعر الفيلسوف!! (عباس محمود العقاد)، وما إياه أردنا، ولا بخاصته نعبأ به، ولكن لمن حوله نكشفه، ولفائدة هؤلاء عرضنا له... وقد يكون العقاد أستاذاً عظيماً، ونابهةً عبقرياً، وجباراً ذهن كما يصفون، ولكننا نحن لا نعرف فيه شيئاً من هذا، وما قلنا في الرجل إلا ما يقول فيه كلامه، وإنما ترجمنا حكم هذا الكلام، ونقلناه من لغة الأغلاط والسرقات والحماقات إلى لغة النقد... في هذه المقالات مثل وعيّنات تؤول بك إلى حقيقة هذا الأديب من كل نواحيه، وفيها كافٍ، إذ لا يلزمنا أن نأتي على كل كلامه، إذا كان كل كلامه سخيلاً... وسترى في أثناء ما تقرؤه ما يثبت لك أن هذا الذي وصفوه بأنه جبارُ الذهن، ليس في نار السفود إلا أديباً من الرصاص المصهور المذاب. ونرجو أن تكون هذه المقالات قد وجّهت النقد في الأدب العربي إلى



وجهه الصحيح، وأقامته على الطريق المستوية: فإن النقد الأدبي في هذه الأيام ضرب من التثرثرة، وأكثر من يكتبون فيه ينحون منحى العامة، فيجيئون بالصورة على جملةتها، ولا يكون لهم قول على تفصيلها، وإنما الفن كله في تشريح التفاصيل، لا في وصف الجملة... هذا وقد كتبنا مقالات (السفود) كما نتحدث عادة: لهواً بالعقاد وأمثاله: إذ كانوا أهون علينا وعلى الحقيقة من أن نتعب

فيهم تعباً، أو نصنع فيهم بياناً، فهم هلاهيل لا تشد أحدهم حتى يتهتك وينفلق...»

وعبارة الرفاعي الأخيرة تلخص الجادة التي سلكها في مقالاته، والأسلوب الذي انتهجه فيها، وقد أفصحت عن ذلك إفصاحاً: فهو كتب مقالات السفود (من رأس القلم)، كأنه يمضي مع خيل له على سجيته في حديث مرسل، لا يتقصّد تجويداً، ولا يلتفت إلى صنعة، وما ذاك إلا استخفافاً بالعقاد ومن اقتفى أثره، فهؤلاء وأمثالهم أهون على الرفاعي من أن يُنصِب نفسه بسببهم، أو أن يُنشئ فيهم بياناً عالياً.

مَجْمَل مَأْخَذِ الرَّفَاعِيِّ عَلَى الْعِقَادِ:

تقدّم فيما اقتبسنا من مقدمة الرفاعي إشارة إلى شيء من مأخذه على العقاد، ونذكر هنا بإيجاز جملة من ذلك:

من أوّل مأخذه عليه: ما يراه فيه من ضعف في اللغة والأسلوب والصنعة البيانية، وقد صرح بذلك في (السفود الأول)^(١١) يقول: «ويدعي العقاد أنه إمام في الأدب، فخذ معنا في تحليله: أما اللغة فهو من أجهل الناس بها وبعلومها، وقلماً تخلو مقالة له من لحن، وأسلوبه الكتابي أحقق مثله، فهو مضطرب مختل، لا بلاغة فيه، وليست له قيمة،



الشاعرة عنه، فيكون العقاد بذلك شاعراً بلا شاعرية !

ولعل من نافلة القول أن نذكر: أن الرافعي لم يكن محققاً في كل ما نبز به العقاد، بل في مقالاته هذه غير قليل من التجني والتهويل والمبالغة !!

مقالات السفود في كتاب:

طبعة دار العصور:

تقدم أن مقالات (علي السفود) نشرت متتابعة سنة ١٩٢٩ م، وفي العام التالي (١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م) أعاد نشرها الأستاذ إسماعيل مظهر مجموعة في كتاب، صدر عن داره دار العصور، ولم يصرح باسم مؤلفه - على ما كانت الحال في المقالات - وأثبت على غلافه: بقلم إمام من أئمة الأدب العربي.

قدم الأستاذ مظهر للكتاب بمقدمة يامضائه بعنوان: التعريف بالسفود، أفصح فيها عما دفعه إلى نشر الكتاب؛ وأن السبب الأول في ذلك هو إفساح المجال لعلم من أعلام الأدب، وحجة ثبت من رجال العصور (يعني الرافعي)؛ ليعبر عن رأيه في صراحة وجلالة، في أديب امتاز بين الأدباء بشيء من الصلف، والزهو بالنفس، والإغراب في تقدير الذات، (وهو العقاد).

وتم سبب آخر لنشر مقالات السفود هو: وضع النقد في موضعه الصحيح، بعيداً عن المدح مجرد المدح، أو الذم مجرد النفع المادي، وإعطاء الكتاب الحرية التامة في التعبير عن آرائهم؛ لتحرير النقد من تقديس الأشخاص.

ويختم مقدمته بقوله: «وعسى أن يكون (السفود) مدرسة تهذيب لمن أخذتهم كبرياء الوهم، ومثالاً يحتذيه

والعقاد يقرأ بذلك، ولكنه يُعلِّله أنه لا يريد غيرَه، فنفهم نحن أنه لا يُمكنه غيره».

ويُح الرافعي على أن العقاد لا يعدو أن يكون مترجماً ناقلاً، وأحسن ما يكتبه هو أحسن ما يسرقه: كأن اللغة الإنكليزية عنده ليست لغة، ولكنها مفاتيح كتب، وآلات سرقة.

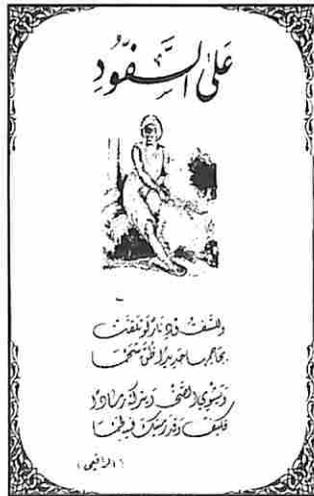
ويؤكد الرافعي أن أكثر شعر العقاد قائم على سرقة المعاني وانتحالها، من غير أن يضع لها تعليلاً أو يزيد فيها زيادة، أو يجعل لها سياقاً ومعرضاً، أو نحو ذلك مما يسوغ أخذه إياها، وقد استشهد الرافعي لذلك بغير قليل من شعره، يُورد أبياته أولاً، ثم يتبعها بالشعر القديم الذي سطا عليه العقاد، مبيئاً البون البعيد ما بين الأصل الجيد والمسروق المزيف، في دقة المعاني ورؤاء الأسلوب.

ويرى الرافعي أن للعقاد بضعة أبيات حسنة لا بأس بها، وألوفاً من الأبيات السخيفة المخزية، التي لا قيمة لها في المعنى، ولا في الفن، ولا في البيان؛ وذلك دليل قاطع لا شك فيه أن الأبيات الحسنة مسروقة، جادت بها قريحة أخرى، هيات أن يكون عند العقاد قليل منها. ولا يفوتنا التنبيه على أن السفود الخامس عنونه الرافعي ب: (العقاد اللص).

ومما يُنكره عليه أيضاً: تكراره المعاني في الأبيات، وكثرة أخطائه في التشبيه وفي العروض، وأنه لا يفهم ما يكتبه، مما يجعل شعره ككلام الجرائد !

وأزرى به مدعياً جهله باستعمال الألفاظ: اختياراً، ومزجاً، وتركيباً، وملاءمةً بينها، وإخراجاً للألوان المعنوية من نظمها وتركيبها.

كما نفى الرافعي عن العقاد الخيال الشعري، وذوق الشعر، والقدرة على العبارة الصحيحة





د. عز الدين البدوي النجار عضو مجمع اللغة العربية مع كاتب المقال

والعقائد، واضعاً ذلك في سياقه التاريخي الصحيح، نافذاً إلى أعماق الرجلين، محللاً لنفس كلٍّ منهما ولانتحاءات فكره التي أدت إلى ما عرّفنا من خصام شديد بينهما، وانتهى الدكتور إلى أن كلاً من الرجلين عبقرية عظيمة في تاريخ أدبنا العربي، لها سماؤها وأفقها العالي، وأن كتاب (السفود) فصلٌ من فصول الأدب والنقد الحديث، لا بدّ للدارس والمؤرخ منه، وقد رجّع بعد تناسخ الأيام من دونه كتاباً للتاريخ وحده، يحكم له أو عليه، وما كان كذلك لم يكن لغير الفنّ الخالص، أو العلم الخالص، حظّ يخلد به أو يبدي.

ب- تقديم الأستاذ سويدان للكتاب في خمس صفحات، عرض فيه لقدم الممارك الأدبية في تاريخ الأدب العربي، وذكر مسوغات إعادة نشر الكتاب في طبعة جديدة، ثم عرض لصنعتة في الكتاب، وما بذل من جهد في خدمته.

ج- ترجمة للرافعي اختصرها الأستاذ سويدان

الذين يريدون أن يحزروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص، ووثنية الصحافة في عهدنا البائد.

ويتعقّبهُ العُريان في «حياة الرافعي»^(١٢) قائلاً: أما أن تكون هذه المقالات مدرسةً للتهذيب، ومثالاً يحتذيه النّقد، فلا... فليس بنا من حاجة إلى أن يحتذّي النّقد هذا المثال في أسلوب النقد والجدل، فيزيدوا عيباً فاحشاً إلى عيوب النقد في العربية. إننا لنريد للناقد في العربية أن يكونوا أصحّ أدباً، وأعفّ لساناً من ذاك.

الطبعة الدمشقية:

غبرت سنوات طويلة على طبعة دار العصور، حتى باتت أعز من بيض الأنوق قلّة ونُدرة، فنهض الأستاذ الدمشقي حسن السّماحي سويدان بالعناية بالكتاب تصحيحاً وتعليقاً، وأخرجهُ في طبعة جديدة بحلّة قشبية وإخراج حسن، صدرت طبعته عن دار البشائر بدمشق، لصاحبها الأستاذ عادل عسّاف، سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، واشتركت في توزيعها دار المعلمة بالرياض.

ولولا هنات هيّنة يسيرة فيها لجاز لنا أن نقول: لقد بلغت هذه الطبعة الكمال أو كادت. تميّزت الطبعة الدمشقية ببعض المزايا، زادت من أهميتها، وأثرت الفائدة فيها، منها:

أ - التصدير البديع الذي كتبه العلامة الدكتور عز الدين البدوي النجار عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وهو أحد عمُد المدرسة الرافعية الأصيلة، ومن أصفياء شيخ العربية محمود محمد شاكر والأخذين عنه، وقد بلغ تصديره خمساً وخمسين صفحة، صاغها بقلم مِفَنِّ صنّاع، وبنمط رافعيّ أسلوباً ومضموناً، كشف فيها كشفاً دقيقاً عن ملبسات الصراع الأدبي بين الرافعي



- قصيدة للشاعر الضَّير المُرَهَف
أحمد الرِّين: (شُعراء العَصْرِ في
مِصر) فيها بيانٌ منزلة خمسة
وعشرين شاعرًا من شُعراء مِصرَ
المحدثين، وفيها يقولُ في العقَّاد:
ألا أبلغا العقَّادَ تعقيدَ لفظه
ومعناه مثلُ النَّبتِ ذاو ومُثمرٍ
يُحاولُ شعرَ العَرَبِ لكنْ يَفوتُه
ويبغِي قريضَ العَرَبِ لكنْ يُقصرُ
ويقولُ في الرافعي:
تَضيقُ معاني الرافعي بلفظه
فلا تُبصرُ المعنى وهيئات تُبصرُ
معانيه كالحسناءِ تَأبى تَبذُّلاً



الأستاذ حسن السماحي سويدان مع كاتب المقال

لِذَلكِ تَرَاهَا بِالْحِجَابِ تَحَدَّرُ
- سَفُودٌ من نوعٍ آخر، وهو قصَّةٌ عَبَثٌ
الدكتور طه حسين بالعقَّاد حينَ بايعه بإمارة
الشعر، وصَدَى هذه البيعة، ومن ذلك ما قاله
الأستاذُ الشاعر محمد حسن النُّجَامي
ساخرًا متَهكِّمًا:

خَدَعَ الأعمى البَصِيرُ
إِنَّهُ لَهُوَ كَبِيرُ
أَضْحَكَ الأَطفالَ مِنْهُ
إِذْ دَعَاهُ بالأَمِيرُ
أَصْبَحَ الشَّعْرُ شَعِيرًا
فأَطْرَحُوهُ لِلْحَمِيرُ

- ورِيَّنتُ الطبعةُ ببعضِ الصُّورِ المتَّصلةِ
بالكتاب، هي: صورةٌ للرافعي، صورةٌ غلاف
طبعة دار العُصور الأولى، صورةٌ غلاف
ديوان العقَّاد، صورةٌ غلاف الطبعة الملكيّة
لكتاب الرافعي «إعجاز القرآن والبلاغة
النبويّة»، صورةٌ مزدوجة للرافعي والعقَّاد،
صورةٌ خطُّ دعاء الشيخ محمد عبده للرافعي
وثنائه على أدبه.

- ودَيَّلتُ الطبعةُ بثمانية فهارسٍ عامَّةٍ كاشفةٍ،
هي فهارسُ: الآيات، الأحاديث، الأمثال،

من كتاب «حياة الرافعي» للُغريان، بلغت تسعَ
صفحات.

د- ما أثبت بين يدي الكتاب: (مقدِّمة في الشَّعر)،
وهي المقدِّمة التي كان كتبها الرافعي لديوانه
الأوَّل الذي نشره سنة ١٩٠٣ م، وقد رأى
الأستاذ سويدان ضمَّها إلى الكتاب؛ لما اشتملت
عليه من فَوائد، لعلَّ أهمَّها تقديمُ صورة جليَّة عن
نظرة الرافعي المتغلَّغلة في الشعر، ورؤيته النقديَّة
لمذاهب شُعراء العربيَّة.

ه- مَلَحَقَاتُ الكتاب، وهي:

- سَفُودٌ صَغيرٌ، ضمَّته قطعَةٌ من مقال العقَّاد:
(أدبنا على المِشْرِحة)، الذي كان نُشر في
مجلة (الاثنين والدينا) في ٢٦ إبريل ١٩٤٣ م،
وهذه القطعة في ذمِّ الأديب الشاعر الدكتور
زكي مُبارك، وأثبت بعدها ردُّ الدكتور مُبارك
بعنوان: (ماذا يريد العقَّاد ١؟)، نُشر في
المجلة نفسها والتاريخ نفسه! ومقالةٌ أُخرى
للدكتور زكي مُبارك بعنوان: (جناية العقَّاد
على العقَّاد)، نشرها في مجلة (الصباح) في
٦ مايو ١٩٤٣ م.

معتَرِك الحياة العامَّة ومطالبها ونكدها أحياناً،
وفرَعَ لجملة من مباحث الفكر والأدب العربيين،
اقتربَ فيها أشواطاً كثيرة مما كان الرافعيُّ
أخلصَ له نفسه، إلا أنه صنعَ ذلك بأسلوبه،
وبانتحاءات فكره، وطريقته التي يُقبلُ بها على
الأشياء.

والرافعيُّ والعقادُ كلُّ منهما عبقريةٌ على حدة،
وكلاهما بحرٌ زاخرٌ، وأفقٌ من الفكر والأدب عظيمٌ،
وقد رجَّعَ الرجلانِ كلاهما ثراثاً من ثراث الفكر
والأدب العربيين، يَعْتدُّ به المعاصرُ، وَيَشُدُّ به يده،
ويَحْرِصُ عليه»^(١٣). ■

الشعر، الأعلام، الأماكن، الكتب والمجلات،
الموضوعات.
وتميَّزَ فهرسُ الموضوعات بتلخيص رؤوس
موضوعات المسائل الدائرة في الكتاب، وما في
ثناياه من فوائد.

الخاتمة:

وبعدُ، فقد بلَغنا الغايةَ من الحديث عن المعركةِ
بين الرافعيِّ والعقاد التي أثمرت كتاب
(السفود)، ولقد «تنفَّسَ العُمُرُ بالعقاد دَهراً بعد
الرافعيِّ، وخرجَ من كثير مما كان يَشغَلُه في

الهوامش:

- (١) الرافعي «ص ١٦٨ - ١٨١، مصدر سابق.
(٧) حياة الرافعي ص ١٩١، مصدر سابق.
(٨) انظر كتابه: «مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات
الإسلامية في أدبه» ص ١٨٢، شركة مكتبات عكاظ،
السعودية، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
(٩) في كتابه: «الصراع بين القديم والجديد»، نقلاً عن كتاب
الأستاذ إبراهيم الكوفحي «مصطفى صادق الرافعي الناقد
والموقف» ص ١٩٢، مصدر سابق.
(١٠) في تصديره للطبعة الدمشقية ص ٥٨ - ٥٩، تصحيح وتعليق
حسن السماحي سويدان، دار البشائر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
(١١) ص ٦٦ من الطبعة الدمشقية، مصدر سابق.
(١٢) ص ١٩١، مصدر سابق.
(١٣) من تصدير الدكتور عز الدين البدوي النجار للطبعة
الدمشقية، مصدر سابق.

- (١) انظر ص ١٨٥ منه.
(٢) وهو الجزء الثاني من كتابه: «تاريخ آداب العرب»، الذي
صدر جزؤه الأول سنة ١٩١١ م، وقد طبع الرافعيُّ الجزء
الثاني مفرداً بعنوان: «إعجاز القرآن».
(٣) حياة الرافعي لمحمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٢٩، ط٢،
ص ١٨٧.
(٤) انظر «مصطفى صادق الرافعي الناقد والموقف» لإبراهيم
الكوفحي ص ١٨٥ - ١٩٠. دار البشير / عمان، مؤسسة
الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، سلسلة أعلام
المسلمين في العصر الحديث.
(٥) استمرَّ الرافعيُّ شاعراً للملك فؤاد من نحو سنة ١٩٢٦ إلى
سنة ١٩٢٩ م.
(٦) انظر تفاصيل الخصومة بين الرافعيِّ والغيفي في: «حياة

يارب

يارب قد صار بحر الدهر مضطرباً
وقد غمرت بموج من حوادثه
وإن أمدَّ بياعي أبتغي فرجا
فخذ يميني إلى علياء تعصمني
لا تستقر سفينتي عند ساحله
وإن أدعه فما جسي بحامله
فما سوى الريح شيء في أنامله
من جاهل الشرف في الدنيا وعاقله

مصطفى صادق الرافعي



مصطفى صادق الرافعي في وجدان محبيه

أتمنى وكيف لا أتمنى
وفؤادا مطهرا يلمح الدهر
أن لي في الحياة خلا وفيها
ر وأهليه راضيا مرضيا
ونعيم الحياة ما دمت حيا
ذلك المجد خافقا بعد موتي

مصطفى صادق الرافعي

- | | | |
|-----|--------------------|-----------------------------------|
| ١٧٦ | مصطفى صادق الرافعي | - ماذا أريد أن يقال عني بعد الموت |
| ١٧٦ | زينهم البدوي | - إلى صاحب القلم المتوضىئ |
| ١٧٧ | محب الدين الخطيب | - رثاء مجلة الفتح |
| ١٧٨ | عبدالرحمن نجا | - ذكرى الرافعي |
| ١٧٩ | محمد سعيد العريان | - مات الرافعي ... |
| ١٨٠ | أحمد حسن الزيات | - رثاء مجلة الرسالة |
| ١٨٢ | محمود حسن إسماعيل | - لم يطب للنبوغ فيك مقام |
| ١٨٤ | د . عبده بدوي | - إشراقه حلم |
| ١٨٦ | هاشم الرفاعي | - في ذكرى الرافعي |
| ١٨٧ | فاروق باسلامة | - للرافعي أنتسب |
| ١٨٨ | د . حيدر الغدير | - لأنك آليت |
| ١٩١ | محجوب موسى | - عاشق الضاد |
| ١٩٢ | عبير حسين إسماعيل | - رسالة إلى حارس الفصحى |
| ١٩٤ | محمد فايد عثمان | - حي اليراعة في بنان الرافعي |



مصطفى صادق الرافعي ماذا أريد أن يقال عني بعد الموت*

إلى صاحب القلم المتوضى ..
مصطفى صادق الرافعي

قلم توضأ ثم صلى ركعتين
ماذا عساه يخط في ألق اللجين
بعد انبثاق النور في كلماته
أضحى شهاباً نيراً في الخافقين
برداً سلاماً في قلوب من اهتدوا
ناراً تحرق من هوى بالأصفرين
من فيض نبع الطهر صار مداده
يهدى الحيارى في ربوع المشرقين
هو شاعر، هو ناثر، هو مبدع
هو مؤمن بالحق يمحو كل شين
لا ينحني للريح مهما زمجرت
فلكل باغ إن عتا سيحين حين
الحق أبلج ساطع في عينه
لا شيء يدعى، ربما، لا ، بين بين
قلم سما بحياتنا، لا ريب أن
مآله ظفر بإحدى الحسنين
شعر : زينهم البدوي - مصر

سأله محرر الدنيا منذ شهرين هذا السؤال فكتب إليه هذا المقال:
ما هي الكلمات التي تقال عن الحي بعد موته إلا ترجمة أعماله في
كلمات ؟ فمن عرف حقيقة الحياة عرف أنه فيها ليهيء لنفسه ما
يحسن أن يأخذه، ويعد للناس ما يحسن أن يتركه، فإن الأعمال أشياء
حقيقية لها صورها الموجودة وإن كانت لا ترى .
وبعد الموت يقول الناس أقوال ضمائرهم لا أقوال ألسنتهم إذ
تنقطع مادة العداوة بذهاب من كان عدواً، وتخلص معاني الصداقة
بفقد الصديق، ويرتفع الحسد بموت المحسود، وتبطل المجاملة باختفاء
من يجاملونه، وتبقى الأعمال تنبه إلى قيمة عاملها .
ومن هنا كان الموت أصدق وأتم ما يعرف الناس بالناس، وكانت
الكلمة بعده عن الميت خالصة مصفاة لا يشوبها كذب الدنيا على
إنسانها، ولا كذب الإنسان على دنياه، وهي الكلمة التي لا تقال إلا في
النهاية، ومن أجل ذلك تجيء وفيها نهاية ما تضمم النفس للنفس .
وماذا يقولون اليوم عن هذا الضعيف ؟ وماذا تكتب الصحف .
هذه كلمات من أقوالهم: حجة العرب، مؤيد الدين، حارس لغة
القرآن، صدر البيان العربي، الأديب الإمام، معجزة الأدب، إلى آخر ما
يطرد في هذا النسق، وينطوي في هذه الجملة . فسيقال هذا كله ولكن
باللهفة لا بالإعجاب، وللتاريخ لا للتقريب، ولنفعه الأدب لا لنفعه الأديب
. ثم لا يكون كلاماً كالذي يقال على الأرض يتغير ويتبدل، بل كلاماً
ختم عليه بالخاتم الأبدي، وكأنما مات قائلوه كما مات الذي قيل فيه .
أما أنا فماذا ترى روعي وهي في الغمام وقد أصبح الشيء عندها
لا يسمى شيئاً ؟ إنها ستري هذه الأقوال كلها فارغة من المعنى اللغوي
الذي تدل عليه لا تفهم منها شيئاً إلا معنى واحداً هو حركة نفس
القائل، وخفقة ضميره، فشعور القلب المتأثر هو وحده اللغة المفهومة
بين الحي والميت .
سترى روعي أن هؤلاء الناس جميعاً كالأشجار المنبعتة من التراب
عالية فوقه وثابتة فيه، وستبحث منهم لا عن الجذوع والأغصان
والأوراق والظاهر والباطن بل عن شيء واحد هو هذه الثمرة السماوية
المسماة القلب . وكل كلمة دعاء وكلمة ترحم وكلمة خير . ذلك هو ما
تذوقه الروح من حلاوة هذه الثمرة .

رثاء مجلة الفتح

مصطفى صادق الرافعي*

العدد ٥٤٩ - ١٤١٩ هـ - (العدد الثاني عشر) - طبع للجمعية (أرب المنيرة) بالشعراة بتاريخ ٥٤٦٦ هـ - ٢٠٠٤ ربيع الأول ١٣٨٦
مصطفى صادق الرافعي
 من عظمة سنة وأكثر إلى جعل هذا الفكر كعباً
 لتأني في العربية قولاً، وأبلغ معنى، وأغزر حكمة،
 وأبرز في تصوير من دعاني الطموح، ومن قبله الأدب
 تحريراً معاصراً صادق الرافعي
 لا يرام نظري في مساء الاثنين من هذا الأسبوع
 على غير وقته إلى استدراك نظري فيما يرى، ولم يصدق
 نظري ما رأى، لعقيدة رسخت في نفسي أن مصطفى
 صادق الرافعي لا يموت، وكيف يموت من أوله من أن
 كل صفحة من مؤلفاته، وفي كل سطر من كل صفحة، وإن
 ما في كتاب واحد، من بضع الحكمة ونواع الكلام أنه
 أعز من مستقلاً في كراسة، ولم يكن لمصطفى صادق
 الرافعي ما يدل على أنه يموت، لقد بدأت في كتابة
 هذه من مساء الاثنين وأدبهم

محب الدين الخطيب

من خمسمائة سنة وأكثر لم يحمل هذا القلم كاتب أمتن في العربية قولاً، وأبلغ معنى، وأغزر حكمة، وأوجز في التعبير عن دقائق الخواطر، من فقيده الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي.

لما وقع نظري في مساء الاثنين من هذا الأسبوع على خبر وفاته لم أصدق نظري فيما يرى، ولم يصدق نظري ما رأى، لعقيدة رسخت في نفسي بأن مصطفى صادق الرافعي لا يموت، وكيف يموت من أراه حياً في كل صفحة من مؤلفاته، وفي كل سطر من كل صفحة، وإن ما في كتاب واحد له من بليغ الحكمة ونوابغ الكلم لو أنه جرد مستقلاً في كراسة، ولم يكن لمصطفى صادق الرافعي ما يدل على أدبه غيرها، لكان بذلك في الطبقة الممتازة من حكماء الناس وأدبائهم .
لما كنت في دراستي الابتدائية كنت أحفظ قول حافظ إبراهيم فيه:

وأوتيت النبوءة في المعاني

وما جاوزت حد الأربعينا
ولو أن مصطفى صادق الرافعي أباد من الوجود كل ما استحق به هذه الشهادة من حافظ، لكان بعض ما زين به عقول الناس وألسنتهم بعد ذلك من بارع قوله كافياً لأن يكون من الخالدين .

من الأدباء والمثقفين من يساوي في أدبه وثقافته مقدارا كوفئ عليه بأضعاف أضعافه، لأنه خراج ولاج، يحسن المتاجرة بالأدب، ويعرف كيف يحمل من بأيديهم الثمن على أدائه له مضافاً إليه الربا وربا الربا

، وإن من الأدباء رجالاً يرون أدبهم أكرم عليهم من أن يتاجروا به ، فيعيشون لأجيال أخرى تصغي إلى عبقريتهم في هداة من ضجيج الأغراض والمطامع ، وفي سكينه النفس الشاعرة المنصفة ، وما قد فارقنا منهم الكاتب الأعظم مصطفى صادق الرافعي بعد أن عاش ما عاش بيننا كما لو كان من أهل الفهاة والعبي ، ولو أنه صرف مواهبه في الاتجار بما يحتاج إليه الناس في بطونهم وشهواتهم لارتفعت به هذه المواهب إلى قمة الثروة وسعة الغنى . لكنه أثر أن يعيش منشداً:

في ضميري دائماً صوت النبي

أمرأ: جاهد، وكابد، واتعب!
صائحاً: غالب، وطالب، وادأب
صارخاً: كن دائماً حراً أبي
كن سواء ما اختفى وما علن
كن قويا بالضمير والبدن
كن عزيزاً بالعشير والوطن
كن عظيماً في الشعوب والزمن
العلا، إن العلا
واجبات المسلم

خير عالم خلا

كان فينا ينتمي

عاش مصطفى صادق الرافعي مكافحا في سبيل إسعاد أسرته وبنيه، لأن بيئته لم تساعد على ذلك، بالمقدار الذي يناسب نبوغه وفضله . وعاش مكافحا في سبيل الأدب نفسه، فكان مؤلفا عالما، وكان شاعرا من طبقة عالية، وكان بعد ذلك أكتب كتاب العربية، لا يعلو على نثره نثر، ولا يبلغ أحد شأوه في دقة التعبير وابتكار جليل المعاني من أتفه الأشياء وأبسطها .

ومصطفى صادق الرافعي هو صاحب كل قول يقوله، وإن شائيه من أدياء التجديد - الذين يسطون على معاني أدباء الإفرنج فيمسخونها بأساليبهم العامية الضعيفة - لو أن الله سلط عليهم من يرد كل معنى في نثرهم وشعرهم إلى أصحابه من فرنسيس وإنكليز، لانطلقت معانيهم كلها إلى أوكارها البعيدة ، ولبقيت أساليبهم العامية الضعيفة خلوا من كل شيء . والذي سينتفع به مصطفى صادق الرافعي في موقفه غدا بين يدي ربه المعارك التي خاضها تحت راية القرآن دفاعا عن البنين المحمدي الخالد وتنكيلا بالذين حدثتهم أنفسهم أن يعملوا على هدمه . وجهاد الرافعي في هذا الميدان كان جديرا بسليل بيت الفاروق . وأحب بهذه المناسبة أن أذكر له مزية عرفتها فيه غير مرة، وهي عزوفه عن الاعتزاز بالنسب وحرصه على أن يعرفه الناس جنديا من جنود الإسلام وأن يقدره بما يروونه من قيمة جهاده .

إن الدفاع عن الفضائل، وعن الحرية، وعن حقائق الإسلام، كان سليقة في الرافعي يجري بذلك قلمه بغير تعمل ولا قصد، فكان هو بذلك شجي في حلاقيم مبغضني محمد ﷺ، وقد حاولوا كثيرا أن يضعوا من شأنه، وأن يحطوا من قدر أدبه، فلم يزيدوه إلا حرمة في نفوس الناس وإجلالا . وقلمنا حظي نثر معاصر باستظهار الناس له، وحفظهم بدائعه، كما رأينا المتذوقين حلاوة البيان العربي يحفظون آيات هذا النابغة وشواهد عبقريته ونبوغه .

رحمه الله رحمة واسعة، وأكثر في الأمة من خلفائه .

ذكرى الرافعي *

لم ألق في الأدباء مثلك مصطفى
تحكي براعته الحسام المرهفا

تحمي حمى أم اللغات بحده
وتذود عنها من بغا وتعسفا

قول كآيات الكتاب تنزلت
قد جل حسن بيانه أن يوصفا

كالصبح نورا والنسائم رقة
والدرّ نظما والربيع مَفَوْفا

ألقى البيان قياده لك تنتقي
منه - كما شئت - الأرق الألفا

* * *

يا ناصر الفصحى بقولك لم تكن
متصنعا فيه ولا متكلفا

أعليت بالأدب الرفيع لواءها
فهفا على العرب الكرام ورفرفا

وأعدته شعبا قويا بعدما
قد كان أوهى ما يكون وأضعفا

فلتبقَ ذكراك الكريمة بيننا
فهي الأحق بيومها أن يحتفى

شعر: عبدالرحمن نجا

* مجلة الأزهر، العدد الأول، يونيو، ١٩٦٣م.



مات الرافعي ولكنه سيعيش في قلب كل مسلم

كانت العربية، ومات فما كان حظه منا في أخراه أحسن منه في دنياه.

لقد حاول كثير من مؤرخي الأدب أن يتحدثوا عن الرافعي في حياته، فقالوا شاعر، وقالوا كاتب، وقالوا عالم، وقالوا مؤرخ، ولكنهم لم يقولوا الكلمة التي كان ينبغي أن يقال . لقد كان شاعرا، وكاتباً وأديباً، وعالماً، ومؤرخاً، ولكنه بكل أولئك، وبغير أولئك، كان شيئاً غير الشاعر والكاتب



بقلم: محمد سعيد العربيان

والأديب، وغير العالم والمؤرخ، كان هبة الله إلى الأمة العربية المسلمة في هذا الزمان، لينبئها إلى حقائق وجودها، وليردها إلى مقوماتها، وليشخص لها شخصيتها التي تعيش باسمها ولا تعيش فيها، والتي تعزز بها، ولا تعمل لها .

يرحمه الله! لقد عاش في خدمة العربية سبعا وثلاثين سنة من عمره القصير، وصل بها حاضرها المائل بماضيها البعيد، فهي على حساب الزمن سبع وثلاثون ولكنها على الحقيقة عصر بتمامه من عصور الأدب، وفصل بعنوانه في مجد الإسلام!

لقد عاش غريباً ومات غريباً، فكأنما كان رجلاً من التاريخ بعث في غير زمانه ليكون تاريخاً حياً ينطق بالعبرة ويجمع تجارب الأجيال، يذكر الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد، ثم عاد إلى التاريخ بعد ما بلغ رسالته .

لقد خفت الصوت، ولكنه خلف صداه في أذن كل عربي وفي قلب كل مسلم، يدعو إلى الجهاد لمجد العرب ولعز الإسلام .

لقد مات الرافعي، ولكن اسمه سيبقى ما بقيت العربية، وليس بعيداً ذلك اليوم الذي يتداعى فيه أدباء العربية من كافة أقطارها ليجعلوا ذكرى الرافعي موسماً من مواسم الأدب وحبلة يتسابق فيها أهل البيان .

لقد عاش الرافعي في هذه الأمة وكأنه ليس منها، فما أدت له في حياته واجبا ولا اعترفت له بحق، ولا أقامت معه على رأي، وكأنما اجتمع له هو وحده تراث الأجيال من هذه الأمة العربية المسلمة، فعاش ما عاش ينبئها إلى حقائق وجودها ومقومات قوميتها، على حين كانت تعيش في ضلال التقليد وأوهام التجديد . ورضي هو مقامه منها غريباً معتزلاً عن الناس، لا يعرفه أحد إلا من خلال ما يؤلف من

الكتب وينشر في الصحف، أو خلال ما يكتب عنه خصومه الأكثرون، وهو ماض على سنته سائر على نهجه، لا يبالي أن يكون منزله بين الناس في موضع الرضا أو موضع السخط والغضب، ولا ينظر لغير الهدف الذي جعله لنفسه منذ يومه الأول، وهو أن يكون من هذه الأمة لسانها العربي في هذه العجمة المستعربة، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال، وما كان - رحمه الله - يرى في ذلك إلا أن الله قد وضعه في هذا الموضع ليكون عليه وحده حياطة الدين والعربية، لا ينال منها نائل إلا انبرى له، ولا يتقحم عليها متقحم إلا وقف في وجهه، كأن ذلك «فرض عين» عليه وهو على المسلمين «فرض كفاية» .

لقد عرف الرافعي من يومئذ أن عليه رسالة يؤديها بين أدباء الجيل، وأن له غاية أخرى هو عليها أقدر وبها أجدر، فجعل الهدف الذي يسعى إليه أن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال، وأن ينفخ في هذه اللغة روحاً من روحه يردها إلى مكانها ويرد عنها، فلا يجترئ عليها مجترئ ولا ينال منها نائل ولا يتندر بها ساخر، إلا انبرى له بيد أوهامه ويكشف عن دخيلته .

لقد عاش الرافعي حياته يجاهد لأمته ما لم يجاهد أديب في العربية منذ قرون، وقضى حياته يلقي من العقوق ونكران الجميل ما لم يلق أديب في العربية منذ

رثاء مجلة الرسالة

مصطفى صادق الرافعي*

شديد على الرسالة أن تنعي الرافعي إلى ديار الحنيفة وأقطار العروبة بدل أن تزف إليها كعادتها درة من غوص فكره وآية من وحي قلمه! وعزيز على هذا القلم أن يتقطر سواده على الرافعي وهو نوره في



بقلم: أحمد حسن الزيات

مداده، وسنده في جهاده، وصديقه في شدته! وعظيم على العالم الأدبي أن يبرزاً في الرافعي وهو الطريقة المثلى لغاية الناشئ، والمثل الأسمى لطموح الأديب، والحجة العليا على قصور القاصر!
يا لله!! أفي لحظة عابرة من صباح يوم الاثنين الماضي يلفظ الرافعي نفسه في طوايا الغيب كومضة البرق لفها الليل، وقطرة الندى شربتها الشمس، وورقة الشجر أطاحها الخريف، ثم لا يبقى من هذا القلب الجياش، وهذا الشعور المرهف، وذلك الذهن الولود، إلا كما يبقى من النور في العين، ومن السرور في الحس، ومن الحلم في الذاكرة!!

كان الرافعي يكره موت العافية فمات به: أرسل إلي قبل موته الفاجئ بساعات كتابه الأخير يشكو فيه بعض الوهن في أعصابه، وأثر الركود في قريحته، ويقترح عليّ نظاماً جديداً للعمل يجد فيه الراحة حتى يخرج إلى المعاش فيقصر جهده على الأدب، ثم يسرد إيجاز عزائمه ونواياه، ويعد المستقبل البعيد



العدد ٢٠٢ - العدد ٢٠٢ - العدد ٢٠٢

مصطفى صادق الرافعي



شديد على الرسالة أن تنعي الرافعي إلى ديار الحنيفة وأقطار العروبة بدل أن تزف إليها كعادتها درة من غوص فكره وآية من وحي قلمه! وعزيز على هذا القلم أن يتقطر سواده على الرافعي وهو نوره في

مداده، وسنده في جهاده، وصديقه في شدته! وعظيم على العالم الأدبي أن يبرزاً في الرافعي وهو الطريقة المثلى لغاية الناشئ، والمثل الأسمى لطموح الأديب، والحجة العليا على قصور القاصر!

| فهرس العدد | صفحة |
|-----------------|------|
| أحمد حسن الزيات | ١٠٠ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠١ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠٢ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠٣ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠٤ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠٥ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠٦ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠٧ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠٨ |
| أحمد حسن الزيات | ١٠٩ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٠ |
| أحمد حسن الزيات | ١١١ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٢ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٣ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٤ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٥ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٦ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٧ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٨ |
| أحمد حسن الزيات | ١١٩ |
| أحمد حسن الزيات | ١٢٠ |

بالإنتاج الخصب والثمر المختلف، ويقول: « إن بنيتي الوثيقة وقلبي القوي ستغلبان على هذا الضعف الطارئ، فأصمد إلى حملة التطهير التي أريدها... ».

كتب الرافعي إليّ هذا الكتاب صباح الأحد، وتولى القدر عني الجواب صباح الاثنين: قضيت الصديق العامل الأمل الليلية الفاصلة بين زينك اليومين على خير ما يقضيها الرخي الأمن على صحته وغبطته: صلى العشاء في عيادة ولده الدكتور محمد، ثم أقبل على بعض أصحابه هناك فجلا عنهم صداً الفتور بحديثه الفكاهة ومزحه المهذب، ثم خرج فقضى واجب العزاء لبعض الجيرة، ثم ذهب وحده إلى منتزه المدينة فاستراض فيه طويلاً بالمشي والتأمل، ثم رجع بعد موهن من الليل إلى داره فأكل بعض الأكل ثم أوى إلى مضجعه.

* مجلة الرسالة، العدد ٢٠٢، ٧ ربيع الأول، ١٣٥٦هـ، السنة الخامسة.



البغض، فلا يداور ولا يداري، ولا يحقد ولا يحسد . عملت في الرافعي عوامل الوراثة والبيئة والدراسة والعاهة، وانفق له من كل أولئك ما لم يتفق لغيره، فكان أفقه العلماء في دينه، وأعلم الأدباء بلغته، وواحد الأحاد في فنه . والدين واللغة والأدب هي عناصر شخصيته وروافد عقليته وطواع وجوده . لذلك كان يقظ الرأي شاهد الحس لما يعلق بثلاثتها من أباطيل وشبهه . وعبقريات المصطفى إنما كانت تنزل على قلبه المرسل حين تمتد الأفيكة إلى كتاب الله أو إلى لغة العرب أو إلى أدب الرافعي .

الرافعي أمة وحده، لها وجودها المستقل وعالمها المنفرد ومزاجها الخاص، وأكثر الذين كرهوه هم الذين جهلوه: كرهه الأدباء لأنه أصحح لهم بالخصومة فانفرجت الحال بينهم وبينه . وكرهه المتأدبون لأنه رفع مقياس الأدب فوسمهم بالعجز عنه . وأنكره العامة لأن الأمر بينهم وبينه كالأمر بين العمى والنور! إنما يحب الرافعي ويبكيه من عرف وحي الله في قرآنه، وفهم إعجاز الفن في بيانه، وأدرك سر العقيدة في إيمانه .

ذلك بعض الرافعي الإنسان، أما الرافعي الفنان فموعدك به خمود الحزن وانكسار المصيبة .

أكره ذنوبي

قيل للرافعي: هل تكره الموت؟ فقال: لا بل أكره ذنوبي، أما الموت فهو اكتشاف العالم الأكبر، نسأل الله حسن الخاتمة .

وقيل له: ما هي وصيتك إذا حضرته الوفاة؟ فقال: هي تكرار المبدأ الذي وضعته لأولادي: النجاح لا ينفعنا بل ينفعنا الامتياز في النجاح .

وفي الساعة الخامسة استيقظ فصلى الفجر وهو يجد في جوفه حزة كانت تعتاده من حموضة الطعام . فلما فرغ دخل على ولده الطبيب فسقاه دواء . ثم عاد فنام . وهب من نومه في منتصف الساعة السابعة، وخرج يريد الحمام فسقط - واحسرتاه - من دونه سقطة همد فيها جسده، فلا صوت ولا حركة! وذهب الرافعي ذو اللسان الجبار والذكر الدوار والأثر المنتشر، زهاب الحباب كأنه لم يملاً مسامع الدهر، ولم يشغل مدارك الناس زهاء أربعين سنة!

كان آباء الرافعي شيوخ الحنفية في مصر، تولوا قضاءها وإفتاءها وإقراءها حقبة طويلة من الدهر، فدرج هذا الناشئ الصالح في حجور أربعين قاضياً من قضاة الشريعة كانوا من أهل بيته، وقد نوه بهم اللورد كرومر في بعض تقاريره، وكان أبوه الشيخ عبدالرازق الرافعي قد جرى على أعراق هذه الأسرة الكريمة من ورع القلب وصحة الدين وسلامة الضمير، ثم تميز في قضائه بمرارة الحق وصلابة الرأي وثبات العقيدة، فجاء مصطفى في كل ذلك صورة أسرته وسر أبيه .

لم يذهب الرافعي إلى الأزهر، فقد كان في أزهر من قومه، وإنما نشأ في مغداه ومراحه بين طلخا والمنصورة أفنديا يتلقى معارفه الأولى بمدرسة الفريز، ويتخرج في علوم اللسان والشريعة على أبيه، حتى حذق العربية وفقه الدين وثقف الأدب وأصبح فارساً في الحلبتين ولما يعد العشرين، فلما بلغ ربيع العمر ختم الله على سمعه بالصمم الشديد، فكان منذ شبابه الأول بنجوة من لغو الناس ولغط المجتمع، فسلم عقله من السخف، وبرئ ذوقه من التبذل، وعاش في عالم الخيال ودنيا الكتب، فأتسع أفق تفكيره، وارتفع مقياس فنه . وظلت طبيعته البشرية على الكهولة نقية حرة كطبيعة الفتى الشابل، فيها الغضب الحاد، والرضى الهش، والدلال المتعظم، والهوى الجموح، والفتوة الأبوية، فهو يخلص في الحب ويصدق في

لم يطب للنبوغ فيك مقام*

لا عليك - الغداة - مني سلاماً
لك! ويزهو بشاطئيك الظلام
ويموت النشيد والإلهام
أين قمرت بشطك الأنغام
لك حيارى، يؤج فيها الضرام
ر، وغابت كأنها أوهاماً
مصرع السحر: لهفة! وأوام
مات في الأيك نورها البسام
ترعش العمر شكوة وسقام
ت وأشجاك من نشيدي الملام..
غير ما أحسنت به الأقلام
قد نعاه لعصرك الإسلام
صنغ أستاره أسى وقتام
د) ولا صابرت أساها (الشام)
خلدت ذكره بها الأهرام
يا، وعيت عن كشفها الأفهام

* * *

ي كما تخبأ الشذى الأنسام
كوب تهفو بشطه الأحلام
ر على نارها يلذ المنام
رى، من الطل كأسها والمدام
في رباها قنابر ويمام
في حمى الله سكرة وهيام
ل أطارت لهيبها الأجرام

لم يطب للنبوغ فيك مقام
المنارات تنطفي بين كفي
والصدي من مناقر اليوم يحيا
قد حبوت النعيب ظلك لكن
في هجير الأيام تمضي أغاني
عبرت مسبح الجداول، والنه
تسكب السحر من شفاها عليها
تسكب العطر والخمائل صفر
تسكب البرء من جراح عليها
أنت (يا مصر): واصفحي إن تعتد
قد رعيت الجميل في كل شيء
من روابيك خف للخلد روح
لبست بعده العروبة ثوبا
لم نقق من شجونها فيه (بغدا
وعلى (بلدة المعز) دموع
صاحب المعجزات أعيت حجا الدن

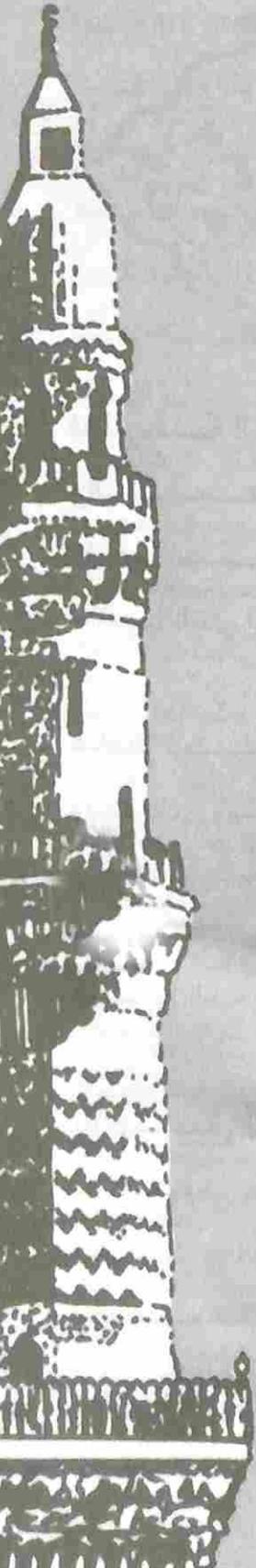
يخبأ الحكمة الخفية في الود
ويذف البيان كالسلسل المسد
فإذا رق خلته قُبل الفج
أو حديث النسيم للزهرة السك
أو حفيف السنابل الخضر.. رفت
أو دعاء النُساك.. أبلت صداهم
وإذا ثار خلته شُهب اللي



شاعر: محمود حسن إسماعيل
مصر

لحن حزين هزته
ذكرى الأديب
العربي الخالد
مصطفى صادق
الرافعي.





أو شواظا مسطّرا ... قذفته
أتعب الجاهدين خلف مراميد
أصنيدُ الفكر واليراعة والوحد
حيّر النقد أن تروع المعاني
فانزوى الحاسدون ... إلا فضولا
قد سقاهم من سنه مصرع الرو
فلتقم بعد موته ثورة الشا
وله الشأن .. عزّة وخلود

* * *

إيه يا ساقى «المساكين» كأسا
قد جعلت الآلام «وحيك» حتى
ما الذي كان في «سحابتك الحم
كنت في عزلة مع الوحي تشكو
تمسح الدمع من عيون اليتامى
صنت عهد البيان لم ترخص القو
وتفردت بالصياغة ... حتى
ووهبت (الفرقان) قلبك .. حتى
فبعثت «الإعجاز» كالشمس منه

* * *

فقم اليوم ! وانظر الشرق . ضاعت
مزقت قلبه الذئاب من الفت
في (فلسطين) لو علمت جراح
وطن الوحي ، والنبوات والإله
جذوة في جوانح الشرق تغلي
يذبح القوم في المجازر - فرط الظ
ويهان (المسيح) في موطن القد
وحماة البيان خرس .. كأن الذ
إيه يا «مصطفى» وفي القلب أشجا
ليت لي سمعك الذي كرم الل

من يديه مـوائق وذنمـام
ك .. ونام الرعاة والأغنام
مالها في يد الطغاة التئام
هام ... أودى ! فعاث فيه الطغام
فيروع السماء منها اضطرأ
ظلم فيها - كأنهم أنعام
س ، ويشقى بأرضه الإسلام
ود عن كعبة الجدود حرام
ن ! وفي الصدر حُرقة وضرأ
ه صداه ! فمات فيه الكلام



شعر : د . عبده بدوي
مصر

إشراقه حلم

تحية مصطفى صادق الرافعي

في جبين لأمة خلاقه
والقصيد الذي يرف أنقه
نغمات رائقا ، وفجرا ، وبقاه
عُش حب ، وجنة من صداقه

* * *

بين نور مصافح أعماقه
ها إلى قوله تعالى «وثاقه(١)»
ومشى واستدار في استغراقه
وعطورا ، وساحة مفاقه
وإذا القلب فرحة والعناقه

* * *

للمساكين في طريق الفاقه
بعد أن عاد مُجهدا .. إرهاقه
خلف مارف من عفة وعلاقه
جنة في أهدابنا المشتاقه
فاكشف السر قد بلغنا رواقه!

* * *

فرحة النور، والمنى، والطلاقة
والسماء التي تموج صلاة
كل هذا أسوقه في انبهار
للأديب الذي أحال الليالي

ها هنا قد خطا يشق طريقا
وتهادى وسورة الفجر يتلو
ها هنا عانق الوجود بحب
فإذا ما رأى على البعد همسا
فإذا الله قاب قوس وأدنى

يا صديق الحياة .. يامن تغنى
يا حبيب الفقير مسحت عنه
يا شقيق العشاق كتبك كانت
يا سمير القرآن طرزت منه
.. أنت رضوان عالم من ضياء



كان من روضك النضير انطلاقة
كيف حاولت في ذراك الطلاقة
- وهي خضر - عن المنى الدفاقة
فإذا الليل غنوة رقراقة
ت .. فما قلته من الورد طاقه
لترى الحق راية سبباقة
لم تثر خلفه جواد «سراقه»
أحول الحقد ، موسم الإطراقة
لم تقل: إنهم عبيد الناقة
ورمال ممتدة أفأقاه
وهم العقم فاغر أشداقة
قلت : قد فجروا هناك الطاقه
عرب .. بل لهجنة في العراقة
أبصر الوجهه بسمة وائتلاقة
م .. وقد كنت للسناء أبواقه
فإذا الجند لا تحل وثاقه
حينما أوقف المحيط سبباقة
للربى الخضر والمنى الدفاقة
يترامى بأنجم خففاقة
خلفك الكون ساحباً أشواقه
وبحب لأمة عمالقه
أملا في النفوس أو إشراقه!

لست أنسى .. وكيف أنسى وخطوي
لست أنسى - ولم أزل بعد طفلا -
كنت بحرا فما رددت حروفي
كنت أفقا جمعت منه نجومها
لم يزل بين خاطري كل ما قل
كم ليال قضيت لها في صراع
لم تكن ضيقتا بكل جديد
لم تقا تل عن القبيح .. وتمشي
لم تعب قومك الذين تولوا
لم تقل: إنهم خيام وسيف
لم تقل: إنهم جنانية وأد
قلت : قد أسهموا بكل جديد
.. يا صديقي ما إن سقطنا لأنا
أيها الشيخ لن تموت فإني
أنت حرصتنا على الفرس والرو
أنت غنيت فوق فسطاط «عمرو»
أنت شاهدت «عقبة» وهو يبكي
أنت أبصرت «طارقا» وهو يعدو
أنت قد كنت «بيرقا نبويا»
أنت أذنت بالحروف فاصلي
أنت ما زلت مرسلا بغناء
كل حرف زرعتة صار يعطي

(١) « ولا يوثق وثاقه أحد » سورة الفجر ، الآية ٢٦ .

في ذكرى الرفاعي*

(أقيمت في الحفل الذي أقيم بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة يوم ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧م ، وكان الشاعر في هذا الحفل على موعد مع أول خطاه في سبيل نباهة الذكر، والالتفات إلى فنه، ورعاية مواهبه. . .)

شعر : هاشم الرفاعي
مصر

روح أطلت على أرجاء نادينا
جرت بها اليوم أقلام الوفيينا
من بعد أن طويت بين الورى حيننا
حيا. فسقناه بعد الموت تأبيننا
إلا لتغمر عند الصبح واديننا
عن الصواب فقد ساءت موازيننا
وأرهفوا حوله الأحقاد سكيننا
في جانب الحق لا يبدي لهم ليننا

* * *

قد أسمع الكون تغريدا أفانينا
ولم تزل معربات عن أمانينا
في أي هاوية باتت أغانينا
وبالخلاعة تغري النشء تلقينا
ضج المجون بها معنى وتلحيننا
قد مات لكنه أحيانا الملاييننا
تميت كل شعور صالح فينا
وهالة من سنى تكسو المحبيننا
إلى انحلال غوي كاد يطويننا

من جانب الخلد في ظل النبيينا
تصفي إلى كلمة التاريخ منصفة
وتجتلي صفحة التقدير ناصعة
قد فات صاحبها التكريم عن حسد
الحق كالشمس لا تخفي أشعتها
وإن أمال موازين الرجال هوى
كالواله التهم النكراء قاتلة
فأغلق السمع دون القوم ثم مضى

إني لأعجب من شاد به صمم
كانت أناشيدته أنغام عزتنا
فهل ترون إذا أصغت لنا أذن
مشت إلى الفتنة الرعاء توقظها
من همسة الجنس قد صيغت مراهقة
يامبدعا لمعاني الخير..مشرقة
كم بيننا اليوم من حي كتابته
قد جاء ماقلته في الحب مكرمة
ولم يكن كتفاهات تسيير بنا

* الديوان ، ط١ ، مكتبة الحرمين ، الرياض ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م، تحقيق محمد حسن بريغش .



من الفراش، كمن خط المساكيننا
من الفنون جلّت أمجاد ماضيّنا
وأشقرت في فم الدنيا عناويننا
لما عرفتهما أقوى صياصينا
وتلك تحفظنا روحاً وتكويننا
في مصر يستنكرون الضاد والدينا
في الغرب يمشي بها الإلحاد تنينا
هدى السماء ولا نصح المداويننا
والماء يجري زلاً بين أيدينا
يُسقى بها من معين الحق صايننا
بها الصحافة أو تزجى دواويننا
فبالجمود أو الإغلاق يرمينا
يرضي العرائس أو يرضي الشياطيننا
فرت على خجل منه قوافينا

* * *

للرافعي فقد قلت جوازيننا
علياً إذا هي حيّت سوف تحيينا

وليس من خط أفكارا تصيدها
تلك الروائع قد خلفتها قمما
تألفت في ربا الإسلام معرفة
للدين والضاد قد سطرتهما عمدا
هذا من الذل والأغلال يعصمنا
فهل أتاك حديث القوم حين مضوا
ضحالة من ثقافات مرردة
وأنفس مرضت، لم يشف علتها
تبیت يقتلها من جهلها ظمأ
ونظرة في كتاب الله واحدة
ومحنة الضاد مازالت تطالعنا
شعر إذا ما حججنا منه قائله
لا تستبين سنا الإلهام فيه ولا
لما بدا قلق الأوزان مضطربا

إن اكتفيننا بما سقناه تكرمة
فكرموه بأن تحييا له مُثُل

للرافعي أنتسب

أوراق ورد والرسـ
ائل التي هي العجب
كلاهما قد أبرزنا
الرافعي إذ أحب
فالرافعي كاتب
مفكر فيما كتب
للرافعي أنتمي
للرافعي أنتسب

يُنسى كثيرا في الأدب
إيمانه هو السبب
كتابه وحي القلم
نخيرة بين الكتب
كذاك فيما قد روى
تاريخ آداب العرب
فإن أردتم شاهدا
على الجوى الذي كتب

شعر: فاروق باسلامة - السعودية



شعر: د. حيدر الغدير
السعودية

لأنك آليت

يوشـيـه من كل فن بنان
ويزداد حسنا ولا تسأمان
وتغدو وسامته كالجنان
وما امتدت الضاد عبر المكان
وما طاب للعربي البيان

* * *

هزار يغني وأنشـودتان^(١)
وعينان بالشهد نضاختان
وأناك والمشـتري توأمان
فكنت بها درة المهرجان
رأى في التراث الغوالي الهجان
فأهداك منها الوضاء الحسان
حناياك تتلوه في كل أن
بروداً كحسن الصبايا ليدان
وأقباسه وامتداد الأذان^(٢)

* * *

بيانك باقٍ بقاء الزمان
إذا أنت أدمنته تستزيد
فتغدو نضارته كالصباح
سيبقى بقاء السما والسنا
وما طاب في الأيك نفع الشذا

بيانك وهو السري الوضي
وأفراح روض سقاء الحيا
يجده روحك العبقري
وأن البلاغة آلت إليك
ولم لا وأنت الذكي الذي
سهرت عليه وأدمنته
وجئت الكتاب فأسكنته
وتنسج من آيه البـاهرات
كان عليها رواء الكتاب



وملء الجَنان وملء المكان
ربيعاً محاسنه أضحياناً
ويروي جلالته المغربان
كما فني الآل في الصحاحان
وأكفانه شؤمه واللّعان
وعزم تطاول - كالسندان
وألا تخاف الخطوب العوان
فغنى: ربحت ونلت الأمان
وعينك من فرحة تهميان
لتهدي البلاد وتحمي الكيان
وأسرجت من كل حرف حصان
وقلبك في يقظة الديدبان
وأنت المعين وأنت المعان^(٣)
إذا اشتد في أمره أو الآن

* * *

لقد كنت حسّان هذا الزمان^(٤)
وتبقى لها في الغواشي كنان
وفيهما البشائر جذلي حوان
وضوعة مسك ورجع أغان
تأبى على كبوة أو حران
ويعدو ليبلغ أقصى المظان

* * *

ويشهد لي النجم والعاقبان
وعينك في غضبة جمرتان^(٥)
ولا تهدان وسيفك قان
وفي خلدي تسكن الحسنيان

سيبقى بيانك ملء الزمان
عليه الجلال وفيه الجمال
يحدث عن حسنه المشرقان
ويفني البيان الدعى الدخيل
ويدفن في ثوبه المستعمار
سلاحك في الغاشيات الثبات
وأنتك ألييت ألا تهني
وأنتك من فاز لما اشترى
وأشواقك الأمنيات الوضياء
وأوقدت من أصغريك الشموع
وأحكمت من كل سطر قناة
تنام ولكن كحسب القطا
دؤوبا كجسدك في كده
ومنه استقيت نبيل الخصال

نجي الدراري وترب الخلود
ستبقى لأمتنا مشعلا
وتبقى بأعراسها فرحة
وتبقى لها بسمه في الثغور
ومهرا قوائمه في السحاب
مداه الرياح بكل المظان

وأشهد كنت الجريء الجسور
تقاتل عن حرمة المسلمين
وكفك في صولة تفریان
تقول أصاول عن أمّتي

وعن مجد أهلي وهو الرعان
ومكة وهي الهدى منذ كان
وشاد الخلائف عبر الزمان
وأخر مان، وأخر خان
ومستغرب واغل أو جبان
ويزعم أن سناها دخان
وسيف أبيه الصوول اليمان

* * *

وما قال في الخلوة الألعبان^(٦)
وما بهرجوا وهو سام واران
فتغدو سخائمهم في العلان
عليما وأذناه لاتسمعان
وعقلي وقلبي لا يكذبان
سمعت بها والليالي دجان

* * *

من الرافي عي وأنت الرزان
وأنت الذكاء وأنت الحصان
وأنت له منذ كان الخوان؟
أجاد وساد ونال الرهان
وإني له خمره والدنان
لها حيث تسري جمال وشان
سرياً كما كنت والفرقدان

وعن لغة الضاد وهي المدى
وعن طيبة مآزر المؤمنين
وعما بنى الفاتحون العظام
وتحرس دينك من جاهل
ومستشرق مغرق في العدا
ومن منكر الشمس في رآها
ومن بائع للعدا قوموه

أصم وتسمع كيد الحواة
وما أحكموه من الشائعات
فتفجؤهم فاضحا كيدهم
فإن سألوا: كيف صار الأصم
تقول لهم: إن سمعي الرؤى
وفي البصيرة مثل الضحى

سألت العروبة في خلوتي
وأنت الفضائل والمكرمات
وأنت مهاد البيان الأصيل
فقلت: هو الألمي الذي
وإني له ظئره واللبان
فقلت: صدقت، وأمجاده
ويشهد لي الضاد والمبدعون

الهوامش :

(١) هما الشعر والنثر.

(٢) وصف سعد زغلول بيان الرافي بأنه : « بيان كأنه تنزيل من التنزيل أو قيس من نور الذكر الحكيم ».

(٣) ينتهي نسب الرافي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) وظف الرافي بيانه للدفاع عن الإسلام كما فعل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٥) عاش الرافي وهو يشعر أنه أحد المطالبين دائما بحراسة الدين والأمة واللغة.

(٦) ضعف سمع الرافي حتى انتهى إلى الصمم التام.

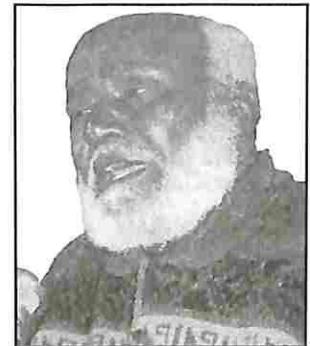


حروف القول إلا من سناها
ولم يعشق من الدنيا سواها
وسحبان الفصاحة من جناها
عن الإسلام يعبره فتاها
من النيران في أعتى لظاها
وإن مس اللهاة أو الشفاها
بحب الله والمبعوث طاها
حقارته ولا يبدي السفاها
ذليلا ليس يرفعها جباها
وتنتحر الشكوك ومن طواها
إذا ما هم بالفصحى عداها
فداها وهو يقسم ما فداها
قليلٌ ضل من البذل تاها
ولا الجنات في أسمى ذراها
ولو كانت لهامت في عماها
لملته ويبعث في هواها
ولو باع المصاعب واشتراها
سبيل الصادقين بهم تباها
وللفصحى سمت مجدا وجاها
وياويل الذي يصلى لظاها
وطوبى للسهام ومن رماها
وما كانت لدنيا أو غناها
وللفصحى تنافح عن حماها
فذكر الله لحمتها .. سداها
نفوس لم تزل تسعى خطاها
إذا ما ذلة عننت أباهها

أحب الضاد حتى كاد يُخلى
وأعطاها لباب العمر صرفا
فأعطته الذي لم يعط قسُ
وكانت معبرا للزود عنها
فأسلحة الكلام أشد فتكا
إذا كان الكلام من الحنايا
وكان وراءه قلب مليء
هنا لا يقدر الإلحاد يبدي
فقول الحق يلجمه فيمسي
وتنهزم الحقود ومن حواها
ومن كالرافعي فتى صدوقا
وإن مس الحنيفة ظل شر
فكل فدى ولو من غير حد
هو الإسلام لا يعلى عليه
فلولاه لما كانت حياة
وكان الرافعي يموت ألفا
ويخجل أن يقول فعلت شيئا
وهذا سر رفعتة وهذا
معاركه لأجل الدين تترى
ويا ذل الذي يبغى أذاها
فحرف من بلاغته سهام
فلم تك للمغانم والسبايا
ولكن للحنيفة دون من
بظل الراية العصماء جلت
فياربّ البيان الصدق ماتت
وذكرك لم يمّت .. ما مات مرة

عاشق الضاد

مصطفى
صادق
الرافعي



شعر: محبوب موسى
مصر

رسالة إلى حارس القصي



شعر : عبير حسين إسماعيل*
مصر

وكفك أعلى منبر حين تكتب
تضيء شعاب الكون لا تتغرب
تروني بها هذي القلوب فتشرب
إذا لم يكن للحرف أم ولا أب
على أفقها تزهو النجوم وتعجب
عن الناس طرا .. لا عليك تحجباً
فخارا وتيها أنها لك تنسب

* * *

وصوتك فواح ، ونكرك طيباً
ثناء على هذا اليراع ويطنب
ويأتي ويمضي موكب ثم موكب
ولا من مقرر .. والزمان يقلب
ويأفل منهم كموكب ثم كموكب

يراعك سيف الحق أيان تضرب
تلم شتات الكون في در أحرف
وتعصرها من سلسبيل معتق
هي الكلمات البيض أنت أب لها
كفاك بها في سفر عمرك صفحة
وأكرم بها من فاتنات تحجبت
سليلة كف (الرافعي) وحسبها

أمير البيان الحرها أنت راحل
تغيب وما زال الزمان مرددا
ومن عجب تمضي الحياة بركبها
وتمتلي الدنيا وتفرغ منهم
كثيرون ولوا .. راحلا إثر راحل

* باحثة وشاعرة شاركت في عدد من المؤتمرات الأدبية الإقليمية في مصر.



تمر بك الأجيال ليس تغيبُ
مضى زمن يتلوه آخر يرقبُ
ولكن عصرا لستَ فيه معيَّبُ

* * *

ينوء بها هذا القصيد المعذبُ
به الناس فوضى ، والحقائق تغلبُ
ولاحت أعاجيب من الدهر أعجبُ
ولا الحق .. بل غش يُدان ويكذبُ
تلوح شخوصا وهي في الحق أنوبُ
وأعجب من شابٍ تحيّر .. أشيبُ
على ثقة: (أي الرجال المهذبُ)
على يده وشي البيان المذهبُ
فجرد سيف الحق .. والحق يغضبُ
وفي صدره الإيمان لا يتذبذبُ
تلقّف ما خطت يدها المخيبُ
جفاء به الأيام تلهو وتلعبُ
مع النور يبقى .. أو مع الحق يصحبُ

* * *

عليه زمان ليس للشعر ينسبُ
تحاسدني فيها النجوم فتغربُ
وليس حيايتي بالتي هي تُرغبُ
تراني الليالي عن دراربه أنقبُ
بقافية من يأسها تلهبُ
وتعجب من حزني .. وباسمك أُطربُ

وأنت على درب الحياية منارة
وتحتشد الدنيا لصوتك كلما
بلى .. كل عصر بالرجال متوج

فيا حارس الفصحى أثبت شكاية
أبتك أنا في زمان عمماية
تهاوت مفاهيم .. وحالت طبائع
وبدلت الأخلاق .. لا الصدق في الورى
وما الناس إلا هيئة في ثيابهم
شباب - كما كنتم - ولكن بلا هدى
فإن كنت فيهم بيننا قلت منشدا
وأي فتى كالراقعي إذا زها
رأى اللغة الفصحى يراد بها الأذى
أيهدم ركن الدين .. كلا وربّه
وفي كفه هذا اليراع الذي به
فأين الذي صاغوه من كذب .. مضى
وظل الذي في الأرض ينفع أهلها

سلاماً أمير القول من قلم عدا
أقلد جيد الدهر كل يتيممة
وليس زمانني بالذي هو منصفني
ومن عجب والشعر ليس بنافعني
وإن لاح طيف منك راحت أناملي
(تغالب فيك الشعر ، والطبع أغلب)

وصلي حبالك كيف شئت أو اقطعي
إني ادخرت هواك داخل أضلعي
رحل الفؤاد رأيت ذلك موضعي
فإذا خيالك بين أوراقى معي
ربّ اليراعة والبيان اللوذعي
يا شادي الألحان شنف مسمعي
يا شمسٌ ظلي في مدارك واسطعي
من تحتها صاولت كل مززعج
فيها من الأدب الرفيع الممتع
رغم افتراءات السفية المنزعج
لولا هنات عُد أطيّب مرجع
من كل بحر للبديع مرصع
ليسوا بذى الثوب الرقيق مرقع
وينوء واحداهم بفقير مدقع
إما رأيتهم تسرب أدمعي
ركن على غير الهدى متصدع
فرماك حساد بسهم موجع
كيد الحداثة بالسوء المطع
كيد العداة المفسدين فمن يعي
«جيش الأعادي جاء يبغي مصرعي»
واجتث ناصية المعاند واسفع
عنها ومرهوب الجناب مدرع
أقلامه في الحرب أقوى مدفع
وبكل راوية وكل سميّدع
من كل مقطوع اللهى متنطع
والآخرون إلى حفير بلقع

صوني وداك يا أمينة أو دعي
من كل ألوان الدلال تدلي
أمضي فلا أرضى بغيرك كلما
سارعت نحو الملتقى متلهفا
حيّ اليراعة في بنان الرافعي
وانثر على الذكرى نتائج طيبه
واهتف به فوق السحاب مكانه
قم مصطفى واشهد فرايتك التي
قبس من الذكر الحكيم ونفحة
واليوم في آفاقنا خفاقة
تشوي على السفود كل مكابد
وحي من القلم الذي استلهمته
إن المساكين الذين عرفتهم
يضوون جوعا والبطون لواهب
يتكفون الناس كسرة خبزة
لا ، إنما المساكين من يأوي إلى
ناديت بالأدب الأصيل مجددا
أشكو إليك لعل يهدأ خاطري
قوم على السفود أوقد ناره
تستصرخ الفصحى وتهتف من لها
قم يا فتاها احمل عليهم جراءة
فالله حافظها بكل منافح
بالآي بالقرآن بالنشر الذي
بالشعر والإسلام شذب دفته
من كل شيطان رجيم ملحد
تمضي السنون وأنت أنت الرافعي

حي اليراعة في بنان الرافعي



شعر : محمد فايد عثمان
مصر



الرافعي سيرته وأثاره

ينتسب مصطفى صادق الرافعي إلى دوحة الرافعيين الذين استوطنوا بلاد الشام واتخذوا من طرابلس - لبنان، منبتا وسكنا . وإلى هذه الدوحة ينتسب عدد كبير من رجال العلم والأدب والسياسة والقضاء .

وهو مصطفى صادق بن عبدالرازق (وفي بعض كتب التراجم : عبدالرازق) بن محمد بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي، المولود في بهتيم، إحدى قرى محافظة القليوبية، في كانون الثاني/يناير من عام ١٨٨٠ م، الموافق ١٢٩٨هـ، وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة دمنهور الابتدائية، ثم في المنصورة، ونال الشهادة الابتدائية. عين على أثرها كاتباً في محكمة طنطا الأهلية . لكنه لم يشغل القضاء على الرغم من أسرته التي ضمت ما يزيد على الأربعين قاضياً في مصر، بينهم والده عبدالرازق، وأحد جدوده : محمد طاهر الرافعي، ولم يلبث أن مرض، فلزم الفراش أسابيع طويلة، ولم يعرف نوع مرضه، ويرجح أنه مرض عصبي أصاب رأسه وصحته بالكثير من الفتور والانحلال . ثم تطور المرض ليصيب أذنه فازدادت آلامه، وتضاعفت معوقاته، ولا سيما أن المرض قد كف سمعه فصم، ولم يعد في وسع الناس مخاطبته إلا بالكتابة إليه، وكان ذلك بين الثلاثين والخامسة والثلاثين من عمره . وتفيدنا كتب التراجم وبعض من أرخوا لسيرته، أنه ظل في محكمة طنطا حتى نهاية حياته، منكباً على مكتبة أبيه الحافلة بكتب الفقه والدين واللغة والآداب، وبخاصة التراثية والشعرية، الأمر الذي زوده بثقافة متنوعة الموارد والطعوم، فكان يكتب المقالة، والرسالة، والقصيدة، والدراسة النقدية، والمقالة الصحفية، ويؤرخ لآداب العرب وتراثهم، وغير ذلك من فروع المعرفة التي تضمنتها آثاره النفيسة المتعددة المذاقات والاتجاهات، وكانت وفاته في طنطا، التاسع والعشرين من صفر ١٣٥٦هـ / نيسان ١٩٢٧م .



بقلم: محمد حيان الحفاظ
سورية



* مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض

أثاره :

- والثاني عشر، . أي أن هذا الجزء تضمن الكلام في :
- تاريخ الشعر العربي ومذاهبه وفنونه المستحدثة.
- حقيقة القصائد المعلقة ودرس شعرائها .
- أطوار الأدب وتقلب العصور، وتاريخ أدب الأندلس إلى سقوطها .
- التأليف وتاريخه عند العرب، ونوادير الكتب العربية.
- الصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون في النظم والنثر.

أما الأبواب الأخرى الغائبة، فيرجح أن المؤلف قد نوى بحثها والكتابة فيها فلم يفعل .

صدر الجزء الأول في القاهرة عام ١٩١٨، ويقع في ٤٤٣ صفحة .

وصدر الجزء الثاني في مطبعة الأخبار بمصر عام ١٩٢٢، ويقع في ٣٦٦ صفحة .

ثم في طبعة رابعة بتحقيق وتصحيح محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، مصر عام ١٩٤٠، ويقع في ٤٥٢ صفحة .

وصدر الجزء الثالث، في مطبعة الاستقامة عام ١٩٤٠، ويقع في ٤٥١ صفحة بإشراف وعناية محمد سعيد العريان .

بقي أن أقول: إن الأبواب التي غابت عن البحث ولم ترد في الكتاب، هي :

- تاريخ الخطابة والأمثال في الجاهلية والإسلام.
- تاريخ الكتابة وفنونها وأساليبها ورؤساء الكتاب فيها .
- حركة العقل العربي وتاريخ العلوم .
- الطبقات وشيء من الموازنات .

٣- تحت راية القرآن، أو المعركة بين القديم والجديد .



طبع في المطبعة الرحمانية عام ١٩٢٦، ويقع في ٤٣٧ صفحة .
أصل هذا الكتاب، مقالات كتبها الرافعي في الأدب العربي، والرد على كتاب الدكتور طه

ترك مصطفى صادق الرافعي آثارا جلى في فنون الآداب، نثرا وشعرا، خواطر وتأملات، ورسائل متنوعة، ومقالات نقدية، فضلا عن الشعر بمختلف أبوابه وأغراضه، وفصول الدراسة الأدبية التاريخية . فإذا نحن أمام حصاد ثر، وقطوف شهية ترضي الأذواق، وتغني النفوس وتزرع فيها نوازع البحث عن حقائق الحياة ودقائق العصر، وتوقظ فيها الحنين إلى معانقة الشرفات المظلة على سفوح المعرفة المترامية الأطراف، المتناهية الألق .

وتقع آثار الرافعي ضمن دوائر ثلاث، متداخلة متكاملة في جوهر الصنعة الأدبية، مختلفة متباعدة من حيث الاتجاه والينوع .

* الدائرة الأولى وتضم كلا من :

١ - تاريخ آداب العرب

جعله المؤلف في ثلاثة أجزاء اشتمل كل جزء على بضعة أبواب، وهي مجتمعة، اثنا عشر بابا .

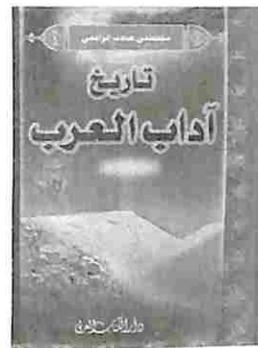
حوى الجزء الأول : على البابين الأول والثاني، وهما في :

- تاريخ اللغة : ونشأتها وما يتصل بذلك .

- تاريخ الرواية ومشاهير الرواة، وما تقلب من ذلك على الشعر واللغة .

٢ - وحوى الجزء الثاني الباب الثالث وهو في منزلة

القرآن الكريم من اللغة وإعجازه وتاريخه، وقد سماه المؤلف : **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** وحوى الجزء الثالث والأخير، الأبواب الباقية فيما عدا أربعة منها هي: الرابع، والثامن، والتاسع





٢ - رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب:

كناية عن أربع عشرة رسالة، في ١٨٤ صفحة، كتبها الرافعي في سنة إصدارها ونشرها في القاهرة ١٩٢٤، ضمنها خواطر فلسفية في الحياة والقدرة، والعقل، والقارئ.



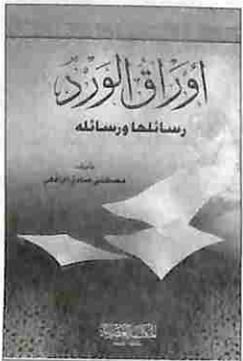
٣ - السحاب الأحمر

عده بعضهم، تكملة لكتاب: «رسائل الأحزان»، بينما رأى فيه بعضهم «كتاباً مختلفاً لا يكمل الأول».

- صدرت الطبعة الأولى في المطبعة السلفية بمصر عام ١٩٢٤، في ١٨٠ صفحة.

- صدرت الطبعة الثانية في مطبعة الاستقامة بمصر عام ١٩٤٢ في ١٦٠ صفحة.

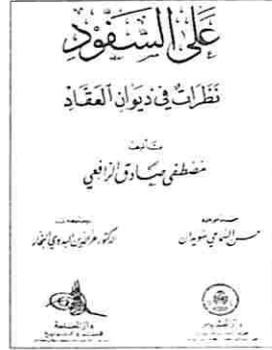
والكتاب بمضمونه العام مجموعة مقالات في المرأة، وحبها وبغضها، ولؤمها، ولكن بعض هذه المقالات اتخذت صفة الحكاية القصصية، وبعضها تأملات وخواطر في الحب والمرأة وشجون العلاقة معها. وبلغت فصوله في ذلك كله تسعة.



٤ - أوراق الورد

صدر أول مرة في المطبعة السلفية بمصر، سنة ١٩٣١ في ٢٩٩ صفحة. وكان قد بدأ بكتابته قبل ذلك بست سنوات، وقيل ثماني سنوات.

حسين «الشعر الجاهلي»، كان قد نشرها تباعاً في مجلة «كوكب الشرق» ومجلة «الزهراء» ثم «البيان» وغيرها.



٤ - على السفود

وهو مجموعة مقالات نقدية جارحة في عدد غير يسير من كتاب عصره، بينهم طه حسين، وعباس محمود العقاد، وزكي مبارك، وفيه غير سفود في

شاعر معاصر له شغل مهنة التحرير في ديوان الملك فؤاد، وهو عبدالله عفيفي الذي كان يلقبه الرافعي بالمغرور. صدر الكتاب في منتصف عام ١٩٣٠.

و«السفود» في اللغة: حديدة ذات شعب معقفة، يشوى به اللحم، وجمعه سفافيد.

** الدائرة الثانية

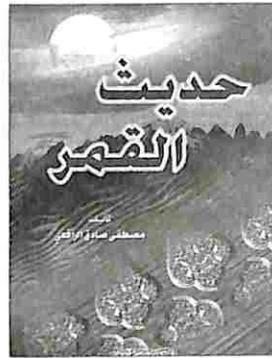
وتضم الغالبية من كتب الرافعي التي تنتسب في نسيجها ومنطلقها، إلى الأدب الإنشائي، من خواطر، وتأملات، وقصص، ورسائل، على جانب

كبير من جودة التعبير وجمال التأثير... وهي على التوالي:

١- حديث القمر

مجموعة فصول من الأدب التأملي، اتخذ من القمر ضمير خطاب ومناجاة وصاغ فصول الكتاب بلغة قريبة من الشعر، جمع فيها بين الحكمة، والحوار والتحليل، والمعالجة الهادئة.

والجدير ذكره أن فصول الكتاب العشرة بما في ذلك، القصيدة الشعرية، كتبها المؤلف في غضون شهر ونيف، وصدر في طبعته الأولى ١٩١٢.





*** الدائرة الثالثة، الخاصة بالنتاج الشعري..

لم يترك مصطفى
صادق الرافعي من
الشعر ما تركه من النثر
... لا بل إن الشعر لا
يكاد يمثل إلا جزءاً
يسيراً من نتاجه الأدبي
العام.

- قدم الرافعي لكل جزء من الأجزاء الثلاثة
لديوانه بمقدمة يحمل موقفه وأراءه في الشعر
وقضاياها غابراً وحاضراً .

وجاء الجزء الأول في سبعة أبواب ، والجزء
الثاني في ستة أبواب ، والجزء الثالث في ثمانية
أبواب . وتتشابه الأغراض في الأجزاء الثلاثة
وتدور حول : التهذيب والمديح والوصف والغزل
والنسيب ، والحكمة ، والأغراض الوطنية
والمقاطيع والتقاريظ .

والجزء الأول من ديوانه النظرات، صدر عام
١٩٠٨ بمقدمة عن حقيقة الشعر ، وتضمنت
القصائد أغراضاً في الوطنيات والطبيعة
والذكريات، ويمكن اعتبار ديوانه ذي الثلاثة
أجزاء، والجزء الأول من ديوان النظرات الآثار
الشعرية الوحيدة التي تخضع للدرس والتقويم.

كتب أخرى:

- الإسلام انطلاق لا جمود ، مصطفى صادق

الرافعي ، حسن تميم
مشارك ومراجع ،
بيروت ، دار مكتبة
الحياة ، د.ت، ١٩٩
صفحة.

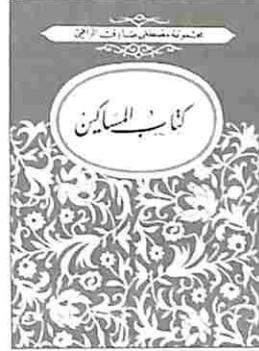
- كلمة وكلمة ، دار ابن
حزم للطباعة والنشر
والتوزيع - بيروت ،



وهو عبارة عن « طائفة من الخواطر في فلسفة
الجمال والحب، أنشأها الرافعي ليصف بعض
أحواله في سني عمره».

٥ - كتاب المساكين

صدر الكتاب في
طبعته الأولى عام ١٩١٧ ،
ثم صدر بعد ذلك ١٩٢٨ ،
مضافاً إليه فصول
جديدة، فبلغ ٢٨٧
صفحة.



وهو مجموعة من
المقالات المتنوعة الغرض

والأسلوب، شأنه شأن الكتب الثلاثة السابقة، فيما
عدا الصبغة الترأسلية التي سادت بعض فصولها .
وتتلخص موضوعات الكتاب «بالدين، والعلم،
والإيمان، والقدر، والفقر، والحظ، والحب،
والجمال، والحرب، والشك، والخير، والنظام
الاجتماعي» .

٦ - وحي القلم

يتألف الكتاب من
ثلاثة أجزاء، ويضم بين
دفتاه، في طبعته
الأخيرة التي أصدرتها
دار الكتاب العربي في
بيروت، من غير تأريخ :
ألفاً ومئة وأربعين
صفحة، من القطع



الكبير ... وكان صدوره، في جزأيه الأول
والثاني، عن لجنة التأليف والترجمة والنشر عام
١٩٣٦ . وأما الجزء الثالث فقد صدر بعد وفاته،
وقام بجمع فصوله محمد سعيد العريان الذي
قدم له بمقدمة من أربع صفحات .

وهناك عدد غير يسير من المقالات والأحاديث
المخطوطة والمسجلة، لا تزال تنتظر من يجمعها
ويؤلف بينها ليخرجها إلى النور .



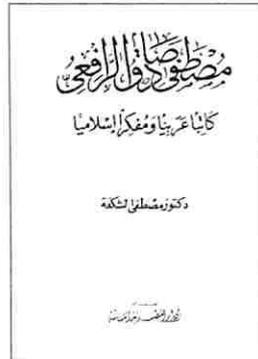
- الكتاب العربي ، (د.ت)، ٢٢٢ صفحة.
- كما كتب مقدمة كتاب أمير الشعراء في العصر القديم ، تأليف محمد صالح سمك، ٢٠١ صفحة.
- يضاف إلى ما ذكر، مجموعة دواوين، أميط اللثام عن أسمائها، ولكنها لم تر النور، وهي :
- «أغاريد الرافعي» ذي المجموعات الثلاث، وقصائدها تدور حول ترقيص الأطفال، والأناشيد الوطنية، وبعض قصائد الموحشات.
- «أغاني الشعب» في الأناشيد والموشحات.
- «الفؤاديات» قصائد مدح في الملك فؤاد.

- ١٤٢٢، ٢٠٠٢، ط١ . جمع مقالاته السبع بسام عبد الوهاب الجابي ، وهي عبارة عن فقرات ومقطعات حكمية تعبر عن نظرات الرافعي وآرائه في مختلف شؤون الحياة . أضاف إليها جامعها مقالات عدد من الكتاب عن الرافعي .
- قصص من التاريخ للرافعي، اختيار وتعليق حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، دمشق، بيروت .
- حقق الرافعي كتاب شرح أدب الكاتب ، موهوب ابن أحمد بن محمد ، الجواليقي، بيروت ، دار

كتب مؤلفة عن الرافعي

- الجيل، ١٤٠٢ / ١٩٨٢، ٢٤٣ صفحة.
- قراءات في المكتبة العربية، نصر محمد عباس، فاطمة الزهراء، عبدالغفار الموفي، دبي، دار القلم، ١٤٠٩ / ١٩٨٩، ٢٣٢ صفحة .
- أشهر المعوقين في العالم، زهير عبدالرحمن عبدالحميد مجموع، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٠ / ١٩٩٠، ٢٢٨ صفحة .
- بلاغة القرآن في أدب الرافعي، فتحي عبدالقادر فريد، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٥، ٣١٠ صفحات .
- أسرار النظام اللغوي عند مصطفى صادق الرافعي، حامد محمد أمين شعبان، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٩، ٢٢٠ صفحة .
- مفهوم الإعجاز القرآني حتى نهاية القرن السادس الهجري، أحمد جمال العمري، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤، ٣٧٧ صفحة .
- من أدب الرافعي ومعاركه، عباس بيومي عجلان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩، ١٥٢ صفحة .
- المقتبس من وحي القلم، دراسة ومختارات، خليل هنداوي، عمر الدقاق، بيروت، دار الشروق، ١٥٨ صفحة.

- الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، أنيس المقدسي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤، ٦٦٠ صفحة ، ط٤ .
- الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، أحمد بسام ساعي، جدة، دار المنارة، ١٤٠٥ / ١٩٨٥، ١٩٨ صفحة.
- مصطفى صادق الرافعي : كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً، مصطفى الشكعة، بيروت، عالم الكتب، ١٩٧٨، ٢١٨ صفحة، ط٢ .
- مصطفى صادق الرافعي، كمال نشأت، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٨، ١٥٢ صفحة.
- في موكب الخالدين، عبدالسميع المصري، القاهرة، الشركة العربية للطباعة، ١٣٧٩ / ١٩٦٠، ١٩٦ صفحة .
- رسائل الرافعي، محمود أبو رية، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٩ / ١٩٥٠، ٣٠٠ صفحة .
- الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث، حامد طاهر، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)، الصفحات ١٥٦- ١٨٨ .
- معارك العقاد الأدبية، عامر العقاد، بيروت، دار



- الأدب والصراع الحضاري، شلتاغ عبود شراء،
دمشق، دار المعرفة، ١٤١٦ / ١٩٩٥، ٢٢٠
صفحة .

- نحو أدب إسلامي معاصر : مصطفى صادق
الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه، علي
عبد الحليم محمود، مشاركة د . عبدالله بن عبد
المحسن التركي، مقدم، الرياض، جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، البحوث
والدراسات، (د.ت)، ٣٢٠ صفحة .

- الجانب الإسلامي في أدب مصطفى صادق
الرافعي، عبدالستار علي السطوحي، الدوحة،
مكتبة الثقافة، ١٣٩١ / ١٩٧١، ٢٢٤ صفحة .

- فصول عن الدعوة الإسلامية في أدب شوقي ومحرم
والرافعي وباكثير، محمد بن سعد بن حسين، نشر
المؤلف نفسه، الرياض، ١٤٠٨ .

- مصطفى صادق الرافعي .. فارس
القلم تحت راية القرآن، محمد رجب
البيومي، دار القلم، دمشق، ١٤١٧ /
١٩٩٧ ، ط١ .

- حياة الرافعي، محمد سعيد العريان،
القاهرة، ١٩٣٩ .

- الإمام مصطفى صادق الرافعي،
مصطفى نعمان البدري، دار البصري،
بغداد / ١٣٨٧ / ١٩٦٨ ، ط١ .

- مصطفى صادق الرافعي حياته وأدبه، حسين
حسن مخلوف، كتاب الهلال (٢٠)، دار الهلال،
مصر، ١٣٩٦ .

- مصطفى صادق الرافعي الناقد
والموقف، إبراهيم الكوفحي، دار
البشير، عمان، مؤسسة الرسالة،
بيروت، ١٤١٨ / ١٩٩٧ ، سلسلة أعلام
المسلمين في العصر الحديث .

- نشر الرافعي، محمد الأخضر بن
مسعود، المكتبة الشرقية، الجزائر،
١٣٨٧ / ١٩٦٨ .

- الرافعي والانتصار للعربية، محمد أبو المكارم
قنديل، طنطا، دار البشير للثقافة والعلوم
الإسلامية، ١٤١٠ / ١٩٩٠، ٤٧ صفحة .

- الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد،
مصطفى نعمان البدري، بيروت، دار الجيل،
١٤١١ / ١٩٩١، ٥٩٠ صفحة .

- خاطرات مسلم، محمد دياب، القاهرة، المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٩ / ١٩٦٩،
١٢٥ صفحة .

- دراسة في أدب الرافعي، نعمات أحمد فؤاد،
القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٣، ١٣٩
صفحة، ط٢ .

- مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية
المطللة على السوربالية، مصطفى الجوزو،
بيروت، دار الأندلس، ١٤٠٥ /
١٩٨٥، ٣٧٩ صفحة .

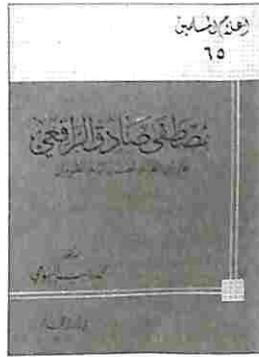
- الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره،
عبدالغني محمد سعد بركة، القاهرة،
مكتبة وهبة، ١٤٠٩ / ١٩٨٩، ٣١٥
صفحة .

- في تأريخ الأدب : مفاهيم ومناهج،
حسين الواد، بيروت، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣،
٢٤٤ صفحة ، ط٢ .

- الجانب الاجتماعي في أدب الفكر الإسلامي
مصطفى صادق الرافعي، عبدالستار علي
السطوحي، الخفجي، دار القافلة، ٢٣٩
صفحة .

- الأدب الحديث : تاريخ ودراسات،
محمد بن سعد بن حسين، الرياض،
المؤلف، ١٤١١ / ١٩٩١، ٢٧٣ صفحة .

- الأسس النظرية في مناهج البحث
الأدبي الحديث، عبدالسلام الشاذلي،
بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٩، ٤٢٣
صفحة ، ط٥ .





- مصطفى صادق الرافعي ومكانته في الأدب العربي في القرن العشرين، أرول أي يلدين، جامعة مرمره، تركيا، رسالة دكتوراه، ١٩٧٧م.
- بناء الجملة عند مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد، عادل أحمد باتاعمة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، رسالة ماجستير.
- مصطفى صادق الرافعي الشاعر، مصطفى نعمان البدرى، جامعة القاهرة، دار العلوم، رسالة ماجستير، ١٩٦٧م.
- الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، مصطفى نعمان البدرى، جامعة القاهرة، دار العلوم، رسالة دكتوراه، ١٩٧٤م.
- مصطفى صادق الرافعي واللغة، صلاح الدين عبدالرحمن سلطان، جامعة الأزهر، بحث.
- الجانب الديني في نثر الرافعي، سعاد صالح عبدالطلب، جامعة عين شمس، رسالة ماجستير، ١٩٩٣م.
- مصطفى صادق الرافعي الناقد الأديب، طه عبدالرحيم عبدالبر، جامعة الأزهر، بحث.
- مدرسة الرافعي في الأدب الحديث، محمود محمد محمد لبد، جامعة الأزهر، رسالة دكتوراه، ١٩٧٨م.
- مصطفى صادق الرافعي، شاعرا، محمد إسماعيل عبدالحميد إسماعيل، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير، ١٩٨٤م.
- النقد الأدبي عند مصطفى صادق الرافعي، أحمد الحميد، جامعة دمشق، بحث.
- أثر القرآن في أدب الرافعي، حسن عبدالقادر عبدالدائم، القاهرة، رسالة ماجستير، ١٩٦٩م.
- معارك مصطفى صادق الرافعي التعليمية وأثرها في الأدب والشعر، محمد عزت عبدالقادر أحمد، جامعة الأزهر، أسيوط، رسالة دكتوراه، ١٩٨٣م.



- مع الرافعي الكاتب، عمر الدسوقي، مطبعة جامعة القاهرة، ١٣٨٨ / ١٩٦٩.
 - شعر مصطفى صادق الرافعي بين التقليد والتجديد، محمد بن علي الهرفي، دار المعالم الثقافية، ١٩٩٨.
 - مصطفى صادق الرافعي في رسائل الأحزان والسحاب الأحمر وأوراق الورد، عبدالقادر القط، الشركة العالمية للنشر (لونجمان)، ١٩٤٤.
 - مصطفى صادق الرافعي .. قصائد في رثاء الرافعي للشاعر محمود الطاهر الصافي، علق عليها جمال محمود الطاهر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م.
 - الرافعي وطه حسين، محمد عبدالقادر العمادي، دار الفكر الحديث، ١٩٥٨.
 - الرافعي ومي، عبدالسلام هاشم حافظ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، الدار القومية، القاهرة، ١٣٨٣ / ١٩٦٤.
- مقدمات كتبه :**

- مقدمة د. ياسين الأيوبي لتحقيقه لديوان الرافعي، بعنوان مصطفى صادق الرافعي (في سيرته وأحواله وأثاره)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣ / ٢٠٠٣.
- مقدمة د. عز الدين البدوي لكتاب الرافعي: «على السفود»، تحقيق وتعليق: حسن السماحي سويدان، دار البشائر، دمشق، ١٤٢١ / ٢٠٠٠.

رسائل جامعية عن الرافعي:

- المرأة في أدب الرافعي، مها عبدالستار السطوحي، (رسالة ماجستير، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ١٩٩٢) .
- مصطفى صادق الرافعي : حياته وأدبه، فهد بن عبدالله الأطرم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، رسالة دكتوراه، ١٤٠٧هـ .
- نثر مصطفى صادق الرافعي، ابن سعد المبروك ابن مسعود، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير، ١٩٦٣م .



حفل افتتاح جمعية رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة

شهدت القاهرة احتفالا خاصا لافتتاح مكتب (جمعية رابطة الأدب الإسلامي)، وذلك يوم الأربعاء في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة لعام ١٤٢٤هـ الموافق للخامس عشر من شهر شباط / فبراير لعام ٢٠٠٤م .

الجامعات الإسلامية ورابطة الأدب الإسلامي العالمية .. قلت في حفل افتتاح هذا المؤتمر العالمي : « فماذا على مصر وهي كنانة الله في الأرض أن تعتد بالأدب الإسلامي سهما من سهام كنانتها ليكون من أشدها عودا، وأصلبها مكسرا! وماذا على مصر العروبة والإسلام وهي التي قادت النهضة الأدبية المعاصرة أن تحمل راية الأدب الإسلامي، وهو الأدب الذي يستضيء بمشكاة الوحي وهدى النبوة! »

وأشهد أن مصر وفت بما عهد فيها، إذ فتحت قلبها الكبير للأدب الإسلامي، فكانت أكثر مؤتمرات هذا الأدب وندواته تعقد في أرض الكنانة، وكان أكثر عدد من الأدباء والشعراء الإسلاميين في العالم العربي والإسلامي من أرض الكنانة، وها نحن أولاء نحتفل اليوم بافتتاح مكتب الرابطة في أرض الكنانة، ليكون هذا الافتتاح تنويجا للجهود الطيبة والمساعي الحميدة التي قامت بها فئة كريمة من أولي الفضل والعزم الجديرين بالثواب عند الله إن شاء الله، والجديرين بحمد



د . عبدالقدوس و د . الشميري يفتتحان مكتب الجمعية

القاهرة - محيي الدين صالح

الكلمة الآتية :

« ... فما أسرع ما يمضي الزمان، وتنطوي السنون !! فقد شهدت منذ ثلاثة عشر عاما ذلك الاحتفال الذي أعلن فيه مشروع التعاون بين رابطة الأدب الإسلامي العالمية وبين المركز العام للشبان المسلمين في القاهرة، حيث قلت في ذلك الحفل: « إن إقامة هذا المشروع تأكيد لدور مصر الكبير في قيام أي حركة ثقافية أو أدبية يراد لها أن تنطلق في العالم العربي والإسلامي ». وقلت بعد نحو عامين في مؤتمر الأدب الإسلامي الذي عقد في رحاب جامعة عين شمس بالتعاون مع رابطة

وقد حضر الحفل كل من د.عبدالقدوس أبو صالح (رئيس الرابطة)، و د . حسن الأمrani (أمين عام مجلس أمناء الرابطة ورئيس المكتب الإقليمي في المغرب)، وسعادة السفير د.عبدالولي الشميري (مندوب اليمن في جامعة الدول العربية، راعي منتدى المثقف العربي بالقاهرة) . وبمشاركة عدد من رجال الفكر والأدب والإعلام بالقاهرة وحضور عدد كبير من أعضاء الرابطة في مصر . وقد ألقى سعادة رئيس الرابطة د . عبدالقدوس أبو صالح



د. عبد القدوس يتوسط د. الشميري و د. الأمراني



د. عبد القدوس يلقى كلمته وإلى جانبه د. عبدالمنعم يونس

أضيف إليها باسمي
واسم رابطة الأدب
الإسلامي العالمية باقية
من الحمد والتناء الذي
أزجي مثله إلى كل من
سعادة الأخوين
الفاضلين الأستاذ
الدكتور عبدالحليم



مجموعة من أعضاء الرابطة في حفل الافتتاح

عويس والدكتور عبده زايد اللذين رافقا بدء الدعوة
إلى الأدب الإسلامي في مصر، وأسهما فيها
بجهود طيبة ومثابرة مثمرة . والحمد والتناء
موصولان بعد ذلك إلى الأخ الدكتور عبدالمنعم
يونس رئيس الجمعية الذي أمكن بدأبه وصبره
ورصانته وتعاونته مع العاملين المخلصين من
أمثاله أن يتحقق للأدب الإسلامي ما نشهد آثاره
مائلة أمام أعين الجميع .
والحمد لله على ما أنعم على عباده الصالحين .

الناس ما دام الناس
يحمدون على جلائل
الأعمال وكريم الفعال .
وما من شك في أن
أول من يوجه إليه الشكر
هو معالي الدكتور حسن
عباس زكي الذي بادر
بعفوية مشهودة وأريحية

بالغة إلى رعاية الأدب الإسلامي ودعاته في
القاهرة حين فتح لهم مركز جمعية الشبان
المسلمين، ثم انتقلت راية الفضل إلى معالي
الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم الذي تابع
المسيرة، حتى كانت معظم ندوات الأدب الإسلامي
في القاهرة تعقد تحت رعايته الكريمة، ومن هنا
يأتي قرار مكتب الرابطة في القاهرة بتكريم هذين
العلمين الفاضلين في مساء هذا اليوم أقل ما يقدم
إليهما من آيات الشكر والوفاء التي أرجو أن

الرافعي « في الملتقى الأدبي الأول » لجمعية الأدب الإسلامي بالقاهرة

بالحضور وأشاد بالدور العالمي للرابطة
في نشر الأدب الإسلامي والذود عنه،
وأشار إلى نشاط مكتب الرابطة
بالقاهرة، وتأسيس جمعية رابطة الأدب
الإسلامي والتصديق من قبل جهات
الاختصاص في مصر على اتفاق
التعاون بين رابطة الأدب الإسلامي
العالمية وجمعية الأدب الإسلامي، ونوه



د. عبدالمنعم يونس

أقيمت مساء يوم الأربعاء نفسه ،
بقاعة المؤتمرات بمركز صالح كامل
للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر
ندوة عن الأديب الإسلامي الكبير
مصطفى صادق الرافعي، حيث بدأت
الجلسة الافتتاحية بكلمة الدكتور
عبدالمنعم يونس رئيس جمعية رابطة
الأدب الإسلامي بالقاهرة، الذي رحب



حفل افتتاح الملتقى



د. عبد القدوس يقدم درع الرابطة للدكتور أحمد عمر هاشم

اهتمام الرافعي بإعادة صياغة الوقائع بطريقة بيانية تربوية تترك تأثيرها في القلب والعقل معا، ودفاعه عن التراث العربي الأصيل، ورصده النهضة العلمية في التاريخ الإسلامي ومعالجته لأسلوب القصص القرآني، وأشار إلى أن الرافعي لا يخالف الجاحظ فيما قرره من وجود التكرار في الآيات التي خوطب بها بنو إسرائيل ولكنه يخالفه في التعليل لذلك .

وتناول د. صلاح الدين عبدالتواب قضية الإعجاز في القرآن الكريم عند الرافعي، وكيف أنه تصدى لهذا المجال العميق والدقيق من مجالات الدراسات الأدبية والنقدية التي دارت حول البيان القرآني، ويرى أن تناول الرافعي لفكرة النظم كان تناولا مرتبا وموضوعيا ومنطقيا ممزوجا بدراسة تطبيقية على نماذج متنوعة من التعبير البياني في القرآن الكريم.

وتناولت د. نادية حسن الجندي تأثير الجانب الخلفي في حياة الرافعي موضحة كيف جاء الرافعي في زمن كثرت مغرباته وزادت انحرافات أدباء كثيرين



عبد المنعم عواد يوسف

كذلك بالجهود المبذولة للنهوض برسالة الأدب الإسلامي كما وضع سبب اختيار (مصطفى صادق الرافعي) شخصية للملتقى الأدبي الأول. وتحدث د. عبد القدوس أبو صالح - رئيس الرابطة- مبينا أهمية إلقاء الضوء الكافي على الشخصيات والرموز التي أصلت للأدب الإسلامي ودافعت عن الهوية الإسلامية، وتحدثت د. زينب الرافعي (ابنة الأديب مصطفى صادق الرافعي) وقدمت الشكر لرابطة الأدب الإسلامي التي تولت إزالة غبار التجاهل عن والدها، وتطرقت لبعض جوانب حياة والدها، وكيف أن مرضه لم يؤثر في نشاطه الفكري والأدبي والاجتماعي . وتحدث في اللقاء د. حسن الأمراني و د. عبدالحليم عويس والمستشار محمد التهامي و د. أحمد عمر هاشم الذي تم تكريمه في نهاية الأمسية مع معالي الأستاذ حسن عباس زكي وانتهت جلسة الافتتاح بإلقاء عدد من القصائد لشعراء الرابطة .

وفي صباح اليوم التالي (الخميس ٢٨ من ذي الحجة) بدأت جلسات الملتقى الأدبي لمناقشة البحوث المقدمة من الأعضاء، فكان محور الجلسة الأولى (رؤية الرافعي لكتابة التاريخ الإسلامي والعوامل المؤثرة في حياته) برئاسة الدكتور عبد القدوس أبو صالح لمناقشة أربعة أبحاث:

- ١ - رؤية الرافعي لكتابة التاريخ الإسلامي، للدكتور عبدالحليم عويس .
 - ٢ - الرافعي وقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، للدكتور صلاح الدين عبد التواب.
 - ٣ - تأثير الجانب الخلفي في حياة الرافعي، للدكتورة نادية حسن الجندي.
 - ٤ - إطلالة وتعريف بأدب الرافعي، للشاعر عبد المنعم عواد يوسف.
- ركز د. عبدالحليم عويس على

استهواهم الالتحاق بركب الثقافة الغربية الداعية إلى النيل من تراث الأمة ودينها ولغتها وتاريخها، وتحدثت باستفاضة عن مكونات الأخلاق عند الرافعي والمؤثرات المضيئة.

أما الشاعر عبدالمنعم عواد يوسف فقد قدم إطلالة وتعريفا بأدب الرافعي وخصائصه، وكيف أنه كتب الشعر وكتب في تاريخ الأدب العربي والإسلامي كما مارس فنون النقد الأدبي، ودبج يراعه المتمكن المقالة الأدبية في شتى أغراضها، ولم تمنعه الإعاقة السمعية عن شيء من ذلك .

وكانت الجلسة الثانية عن « معارك الرافعي الأدبية والفكرية » برئاسة الدكتور حسن الأمراني، وقدمت فيها أربعة أبحاث:

- ١ - الرافعي وموقفه من دعاة العامية، للدكتور زهران محمد جبر.
- ٢ - رؤية حول معارك الرافعي، للدكتور صابر عبدالدايم.
- ٣ - معارك الرافعي الأدبية . للأستاذ سيد سليم سلمى.
- ٤ - الرافعي وربع قرن من المعارك الأدبية. للأستاذ محمد عبدالشافى القوصي.

قدم د . زهران محمد جبر بحثه قائلاً : « لا يمكن بحال من الأحوال أن

نفصل الصراع بين العامية والفصحى وننأى به عن مجال الصراع الثقافي الأعم» ، وأشار إلى أن الصراع بين المحافظين وأنصار الأصالة وبين دعاة التجديد والعصرنة والتطور اتخذ من أشكال الجدال في قضايا الأدب ستارا لم يخف ما وراءه من النيات الخبيثة حيال الإسلام من دعاة التجديد .

وعرض د . صابر عبدالدايم لمعارك الرافعي من خلال كتابه (تحت راية القرآن) حيث يعده

ميدان المعركة التي دارت رحاها بين قطبين رائدين هما : (الرافعي) مدافعا عن تراث العربية وعن كثير من الثوابت الإسلامية ضد آراء جريئة أثارها (طه حسين) في كتابه «الشعر الجاهلي»، وعرض لجذور المعركة وبواعثها .

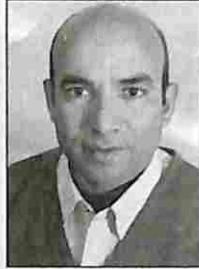
وقدم الأستاذ سيد سليم سلمى بحثه مستعرضا أقوال أعلام الفكر العربي المعاصرين له واللاحقين وأراءهم، في مواقف الصلبة وهو يدافع عن الأصالة ضد دعاة العامية والتجديد . ولم يتم مناقشة البحث الرابع لتغيب مقدمه .

وكان محور الجلسة الثالثة هو (إبداعات الرافعي : شعر - نثر - أغاريد) برئاسة د.عبدالمنعم يونس، وكانت الأبحاث المقدمة هي :

- ١ - الرافعي شاعرا، للدكتور محمد بدر معبدي.
- ٢ - التصوير الفني في أسلوب الرافعي، للدكتور علي علي صبح.
- ٣ - شاعرية الرافعي، للأستاذ إبراهيم سعفان.
- ٤ - الرافعي والأغاريد، للأستاذ أحمد فضل شبلول.
- ٥ - الرافعي وإبداعاته في الشعر، للأستاذ فوزي تاج الدين.

تناول د . محمد بدر معبدي الأغراض الشعرية التي صاغ الرافعي من خلالها إبداعاته، وكيف أن التوجه الإسلامي غلب على إنتاجه الشعري سواء وهو يمدح رموز الإسلام أو لغة الإسلام، وسرد نماذج عديدة من شعره في باب المدح والوصف والثناء .

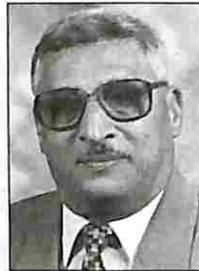
ووضح د . علي علي صبح، الخصائص الفنية لأسلوب الرافعي من خلال الأصالة في اللغة العربية ومشتقاتها ثم المصطلحات



سيد سلمى



محمد بدر معبدي



علي علي صبح

اللغوية والنحوية في التصوير الفني ثم انتقاء الألفاظ والتجديد ثم الاستقصاء في التصوير، والعمق في الأفكار والموسيقى والاعتباس والتضمين .

وقدم الناقد الأدبي إبراهيم سعفان دراسة تحليلية عن الرافعي شاعرا وأشار إلى حملات الحاقدين والحاسدين التي انهالت على الرافعي بسبب صراحته وبعض أبيات شعره، وقدم نماذج من شعره في الإيمان بالله والتخلص من اليأس والاعتماد على النفس والاهتمام بالعلم . وحلل بعض القصائد تحليلا علميا ليصل إلى سمات شعر الرافعي .

أما الأستاذ أحمد فضل شبلول فقد تناول الأغاريد عند الرافعي مرتكزا على ديوان (أغاريد الرافعي) الصادر عن وزارة الثقافة والإعلام بالعراق ١٩٧٩م . واستعرض أبواب الديوان وانتهى إلى أن نصيب القصائد المكتوبة للصغار قليلة نسبيا، وأشار إلى أن الرافعي لم يقل صراحة أنه كتب قصائده للأطفال، ولكن تم تصنيف بعض شعره كذلك .

وقدم الأستاذ فوزي تاج الدين بحثه مركزا على كثرة التشابيه، وعرض بعض النماذج، وأوضح أن أهم ملامح شعر الرافعي هو تأثيره الشديد بأقوال رسول الله ﷺ، ثم بأقوال الصحابة، وكذلك معالجته للقضايا الاجتماعية من خلال الشعر .

وكانت الجلسة الأخيرة برئاسة د. عبدالحليم عويس حول محور (المقالة في أدب الرافعي)

قدمت فيها خمسة أبحاث :

١- معركة الرافعي ضد دعاة العامية، للأستاذ د.عبد المنعم يونس .

٢ - دراسة حول (وحي القلم)، للدكتورة مكارم الديري .

٣ - قضية الفقر، كيف تناولها الرافعي، للأستاذ وليد كساب .

٤ - المقالة عند الرافعي، للأستاذ متولي عطية .
٥ - نثر الرافعي ليس «قصيدة نثر»، للأستاذ صلاح رشيد .

قدم د. عبد المنعم يونس رؤيته في المقالة عند الرافعي من خلال مقالاته التي تصدى بها لدعاة العامية واللغات الأجنبية مقتحما بها معارك كثيرة للذود عن حياض الإسلام ولغته وثقافته ضد الاستعمار وأعوانه وأذاليه، وأشار إلى أذنان الاستعمار الذين يحاولون هدم اللغة العربية وتقويض أركانها وإحداث هوة سحيقة بين الأمة العربية والقرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، وأوضح كيف أن الرافعي لم يأل جهدا في بيان ما تنطوي عليه نوايا هؤلاء الأعداء .



فوزي تاج الدين



متولي عطية

وقدمت د. مكارم الديري دراسة نقدية في (من وحي القلم) على اعتبار أن هذا الكتاب « كلمات صدق موقعها القلب والعقل معا، لأنها تقدم الأدب الهادف بكل ما يضمه من سمو في الفكر وإبداع في الفن، وأشارت إلى مقالاته التي نشرت في مجلتي « الرسالة والمقتطف » والتي جمعت لاحقا بين دفتي الكتاب، وتطرقت إلى أهم ملامح المقال والجوانب الإنسانية .

وتناول الأستاذ وليد كساب في بحثه أسلوب المقالات عند الرافعي مشيرا إلى كتاب «المساكين» الذي صاغه لأسباب عديدة « لا لمحو الفقر ولكن للصبر عليه، وليس من أجل البحث فيه ولكن للعزاء عنه . ثم كتب عن الغنى وما إليه لا رغبة في إفساده على أهله ولكن لإصلاح ما يفهم منه غير أهله » .

وتناول الأستاذ متولي حسن عطية في بحثه أسس بناء المنهج عند الرافعي وتعرض للقضايا التي تناولها في العلاقة بين الرجل والمرأة، وقضية العامية والفصحى وقضية التجديد والتحديث وقضية الإبداع الفني في الكتابة نثرا وشعرا، ثم

طباعة جيدة مع الإفادة من الطباعات التي ظهرت .

ثالثا : هناك قصص الرافعي التي تشكل ركيزة قوية في أدبه، وينبغي طبعتها طباعة حديثة حتى يطلع عليها الشباب الذين لم يعرفوا عن قصص الرافعي إلا قليلا .

رابعا : هناك قضية في غاية الأهمية وهي العمل على تقديم الرافعي تقدما يتفق وما قدمه من خدمة جليلة للأدب والفكر وللقرآن الكريم، ويتفق وحاجة أمتنا إليه في هذه الفترة الحرجة من تاريخها .

خامسا : إن هناك بعض أفراد أسرته ما زالوا على قيد الحياة، فينبغي الرجوع إليهم وتسجيل أحاديثهم عن أبيهم وبخاصة بناته اللاتي رأينه عن كذب وتعاملن معه : كيف كانت معاملته لهن ؟ وبماذا كان يتعامل مع غيره من الناس وبخاصة زواره الذين كانوا يقدمون إلى بيته .

سادسا : يقترح المشاركون في الملتقى أن تكون هناك جائزة دورية تسمى باسم الرافعي تدور محاورها حول دراسة نتاج الرافعي إن في شعره، وإن في القصة عنده، وإن في الدراسات القرآنية والبيانية، وإن في أهازيجه، ويقوم بذلك المحبون للرافعي ونتاجه العظيم .

سابعا : جمع ونشر ما لم ينشر من شعره الذي نشرته الصحف والمجلات خدمة لتراث الرافعي وكذلك جمع ما لدى الأسرة من مقالات لم تنشر بعد .

ثامنا : نشر بحوث المؤتمر في عدد خاص من مجلة الأدب الإسلامي .

تاسعا : التوصية بإدخال بعض أشعاره وأغاريده في مناهج التدريس في مراحل التعليم المختلفة .

عاشرا : يشكر الملتقون جامعة الأزهر ومركز صالح كامل واللجنة التنظيمية وكل من أسهم في هذا الملتقى بالكتابة أو الحضور .

تناول أهداف الكتابة بشيء من التفصيل . ولم يتم مناقشة البحث الخامس لتغيب الأستاذ صلاح رشيد مقدم البحث .

هذا .. وقد قدم د . حسن الأمراني ورقة إلى المؤتمر عن أصالة التجديد وتجديد الأصالة عند الرافعي ذكر فيه كيف كان من عظماء الأمة وعباقرتها الذين وقعت حولهم الخصومة، ولم تنطفئ، وأنه أصابه من الظلم والعنت الكثير . وأشار إلى موقف بعض معاصريه مثل طه حسين وغيره من إبداعاته الكثيرة . ثم تناول التجديد عند الرافعي ووضح أنه ليس كل قديم جديرا بالتمجيد، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد، كما أنه ليس كل جديد مرفوضا .

وفي نهاية الجلسة أقيمت أمسية شعرية امتدت إلى منتصف الليل، وقد أدارها الدكتور علي علي صبح . واختتمت الندوة بقراءة التوصيات

التوصيات

يوصي الملتقون في ندوة (مصطفى صادق الرافعي) التي أقيمت بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر ضمن فعاليات جمعية رابطة الأدب الإسلامي والمنعقد يومي الأربعاء والخميس (٢٧ - ٢٨ من ذي الحجة ١٤٢٤هـ / الموافق ١٨ - ١٩ شباط / فبراير ٢٠٠٤م) بما يأتي:

أولا : إن نتاج الرافعي متعدد الأغراض متشعب الطرائق وكله يمثل شخصية الرافعي ومنهجه في الكتابة والتأليف، ولقد قامت بعض دور النشر في القرن الماضي بطباعة أشهر مؤلفاته أو ما شاع منها ولكنها في الوقت نفسه لم تهتم بكثير من هذا النتاج، وينبغي أن تعمل الأوساط الأدبية والجامع العلمية على طبع ما لم يطبع منه مثل : (أسرار الإعجاز) وغير ذلك من الأغاريده التي تمثل جانبا أصيلا من روحه .

ثانيا : إن ديوان الرافعي لم يطبع بالصورة المطلوبة، وينبغي أن يعلق عليه وأن يطبع

من أنشطة جمعية رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة

في فترة شهري (أيلول وتشرين الأول ٢٠٠٤).

وأدار الندوة د. عبدالمنعم يونس، وأعطى نبذة عن دور رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تقريب المسافات بين آداب الشعوب الإسلامية.

ثم تحدث د. عبدالعزيز عوض الله باستفاضة عن الأدب الإسلامي التركي ودوره في تثبيت الهوية الإسلامية، وقدم نموذجاً عن الشاعر التركي «توفيق فكرت» الذي اعتبره د. عبدالعزيز من شعراء الفكر في المقام الأول. وأوضح أن «فكرت» استخدم العروض العربية في كل أشعاره تقريباً مما يدل على تأثره بالأدب العربي.

وشارك بالمداخلة كل من الأستاذ إبراهيم سعفان والأستاذ عبدالمنعم عواد يوسف، والشاعرة نوال مهني. وفي ندوة الاثنيين الموافق ٢٥ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٤م أقيمت ندوة موسعة، شارك فيها النادي النوبي الثقافي ونادي دار العلوم بالقاهرة، بحضور عدد كبير من أعضاء الرابطة والضيوف، احتفلت الجمعية بذكرى انتصارات رمضان بدءاً من ذكرى غزوة بدر الكبرى وانتهاء بانتصارات العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ.

وتحدث في الندوة د. صلاح الدين عبد التواب، كما تحدث د. عبدالمنعم يونس «الذي أدار الندوة» عن دور الشعراء الإسلاميين في التأريخ لهذه الأحداث العظيمة.

وفي نهاية الندوة، أقيمت مجموعة من القصائد التي تناولت هذه الانتصارات الرمضانية، شارك فيها من الشعراء: «عبد الفتاح الخطيب - عبدالرزاق الغول - وحيد الدهشان - أحمد عبدالهادي - ومن الشاعرات: «نوال مهني - ناهد إسماعيل الديب - محبوبه هارون - والشاعرة اليمنية جميلة الرجوي».

الجدير بالذكر أن جمعية رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة تقيم ندوة أدبية

أسبوعية كل يوم اثنين مساءً.

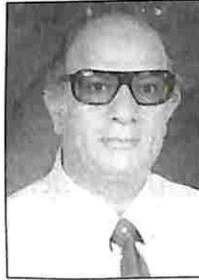
* في الأسبوع الأول من أيلول / سبتمبر ٢٠٠٤م، استضافت الجمعية الناقد الإسلامي الدكتور حسن الهويميل، أستاذ الأدب والنقد غير المتفرغ بجامعة القصيم ورئيس نادي القصيم الأدبي ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في المملكة العربية السعودية. وذلك في ندوة مفتوحة تناولت قضايا الأدب الإسلامي والنقد ومختلف القضايا الأدبية المعاصرة واختتمت بأمنية شعرية شارك فيها شعراء الرابطة والضيوف.

* وفي الأسبوع الثاني استضافت الجمعية الأديب عبداللطيف الجوهري، في ندوة حول إبداعاته في الأدب الإسلامي، واستعرضت بعض الجوانب الفنية في شعره حيث رحب د. عبدالمنعم يونس (رئيس الجمعية) بالضيف. وقامت الشاعرة نوال مهني بتقديم الضيف، وتحدث الأستاذ إبراهيم سعفان عن أسلوب الجوهري في معالجة المسائل الفكرية بأسلوب أدبي. ثم تحدث الضيف وألقى الضوء على إبداعاته وظروف الكتابة، ووجه الشكر لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقدم بعض قصائده.

* وفي الأسبوع الأول من تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٤م تمت مناقشة رواية «أطياف الماسة الزرقاء» للأديب أحمد بسيوني، وهي رواية من الخيال العلمي برؤية إسلامية، في بداية الندوة قدم المؤلف نبذة عن فكرة الرواية وظروف كتابتها والهدف منها. وشارك في الحديث والمناقشة كل من: د. عبدالمنعم يونس، والأستاذ حسني سيد لبيب، ود. عاطف عامر.

وفي نهاية الأمسية تحدث أ. إبراهيم سعفان (الذي أدار الندوة) وقال إن الكتاب مشحون بمعلومات كثيرة، وأبدى عدداً من الملاحظات النقدية.

* وفي الأسبوع الثاني من تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٤م عقد لقاء مع د. عبدالعزيز عوض، أستاذ الأدب التركي ورئيس القسم بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر.



أحمد بسيوني



عاطف عامر

الأدب الإسلامي في صنعاء

عاصمة الثقافة العربية لسنة ٢٠٠٤م



من اليمين: د. الهويل، د. عبدالقدوس، د. بدر، د. أبو الرضا في الندوة

صنعاء - د. سعد أبو الرضا

في يوم من أيام الأدب الإسلامي المشرقة، تجلت صنعاء العاصمة اليمنية في أبهى حللها الثقافية... في يوم الأربعاء التاسع من شهر رجب سنة ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٥ آب / أغسطس ٢٠٠٤م إذ احتضنت أول ندوة للأدب الإسلامي تعقد في رحابها العامرة، برعاية رابطة الأدب الإسلامي العالمية وحضور جمع كبير من المخلصين في هذا البلد الكريم الذي قال فيه الشاعر القديم:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر

وكان مقر الندوة في مركز البحوث والدراسات الذي يشرف عليه المستشار الثقافي لرئيس الجمهورية اليمنية د. عبدالعزيز المقالح الذي رحب بعقد هذه الندوة في هذا المكان الذي يعد من أهم معالم صنعاء.

وكان هذا الملتقى حول الأدب الإسلامي نتيجة اتصالات لعدة شهور بين كل من د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس الرابطة، وبين د. عبدالولي الشميري مندوب اليمن الدائم بالجامعة العربية ورئيس منتدى المثقف العربي بالقاهرة، كما أنه مؤسس ورئيس مؤسسة الإبداع للثقافة والفنون والآداب بصنعاء، وهو بعد ذلك عضو عامل في المكتب الإقليمي للرابطة في اليمن بل هو الراعي الأول لهذا المكتب.

وقد تعمد رئيس الرابطة والدكتور الشميري اختيار موعد الملتقى وإقامة فعالياته بمناسبة اختيار صنعاء عاصمة للثقافة العربية لسنة ٢٠٠٤م.

الإيمان يمان

وقد افتتحت هذه الندوة بالقرآن الكريم، ثم أدارها د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس رابطة

الأدب الإسلامي العالمية الذي أبرز حب الناس لليمن فقد قال الرسول ﷺ «الإيمان يمان»، كما بين أن الأدب الإسلامي مشروع حضاري لتغيير واقع الأمة وإنقاذ الإنسانية، وقد أبرز أهمية الأدب الإسلامي في مجال الدعوات والمذاهب المختلفة لأن الأدب يخاطب العقل والقلب معاً، من ثم فإن الأدب الإسلامي يقوم بذلك في موازنة سوية، وهو دعوة إلى أدب ملتزم بالإسلام، هادف إلى تعزيز قيم العدل والخير والحرية والمساواة، وعدم الإفساد في الأرض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ختم تقديمه بتوجيه الشكر الجزيل إلى حكومة جمهورية اليمن وفخامة رئيسها علي عبدالله صالح، وإلى معالي وزير الثقافة الأستاذ خالد الرويشان، وإلى سعادة المستشار الثقافي لرئيس الجمهورية د. عبدالعزيز المقالح، وإلى سعاد د. عبدالولي الشميري وأعضاء مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية هناك.

الأدب الإسلامي ومفهومه المتميز

ثم تحدث د. حسن الهويل - رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المملكة العربية السعودية - عن المحور الأول للندوة وهو: تعريف الأدب الإسلامي

في هذا المجال، وكذلك أشار إلى جهود د. عبدالقدوس أبو صالح الرئيس الحالي، خاصة وقد تعددت مكاتب الرابطة كما تعددت مجالاتها، واتسع نشاطها حتى شمل كثيرا من الدول العربية والإسلامية في العالم، كما أشار إلى بعض أهداف الرابطة الدعوية والإنسانية.

تلا ذلك مناقشات كشف خلالها المتحدثون عن

بعض جوانب فكرة الأدب الإسلامي وأبعادها الحضارية والتراثية، وأهمية هذا المذهب الأدبي في عالم يموج بالمتغيرات، وتحاول العولة الهيمنة عليه بطغيانها وانحرافات.

الفعاليات الثقافية المصاحبة للندوة:

وقد صاحب هذه الندوة العديد من الفعاليات الثقافية، فقد عقدت أمسيتان شعريتان إحداهما في مقر مؤسسة الإبداع والفنون والآداب، وذلك مساء الأربعاء الذي أقيمت الندوة في صبيحته، وقد

افتتحها وزير الثقافة اليمني معالي الأستاذ خالد الرويشان الذي رحب به د. عبدالولي الشميري رئيس المؤسسة، وكما أشاد معالي الوزير بجهود د. عبدالولي الشميري الثقافية المتعددة الثرية في أرجاء اليمن والعالم العربي، وقد نقل التلفزيون اليمني وقائع هذه الأمسية كلها.

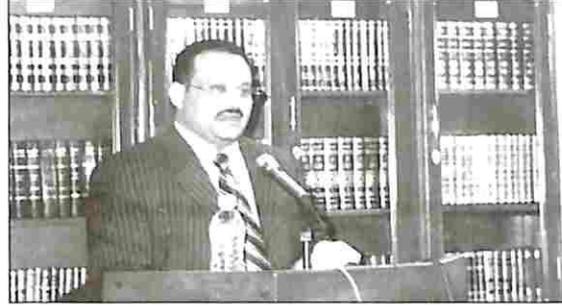
أما الأمسية الثانية فقد عقدت بمركز البحوث الجامعية الذي أقيمت به ندوة الأدب الإسلامي، وذلك مساء الخميس ١٠ / ٧ / ١٤٢٥ هـ، وقد قدم هذه الأمسية وأدارها الأستاذ مفضل إسماعيل عضو رابطة الأدب الإسلامي وعضو مجلس النواب اليمني الذي كان يقدم الشعراء ببعض الأبيات الشعرية التي يرتجلها.

ومفهومه المتميز»، فأشار إلى أنه «التعبير الجميل عن التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة»، ثم فصل حدود هذا التعريف وأبعاد مفهومه، كما أكد على أن الحوار الهادئ لا المصادرة هي سبيل التفاهم مع أصحاب المذاهب والدعوات الأخرى، دون انزعال أو تفوق.

الدعوة إلى الأدب الإسلامي

وبعد ذلك تحدث

د. سعد أبو الرضا - نائب رئيس مكتب البلاد العربية في الرابطة ونائب رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي - في المحور الثاني وهو مسوغات الدعوة إلى الأدب الإسلامي وأثره في المجتمع»، فأشار إلى وجوب أن يكون للمسلمين أدبهم الذي يعبر عن أشواقهم وهمومهم وأخلاقهم في مقابل ما نراه من أدب مسيحي وأدب يهودي، ولنرد به دعاوي المستشرقين، ومن



د. الشميري يلقي كلمته



جانب من الحضور

يحاولون تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وللحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم، والتراث العربي، وللإسهام في ترشيد الأمة وشبابها بتقديم الكلمة الطيبة النقية في وسائل الإعلام المختلفة، كما أشار إلى أهمية أدب الأطفال الإسلامي في تنشئة أجيال صالحة تخدم دينها وأمتها.

مسيرة الأدب الإسلامي

وأما المحور الثالث وهو «رابطة الأدب الإسلامي سيرة ومسيرة» فقد تناوله د. عبدالباسط بدر - نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب البلاد العربية - متتبعا الظروف والملابسات التي نشأت فيها الرابطة حتى استتوت على ساقها، كما أبرز دور سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي الرئيس السابق للرابطة

وقد شارك في الأمسيتين الشعريتين شعراء من اليمن وليبيا وسوريا وفلسطين والعراق، وكثير من ضيوف صنعاء .

الندوة في وسائل الإعلام اليمنية

أما الصحف والمجلات اليمنية التي صدرت في وقت الندوة فقد حيت وفد رابطة الأدب الإسلامي العالمية الذين قدموا إلى اليمن، كما أشادت بالدعوة إلى الأدب الإسلامي، ورحبت بإقامة المكتب الإقليمي للرابطة في صنعاء .

وقد كتب في صحيفة «الصحوة» الأستاذ عبدالغني المقرمي مقالة ضافية بعنوان : « رابطة الأدب الإسلامي .. فكرة تطوف العالم » أشار فيها إلى مكانة الرابطة

المتميزة بين المؤسسات الأدبية العالمية، كما رصد عدة تحديات تقف أمام مسيرتها المباركة منها : تغليب الخطاب الوعظي على الأدبي في مختلف نتاجاتها الأدبية، وتفرد أدوات الأدب، وأن ما صدر عن الرابطة من كتب نقدية لا تقدم رؤية واضحة لكثير من الميادين التي تدعو إليها الرابطة، وغلبة الجانب التنظيري على الجانب التطبيقي، ويستشهد على ذلك بالعدد الخاص بنجيب الكيلاني من مجلة الأدب الإسلامي، وإن الأدب الإسلامي بحاجة إلى الثقافة والانفتاح على الآخر، وحاجة الرابطة إلى قنوات اتصال غير تقليدية كالمحطات الفضائية والأفلام التسجيلية .

وقد تمت عدة لقاءات إذاعية وصحفية مع رئيس الرابطة د . عبدالقدوس أبو صالح، ود . عبدالباسط بدر، ود . حسن الهويميل، ود . سعد أبو الرضا، شملت الحديث عن فكرة الأدب الإسلامي في الماضي والحاضر والمستقبل .. وعوامل نموها .

في ضيافة وزير الثقافة اليمني

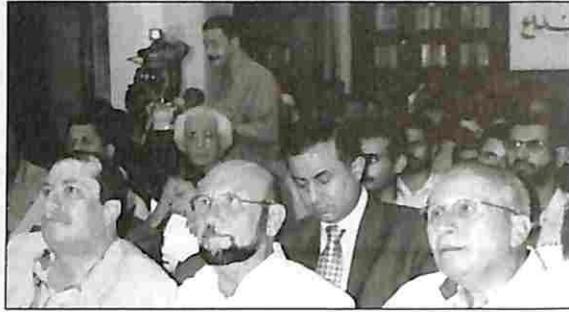
ومن الجدير بالذكر أن وزير الثقافة اليمني الدكتور خالد الرويشان دعا وفد الرابطة مع عدد

من الشعراء الضيوف إلى مأدبة عشاء يمني، دارت فيه أحاديث أدبية ماثمة، وتحدث خلاله رئيس الرابطة عن تعريف الأدب الإسلامي وعن منهج الرابطة في الاعتدال والبعد عن التطرف والالتزام بالابتعاد عن الصراعات السياسية والحزبية مع الحرص على مناصحة الحكام .

افتتاح المكتب الإقليمي في اليمن

هذا وقد انتهت هذه الفعاليات بافتتاح المكتب

الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي باليمن في العاصمة صنعاء حيث تم انتخاب د . محمد العبيدي رئيساً له . ود . طه السروري نائباً للرئيس، وعضوية كل من الأستاذة حميد المسوري، وأحمد قايد الأسود،



الندوة في وسائل الإعلام اليمنية

وأحمد هادي جمال الدين .

كلمة رئيس الرابطة في ندوة اليمن

وقد ألقى الدكتور عبدالقدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية الكلمة الآتية في ندوة اليمن:

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإني أحمد الله تعالى أن قيض لي زيارة هذا البلد الكريم للمرة الثانية، ومن لا تسره زيارة اليمن، ومن لا يحب اليمن وشعب اليمن !؟ ..

من لا يحب اليمن المؤمن، والرسول الصادق المصدوق ﷺ قال : « الإيمان يمان » .. ومن لا

يحب شعب اليمن وهم أحفاد أولئك الأبطال اليامين الذين انطلقت كتائبهم تحمل رسالة الإسلام لتركز راياته في كثير من أصقاع الأرض، وانطلق أهل اليمن ليفتحوا كثيرا من البلاد بأخلاقهم الإسلامية ومعاملتهم الإنسانية !..

ولا عجب أن نجد اليمن المؤمن يفتح قلبه للأدب الإسلامي ورسالته العالمية التي تحتاجها الإنسانية لإنقاذها من الأخطار التي تهددها

ولقد قامت الدعوة إلى الأدب الإسلامي مذهباً أدبياً أو نظرية متكاملة، لأنه في مفهومه ومميزاته يمثل طوق النجاة أمام فوضى المذاهب الفكرية والأدبية وكثرتها وماديتها وعجزها . وإن عدم الانسجام بين



د. عبدالقدوس يلقي كلمته

الأديب غير المسلم وبين العالم جعله - كما يقول الناقد الإسلامي د. عبدالباسط بدر - يبحث عن الحلول في متاهات وسرايب معتمة، كالجنس لدى ألبرتو مورافيا وأمثاله، أو في الصراع الطبقي لدى مكسيم غوركي وأتباع الواقعية الاشتراكية، أو في التمرد على كل شيء لدى سارتر والوجوديين، أو الانقطاع المعرفي لدى دعاة الحداثة الشاملة .

وكل ذلك جعل الآداب العالمية تحفل بمظاهر الضياع والقلق والتمرد والعبث، وتغرق في حمأة الجنس والانحلال، وتهدف إلى الإفساد العقائدي والخلقي، ثم ينعكس ذلك كله على الفن السينمائي، وينتقل إلى أشرطة الفيديو وأجهزة التلفاز عن طريق القنوات الفضائية ليغزو كل بيت في العالم، وليسهم في دفع الإنسانية إلى مهاوي الضياع .

ومن هنا جاءت الدعوة إلى الأدب الإسلامي أدباً إيمانياً ملتزماً بالإسلام، هادفاً إلى تعزيز قيم الخير والعدل والحرية والمساواة، وإلى دعوة البشرية إلى عدم الإفساد في الأرض وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وجاء الأدب الإسلامي ليكون وسيلة مهمة من وسائل بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح، مع حرصه على إعطاء المرأة دورها في بناء الأسرة والمجتمع، فهو يهتم بأدب المرأة، ويشجعها على الإبداع الأدبي. وهاهي ذي الجائزة الأولى في مسابقة الرواية التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية تأتي من نصيب أديبة متفوقة.

والأدب الإسلامي يعمل على رد تلك الهجمة الشرسة على الإسلام والتي تعمل على تصوير الإنسان المسلم في صورة «الرجل الكريه»، وتتناسى

والمصير المظلم الذي تتحدر إليه .

فما أشبه الإنسانية اليوم بجواد جموح، انطلق من عقاله لا يلوي على شيء، حتى أوشك أن يتسردى في هوة الدمار والفناء . وهذه

مأسى العالم ونزاعاته ومحنه في كل مكان، وهذا طغيان الإنسان على أخيه الإنسان ... كل ذلك شاهد على أن الإنسانية فقدت عقلها حين مضت تحفر قبرها بيدها، وتحجر قلبها حين لم تعد تصغي إلى أهات البؤساء وبكاء الأطفال الأبرياء، وفواح الثكالي والمغتصبات، وأنين الجرحى وحشرجات القتلى في مجازر الطغيان .

وإذا كان الشعور بالمسؤولية يدعونا إلى العمل على تغيير واقع الأمة الإسلامية، والعمل على إنقاذ الإنسانية في مشروع حضاري إيجابي متكامل، وحوار إيماني هادف، وبناء يبتعد عن التعصب والتطرف، ويتسم بالاعتدال والانفتاح .. فإن هذا المشروع لا ينبغي له أن يقتصر على مسارات الفكر والسياسة والاقتصاد فحسب .. بل لا بد له أن يلتفت إلى مجال الأدب، ويدرك دوره الفعال وأهميته البالغة .

وإذا كانت الدعوات الفكرية والسياسية والاقتصادية تخاطب العقل، فإن الأدب يخاطب العقل والقلب معا .. ولا بد من الموازنة بين هذين الجناحين، إذ لا يمكن التحليق بواحد منهما دون الآخر، ولو كان الإنسان عقلاً محضاً لأصبح إنساناً ألياً ولأصبحت الحياة صحراء قاحلة مجدبة، ولو كان الإنسان قلباً محضاً لطغت أهواؤه على عقله، وغطت على بصيرته .

وليس هنالك من مذهب فكري أو سياسي أو اقتصادي إلا توسل بالأدب لدعم دعوته، أو لنشر آرائه، أو كسب أتباعه وأنصاره .. وحتى الإعلام الذي أصبح في هذا العصر من أخطر الأسلحة وأمضاها .. لا بد له أن يعتمد على الأدب مضموناً أو أسلوباً حتى يكون إعلاماً فعالاً ناجحاً .

وأخيراً فإن الواجب يدعوني إلى أن أقدم باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالشكر الجزيل إلى حكومة جمهورية اليمن ورئيسها الجليل على عبدالله صالح، وإلى معالي وزير الثقافة الأستاذ خالد الرويشان، وإلى سعادة المستشار الثقافي لرئيس الجمهورية الدكتور عبدالعزيز المقالح .. ثم إلى سعادة الأخ الكريم الدكتور عبدالولي الشميري رئيس مؤسسة الإبداع للثقافة والفنون والآداب لاستضافته هذه الندوة ورعايته لها .

ولن أنسى واجب الشكر والتقدير للدكتور طه غانم السروري أول رئيس لفرع الرابطة في اليمن ولخلفه الدكتور أبي بكر الباكري، لما بذلاه في سبيل تعزيز الأدب الإسلامي في ربوع اليمن السعيد كما أشكر السادة الحضور الذين أكرمونا بحضور هذه الندوة المباركة إن شاء الله تعالى . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



د. أبو بكر الباكري

أويتناسى من يقودون تلك الهجمة ماذا قدم المسلمون للعالم وللحضارة البشرية. والأدب الإسلامي الذي يدعو إلى نبذ الانغلاق على الذات أدب ينفتح على المذاهب الأدبية العالمية، يفيد من إيجابيتها، ويتعد عن سلبياتها، لأن «الحكمة ضالة المؤمن، وحيثما وجدها فهو أحق بها».. والأدباء الإسلاميون في كل مكان يؤمنون بالحوار الموضوعي البناء عملاً بقوله تعالى: «وجادلهم بالتي هي أحسن».

وهاهي ذي ندوتنا اليوم، وهي بعنوان «الأدب الإسلامي: تعريفه ومضمونه المتميز ورباطته العالمية» تهدف إلى تقديم الأدب الإسلامي بصورته الناصعة وتميزه الفريد ومنهجه الأصيل الذي يقوم على الاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف، وعلى مناصحة الحكام، وعلى الالتزام بالبعد عن الصراعات السياسية والحزبية، وهو ما نصت عليه المادة الأولى من نظام الرابطة.

من أخبار المكتب الإقليمي للرابطة في اليمن



د. محمد العبيدي

شارك الدكتور محمد عبدالله العبيدي رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في اليمن في الملتقى نصف الشهري الذي يقيمه مجموعة من أساتذة اللغة العربية في جامعة صنعاء، وخصص الملتقى الذي عقد يوم الخميس ١٦ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٣٠ / ٩ / ٢٠٠٤م لقضية الأدب الإسلامي، وقد بدأ بورقة قدمها د. محمد العبيدي بعنوان: الأدب الإسلامي: مفهومه، وأهميته، وخصائصه .

وشارك في النقاش كل من: د. أحمد المنصوري أستاذ الأدب العربي في كلية اللغات جامعة صنعاء، ود. عبدالله لطف صبار أستاذ النقد الأدبي في كلية اللغات جامعة صنعاء، ود. عبدالواسع الحميري عميد كلية الآداب والتربية في صنعاء، ود. حيدر الصالحي أستاذ الأدب الحديث في كلية اللغات، ود. عبدالله الحذيفي رئيس قسم اللغة العربية والترجمة في كلية اللغات جامعة صنعاء، ود. أحمد قاسم الزمر عضو الرابطة وأستاذ البلاغة والنقد الأدبي في كلية اللغات جامعة صنعاء، وأدار اللقاء د. عبدالله البار أستاذ الأدب العربي في كلية الآداب جامعة صنعاء .

وختم اللقاء بتعليق قدمه الدكتور محمد العبيدي رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في اليمن رد فيه على بعض التساؤلات، ووضح فيه بعض القضايا الشائكة.



أحمد قاسم الزمر

حوار مفتوح حول الأدب الإسلامي

مكتب الرياض: محمد شلال الحناحنة

* واستضاف المكتب مساء يوم الأربعاء ٢٩ شعبان ١٤٢٥هـ الدكتور الشاعر أحمد بن عبدالله السالم، رئيس قسم النحو والصرف وفقه اللغة في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض، حيث تحدث عن تجربته الشعرية، وقرأ مجموعة من أشعاره المختارة من دواوينه الشعرية، وقد لقيت القراءات الشعرية استحسان الحضور. كما قدم عدد من الشعراء مشاركات شعرية متنوعة في ختام الملتقى.

وقد أدار الملتقى الدكتور ناصر بن

عبدالرحمن الخنين نائب رئيس المكتب الإقليمي. كما عقد المكتب الإقليمي ثلاثة ملتقيات أدبية لإبداع الشباب خلال الفترة من رجب إلى رمضان لعام ١٤٢٥هـ، والذي يتم اللقاء فيه مساء الأربعاء الثاني من كل شهر هجري. ويعقد الملتقى الأدبي العام مساء الأربعاء الأخير من كل شهر.

* اجتمع د. وليد قصاب، عضو الهيئة الإدارية لمكتب البلاد العربية، بأعضاء رابطة الأدب الإسلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة خلال زيارته لها في فترة إجازة عيد الفطر المبارك.

وقد حث د. وليد الأعضاء على القيام بواجبات العضوية بنشر الدعوة إلى الأدب الإسلامي والتواصل الثقافي بين الأعضاء بعضهم ببعض وبين الرابطة ومجلة الأدب الإسلامي.

افتتح المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض موسمه الثقافي لهذا العام بندوة عنوانها: «حوار مفتوح حول الأدب الإسلامي» وقد أدار الندوة د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس الرابطة والذي بدأها بالحديث عن بعض أهداف الرابطة ومبادئها الأساسية.

ثم طرحت عدة قضايا بدأها الدكتور سعد أبو الرضا نائب رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي بحديثه عن موقف الرابطة من الآخر، ثم سرد بعض الأمثلة على موقف الأدب الإسلامي من بعض مخالفه.

وتحدث د. سعد عن المناهج النقدية الحديثة: «البنوية والتفكيكية» وبين أثرها على الأدب العربي، كما دحض مقولة «موت المؤلف».

بعد ذلك طرح د. ناصر الخنين نائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في الرياض قضية أخرى وهي: «أصول الالتزام بالأدب الإسلامي» ورد على من يرى أن الالتزام قيد للمبدع بالإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.

ثم طرح د. وليد قصاب، أستاذ النقد بجامعة الإمام قضية ثالثة وهي قضية (الغموض) حيث بدأ حديثه ببعض الشواهد الشعرية لذوي الاتجاهات الحدائث التي ترى في الغموض منهجا متبعاً. وذكر د. وليد أن الأدب الإسلامي أدب الوضوح لأنه ذو غاية وصاحب رسالة.

وفي نهاية الندوة تمت الإجابة عن استفسارات الحاضرين، ثم ألقى بعض الشعراء قصائد من إبداعاتهم.



من اليمين: د. وليد، د. ناصر، د. عبدالقدوس، د. سعد

لقاءات أدبية للدكتور الهويل

بالإضافة إلى مشاركة د حسن بن فهد الهويل رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بالمملكة في ندوة الأدب الإسلامي باليمن، وحضوره حفلا تكريميا بجمعية الأدب الإسلامي بالقاهرة، فقد حضر حفل تكريم المبدعات العربيات اللاتي تم إكرامهن من قبل (منتدى المثقف العربي) في القاهرة .

كما حضر د . الهويل الأمسية الشعرية في (متحف أحمد شوقي) وكان المتحدث الرئيسي فيها . وقد أثنى على تعدد المناشط وتنوعها في القاهرة ودعم الدولة لذلك، وأوضح د . الهويل موقف الناقد الإسلامي من الإبداع من خلال أبعاده الفنية والشكلية والموضوعية، وأكد أن الناقد الإسلامي لا يبخل الشعراء أشياءهم، وأنه يشيد بالإمكانات الفنية والإبداعية وإن تحفظ على بعض التجاوزات



الدلالية، وكان لهذا التحديد أثره في نفوس الشعراء الذين كانوا يظنون أن الأدب الإسلامي يمارس الإقصاء والتمهيش.

وفي نقابة الصحفيين حضر د . الهويل أمسية

شعرية ثالثة بمشاركة لفيف من الشعراء المنتمين للرابطة وآخرين ممن يحملون الهم الإسلامي من غير أعضاء الرابطة. وكان تعليق الهويل على الإبداعات ماثار تقدير الجميع حيث أشاد بالحس الإسلامي في الأعمال الإبداعية .

وقد تمت تغطية تلك الفعاليات في سائر الصحف المصرية وبخاصة جريدة الأهرام التي لخصت كلمة الدكتور الهويل في حفل مكتب الرابطة في القاهرة.

مكتب الأردن - عمان - عماد الرفاتي:

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن عددا من الأنشطة الثقافية في الفترة من ١٣ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ / الموافق ١ / ٨ / ٢٠٠٤ م إلى ٩ رمضان ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٣ / ١٠ / ٢٠٠٤ م .

* محاضرة للدكتورة زينب محمد بيره جكلي بعنوان « مفهوم عصر الدول المتتابعة » قدمها فيها الدكتور عثمان قدرى مكاني.

* أمسية شعرية للأستاذ عبدالله عيسى سلامة، قدمه فيها الأستاذ محمد الحسنوي.

* محاضرة للدكتور عبدالقادر الشبخلي بعنوان : « ثقافة الحوار في الإسلام » وأدار المحاضرة الأستاذ محمد شلال الحناحنة.

* محاضرة للدكتور عثمان قدرى مكاني بعنوان : « تأملات تربوية في سورة طه » وأدار المحاضرة الدكتور عماد الخطيب.

* أقام المكتب حفل توقيع كتابي الدكتور عودة الله القيسي « الإعجاز في آيات الصيام »، والدكتور عمر

الساريسي « في أدب العصر العباسي » وقدم كل منهما موجزا عن كتابه، وقدمهما الأستاذ صالح البوريني.

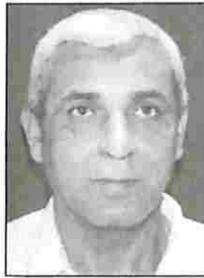
* محاضرة للأستاذ حسام العفوري في العروض بعنوان « الزحافات والعلل بين دوائر الخليل والمعنى » قدمه فيها الدكتور عماد الخطيب.

* محاضرة للدكتور عودة أبو عودة بعنوان « البيان في الحديث النبوي » قدمه فيها الأستاذ صالح البوريني.

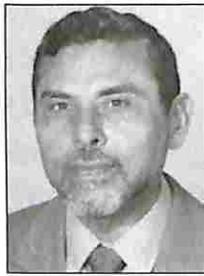
* أمسية شعرية للأستاذ محمد ضمرة قدمه فيها الأستاذ ماجد المجالي.

* محاضرة للدكتور إسماعيل العميرة بعنوان « مشروعات ملحة لخدمة اللغة العربية » قدمه فيها الدكتور ياسين عايش.

* ندوة رمضانية للدكتور عودة أبو عودة بعنوان « نظرات بيانية في آيات الصيام » وأدار الندوة الأستاذ صالح البوريني.



محمد ضمرة



إسماعيل العميرة

الرسول الأعظم ﷺ في الشعر البنغالي



جانب من الندوة

عقد مكتب بنغلاديش الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في العاصمة دكا في الثالث من شهر حزيران / يونيو عام ٢٠٠٤ م مساء يوم الخميس ندوة أدبية حول « الرسول الأعظم ﷺ في الشعر البنغالي » في قاعة المؤسسة الإسلامية (بيت المكرم) بـداكا، حضرها نخبة من الأدباء والكتاب والشعراء وأساتذة الجامعات والمعاهد التعليمية وطلبة العلم. وكانت القاعة مكتظة بالحاضرين.

بدأت فعاليات الندوة بتلاوة أي من الذكر الحكيم وقصيدة مدح في الرسول ﷺ. ثم قام رئيس المكتب الإقليمي الشيخ محمد سلطان ذوق الندوي بإلقاء كلمة افتتاحية. ثم قدم الدكتور س. م. لطف الرحمن رئيس قسم اللغة البنغالية في جامعة داكا كلمة قيمة حول الموضوع المذكور، وتحدث فضيلة الشيخ محيي الدين خان رئيس تحرير مجلة « المدينة »، عن إبداع الشعراء البنغاليين في مدح الرسول ﷺ، وشارك بمداخلات قيمة كل من: الشاعر روح الأمين خان المدير التنفيذي لجريدة « انقلاب » اليومية والأستاذ فريد الدين مسعود رئيس البحوث الإسلامية بينغلاديش والدكتور عبدالرحمن أنوري الأستاذ المساعد في الجامعة الإسلامية كوشتيا، والأستاذ عبید الرحمن خان الندوي المدير المساعد لجريدة « انقلاب ».

وقد حضر الندوة معالي الدكتور مستفيض الرحمن نائب رئيس الجامعة الإسلامية كوشتيا سابقاً ضيف شرف، وكان رئيس الندوة معالي الدكتور الأديب الناقد قاضي دين

محمد رئيس قسم الأدب البنغالي في جامعة داكا سابقاً . وأفاد الشيخ محمد سلطان ذوق في كلمته الافتتاحية عن مدح الرسول ﷺ في مختلف اللغات والأدوار، وقال إن مدح الرسول ﷺ لا يرفع منزلة الرسول ﷺ بل ترتفع به مكانة الشاعر واعتز به الشعراء في كل عصر ومصر كما قال أحد الشعراء:

ما إن مدحت محمداً بمقالتى

لكن مدحت مقالتى بمحمد

وكثير من الشعراء قرضوا في مدح الرسول ص، والأدب الأردني حافل بأشعار أنشدت في مدح الرسول ﷺ. ومن الحقيقة الناصعة أن إبداعات الشعراء البنغاليين في مدح النبي ﷺ لا يستهان بها . فلو استعرضنا ما قدموا في هذا المجال لعرف الناس مقدار إسهامهم في خدمة الإسلام واستخدامهم اللغة البنغالية في مدح الرسول ﷺ، ولتحقيق هذا الغرض تم عقد هذه الندوة .

وأضاف الشيخ قائلاً : هذه الندوة تستهدف التعريف بأهم أنشطة الرابطة وأغراضها، إذ نلاحظ قلة الاعتناء بأنشطة الرابطة من المعنيين بالأدب الإسلامي في بلادنا، رغم أن المكتب الإقليمي لا يزال يعمل جاهداً منذ نشأته .

وتحدث فضيلة الدكتور لطف الرحمن في كلمته عن شعراء بنغاليين وإبداعاتهم حول الرسول ﷺ منذ نشأة اللغة البنغالية وتطورها، ولكنه لم يتطرق إلى الحديث عن شعراء معاصرين وإسهاماتهم في المدح كثيراً .

وفي الختام ألقى معالي الدكتور قاضي دين محمد كلمته ودعا الكتاب والباحثين إلى الاهتمام بأنشطة رابطة الأدب الإسلامي .

نشاطات أخرى

* ألقى الأستاذ محمد سلطان ذوق في مقر المكتب محاضرة بعنوان : « الأدب الإسلامي مفهومه وضرورته » حضرها جمع كبير من الأدباء وأساتذة المعاهد العلمية والجامعات، ودارت مناقشات مهمة حول الموضوع في نهاية المحاضرة .

* عقد المكتب الإقليمي في بنغلاديش مسابقة في ترجمة النصوص الأدبية من اللغة البنغالية إلى اللغة العربية، شارك فيها عدد من المهتمين بالأدب العربي والذين يجيدون اللغة العربية .

الإسلام والمسلمون في القرن الحادي والعشرين

وحضر هذا المؤتمر د . عبدالقدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وقدم بحثاً بعنوان: « المسلمون والتحدي الفني » . وكان من جملة التوصيات المهمة للمؤتمر دعم الأدب الإسلامي والدعوة إلى تقريره مادة دراسية في الجامعات ، والعناية به في وسائل الإعلام المختلفة.

عقد في مدينة عمان المؤتمر الدولي الثالث بعنوان: «الإسلام والمسلمون في القرن الحادي والعشرين» بالتعاون بين وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردنية وجامعة اليرموك، وذلك في الفترة من ١٤ إلى ١٦ شوال ١٤٢٥هـ/ الموافق ٢٧ إلى ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤م.

مكتب الهند - الرائد - إقبال أحمد الندوي

ندوة علمية حول السلطان تيبو الشهيد

في دائرة المتعة الأبوية فحسب، ولأجل ذلك فإن الشخصيات التاريخية التي ليست بشخصيات أدبية، لكنها تسقي الأذهان و العقول في الحقل الأدبي بفكرتها وتوجيهها لتكون حقلاً كبيراً للعاملين في المجال الأدبي، فهذه الندوة عن شخصية السلطان وخدماته جاءت في أوانها ومكانها .

البحوث والمقالات

ومن البحوث والمقالات التي قدمت في الندوة :

- «السلطان تيبو الشهيد حاكم ذو بصيرة وصاحب عزيمة»، لفضيلة الشيخ محمد الرابع الحسيني الندوي.
- « حياة السلطان تيبو وخدماته »، للشيخ محمد مصطفى الرفاعي الجيلاني.
- « خطابات السلطان تيبو الشهيد »



محمد الرابع الندوي

- للمحامي عبدالرحيم القرشي.
- « أسد الهند تيبو السلطان في ضوء الشعر والأدب »، للدكتور محسن العثماني الندوي.
- « خدمات السلطان الشهيد العلمية والأدبية »، للدكتور قدرة الله الباقوي.
- « حضرة السلطان تيبو الشهيد » (شعر)، للشيخ منير أحمد الجامي.
- «دراسة المزدوج في مدح السلطان تيبو الشهيد »، للدكتور ظهير أحمد راهي فدائي.
- وبحوث أخرى تناولت الجوانب الدعوية والسيرة الذاتية.

عقد فرع مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بكرناتكا ندوة علمية حول شخصية وخدمات البطل الجليل والمجاهد الكبير ورمز الحرية والاستقلال في الهند السلطان الشهيد أبي الفتح فتح علي المعروف بتيبو، وذلك في ٢٧ من يونيو ٢٠٠٤م بتعاون دار العلوم سبيل الرشاد بنجلور في قاعة محاضراتها الجديدة المدعوة « إيوان حضرة أبي السعود »، وقد تم افتتاحها كذلك بهذه الندوة.

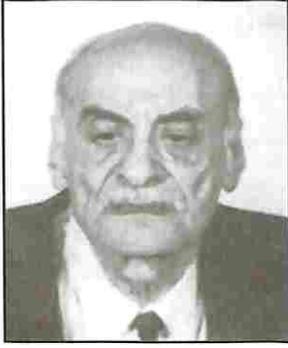
ورأس الندوة رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي، وأدار الجلسة فضيلة المفتي في بكرناتكا الشيخ محمد أشرف علي الباقوري رئيس جامعة سبيل الرشاد، وشارك فيها فضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الندوي الأمين المساعد لمجلس أمناء الرابطة

بصفته ضيف الشرف، كما حضرها عدد كبير من المسؤولين والأساتذة والطلبة .

وتناولت البحوث والمقالات جوانب عديدة من حياة السلطان الشهيد تيبو شرحاً وإيضاحاً، دراسة ونقداً . وكانت الندوة ناجحة موفقة.

وقدم الشيخ محمد مصطفى الرفاعي الجيلاني الندوي كلمته الترحيبية، ثم ألقى الشيخ محمد الرابع الندوي كلمته، وقال فضيلته وهو يلقي الضوء على الأدب الإسلامي وغرضه، ويربط بين شخصية وخدمات السلطان تيبو والأدب : إن موضوع الأدب لا يمكن تحديده

أستاذي مصطفى صادق الرافعي



د . حسين مجيب المصري

من الأسئلة التي عهدنا طرحها في اتصال ودوام، هي أي شخصية كان لها الأثر في حياتك ؟

ونقصد بالحياة هنا .. الحياة الأدبية على الأخص . أقول .. والحق أقول .. إن حرفة الأدب أدركتني ولما أبلغ الرابعة عشرة، وأذكر أنني قرأت واطلعت في هذه السن المبكرة على كتاب للرافعي تحت عنوان « رسائل الأحران»، وكنت وأنا في ذلك الوقت .. أقرأ غيره من أمثال : جبران خليل جبران وكتبا أخرى قديمة وحديثة، وأحفظ من الأشعار العربية القديمة والحديثة جمهرة كبيرة .

غير أنني تأثرت وأعجبت بالرافعي، وذلك لوجهين، أما أولهما : فعربيته المتينة الرصينة، والثاني : خياله الذي أعجبت به الإعجاب كله .

قرأت كتابه مرارا، وحفظت منه، وامتدت بي الأيام، فواظبت على قراءة معظم مؤلفاته، وحفظت الكثير والكثير من أشعاره . وبذلك تأثرت به، ووجدت نفسي أميل إلى متانة العبارة، وجزالتها ورسالتها والتفنن في التخيل والتمثيل، ولأزمني الإعجاب بالرافعي، ومتابعة كتبه ومقالاته في الرسالة .. على الدوام .

ومعلوم أن الفتى في مثل سني لا بد أن يتأثر بما يقرأ، ويبقى هذا التأثير في عقله الباطن ووجدانه، ويلازمه في مقبل الأيام، ويشكل نوعية مواجهته للأدب .

وعلى الجملة .. يشكل شخصيته وحرفته الأدبية . فأنا مدين لأدب الرافعي في تشكيل نوعية اتجاهي في القراءة والكتابة منذ بدايته الأولى . وبقي أثر الرافعي ملازما، لا ينفك عني، في مراحل حياتي . ولقد اشتغلت بالقراءة والكتابة منذئذ إلى يومي الحاضر، وقد تجاوزت الثامنة والثمانين .

وإن كان ذلك لا يعني أنني لم أتأثر بغيره، ولكن بما أن تأثيره فيّ كان أسبق من تأثير سواء من الأدباء والمبدعين . أقول إنني أرد النتيجة إلى مقدمتها الأولى، وأبين كيف أن أدب الرافعي أثر فيّ، وقد زودني بذخر لغوي وأدبي وخيالي ما زلت منه على ذكر .

ومرت الأيام وقرأت لمعاصري الرافعي من أمثال : طه حسين والعقاد وأحمد أمين والزيات وزكي مبارك، ولكنني وجدت نفسي أتلو تلو الرافعي، وأضرب على قلبه فيما جرى به قلمه من نثر، وفاضت به قريحته من شعر، دون وعي مني، لأنه شكل شخصيتي الأدبية، وأرسى منها أساسا انبنى وقام عليه من بعد .. صرح شارك غيره في إقامته .

إنني في أول أمري شغلت بكتب الرافعي عن كتب من سواء ممن ذكرناهم سلفا، ولذلك انجذبت إليه انجذابا نفسيا، ولقد لاحظت أن لدى الرافعي نزعة فلسفية، فتحت عنوان كتابه « أوراق الورد» في فلسفة الجمال والحب نلحظ هذه النزعة الفكرية، تلك النزعة التي وجهت تفكيره هذه الوجهة الناقدة الفاحصة المقارنة . ولم أجد غيره من الكتاب من كانت له هذه الوجهة . لقد كنت أحفظ عن ظهر قلب جملا وعبارات وأشعارا للرافعي، تتضمن

نزعة فلسفية، فتأثرت بها في ريق شبابي، وكانت ملمحا من ملامح شخصيتي الأدبية من بعد .

إن المتعلم أو المرید لا ينسى معلمه أو شيخه على حال من الأحوال، ولله در من قال : « إن التعلم في الصغر كالنقش في الحجر » . وبعد أن اشتغلت بالتدريس في الجامعات خمسة وخمسين عاما .. كنت دائما أذكر تلاميذي بهذه الحقيقة .

وشاء الله أن أجد من تلاميذي من تركت في نفوسهم أثرا أطيب من ريح المسك، فكانوا يذكروني بالخير على الدوام، وأسوق لذلك مثلا : أن أحدهم، وقد أحيل إلى المعاش، بعد أن شغل منصبا كبيرا في مصر، يطرق بابي، دون إخبار منه بذلك، ويقول إنه تلميذي، وإنني درست له منذ خمسين عاما، وعانقني في شوق ومحبة، وعبر لي عن حبه وتوقيره الدائم لشخصي .

كما كنت مرة ألقى بحثا عن محمد إقبال، وبعد أن فرغت، وجدت من جاء يعانقني، وقال لي: إنه فلان الذي يدرس العربية في مدينة ساون باولو بالبرازيل، وإنه يذكرني بالحسن، حيث علمته في مصر، وإنني كنت على الدوام حاضرا في فكره .

وهكذا مثلما أنا معترف بفضل الرافعي عليّ . يعاملني تلاميذي ومريدي بنفس الحب والمودة والعرفان .

وهكذا أقيم بالدليل الحي الملموس الواقعي .. على حب التلميذ لمعلمه الأول . وهذا المعلم قد لا يكون مع تلميذه في مجلس الدرس، بل قد يكون بكتبه، وهذا ما يطابق صلتي بالرافعي !!

كشاف مجلة الأدب الإسلامي

فهرس الموضوعات - المجلد الحادي عشر - الأعداد ٤١ - ٤٤

| العدد والصفحة | الكاتب | الموضوع |
|-------------------|-----------------------|---|
| ١ / ٤٤-٤٣ | رئيس التحرير | الافتتاحية |
| ١ / ٤٢ | أبو الحسن الندوي | - أديب الإسلام الأكبر |
| ١ / ٤١ | رئيس التحرير | - اسمعوها مني صريحة أيها العرب |
| ٩٨ / ٤٢ | طارق شفيق حقي | - وبلغت أشدها |
| ٩٩ / ٤٢ | أحمد عدنان | الأقلام الواعدة |
| ٨٩ / ٤١ | طارق ثابت | - بدون تغطية - خاطرة |
| ٩٨ / ٤٢ ، ٨٨ / ٤١ | أحمد السعدني | الحياة خيوط - خاطرة |
| ٨٨ / ٤١ | شيماء .. | - عصماء - شعر |
| ١٠٨ / ٤٢ | محمود محمد كلزي | - قراءة في بريد الأقلام الواعدة |
| ١٠٨ / ٤٢ | نور عالم خليل الأميني | - منكرات جسد بلا روح - خاطرة |
| ١١٠ / ٤١ | هيثم السيد | بريد الأدب الإسلامي |
| ١١٠ / ٤١ | محمد أفقير | - أتشوف لمطالعتها |
| ١١٠ / ٤١ | علي التمني | - الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة |
| ١١١ / ٤١ | إبراهيم شعراوي | - أسعدني الملتقى الأدبي - شعر |
| ١١٠ / ٤١ | عبدالرحمن تيرماسين | - اعتزاز |
| ١١٠ / ٤١ | محمد داود الرياني | - إلى الأمام |
| ١٠٨ / ٤٢ | حزام ناجي السوداني | - أهلا بالأدب الإسلامي - شعر |
| ١١٠ / ٤١ | رمضان عمر | - شكر وأمل |
| ٩٤ / ٤١ | د. عبدالقدوس أبو صالح | - عتاب |
| ١٠٩ / ٤٢ | د. عبدالقدوس أبو صالح | - الفرحة الغامرة |
| ٩٤ / ٤٢ | عبدالحميد محمد شعيب | - من فلسطين الجريحة |
| ٨٢ / ٤١ | محمد المتقن | ترويح القلوب |
| ٢٠١ / ٤٤ - ٤٣ | التحرير | - درس في الرسم |
| ٦٥ / ٤١ | فوزية العمري | - نوم الظالمين |
| ٣٩ / ٤١ | لبابة محمد أبو صالح | رسائل جامعية |
| ٩٠ / ٤٢ | عبدالرحيم الكروي | - البوسنة والهرسك في الشعر العربي |
| ٨٠ / ٤١ | حلمي محمد القاعود | - شعر حسن الأمراني قراءة تأويلية |
| ٩ / ٤١ | محمد ظافر الشهري | - كشاف بالرسائل الجامعية عن الرافعي |
| ٤٦ / ٤١ | عبدالرحمن عبدالوافي | خاطرة |
| ١٨٤ / ٤٤ - ٤٣ | عبده بدوي | - خطرات مهومة |
| ٧٣ / ٤١ | محمد عبدالسلام الباشا | - لحظة صمت |
| ١٧٦ / ٤٤ - ٤٣ | زينهم البدوي | ردود ومناقشات |
| | | - الإسلامية في الأدب ليست قيذا ونظرية التلقي فيها نظر |
| | | - محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث |
| | | الشعر |
| | | - الأباتشي والكروسي ذو العجلات |
| | | - أبي .. يا أبي |
| | | - إشراقة حلم (في رثاء الرافعي) |
| | | - أطرقت من خجلي |
| | | - إلى صاحب القلم المتوضئ (في رثاء الرافعي) |

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الحادي عشر

العدد والصفحة

الكاتب

الموضوع

٨ / ٤١
١٧ / ٤١
١٦ / ٤٢
٧٩ / ٤١
١٩٤ / ٤٤ - ٤٣
١٧٨ / ٤٤ - ٤٣
٦٦ / ٤٢
١٩٢ / ٤٤ - ٤٣
٣٥ / ٤١
٥٤ / ٤١
٦٦ / ٤١
١٩١ / ٤٤ - ٤٣
١٨٦ / ٤٤ - ٤٣
٦٧ / ٤٢
٢٢ / ٤١
١٨٨ / ٤٤ - ٤٣
٥٥ / ٤٢
٢٩ / ٤١
١٨٧ / ٤٤ - ٤٣
١٨٢ / ٤٤ - ٤٣
٦٠ / ٤١
٧ / ٤٢
٢٦ / ٤١
٤٦ / ٤٢

حامد عبدالمجيد كابلبي
كمال أحمد غنيم
محمد سعيد المولوي
بكر موسى هارون
محمد فايد عثمان
عبدالرحمن نجا
رمضان عمر
عبير حسين إسماعيل
يوسف نوفل
صابرين شمردل
ربيع السعيد عبدالحليم
محجوب موسى
هاشم الرفاعي
فوزي خضر
محمد رشيد سوسان
حيدر الغدير
ياسر محمد غريب
فيصل محمد الحجى
فاروق باسلامة
محمود حسن إسماعيل
زكي صالح الحريول
حيدر الغدير
محمد أبو مصطفى
شريف قاسم

٧٨ / ٤٢
٧٩ / ٤١
٨٧ / ٤٢
٧٤ / ٤١
٦١ / ٤١
٥٨ / ٤٢

الخضر شكير
سامية حسين علي
خليل الصماري
مليكة الصوطي
عبد طاهر مسلم
محمد علي وهبة

٢٢ / ٤١
٤٢ / ٤٢

حوار محمد شلال الحناحنة
- حوار خالد الداسي

٩٠ / ٤١
٨٤ / ٤٢

محمد علي البدوي
أحمد أبو شاور

٥٦ / ٤٢
١١٢ / ٤١
١٨ / ٤٢

محمد السيد الدسوقي
محمود إسماعيل
عبدالقدوس أبو صالح

- بكت الديار
- جرح لا تغسله الدموع
- الحب الحقيقي
- الحب في مدينتي الجميلة
- حي اليراعة (في رثاء الرفاعي)
- ذكرى الرفاعي (في رثاء الرفاعي)
- رحيل المقاوم
- رسالة إلى حارس الفصحى (في رثاء الرفاعي)
- رسول الإنسانية
- الرواية الإسلامية .. الزمان والرؤية (تحقيق)
- سمو الطين
- عاشق الضاد (في رثاء الرفاعي)
- في ذكرى الرفاعي (في رثاء الرفاعي)
- قلت لك
- كتاب الكون
- لأنك أليت (في رثاء الرفاعي)
- لا تعذلوه
- اللذة الراقية
- للرافعي أنتسب (في رثاء الرفاعي)
- لم يطب للنبوغ فيك مقام (في رثاء الرفاعي)
- هكذا ينزف القلم
- وأوصى إليه
- وكيف يغرد السرب ؟ (في رثاء وليد الأعظمي)
- يا صاحب الخلق الجميل (في رثاء محمد حسن بريغش)

القصة

- أحلام في الشارع
- إنذار بالموت
- لا شلت يمينك
- من أجل المحترم أليكس
- نافذة أخيرة
- وسطع وجهه نورا

لقاء العدد

- مع د . المباركة بنت البراء
- مع محمد حسن بريغش

المسرحية

- الحضارة السوداء
- فسطاط سببلة (مسرحية شعرية)

المقالات والبحوث

- الإبداع الفني بين الخير والشر
- الإبداع الفني في وجود التراث والهوية
- أبو الحسن كما عرفته (في رثاء محمد حسن بريغش)

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الحادي عشر

العدد والصفحة

الكاتب

الموضوع

٨٠ / ٤٤ - ٤٣

٦٢ / ٤١

٤٨ / ٤٢

٨٢ / ٤٢

٢٠ / ٤٢

٤٢ / ٤٤ - ٤٣

٤ / ٤٤ - ٤٣

١٩ / ٤٢

١٣٦ / ٤٤ - ٤٣

١١٢ / ٤٢

٣٢ / ٤٤ - ٤٣

٣٢ / ٤١

٧١ / ٤٢

٦٢ / ٤٢

٤٨ / ٤١

٥١ / ٤٤ - ٤٣

٨ / ٤٢

٢١٨ / ٤٤ - ٤٣

١٩٥ / ٤٤ - ٤٣

١٣٠ / ٤٤ - ٤٣

٧٥ / ٤٤ - ٤٣

١٦ / ٤٤ - ٤٣

٢٨ / ٤١

٢٦ / ٤٢

١٨٠ / ٤٤ - ٤٣

١٧٧ / ٤٤ - ٤٣

٣٠ / ٤١

١٨ / ٤١

١٥٤ / ٤٤ - ٤٣

١٠٤ / ٤٤ - ٤٣

٤ / ٤٢

٣٦ / ٤١

١٦٠ / ٤٤ - ٤٣

٩٤ / ٤٤ - ٤٣

٤٠ / ٤١

٦٨ / ٤١

١٢٠ / ٤٤ - ٤٣

٦٨ / ٤٢

١١٥ / ٤٤ - ٤٣

١٦٦ / ٤٤ - ٤٣

٥٢ / ٤٢

عدنان النحوي

بلقاسم برهومي

شمس الدين درمش

أحمد عطية السعودي

فهيم النجار

عبدالحليم عويس

حسن الأمراني

صالح بن علي الأحمر

صابر عبدالدايم

ممدوح القديري

وليد قصاب

محمد إبراهيم أبو سنة

محمد حرب

عبدالله مهدي

شهاب غانم

مكارم الديري

عبدالباسط بدر

حسين مجيب المصري

محمد حيان الحافظ

إبراهيم سعفان

أحمد فضل شبلول

صلاح الدين عبد التواب

محمد صالح الشنطي

سعد أبو الرضا

أحمد حسن الزيات

محب الدين الخطيب

يوسف عز الدين

غدير بدر عبيدات

إسماعيل علوي

محمد أبو بكر حميد

نجيب الجباري

علي علي صبح

ياسر عبدالرحيم

عبدالحميد الحسامي

محمد الواسطي

محسن عبدالمعطي

محمد الحسناوي

سعید ساجد الكرواني

وليد عبدالمجيد كساب

أيمن أحمد ذو الغنى

محمد نادر فرج

- أثر الإسلام في أدب الرافعي

- الأدب الإسلامي في المدونة التونسية

- أدب الأطفال لدى محمد حسن بريغش

- الأدب العفيف

- الأديب الداعية محمد حسن بريغش

- أسلوب الرافعي الأدبي في تناول التاريخ الإسلامي

- أصالة التجديد وتجديد الأصالة عند الرافعي

- بحة .. (في رثاء محمد حسن بريغش)

- بين الرافعي وطه حسين تحت راية القرآن

- تبادلية العلاقة بين الناقد والمبدع

- التصور الإسلامي للنقد الأدبي عند الرافعي

- التكامل بين الأدب والتاريخ في كتاب القدس الشريف

للدكتور حسين مجيب المصري

- توبة شاعر تركي

- توظيف الشخصية والحدث .. في ديوان المسافر في

سنبلات الزمن للدكتور صابر عبدالدايم

- حب اللغة بين ثلاث قصائد

- الخصائص الأسلوبية للرافعي في وحي القلم

- خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه نموذج من الأدب

الإسلامي المتميز

- الرافعي أستاذي

- الرافعي .. سيرته وأثاره وكتب ورسائل جامعية عنه

- الرافعي شاعرا

- الرافعي وأغاريد الأطفال

- الرافعي وقضية الإعجاز في القرآن الكريم

- الرؤى التائهة والتراث المظلوم

- رؤية بريغش النقدية للقصة الإسلامية

- رثاء مجلة الرسالة (لمصطفى صادق الرافعي)

- رثاء مجلة الفتح (لمصطفى صادق الرافعي)

- رحيل الرواد في الوطن العربي .. د . إبراهيم السامرائي

- رواية سفينة وأميرة الظلال للأميرة مها الفيصل

- الشاعر والمتلقي في كتاب وحي القلم للرافعي

- شخصية الأديب المسلم في حياة الرافعي ورسالته

- الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية .. غزوة بدر نموذجا

- طابع الأسلوب لكتابة د . يوسف خليف

- طبيعة البيان عند الرافعي

- الطفولة في أدب الرافعي - وحي القلم نموذجا

- العلاقة بين الدين والشعر في النقد العربي

- قراءة في ديوان خفقات قلب للشاعر عبدالحفيظ صقر

- قراءة في كتاب حديث القمر للرافعي

- قراءة في المجموعة القصصية .. إيقاعات في قلب الزمن لأم سلمى

- قضية الفقر .. في أدب الرافعي

- كتاب على السفود للرافعي

- لسنا وحدنا من يبكي عليه (في رثاء محمد حسن بريغش)

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الحادي عشر

العدد والصفحة

الكاتب

الموضوع

١٧٩ / ٤٤ - ٤٣
١٧٦ / ٤٤ - ٤٣
٣٥ / ٤٢
٤١ / ٤٢
٣٦ / ٤٢
١٠ / ٤٢
٨٦ / ٤٤ - ٤٣
٤ / ٤١
١٧ / ٤٢
٣٠ / ٤٢
١٤٥ / ٤٤ - ٤٣
٦٦ / ٤٤ - ٤٣
١٠ / ٤١
٦٠ / ٤٤ - ٤٣
٢٧ / ٤٤ - ٤٣

محمد سعيد العريان
مصطفى صادق الرافعي
التحرير
التحرير
عبدالله الحيدري
إبراهيم عباس غانم
خيرالله الشريف
يحيى الجبوري
التحرير
وليد قصاب
شمس الدين درمش
عبدالمنعم بونس
شادية حسن زيني
حسين علي محمد
حلمي محمد القاعود

٧٢ / ٤٢

هارون المهدي ميغا

٣٢ / ٤١

محمد إبراهيم أبو سنة

٧١ / ٤٢

محمد حرب

٥٨ / ٤١

ترجمة سمير عبدالحميد

٦١ / ٤٢

أبو محجن الثقفي

٦٠ / ٤٢

حسان بن ثابت

٥٢ / ٤١

عبدالله بن شداد بن الهاد

٧٢ / ٤٢

هارون المهدي ميغا

٥٤ / ٤١

نجيب الكيلاني

٨٦ / ٤١

كمال عفانة

٩٦ / ٤٢

صدقي البيك

١٣٣ / ٤٤ - ٤٣

محمود حسين عيسى

١٣٤ / ٤٤ - ٤٣

عبدالرزاق ديار بكرلي

٧٨ / ٤١

عماد الدين خليل

٩٧ / ٤٢

محمد الشواف

- مات الرافعي.. (في رثاء مصطفى صادق الرافعي)
- ماذا أريد أن يقال عني بعد الموت
- محمد حسن بريغش في دليل مكتبة الأدب الإسلامي
- محمد حسن بريغش في المشكاة
- محمد حسن بريغش وفن السيرة
- مرايا (د . حمودة) المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية
- المرأة في أدب الرافعي
- المعاني القرآنية في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي
- ملف خاص عن محمد حسن بريغش
- مفهوم الأدب الإسلامي عند محمد حسن بريغش
- من ملامح القصة عند الرافعي
- موقف الرافعي من دعاة العامية واللغات الأجنبية
- الوحدة العضوية في القصيدة العربية بين النقد القديم والحديث
- وقفات مع كتاب السحاب الأحمر للرافعي
- وما يزال شعر الرافعي يحتاج إلى تحقيق

من آداب الشعوب الإسلامية (دراسات وإبداع)

- أدب المسلمين في غرب إفريقيا
- التكامل بين الأدب والتاريخ في كتاب .. القدس الشريف بين شعراء الشعوب الإسلامية للدكتور حسين مجيب المصري
- توبة شاعر تركي - مقال
- واستيقظ الضمير - قصة من الأدب الهندي

من تراث الأدب الإسلامي

- توبة فارس - شعر ونثر
- في الطريق إلى مكة - شعر
- وصية والد لابنه - شعر ونثر

من ثمرات المطابع

- أدب المسلمين في غرب إفريقيا
- الوجه الحضاري للأدب الإسلامي

من مكتبة الأدب الإسلامي

- آراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأدب والنقد تأليف كمال المقابلة
- غزوات الرسول ﷺ بين شعراء الشعوب الإسلامية ، تأليف حسين مجيب المصري
- مصطفى صادق الرافعي .. كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً ، تأليف مصطفى الشكعة
- مصطفى صادق الرافعي .. فارس القلم تحت راية القرآن ، تأليف محمد رجب البيومي
- معالم الأدب الإسلامي ، تأليف عمر الساريسي
- المنهج الإسلامي في النقد الأدبي ، تأليف سيد عبدالرازق

كشاف مجلة الأدب الإسلامي

فهرس الكتاب المجلد الحادي عشر - الأعداد ٤١ - ٤٤

| العدد والصفحة | اسم الكاتب | العدد والصفحة | اسم الكاتب |
|------------------|--------------------------|------------------------|------------------------|
| ٥٤ / ٤١ | صابرين شمردل | ١٣٠ / ٤٤ - ٤٣ | إبراهيم سغفان |
| ١٩ / ٤٢ | صالح بن علي الأحمر | ١١١ / ٤١ | إبراهيم شعراوي |
| ٩٦ / ٤٢ | صدقي البيك | ١٠ / ٤٢ | إبراهيم عباس غانم |
| ١٦ / ٤٤ - ٤٣ | صلاح الدين عبدالنواب | ٦١ / ٤٢ | أبو محجن الثقفي |
| ٨٩ / ٤١ | طارق ثابت | ٩٠ / ٤١ | أحمد أبو شاور |
| ٩٨ / ٤٢ | طارق شفيق حقي | ١٨٠ / ٤٤ - ٤٣ | أحمد حسن الزيات |
| ٦١ / ٤١ | عبد طاهر مسلم | ٩٨ / ٤٢، ٨٨ / ٤١ | أحمد السعدني |
| ٨ / ٤٢ | عبدالباسط بدر | ٩٩ / ٤٢ | أحمد عدنان |
| ٤٢ / ٤٤ - ٤٣ | عبدالحليم عويس | ٨٢ / ٤٢ | أحمد عطية السعودي |
| ٩٤ / ٤٤ - ٤٣ | عبدالحميد الحسامي | ٧٥ / ٤٤ - ٤٣ | أحمد فضل شبلول |
| ٩٤ / ٤٢ | عبدالحميد محمد شعيب | ١٥٤ / ٤٤ - ٤٣ | إسماعيل علوي |
| ١١٠ / ٤١ | عبدالرحمن تبرماسين | ١٦٦ / ٤٤ - ٤٣ | أيمن أحمد ذو الغنى |
| ٤٦ / ٤١ | عبدالرحمن عبدالوافي | ٧٩ / ٤١ | بكر موسى هارون |
| ١٧٨ / ٤٤ - ٤٣ | عبدالرحمن نجا | ٦٢ / ٤١ | بلقاسم برهومي |
| ٩٠ / ٤٢ | عبدالرحيم الكردي | ٨ / ٤١ | حامد عبدالمجيد كابلبي |
| ١٨ / ٤٢، ٩٤ / ٤١ | عبدالقدوس أبو صالح | ١٠٨ / ٤٢ | حزام ناجي السوداني |
| ١٠٩ / ٤٢، | | ٦٠ / ٤٢ | حسان بن ثابت |
| ٤٣ / ٤٢ | عبدالله الحيدري | ٤ / ٤٤ - ٤٣ | حسن الأمراني |
| ٥٢ / ٤١ | عبدالله بن شداد بن الهاد | ٦٠ / ٤٤ - ٤٣ | حسين علي محمد |
| ٦٢ / ٤٢ | عبدالله بن مهدي عبدالله | ٤٣ - ٤٤ / ٤٤ | حسين مجيب المصري |
| ٦٦ / ٤٤ - ٤٣ | عبدالمنعم يونس | ٢١٨ / ٤٤ - ٤٣ | حلمي محمد القاعود |
| ١٨٤ / ٤٤ - ٤٣ | عبدالله بدوي | ٢٧ / ٤٤ - ٤٣، ٨٠ / ٤١ | حيدر الغدير |
| ١٩٢ / ٤٤ - ٤٣ | عبير حسين إسماعيل | ١٨٨ / ٤٤ - ٤٣، ٧ / ٤٢ | خالد الدادسي |
| ٨٠ / ٤٤ - ٤٣ | عدنان النحوي | ٤٢ / ٤٢ | الخضر شكير |
| ١١٠ / ٤١ | علي التمني | ٧٨ / ٤٢ | خليل الصمادي |
| ٣٦ / ٤١ | علي علي صبح | ٨٧ / ٤٢ | خيرالله الشريف |
| ٨٧ / ٤١ | عماد الدين خليل | ٨٦ / ٤٤ - ٤٣ | ربيع السعيد عبد الحليم |
| ١٨ / ٤١ | غدير بدر عبيدات | ٦٦ / ٤١ | رمضان عمر |
| ١٨٧ / ٤٤ - ٤٣ | فاروق باسلامة | ٦٦ / ٤٢، ١١٠ / ٤١ | زكي صالح الحريول |
| ٢٠ / ٤٢ | فهمي النجار | ٦٠ / ٤١ | زينهم البدوي |
| ٦٧ / ٤٢ | فوزي خضر | ٦٠ / ٤١ | سامية حسين علي |
| ٦٥ / ٤١ | فوزية العمري | ٤٣ - ٤٤ / ٤٤ | سعد أبو الرضا |
| ٢٩ / ٤١ | فيصل محمد الحجري | ٧٩ / ٤١ | سعيد ساجد الكرواني |
| ١٧ / ٤١ | كمال أحمد غنيم | ٢٦ / ٤٢ | سمير عبدالحميد |
| ٨٦ / ٤١ | كمال عفانة | ٦٨ / ٤٢ | شادية حسن زيني |
| ٣٩ / ٤١ | لباية محمد أبو صالح | ٥٨ / ٥١ | شريف قاسم |
| ١٧٧ / ٤٤ - ٤٣ | محب الدين الخطيب | ١٠ / ٤١ | شمس الدين درمش |
| ٣٢ / ٤١ | محمد إبراهيم أبو سنة | ٤٦ / ٤٢ | شهاب غانم |
| ٣٦ / ٤١ | محمد أبو مصطفى | ٤٨ / ٤٢ | شيماء |
| ١١٠ / ٤١ | محمد أفقير | ٤٦ / ٤٢ | صابر عبدالدايم |
| | | ١٤٥ / ٤٤ - ٤٣، ٤٨ / ٤٢ | |
| | | ٤٨ / ٤١ | |
| | | ٨٨ / ٤١ | |
| | | ١٣٦ / ٤٤ - ٤٣ | |

تابع فهرس الكتاب - المجلد الحادي عشر

| العدد والصفحة | اسم الكاتب | العدد والصفحة | اسم الكاتب |
|-----------------------|-----------------------|---------------|-----------------------|
| ٦٨ / ٤١ | محسن عبدالمعطي | ٧١ / ٤٢ | محمد حرب |
| ١١٢ / ٤١ | محمود إسماعيل | ١٢٠ / ٤٤ - ٤٣ | محمد الحسنواوي |
| ١٨٢ / ٤٤ - ٤٣ | محمود حسن إسماعيل | ١٩٥ / ٤٤ - ٤٣ | محمد حيان الحافظ |
| ١٠٨ / ٤٢ | محمود محمد كلزي | ٢٢ / ٤١ | محمد رشيد سوسان |
| ٥١ / ٤٤ - ٤٣ | مكارم الديري | ١١٠ / ٤١ | محمد داود الرياني |
| ٤٧ / ٤١ | مليكة الصوطي | ١٧٩ / ٤٤ - ٤٣ | محمد سعيد العريان |
| ١١٢ / ٤٢ | ممدوح القديري | ١٦ / ٤٢ | محمد سعيد المولوي |
| ٤ / ٤٢ | نجيب الجباري | ٥٦ / ٤٢ | محمد السيد الدسوقي |
| ٥٤ / ٤١ | نجيب الكيلاني | ٢٢ / ٤١ | محمد شلال الحناحنة |
| ١٠٨ / ٤٢ | نور عالم خليل الأميني | ٩٧ / ٤٢ | محمد الشواف |
| ٧٢ / ٤٢ | هارون المهدي ميغا | ٢٨ / ٤١ | محمد صالح الشنطي |
| ١٨٦ / ٤٤ - ٤٣ | هاشم الرفاعي | ٩ / ٤١ | محمد ظافر الشهري |
| ١١٠ / ٤١ | هيثم السيد | ٧٣ / ٤١ | محمد عبدالسلام الباشا |
| ١١٥ / ٤٤ - ٤٣ | وليد عبدالماجد كساب | ٩٠ / ٤١ | محمد علي البدوي |
| ٣٢ / ٤٤ - ٤٣، ٣٠ / ٤٢ | وليد قصاب | ٥٨ / ٤٢ | محمد علي وهبة |
| ١٦٠ / ٤٤ - ٤٣ | ياسر عبدالرحيم | ١٩٤ / ٤٤ - ٤٣ | محمد فايد عثمان |
| ٥٥ / ٤٢ | ياسر محمد غريب | ٥٨ / ٤٢ | محمد نادر فرج |
| ٤ / ٤١ | يحيى الجبوري | ٥٢ / ٤٢ | محمد المتقن |
| ٣٠ / ٤١ | يوسف عز الدين | ٨٢ / ٤١ | محمد الواسطي |
| ٣٥ / ٤١ | يوسف نوفل | ١٩١ / ٤٤ - ٤٣ | محجوب موسى |

كشاف أخبار الأدب الإسلامي

| أخبار المكاتب | ندوات ومؤتمرات |
|--|--|
| - الأردن | - أدب الحركة الإصلاحية في الملتقى |
| - باكستان | - الدولي الرابع للأدب الإسلامي في المغرب |
| - بنغلاديش | |
| - تركيا | |
| - السعودية | |
| - مصر | |
| - المغرب | |
| - الهند | |
| - اليمن | |
| ندوة الشيخ أبي الحسن الندوي في ١٠٠ / ٤٢ | |
| باكستان | |
| ندوة الرافي في الملتقى الأدبي الأول في ٢٠٢ / ٤٤ - ٤٣ | |
| مصر | |
| ندوة عن الرسول ﷺ في الشعر البنغالي ٢١٦ / ٤٤ - ٤٣ | |
| في بنغلاديش | |
| ندوة الأدب الإسلامي في اليمن ٢٠٩ / ٤٤ - ٤٣ | |
| ندوة علمية حول السلطان الشهيد تيبو في ٢١٧ / ٤٤ - ٤٣ | |
| الهند | |
| تكريم | |
| د. أحمد عمر هاشم ٢٠٢ / ٤٤ - ٤٣ | |
| أ. حسن عباس زكي ٢٠٢ / ٤٤ - ٤٣ | |
| أ. حيدر قفة ١٠١ / ٤١ | |
| وفيات | |
| د. عبدالقادر طاش ١٠٧ / ٤١ | |
| ٢١٥ / ٤٤ - ٤٣، ١٠٠ / ٤١ | |
| ١٠٠ / ٤٢ | |
| ٢١٦ / ٤٤ - ٤٣ | |
| ١٠٤ / ٤٢، ١٠٤ / ٤١ | |
| ٢١٤ / ٤٤ - ٤٣، ١٠٢ / ٤١ | |
| ٢٠٢ / ٤٤ - ٤٣، ١٠٣ / ٤١ | |
| ٩٤ / ٤١ | |
| ٢١٧ / ٤٤ - ٤٣، ١٠٣ / ٤١ | |
| ٢٠٩ / ٤٤ - ٤٣ | |
| ١٠٤ / ٤٢، ١٠٥ / ٤١ | |
| ١٠٧ / ٤٢، ١٠٨ / ٤١ | |
| ١٠٩ / ٤١ | |
| من أخبار أعضاء الرابطة | |
| من إصدارات أعضاء الرابطة | |
| كتب وصلت إلى المجلة | |
| ندوات ومؤتمرات | |
| ٩٤ / ٤١ | |

أخي الفارئ

في مجلة الأدب الإسلامي:

- الإبداع والنقد.
- الأصالة والتجديد.
- منبر الأدباء الإسلاميين.
- مكتبة الأدب الإسلامي.
- رسائل جامعية في الأدب الإسلامي.
- الأقلام الواعدة.
- مسيرة الأدب الإسلامي وربطته العالمية.
- اشتراكك في المجلة دعم للأدب الإسلامي وربطته العالمية.

أخي الفارئ

- إهداء المجلة إلى صديق لك يجعله من أنصار الأدب الإسلامي.
- إهداء المجلة إلى أحد المراكز الإسلامية يتيح لعدد كبير من القراء أن يطلعوا على الأدب الإسلامي ومسيرة رابطته العالمية.
- إهداء مجلة الأدب الإسلامي من العلم الذي ينتفع به.

قسمة اشتراك

بيانات المشترك

الاسم:
الجنسية:
الوظيفة أو العمل:
العنوان:
هاتف المنزل:
هاتف العمل:
ملاحظات أخرى:

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي
أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب
الإسلامي لمدة
ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب
الإسلامي العالمية - حساب المجلة
بمبلغ

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً - خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.
للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

قيمة الاشتراك
السنوي

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة باسم د. عبدالقدوس محمد ناجي أبو صالح رئيس تحرير مجلة
الأدب الإسلامي، الحساب رقم (١٥١٥/٤) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض.
وللتحويل من الحساب الشخصي إلى حساب المجلة على رقم الحساب (١٦٦٠٠١٥١٥/٤)
وترسل صورة الحوالة أو إشعار التحويل مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:
السعودية - الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب. ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - فاكس ٤٦٣٤٣٨٨ - ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٥٣٤٧٧٠٩٤

قسمة اشتراك (هدية - تبرع)

بيانات طالب الاشتراك

الاسم:
الجنسية:
الوظيفة أو العمل:
العنوان:
هاتف المنزل:
هاتف العمل:
عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها:
المبلغ المدفوع:

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي:
أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب
الإسلامي لمدة يرسل هدية إلى:
الاسم:
العنوان:
ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب
الإسلامي العالمية - حساب المجلة
بمبلغ

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً - خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.
للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

قيمة الاشتراك
السنوي

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة باسم د. عبدالقدوس محمد ناجي أبو صالح رئيس تحرير مجلة
الأدب الإسلامي، الحساب رقم (١٥١٥/٤) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض.
وللتحويل من الحساب الشخصي إلى حساب المجلة على رقم الحساب (١٦٦٠٠١٥١٥/٤)
وترسل صورة الحوالة أو إشعار التحويل مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:
السعودية - الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب. ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - فاكس ٤٦٣٤٣٨٨ - ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٥٣٤٧٧٠٩٤

الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم

تهدف إلى

تحفيظ القرآن الكريم والعناية بعلومه
وتفهمه ونشره وتطوير سبل تعليمه
للمسلمين في أنحاء العالم



تكفل الحلقات والخلوي والمراكز القرآنية
في أكثر من أربعين دولة في العالم



تخرج منها أكثر من خمسة عشر ألف
حافظ وحافظة



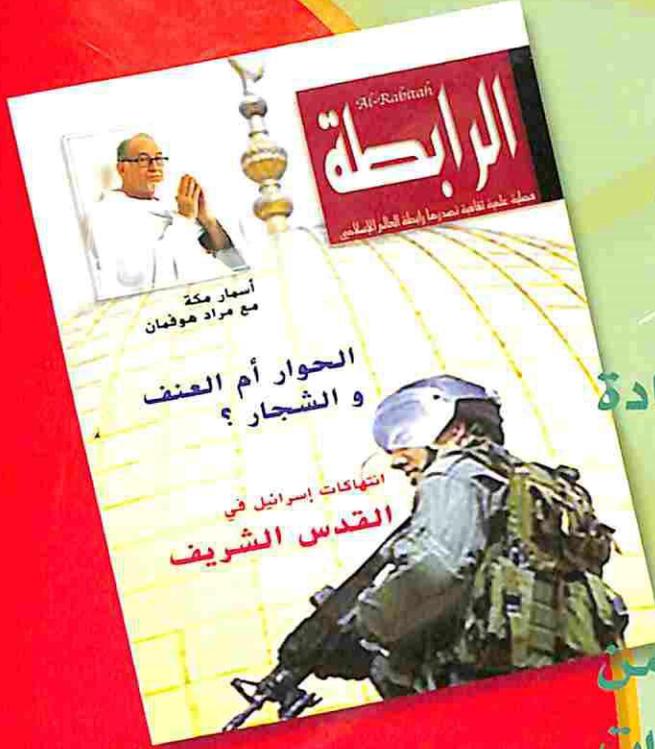
شركة الراجحي المصرفية للاستثمار

حساب رقم ٩/٥

فرع شارع الأربعين رقم ٣٧٦

جدة : ٦٩٠٠٠٣٠ فاكس : ٦٨٢٤٨٢٦

ص.ب : ١١٥٨٤ جدة ٢١٣١٢



مجلة الرابطة

فصلية علمية ثقافية تصدر عن
رابطة العالم الاسلامي

■ تقارير عن القضايا الجادة
في العالم الإسلامي.

■ بحوث منتقاة من
المؤتمرات والندوات ودورات
المجمع الفقهي.

■ مقالات ودراسات لكبار
الكتاب والعلماء والباحثين.

■ عرض الكتب الجديدة.

تصدر كل ثلاثة أشهر : المحرم - ربيع الثاني - رجب - شوال
ص . ب ٥٢٧ مكة المكرمة - هاتف وفاكس : ٥٦٠١٠٧٧
العنوان الالكتروني : aalamislami@yahoo.com

الموقع على شبكة الانترنت:

www.muslimworldleague.org